عمارة المسجد النبوى

منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي

الدكتور محمد هزاع الشهرى

كار القاهرة للكتاب ١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة ت ٣٩٢٩١٩٢

حقوق الطبع محفوظة

عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي

اسم الكتساب:

السيد الدكتور/ محمد هزاع الشهرى ٤٩٢

14.4

I. S. B. N.

977 - 314 - 115 - 0

4 . . 1

الأولى

مكتبة القاهرة للكتاب

١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

القاهرة _ جمهورية مصر العربية

4419197

****** - *******

استم المتؤلف :

عدد الصفحات :

رقسم الإيسداع:

الشرقيم الدولي :

سنة النشر :

الطبيعية :

الناشــر:

العنوان :

البلد:

تليفون :

فساكس:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة :

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . والصلاة والسلام على من أكرمه الله بهداية الأمة المحمدية ، جعلنا الله عن يهتدى بهديه ويسير على سنته وهداه .

أما بعد فإن الزائر إلى المسجد النبوى الشريف ، يحتاج في واقع الأمر إلى من يرشده إلى حدود المسجد في عهد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، ويوضح له حقيقة المسميات المدونة حتى الآن بأعلى بعض أسطوانة مقدم المسجد الشريف ، والتي اكتسبت معانيها الجليلة من أحداث وقعت زمن فترة النبوة ، كتحديده على المروضة الشريفة وأسماء أبواب المسجد الشريف ، وموضع حجرات أمهات المؤمنين في المسجد في حياة الرسول على ، وسبب ادخالها في المسجد في عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الشريف في العصر الأموى ، وغيسر ذلك مما يسأل عنه الإنسان العادى فضلا عن المشقف الباحث عن المحقيقة .

ولكون المسجد الشريف احتاج في عهد الخلفاء الراشدين إلى توسعتين عظيمتين أوجبتهما الحاجة إلى إستيعاب الأعداد المتزايدة من المسلمين الجدد، خاصة وأن له إلى جانب هذه القدسية التي جعلت من هذا المبنى الدينى ثانى الحرمين الشريفين كونه المسجد الجامع لعاصمة الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد انعكست على عمارته والعناية به أحداث ما بعد الفتنة الكبرى _ بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه _ خاصة بعد إنتقال العاصمة السياسية من المدينة المنورة إلى الكوفة أولاً ثم إلى دمشق ، ومن بعد إلى بغداد في عهد الدولة المملوكية . فلم يعد في عهد الدولة المملوكية . فلم يعد الاهتمام بالمسجد النبوى الشريف من أولوليات الخلافة في عصورها المتباينة ،

إلا فى مواسم الحج ، أو عندما تدعوا الحاجة إلى إصلاح بعض جوانبه ، أو مخل به كارثة تدمر سنونه وتتلف محتوياته ، كما حدث فى حريق سنة ٦٥٤هـ وسنة ٨٨٦هـ .

ولكون أخبار هذه الأحداث وغيرها متناثرة في كثير من الكتب التي تعود إلى عصور مختلفة ، يجمل فيها المتأخرون أخبار ما سبقهم من أحداث ، ولم يف الموضوع حقه من الجمع والترتيب إلا مؤرخ المدينة في العصر المملوكي الميرز في علوم شتى نور الدين على بن أحمد السمهودي المتوفى سنة ١١٩هـ، والذي خص المدينة المنورة بكتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » والذي يقع في أربعة أجزاء جمعت في مجلدين كبيرين ، ولضخامة الكتاب وأختلاف موضوعاته فمن الصعب على غير المتمرس الوقوف على مراحل بناء المسجد النبوى وتجديداته عبر العصور ، لا سيما وإن العمارة السعودية في عهدها الأول والثاني قد احاطت بالمبنى القديم من جميع جوانبه ، وطغت بجمائياتها الجذابة على معالم المنطقة العمرانية المحيطة بالمسجد النبوى الشريف .

ولكون الله عز وجل قد من على بتتبع هذه الحقب التاريخية في دراسة أكاديمية في سنة ١٩٨٢ هـ / ١٩٨٢ م، وكان لى شرف التتلمذ فيه على يد أستاذ قدير وعالم فاضل هو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد جزاه الله عنى خير الجزاء ، وبعد مضى أكثر من عشرة أعوام عاصرت فيها مراحل التوسعة الكبرى التي قام بها خادم الحرمين الشريفين في المسجد النبوى الشريف ، أخذت برأى بعض الزملاء في طبع هذا العمل العلمي وتسهيل تداوله بغية الفائدة لمن يبحث عنها والاستفادة من أى نقد أو نصح يسديه لى من يريد الخير للعلم وأهله ، ومن الله استمد العون والتوفيق .

المؤلف

مكة المكرمة ١٤٢١/٨/١٠هـ

تهميد

دور المسجد النبوى في تخطيط المساجد الجامعة في صدر الإسلام :

اقتصر تخطيط المسجد النبوى الشريف طيلة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده على العناصر الأساسية ـ التي سأشير إليها فيما بعد ـ مع الإضافات الهامة التي كان لوجودها ضرورة ملحة .

وكان المسجد النبوى الشريف قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جزءا من أرض يمتلكها بعض أيتام المدينة ، هيأها المسلمون لأداء قريضة الصلاة (۱) وقد اكتفى عليه السلام عند قدومه إلى المدينة بتوسعة هذا المسجد الصغير والتثبت من صحة انجاه قبلته . ولم يكد النصف الثاني من السنة الثانية من الهجرة يبدأ حتى كان المسجد الشريف محاطا بسور مرتفع وظلة شمالية تمنع الناس الحر والمطر . وأوجب تحويل القبلة إستحداث ظلة ثانية في الجهة الجنوبية ، وبهذا صار المسجد مؤلفا من ظلتين وصحن مكشوف بينهما(۲) وهذا المخطط الذي استقر عليه المسجد في آخر عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أصبح النموذج الذي احتذته المساجد الإسلامية الأولى ، نظرا لما يكنه المسلمون لمنشقه من تكريم يفوق احتذته المساجد الإسلامية الأولى ، نظرا لما يكنه المسلمون لمنشقه من تكريم يفوق

⁽۱) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية ، جـ ۱ ، ص ٢٤٣ أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: « أفترصت الصلاة على الرسول كله أول ما أفترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا ، وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين ، ثم ذكر فى ص ٢٤٤ صفة تعليم الرسول عليه السلام لأم المؤمنين حديجة طريقة الوضوء وكان ذلك فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة ، وفى ذلك ما يدل على فرض الصلاة قبل الهجرة كما أن القرآن الكريم يحتوى على ١٩ آية فى ١٣ سورة بها ذكر الصلاة والحث عليها .

⁽٢) لا يظن أن المخطط الذي أعده فريد شافعي في كتابه العمارة العربية ص ٦٥ والذي يشبه إلى حد كبير المخطط الذي أعده كريزول في كتابه العمارة الإسلامية المبكرة ، جدا القسم الأول ، ص ٨ يتفق والحقيقة ، وذلك لأن الطلة الأولى (موضع أهل الصفة فيما بعد) في هذا المخطط ليست الأجزاء من عرض المسجد . وقد كانت كما هو معروف مكان الصلاة قبل تحويل القبلة إلى مكة، ثم ليس من المعقول أن يهدم بعض الظلة ويبقى منها جزء لأهل الصفة .

هذا الاجماع المتوارث على مدى خمسة عشر قرنا وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

وقبل التعرف على المساجد التي احتذت هذا النموذج يجب أن نلم بالعناصر الرئيسية التي يتكون منها المسجد النبوى الشريف وهي :

- الشكل المربع للمسجد وهو ما استقر عليه بعد زيادة الرسول الأحيرة له عند مقدمه من خيبر في السنة السابعة من الهجرة وكانت مساحته آنذاك تقدر ۱۰۰×۱۰۰ ذراع (۱).
- ٢ ظلتا مقدم المسجد ومؤخرته ، اللتان ثبت وجودهما في المسجد الشريف في السنة الثانية من الهجرة بعد تخويل القبلة (٢).
- ٣ ـ الصحن المكشوف الذى كان يشغل جزءا كبيراً فى مؤخرة المسجد قبل تخويل
 القبلة ، والذى أصبح بعد تخويلها يقع بين ظلتين إحداهما فى مقدم المسجد
 والأخرى فى مؤخرته .

وفى مقدمة المساجد التى اقتبست عناصر التخطيط السالفة الذكر مسجد البصرة الذى كان و أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات العربية ، (٢) ، وقد جاء أنه كان مجرد مساحة منبسطة يحيط بها خندق من جوانبها الأربعة تتخلله مداخل ثلاثة فى الشمال والشرق والغرب ، وفى جهة القبلة منه ظلة ، وبذلك لم يكن مخططه يختلف عن مخطط المسجد النبوى الشريف وكانت ظلته من القصب (٤) . وفى سنة ١٦هـ دمر الحريق البصرة فبنيت بيوتها باللبن وكذلك مسجدها فى ولاية أى موسى الأشعرى . ويظن أن المسجد اقتصر اذ ذاك على ظلة فى مقدم المسجد ،

⁽١) انظر زيادة الرسول 🏶 للمسجد النبوي بعد مقدمة من خبير ص ٥١ وما بعدها .

⁽٢) انظر المخطط الذي رسمت للمسجد بعد الزيادة الآخيرة في حياة الرسول عليه السلام شكل (٢٨) .

⁽٣) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٩٩ .

⁽٤) ابن قتيبة : كتاب المعارف ، ص ٤٢٦ .

أو على ظلتين معا في المقدمة والمؤخرة احتذاء بمسجد الرسول في المدينة .

وفى سنة ٤٥هـ شهد المسجد عمارة جديدة وذلك فى ولاية زياد بن أبيه فى خلافة معاوية رضى الله عنه . وقد حظيت هذه العمارة بعناية بعض الباحثين (١) فأثبتوا أن المسجد كان مربعا ، وأنه رغم اقتباسه لجميع عناصر المسجد النبوى الشريف ، فإنه سبق المسجد النبوى فى استحداث المجنبتين اللتين لم يعرفهما المسجد الشريف إلا فى عمارة الوليد بن عبد الملك له سنة ٨٧ ـ ٩١هـ شكل (١) .

وكانت الكوفة و ثانى مدينة أحدثت فى الإسلام و (٢). وقد اختط بها سعد بن أبى وقاص و مسجدها ودار إمارتها فى مقام الغالى وما حوله و (٣). ويذكر الطبرى أنه بنى للمسجد و ظلة فى مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير و (٤). شكل (٢)، وعندما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة أعاد بناء المسجد ووسعه وذلك بغير مجنبات ولا مؤخرة أيضا (٥)، وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أعيد بناؤه من جديد فى زمن ولاية زياد بن أبيه ، الذى استحدث فيه سنة ١٥هـ مجنبتين ومؤخرة لأول مرة (٦). وقد شاهد ابن جبير المسجد على هذا الطراز فى القرن السادس الهجرى (٧)، واتضح من الحفريات التى أجريت فيه أخيرا (٨) أن المسجد أقيم و على مساحة مربعة الشكل تقريبا ، طول جدار القبلة فيها ١١٠ مترا و وجدار المؤخرة و الغربى ١١٦ مترا، وطول كل من الجدارين الشرقى والغربى ١١٩ مترا و (٢)،

⁽۱) انظر انخطط الذي أعده كريزول في كتابه العمارة الإسلامية المبكرة ، جـ ۱ ، القسم الأول ، ص ٤٧ ، وفريد شافعي في كتابه العمارة العربية ، ص ٢٣٢ ، وأحمد فكرى في المدخل ، ص ٤٧ ، وفريد شافعي في كتابه العمارة العربية ، ص ٢٣٢ ، وأحمد فكرى في المدخل ، ص ٤٠٢ إلا أنه اختلف معهما في عدد بلاطات مقدم المسجد فإنه يقصرها على أربع بلاطات بدلا من خمس بلاطات

⁽٢) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢٠٠ .

⁽٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٨٨ .

⁽٤) تاريخ الرسل والملوك ، جــه ، ص ٢٤٨٩ .

⁽o) الطبرى: تفس المصدر ، جده ، ص ٢٤٩٧ .

⁽٦) الطبرى : نفس المصدر ، جـ٥ ، ص ٢٤٩٢ .

⁽۷) رحلة ابن جبير ، ص ۱۸۸ .

⁽٨، ٩) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠١ -

وقد خالف فكرى كل من كريزول وفريد شافعى فى عدد بلاطات مقدم المسجد (١)، شكل (٣).

ويحسن بعد ذلك متابعة العناصر الرئيسية للمسجد النبوى الشريف في أشهر مساجد العراق القديمة ، وعلى رأسها جامع واسط الذى أنشأه الحجاج بن يوسف الشقفي منة ٨٤هـ ٢٠٣١م على قطعة أرض شبه مربعة طول أضلاعها الشقفي منة ١٠٤٪ ١م . ويتألف من صحن ومجنبات أربع (٢)، شكل (٤) ومنها كذلك المسجد العلوى بمدينة اسكاف بنى جنيد المنسوبة إلى خالد بن عبد الله القسرى الذى كان واليا لها سنة ١١هـ ، ويستدل من الرسم التخطيطي لأساسات هذا المسجد أنه يشغل مربعا غير منتظم الأضلاع ، طول جدار القبلة فيه خمسون مترا ، وطول جداره الشرقي خمس وخمسون ... وكان للمسجد صحن مستطيل غيط به من كل جوانبه الشمالية والشرقية والغربية مجنبة من رواقين ، (٢)، شكل (٥) .

ومن هذه المساجد أيضًا مسجد المنصور في بغداد ، وقد أنشىء سنة الإ الهدام ، على شكل مربع طول ضلعه ماتتا ذراع ، ويتألف من صحن تخيط به أروقة جانبية أكبرها رواق القبلة (٤) ، شكل (٦) . وعلى هذا النمط كان مخطط مسجد الرقة ، الذي أنشئ سنة ١٥٥هـ في خلافة المنصور العباسي (٥) مكل (٧) . ومسجد سامراء الكبير الذي أنشأه المتوكل على الله العباسي سنة محد (٦) ، شكل (٨) . ومسجد أبي دلف الذي أنشىء أيضًا في خلافة

⁽١) انظر المخطط الذي أعده كريزول في العمارة الإسلامية المبكرة ، جدا ، القسم الأول ، ص ٤٧ ، وفريد شافعي في كتاب العمارة العربية ص ٢٣٧ ، شكل (١) .

⁽۲) أحمد فكرى : المدخل أص ٢١٣ وما بعدها .

⁽٣) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .

⁽٤) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٣١ وما يعدها .

 ⁽٥) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٣٣٥ وما بعدها ، وانظر : فريد شافعى : العمارة العربية ، ص

⁽٦) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ وما بعدها ، وانظر : فريد شافمى : المرجع السابق ، ص٢٢١ , ٢٣٤

المتوكل سنة ٧٤٥ (في مدينة الجعفرية (١)، شكل (٩) .

وهذه الأمثلة من المساجد تؤيد ما ذهب إليه فريد شافعى من أن هناك و علاقة كبيرة واضحة بين هذا التخطيط في العبراق وبين تخطيط الرسول لمسجده في المدينة ، (٢)، وفضلا عن ذلك فإن لموقع المسجد من العمران وكثرة المصلين فيه ، أثر كبير في استخدام كل العناصر النبوية المذكورة أو بعضها على الأقل .

أما مساجد سوريا فقى مقدمتها الجامع الأموى الذى أنشىء سنة ٨٧هـ بأمر الوليد بن عبد الملك على شكل مستطيل و طوله ١٦٠ مترا تقريبا وعرضه مائة متر، وطول جدار القبلة فسى بيت الصلاة (رواق القبلة) ١٣٦ مترا (٢)، شكل (١٠) . وتعد عمارة هذا المسجد كما يقول سوقاجيه و أول نجاح معمارى في الإسلام ، (٤). ورغم اختلاف بنائه عن المسجد النبوى ، إلا أن رواق القبلة المغطاة وصحنه الواسع يعود بمخططه إلى طراز المسجد النبوى قبل تحويل القبلة ذلك إذا استثنينا البلاطات المحيطة بصحنه ، وليس كما يرى جورج مارسيه أنه خليط و بين التقليد المسجى والصيغة المعمارية الجديدة التي عرفنا مخططها الأول في مسجد الرسول في المدينة ، (٥)، وذلك لأن لكل مسجد من المساجد التي ذكرناها صفات الرسول في المدينة ، وجوانب بسيطة من التخطيط .

ومن هذه المساجد في سوريا مسجد بهسرى شكل (١١) ، المنسوب إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م (٦). وكذلك المسجد الجامع في

⁽١) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ ، وفريد شافعي : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ ، جورج مارسيه : الفن الإسلامي ، ص ٥٥ .

⁽٢) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢٣٩ .

⁽٣) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢١٨ .

⁽٤) جورج مارسيه : الفن الإسلامي ، ص ٣٦ .

⁽٥) جورج مارسيه : نفس المرجع ، ص ٣٦ .

⁽٦) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٢١ وما يعدها .

حران ، شكل (١٢) الذي يشبه إلى حد كبير مخطط الجامع الأموي في دمشق (١).

أما مساجد إيران فإن أكثرها شبها بمخطط المسجد النبوى الشريف مسجد طريق خانة بدمغان ، ويرى جورج مارسيه أن و مخطط هذا المسجد الأول مشابها لخططات مساجد سورية الأموية ، ومساجد الرافدين (٢) أيام العباسيين) (٢). وهذه المساجد تشبه أيضاً مخطط المسجد النبوى الشريف ، ومثلها مسجد نايين الذى يقع شرقى أصفهان ، والذى أنشىء سنة ، ٦٩هـ(٤). ولا يشذ مسجد أصفهان عن ذلك (٥)، رغم اختلاف مادة البناء الذى تطور فى العصر السلجوقى بما يتفق وامكانيات الدولة وما بلغته من ترف ورخاء .

هذا عن أهم مساجد شرق العالم الإسلامي . أما مساجد مصر وما يليها غربا من البلاد الإسلامية فقد شاركت أيضًا مساجد المشرق في اقتباس أهم العناصر المعمارية للمسجد النبوى الشريف في المدينة المنورة . وفي مقدمة هذه المساجد الجامع العتيق بالفسطاط ، الذي يعود تاريخ إنشائه إلى سنة ٢١هـ ، وقد شيده عمرو بن العاص على شكل مستطيل طوله خمسين ذراعا وعرضه ثلاثين ذراعاً وقد تناول كثير من الباحثين هذا المسجد بالبحث والدراسة متتبعين خراعا(١) . وقد تناول كثير من الباحثين هذا المسجد بالبحث والدراسة متتبعين جميع مراحل البناء التي مر بها . وشك فريد شافعي في أنه كان للمسجد أول الأمر صحن مكشوف إذ يعتقد و أن المساحة كانت كلها على هيئة ظلة واحدة (١) . ولكن بساطة وسائل الإضاءة في ذلك الوقت ، وكراهية العرب

أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٢٦ .

 ⁽۲) الرافدين هي أرض العراق نسبة إلى نهر دجلة والفرات ، انظر ابن منظور في لسان العرب ، جـ ٣
 من ١٨٢ .

⁽٣) جورج مارميه : الفن الإسلامي ، ص ٩٧ .

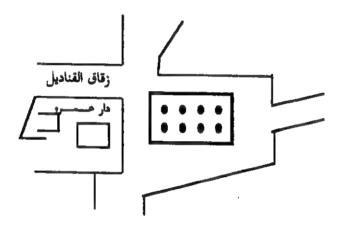
⁽¹⁾ جورج مارسه : نفس المرجع ، ص ٩٨ .

⁽٥) جورج مارسيه : نفس المرجع ، ص ٩٩ .

⁽٦) أحمد فكرى: المدخل ، ص ٦٧ ، سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ١ ص

⁽٧) العمارة العربية ، ص ٣٦٣ ، سعاد ماهر : المرجع السابق ، جــ ١ ص ٦٢ .

الفانحين لمثل هذا البناء المغطى (١)، يجعلان من الصعب بقاء المسجد العتيق على هذه الصفة مدى ٣٢ عاما ، إلى أن جدده مسلمة بن مخلد سنة ٥٣هـ/٦٧٢م ، لذلك فإن المخطط التالى الذى نقله أحمد فكرى عن مصلحة الآثار المصرية شكل (١٣) ، يبدو مقبولا ، ويمكن إرجاعه إلى طراز المسجد النبوى قبل تحويل القبلة .



شکل (۱۳) ــ رسم تصوری لتخطیط مسجد عمرو سنة انشائه (۲۱ ــ ۲٤۲م)

_ عن محفوظات مصلحة الآثار .

وفي سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م زاد عبد الله بن طاهر في المسجد العتيق بحيث اصبح يحتوى على جميع العناصر البارزة في مخطط المسجد النبوى بعد عمارة

⁽۱) يذكر كريزول في العمارة الإسلامية المبكرة ، جدا ، القسم الأول ص ۷ ه أن حياة العربي الخاصة كانت تقتضى فناءا خاصا مغلقا من جوانبه يعمل فيه النساء من نسيج وطبخ وغسيل وغير ذلك ه . وبما أن المسجد في فجر الإسلام لم يكن مقتصرا على أداء شعائر العبادة فقط ، فإن المسلمين الذين كانوا يقضون معظم أوقاتهم في المسجد ، كانوا في حاجة إلى صحن مكشوف يمدهم بالهواء والنور الكافي كما ألفوا ذلك في مساكنهم الخاصة .

الوليد له سنة ٩٠هـ (١). وذلك رغم اختلاف المخططات التي وضعت عن مسجد عمرو بن العاص في ذلك التاريخ من ناحية عدد البلاطات في كل رواق (٢)، شكل (١٤) .

وجامع أحمد بن طولون، الذى أنشئ فى سنة ٢٦٥هـ، يتسق مع النموذج الرئيسى الذى انبثق من المسجد النبوى بالمدينة ، (٣) ولا يزال فى الوقت الحاضر دليلا قويا على اقتباسه لجميع العناصر الرئيسية المتمثلة فى مخطط المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك له ، شكل (١٥)، ويشارك الجامع الأزهر الذى أنشئ سنة ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ بأروقت الشلالة (١٥)، المساجد التى اقتبست أهم خصائص تخطيطها من المسجد النبوى ، شكل (١٦) .

أما جامع الحاكم بأمر الله الذى أنشئ منة ٣٨٠هـ فإن تخطيطه يعود إلى طراز المسجد النبوى قبل تحويل القبلة إذ اقتصر على ظلة واحدة وصحن مكشوف ، شكل (١٧) . وقد سارت معظم المساجد المملوكية المنتشرة في أنحاء مختلفة من القاهرة على هذا النسق غير أنها حوت في أواخر دولة المماليك البحرية « كتلة معمارية جديدة وهي مدفن المنشئ ، (٥) وهي فكرة غير محمودة طبقتها المساجد التركية أيضاً .

هذا عن أهم مساجد مصر والمشرق الإسلامي التي اقتبست أهم العناصر البارزة في مخطط المسجد النبوي الشريف ، ولم يشذ عن ذلك سوى المسجد الأقصى

⁽١) انظر جورج مارسيه : الفن الإسلامي ، ص ٧٠، وحسن الباشا : جامع عمرو ص ٤٠٤ ، ٥٠٥.

 ⁽۲) أحمد فكرى : المدخل ، ص ۸۲ ، ۸۷ ، ۸۷ ، ۹۱ ، ۹۵ ، فريد شافعى : العمارة المربية ،
 ص ۳۹۱ ، سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياژها الصالحون جــ ۱ ص ۹۳ .

 ⁽٣) فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، حسن الباشا ، جامع ابن طولون ص ٣٤٤ ، جورج
 مارسيه : المرجع السابق ، ص ٧١ ، سعاد ماهر : المرجع السابق ، جـ١ ص ١٤٣ ، وما بعدها .

 ⁽٤) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ص ٤٩ ، سعاد ماهر : المرجع السابق ، جـ١ ص ١٩٥ ، وعبد الرحمن فهـمى : الجامع الأزهر ، ص ٤٥٤ ، وانظر أيضًا جورج مارسيه : المرجع السابق ص ١٠٩ .

⁽٥) محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ، ص ٢٤٣ .

الذى يبدو من المخططات ، التى حاول أصحابها فيها تطبيق المعلومات التاريخية المتوفرة ، أن ظلة القبلة هى الأساس فى هذا المسجد شكل (١٨) بيد أننى أظن أن هذا الوضع لم يتمثل فى المسجد الأقصى إلا فى العصر الأموى ، لا سيما وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى أمر بتأسيسه عند قدومه إلى أرض فلسطين منة ١٦هـ (١) ، وقد كان رضى الله عنه أحرص الناس على الاقتداء بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله . ولذلك فإن الشك كبير فى أنه كان كذلك من أول بناء له .

وأول مساجد غرب العالم العربي مسجد القيروان ، الذي أسسه عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ . وقد شهد عدة زيادات وتجديدات كان آخرها أعمال الأمير إيراهيم بن أحمد بن الأغلب الذي زاد فيه سنة ٢٦١هـ و الأسكوبين (البلاطتين) المطلين على الصحن من بيت الصلاة (ظلة القبلة أو رواقها) ، وقبة البهو (الجاز) التي تتوسطهما ، والمجنبات الثلائة المحيطة بالصحن . وقد أجريت في المسجد بعد ذلك اصلاحات عديدة لم تمس تخطيطه ونظامه الذي بقي محتفظا بمقاساته وصورته التي تمت له في سنة ٢٦١هـ » (٢٠). والواقع أن الطراز الذي استقر عليه هذا المسجد شكل (١٩) والطراز الذي كان عليه بعد عمارة هشام بن عبد الملك له سنة ٥٠١هـ (٢١) وطرزه السابقة لا تختلف عن الطراز الأول الذي اقتبسته المساجد الإسلامية الأولى (٤٠). وعلى طراز جامع القيروان بني جامع سوسه سنة ٢٣٦هـ في عهد الأمير محمد بن الأغلب (٥٠) ، ومسجد الزيتونة الذي استقر بعد سنة ٥٠٥هـ بأربع ظلات وصحن (٢٠) ، ومسجد الزيتونة الذي استقر بعد سنة ٥٠٥هـ بأربع ظلات وصحن (٢٠) ، والى الغرب من تونس هناك مساجد قديمة لم تتخل ، رغم بعدها ، عن اقتباس أهم عناصر التخطيط في البصر مساجد قديمة لم تتخل ، رغم بعدها ، عن اقتباس أهم عناصر التخطيط في البصر

⁽۱) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جــ ۲ ص ١٤٧ ، وأحمد فكرى : المدخل ص ٢٠٩ ــ ٢١٠

⁽٢) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢٠٥ ، وجورج مارسيه : الفن الإسلامي ص ٧٨

⁽٣) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٦

⁽٤) أحمد فكرى . مسجد القيروان ص ٥١ - ٥٤

⁽٥) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢٥٠ ، وحسين مؤنس ، المساجد ص ١٩٩ _ ٢٠٠

⁽٦) أحمد فكرى المدخل ، ص ٢٥٥ وما بعدها

النبوى ، ومن أشهرها جامع القرويين الذى أنشئ سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م في عهد إدريس الثانى ، ثم وسع سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م ٥ فتضاعف حجمه وزاد بيت صلاته عمقا بما أضيف إليه من الأساكيب الجديدة ، ورسع الصحن أيضاً وأعيد بناء المجنبات (١) وقد وسع مرة ثانية في عهد الأمير على بن يوسف المرابطي فيما بين سنتي (٨١٥هـ/ ١٩٣٧م و٣٥٥هـ / ١٤٤٣م) ، بيد أنه احتفظ رغم هذا بنظام تخطيطه الأول الذي يعتبر مشتقا من النظام النبوى في المدينة . وعلى هذا النسق سارت مساجد المرابطين التي من أشهرها الجامع المرابطي في تلمسان (٢) ، وجامع الكتبية في مراكش (٢) ، ومسجد حسان في الرباط ، وتحمثل فيه العناصر النبوية أوضح ما تكون ، إذ يتألف من ظلة في مقدم المسجد ٥ ومجنبات يمني ويسرى وخلفية ٤ وفي هذا المسجد وغيره من مساجد المغرب تبدو التأثيرات المعمارية وخلفية ٤ وفي هذا المسجد وغيره من مساجد المغرب تبدو التأثيرات المعمارية الأندلسية واضحة في بناء هذه المساجد وهندستها (٥).

أما مساجد الأندلس فأولها وأشهرها مسجد قرطبة الذى شيد فى عهد عبد الرحسن الداخل سنة ١٧٠هـ / ٢٨٦م . ورغم تعدد الزيادات التى شهدها هذا المسجد ، وكان آخرها فى عهد المنصور بن أبى عامر سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م ، فإن مخططاته جميعها لا تخرج عن طراز المسجد النبوى الشريف فى مرحلته الأولى قبل تخويل القبلة (٢٢) .

وفي ختام هذا العرض الموجز لأشهر مساجد الإسلام وأقدمها أود أن أؤكد أنه

⁽١) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٩٠ .

⁽٢) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢١٨ ، وما بعدها .

⁽٣) حسين مؤنس : نفس المرجع ص ٢٢٢ .

⁽٤) حسين مؤنس : المساجد ص ٢٧٤ .

 ⁽٥) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢١٧ ، تبدو هذه التأثيرات الأندلسية في شكل العقود
 والمنارات التي منها منارة مسجد الكتبية الشهيرة بمراكش .

⁽٦) انظر مخطط زيادات المسجد في كتاب الفن الإسلامي لجورج مارسيه ص ١٤٥ والمخططات التي نقلها أحمد فكرى عن جوميث مورينو في المدخل ، ص ٢٤٥، ٢٤٨ ، وانظر حسين مؤسر : في المرجع السابق ، ص ١٩٣ وما بعدها .

ليس لى فضل السبق فى اكتشاف ما يتضمنه من حقائق هامة . ثم أننى لا أدعى أن عناصر التخطيط التى شهدها المسجد النبوى فى مراحل عمارته المختلفة تتمثل بجملتها فى مخططات المساجد المذكورة وذلك لأن (عدد الأروقة (البلاطات) يختلف فى ظلة القبلة وفى الظلات الأخرى على جوانب الصحن الباقية ، كما كان يختلف انجاه صفوف الأعمدة والبائكات التى تفصل بين الأروقة (البلاطات) أو بمعنى آخر فإن كل مسجد كان يتفق مع المساجد الأخرى فى المميزات الرئيسية والتخطيط العام ويختلف فى التفاصيل فكان كل مسجد منها يتميز بشخصية قائمة بذاتها (١) ولذلك فقد تبين من خلال هذا العرض الموجز أن ما كان من المساجد الأولى بظلة وصحن فقط ، يمكن إرجاع تخطيطه إلى وضع المسجد النبوى الشريف قبل تحويل القبلة ، وما كان منها بظلتين وصحن إلى وضع المسجد النبوى بعد تخويل القبلة ، وما كان منها بأربع ظلات وصحن إلى وضعه بعد بناء الوليد له .

وهكذا فإن هذا التقليد النابع من الحب الخالص للآثار النبوية الكريمة لم يحد من عبقرية المعمار الإسلامي الذي أعمل فكره في ابتكار نماذج مختلفة لأنواع العقود وتيجان الأعمدة والقباب والمآذن وغير ذلك من العناصر الزخرفية التي أضفت على المسجد طابع الحيوية والجمال.

* * *

⁽۱) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ۲٤١ ، وما بعدها ، وحسين مؤنس : المساجد ، ص ۲۱۱ ، وحسن الباشا : المدحل إلى الآثار الإسلامية ، ص ۱۲۳ .

الاصطلاحات والرموز

تبين لى من خلال قراءتى لما كستب بعض المؤرخين عن تاريخ المساجد وعمارتها أن هناك خلط كبير في استخدام مسميات بعض العناصر المعمارية فأثرت أن أبين الطريقة التي ألتزمتها عند تسميتي لتلك المصطلحات.

- ١ ـ التزمت عند ترتيب الأشكال جعل ظلة القبلة إلى أعلى الصفحة في مواجهة القارىء .
 - ٢ ـ الظلات : ويسميها البعض سقائف ، أروقة ، مجنبات .
 - ٣ ـ الاسطوانات ؛ وترد كثيرا بمعنى أساطين ، أعمدة ، سواري .
 - ٤ ـ الاسطوانات الشريفة : ويقصد بها اسطوانات الروضة المطهرة .
- البلاطة المعترضة : ويسميها بعض المؤرخين رواق ، أسكوب وهي التي تمتد بين صفين من الأعمدة وهي على عكس البلاطات الموازية لجدار القبلة .
 - ٦ ـ البوائك : وهي فتحات العقود المطلة على صحن المسجد .
 - ٧ ـ أبواب المسجد : ويسميها البعض مداخل المسجد .
- ٨ خرزة الاسطوانة : ويسميها بعضهم فلكة وهي قطع من الحجر مدورة كالرحي
 مثقوبة من وسطها تركب فوق بعضها تؤلف اسطوانة كاملة .
 - ٩ ــ المقرنصات : ويسميها البعض حطات أو دلايات .

الفصل الا'ول عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر العباسى

المبحث الاثول

المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول المسجد النبوى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

بدأت بشائر هذا الحدث المعمارى العظيم عندما اختار الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم يثرب داراً لمهاجره ، فما أن وطاعت قدماه الشريفتان أرض قباء حين نزل على كلثوم بن الهدم (١) ، حتى ابتاع منه مربده (٢) وبنى فيه مسجدا و وصلى فيه إلى بيت المقدس ٤ (٣) ، مدة بقائه بقباء ، وهي المدة التي يجملها المراغى بقوله وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بنى عمرو بن عوف (اثنتين) وعشرين ليلة حكاه يحيى ، وفي صحيح مسلم أقام فيهم أربع عشرة ليلة ٤ (٤). ويقال أنه أقام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس (٥).

وتعتبر المدة الأخيرة كافية لتأسيس المسجد وتخديد جوانبه ، وقى ذلك يقول السمهودى و يمكن أن النبى صلى الله عليه وسلم أسسه عند قدومه، ثم بناه بعد ذلك ، عندما حولت القبلة ، وروى ابن النجار عن أبى عروبة أن عمر رضى

⁽۱) يعلل ابن هشام في السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٤٩٣ السبب في اختلاف الروايات في موضع نزول النبي على في قباء بقوله : و أنما كان رسول الله على إذا خرج من منزل كاثوم ابن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان منزل الأعزاب من أصحاب رسول الله على من المهاجرين ، فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيشمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيشمة ، بيت الأعزاب » . انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١١٤٣ ، والسمهودى : وفاء الوفاء ، جـ ١ ص ٢٤٦ .

⁽٢) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ٣ ص ١٧١ أن المربد (فضاء وراء البيوت يرتفق به ، والمربد كالحجرة في الدار ومربد التمر جرينه الذي يوضع فيه بعد الجداد ليبس ، فالمربد بلغة أهل الحجاز والجرين لهم أيضا ، والأندر لأهل الشام ، والبيدر لأهل العراق ، والمسطح والجرين في لغة أهل بجد » .

⁽٣) القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٣ ، السمهودي : المصدر السابق جـ١ ص ٢٥١ .

⁽٤) يتحقيق النصرة في للخيص معالم دار الهجرة ص ٣٨ .

⁽٥) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ص ٤٩٤ ، المراغى : المصدر السابق ص ٣٨ .

⁽٦) السمهودي : وفاء الوفا ، جدا ، ص ٢٥٢ .

الله عنه كان (يأتى قباء يوم الاثنين والخميس فجاء يوما فلم يجد أحدا من أهله فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام ، (يؤم به البيت) (١)(٢)، ونقل السمهودى عن الطبرانى من حديث جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة قال الأصحابه : و إنطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم ، فأتاهم فسلم عليهم ، فرحبوا به ، ثم قال : يا أهل قباء التونى بأحجار من هذه الحرة ، فجمعت عنده أحجار كثيرة ، ومعه عنزه له (٢)، فخط قبلتهم (٤) ، فأخذ حجرا فوضعه رسول الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أبا بكر ، خذ حجرا فضعه إلى حجرى ، ثم قال : يا عثمان خذ عجرا فضعه إلى حجرى ، ثم قال : يا عثمان خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر ، ثم قال : يا عثمان خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر أبى الناس فقال : ليضع كل وجل حجرة حيث أحب على ذلك الخط و (٥).

ونقل السمهودى أيضاً عن ابن أبي شبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم و بني مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال جبريل يؤم بي البيت » (٦). وما تتضمنه هذه الروايات المتعددة إلى مخويل القبلة إلى مكة المكرمة في هذه

 ⁽١) ليست فى النص ولكن المراغى فى خمقيق النصرة ، ص ٣٥ يذكر فى النص الذى نقله عن اين
 النجار فلعلها سقطت من النسخة المطبوعة وسياق المعنى يقتضى اضافتها .

⁽٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١١٢ .

 ⁽٣) هى أطول من العصا وأقصر من الرمح فى أسفلها زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير .
 انظر المعجم الوسيط : جـ ٢ ص ٦٣٧ لإبراهيم مصطفى وآخرون .

⁽٤) القبلة هنا يمعنى جدار القبلة بكامله وليس كما يقول فريد شافعي في العمارة العربية ، ص ٦٥ _ ٦٦ بأنها علامة توضع في منتصف جدار القبلة .

⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ١ ص ٢٥١ ، راجعت الحديث في الجزء الأول والثاني من المعجم الكبير للطبراني فلم أجده وكذلك في المعجم الصغير ، أما المعجم الأوسط وما تبقى من أجزاء المعجم الكبير فلم أجدها .

⁽٦) المصدر السابق ، جـــ ص ٢٥١ .

المرحلة في بناء مسجد قباء دليل على أنها غير مرحلة التأسيس الأولى (١)، التي كان الجماه القبلة فيها إلى بيت المقدس . ومع ذلك فإن مسجد قباء _ وإن كان أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إلا أنه _ لم يكن أول مسجد أسس في الإسلام ، فقد نقل السمهودي عن ابن أبي شبه عن جابر قال : * لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة ، (٢)، وفي رواية أن كلثوم بن الهدم كان يقيم الصلاة بأهل قباء في مربده الذي اشتراه منه الرسول ووسعه قبل أن يضادر قباء يوم الجمعة (٣)، في طريقه إلى المدينة حتى أدركته صلاة (الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن وادي رانونا ،(٤)، ثم خرج من وادي بني سالم تخفه جموع الأنصار والمهاجرين ، حاثا ناقته القصوى على السير إلى المدينة عبر أحياء الأنصار ومنازلهم وكلهم يدعونه إلى المنعة والنصرة ، فيقول لهم عليه السلام خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى إذا أتت دار مالك بن النجار بركت على باب مسجده وهو يومثذ مربدا^(ه) لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو بن النجار ٥ وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء ويقال أسعد بن زرارة وهو المرجح وبه جزم ابن النجار ، (٦). وهو ما أيده السمهودي أيضاً (٧)، فلما بركت الناقة لم ينزل عنها وسول الله حتى دارت في بعض أنحاء المربد ثم عادت إلى مبركها الأول فبركت فيه ووضعت

⁽۱) السمهودي : نفس المصدر ؛ جدا ص ۲۵۳ .

⁽٢) السمهودي : نقس المصدر ، جدا ص ٢٥٠ .

 ⁽٣) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٣ ، المراغى : مخقيق النصرة ، ص ١٨ ، السمهودى:
 المصدر السابق جـ١ ص ٢٥٦ .

 ⁽٤) المراخى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ويقول عبد القدوس الأنصارى فى آثار المدينة ، ص ٣٣٢ أن
 وادى رانوناء فى الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة ، على بعد ساعة بالسير العادى .

 ⁽٥) انظر : أعلاه ص ٢٣ عن تعريف المربد وليس فيما ذكر من أن المسلمين اتخذوا جزءا من المربد
 مسجدا لهم لآداء فريضة الصلاة قبل قدوم الرسول إلى المدينة ما يتعارض مع ذلك .

⁽٦) المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٣٩ .

⁽٧) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ١ ص ٣٦٣ .

جرانها (۱)، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا المنزل إن شاء الله ، ثم قال عند نزوله (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ، (٢).

فاحتمل أبو أيوب رحل رسول الله ووضعه في بيته ودعته الأنصار إلى النزول عندهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله (٣) ، ونزوله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب ثابت باجماع الرواة ، وأن كان لا يعرف شيء عن مكانة أبى أيوب قبل مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سوى أنه كان واحد الأوس الذين شهدوا بيعة العقبة الأخيرة » (٤) . ويبدو أن هذا الاختيار لبيت أبي أيوب وضى الله عنه كان كما يقول ابن النجار رغبة منه عليه السلام في و أن يتوسط الأنصار كلها » (٥) ، وهذا الاختيار غير مناف كما يقول المطرى فيما تقدم من قوله : و دعوها فانها مأمورة » لأن الله و اختار له ما كان يختار لنفسه » (١) . هذا بالإضافة إلى قربه من الموقع الذي اختاره له الله لبناء مسجده وهو مربد الغلامين سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو من بنى النجار ، وكان فيه كما تقول الروايات مصلى صغيرا اتخذه و أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم » (٧) ، ولا يخرج هذا الله عليه وسلم يصلى بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم » (٧) ، ولا يخرج هذا

 ⁽١) إن الجران هو باطن العنق وقيل مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره ، والجمع جرن وأجرنة .
 انظر : ابن منظور في لسان العرب ، جـ١٣ ص ٨٦ .

⁽٢) سورة المؤمنون ، آية ٢٩ . انظر السمهودي : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٢ .

⁽٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ص ١٢٥٩ .

⁽٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الزول ، ص ٤٥٤ . وذكر المراخى فى محقيق النصرة ، ص ٣٩ عن يعض شيوخه عن المبتدأ لابن اسحاق أن هذا البيت الذى كان لأبي أيوب بناه له تبع الأول واسمه تبان أسعد عندما مر بالمدينة وترك فيها أربع مائة عالم وكتب كتابا للنبى الله ودفه إلى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبى مح فتداول الدار الملاك إلى أن صارت ألبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم .

⁽٥) الدرة الثمينة ، ص ٢٦ .

 ⁽٦) المطرى: التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٦ . وفي هذا ما يتفق من مقومات موقع المسجد من حيث توسطه للمدينة الإسلامية كما حدث فيما بعد في مدينة بغداد وغيرها من المدن الإسلامية.
 (٧) السمهودى: وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٢٥ .

المسجد عن صفة المساجد التى انتشرت فى المدينة قبل مقدم الرسول عليه السلام (١) ، من حيث الاقتصار على تخديد معالمه بأحجار تخدد جدار القبلة وتخميه من امتهان الدواب له (٢). فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحبى المربد ، وهما كما ثبت في حجر أسعد بن زرارة ، فساومهما في شراء المربد و ليتخذه مسجدا ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما » (٣).

وهذه الرواية التي يرويها السمهودي هي المرجحة لأمور منها: ما يرويه المراغي عن الواقدي أن « عدم قبوله بلا ثمن لأنه لليتيمين » (³⁾، اللذين يقول عنهما العبدري « أنهما كانا بالغين مالكين أمرهما » (⁰⁾ وأن كونهما « في حجر أسعد بن زرارة يعني في كنفه وجواره ولم يكن إذ ذاك حجر شرعي » (⁷⁾، مما جعلهما يعرضان البيدر دون مقابل (^{V)}.

أما الروايات التى تقول بأن ولى أمر الغلامين سيرضيهما من ماله (^{A)}، فإنها توحى بمعارضة الغلامين وعدم رضاهما بإعطاء المربد لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد جمع السمهودى بين الروايات المختلفة عمن كان يلى أمرهما ، هل

⁽۱) انظر ما نقله السمهودى في نفس المصدر ، جـ ا ص ٢٥٠ عن ابن أبي شبه من انتشار المساجد في المدينة قبل مقدم الرسول ، وما ذكره المراغي في مخقيق النصرة ، ص٤٦ عـن رذين عن أنس بن مالك و أن مصعب بن عمر كان يصلى في موضع المسجد قبل ذلك بطائفة من المهاجرين والأنصار قبل مقدم النبي كالله المدينة بسنة ، وهو أول من جمع الجمعة بأمر النبي كله ، قال يحيى ظلما خرج مصعب إلى النبي كله صلى بهم أسعد بن زرارة » .

⁽٢) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٤٦١ ، أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٦٩ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ١ ص ٣٢٢ .

⁽٤) مخقيق النصرة ، ص ١٨

⁽٥) الرحلة المغربية أو ﴿ رحلة العبدرى ﴾ روقة ١١٢ أ .

⁽٦) نفس المصدر ، ورقة ١١٢ أ .

⁽٧) السمهودى : المصدر السابق ، جدا ص ٣٣٣ .

⁽٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جــ ٢ ص ١٢٥٩ ، ابن وستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٤ ، السمهودي : المصدر الــايق ، جــ ١ ص ٣٢٣

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ١ ص ٣٣٤ ، ابن حجر الهيثمي : تخفة الزوار ، ص ٥٩ .

⁽٢) السمهودي : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٤ ، ابن حجر الهيثمي : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

⁽٣) رواه البخارى في كتاب الصلاة الحديث رقم ٨٠ ، انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ص ٥٢٧ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٣٥٩ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٧١ .

١- المراحل الأولى لبناء المسجد النبوي

أجمع الرواة على إقامة النبى صلى الله عليه وسلم أول جمعة له عند مقدمه إلى المدينة في مسجد بني سالم بوادى رنوناء (١)، وهو ما عرف فيما بعد بمسجد الجمعة ، وفي هذا ما يبطل الادعاء الذي أيده كريزول • من أن محمدا لم يقصد أن يكون هناك مواضع للصلاة اليومية (٢).

ورغم اختلاف الروایات فی الموضع الذی أقام فیه الرسول علیه السلام صلاة العصر ، فمن المؤكد أنها كانت فی المدینة ، وبالتحدید فی موضع المسجد الذی اتخذه أسعد بن زرارة فی مربد سهل وسهیل قبل مقدم الرسول علی إلی المدینة ، وذلك استنادا إلی ما ذكره السمهودی نقلا عن یحیی بن الحسین عن أم زید بن ثابت أنها رأت و رسول الله علی لما قدم صلی بهم فی المسجد ، (۱۲) و وبما أن وادی رنوناء لا یبعد عن المدینة سوی ساعة بالسیر العادی (۱۶) ، فمن المؤكد أن صلاة العصر كانت فی هذا المربد الذی كان فی جزء منه مسجد وباقیه و به نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلیة ، (۵) ، وفی روایة أخری ماء مستنجل (۱۲) . ومن المسلم به أن فكرة بناء المسجد النبوی الشریف قد حظیت باهتمام كبیر من جانب الرسول علیه فكرة بناء المسجد النبوی الشریف قد حظیت باهتمام كبیر من جانب الرسول علیه الصلاة والسلام ، منذ استقر به المقام فی دار أبی أیوب الأنصاری عندما سأل عن

 ⁽١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ١ ص ٢٠٢ ، القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٣ ،
 المراغي : تخقيق النصرة ، ص ٣٨ .

⁽٢) العمارة الإسلامية المبكرة ، جــ القسم الأول ص ١٠ .

⁽٣) وفاء الوفاء جــ ١ ص ٣٢٥ . وانظر أدناه ص ٢٧ .

⁽٤) عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٢٣٢ .

⁽٥) البخارى : كتاب الصلاة جــ ١ ص ٨٦ ، انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٢ ص ٤٦١.

 ⁽٦) السمهودى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٢٧ . وقال ابن منظور فى لسان العرب جـ١١ ص
 ٦٤٨ وأن الماء المستنجل هو ما يظهر من الأرض ، الجمع نجال ، واستنجلت الأرض كثرت فيها النجال .

أصحاب المربد وساومهما في ثمنه (١).

ويبدو أن بناء المسجد قد سبقته أعمال كثيرة ، منها تكبير مساحة المسجد الذى أقامه أسعد بن زرارة (٢) ، والتأكد من الجماه قبلته إلى البيت المقدس ، لأنه ثبت أن جبريل عليه السلام قد حدد له الاعجاه الصحيح إلى بيت المقدس ، عند تأسيسه لمسجد قباء (٢) ، مما يجعل التأكد من الجماه قبلة مسجد المدينة أمرا ضروريا . كما أن من تلك الأحمال الكشف عن أماكن المؤنة اللازمة وتقريب الأحجار من حرار المدينة ، واعداد اللين في ﴿ يقيع الخبخبة ناحية بشر أبي أيوب بالمناصع ﴾ (١) . ولمن المنبي على إعداده كما جاء في طبقات ابن سعد ﴿ أنه أمر باللبن فضرب (٥) . وما نقله السمهودي عن الإمام أحمد بن حنيل عن طلق بن على الماني (٢) أنه قال : ﴿ بنيت المسجد مع النبي على فكان يقول : قربوا اليمامي من الماني (٢)

⁽۱) أيد فريد شافى فى كتابه العمارة العربية ، ص ٦٤ ـ ٦٥ أقوال بعض المستشرقين من أن الرسول عدما عليه السلام لم يقصد بناء المسجد من أول مرة فقال : و ظهر ذلك الحدث الممارى عندما خطط الرسول داراً لنقسه ولآل بيته وجعل عندا من الحجرات يتقدمها غناء واسع أحاطه بجدران لا تكاد تعلو على قامة رجل ، وجعل فى الركن الشمالى الغربى من الفناء صفة أو ظلة يحتمى بها الفقراء من أصحابه ، وكان يجلس فيها الرسول ليجتمع بالمسلمين ويتدارس معهم شعونهم وما يتصل بالدعوة إلى النين الإسلامى ، وكان يصلى بهم أحيانا فى هذه الدار فى الأوقات الخمسة اليومية ، ومن ثم أخذت الدار صفة المسجد ، أما الصلاة الجامعة فكانوا يؤدونها فى مسجد قباء خارج المدينة ٥ . وقد فاته أن المسجد كان يقوم بوظائف عديدة إلى جانب العبادة.

⁽٢) المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٤٦ .

⁽٣) السمهودي : وقاء الوقا ، جـ ١ ص ٢٥٣ .

⁽٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٣٤ ، والخبخبة شجرة كانت هناك ، ويقول السمهودى أن بقيع الخبخبة ٥ لا يعرف في زمنه كما ذكره شيخ مشايخه الزين المراغى ، والمتاصع كما يقول ابن منظور في لسان العرب ، جـ ٨ ص ٣٥٦ ، موضع خارج المدينة ،

⁽٥) الطبقات الكبرى ، جــًا ص ٢٣٩ .

⁽٦) نسبة إلى اليمامة التي ظهر بها مسيلمة الكذاب ، وانظر ترجمته عند السخاوى في التحفة اللطيفة جـ٢ ص ٣٦٧ .

الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا » (١). وفي رواية لابن سعد عن طلق أيضاً أنه قال : و قدمت على النبي على وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون فيه معه ، وكنت صاحب علاج وخلط طين فأخذت المسحاة (٢) أخلط الطين ورسول الله كالله يتنظر إلى ويقول إن هذا الحنفي لصاحب طين » (٦). هذا بالإضافة إلى تسوية المربد وإزالة ما حوله من حرث وماء ونخل وقبور جاهلية (٤) ، ومن أجل ذلك كله بقى الرسول كاف في بيت أبي أيوب حتى بني مسجده ومساكنه . وكان ابتداء بنيانه للمسجد و في شهر ربيع الأول من السنة الأولى » (٥) ، وقد باشر فيه العمل بنفسه (٦) مما يدحض انكار بعض المستشرقين لبناء المسجد في عهد الرسول عليه بنفسه (١) مما يدحض انكار بعض المستشرقين لبناء المسجد في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ورائدهم في ذلك كما يقول الذكتور أحمد فكرى و العلامة كيتاني CAETANI الذي أفاض في شرحه وحاول أن يجمع له من الحجج ما يزيده صحة واستيثاقا » (٧). واقتنع برأيه كثير من العلماء (٨) ، ومنهم الكابتن كريزويل CRESWELL الذي قال أنه و لم يصبح مكانا للعبادة بمعنى الكلمة

⁽١) وفاء الوفا ، جــ ١ ص ٣٣٤ .

⁽٢) هي أداة معدنية تستخدم في الحرث وحفر الأرض .

⁽٣) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ٥ ص ٥٥٢ .

⁽٤) الطبـرى : تاريخ الرسل والملوك ، جــ ٢ ص ١٢٥٩ ، ابن النجـار : الدرة الشـمـينة ، ص ٦٩ ، المراغى : تخقيق النصرة ص ٤٢ .

⁽٥) القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٤ .

⁽٦) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٤٩٦ أن رسول الله عمل فى بناء المسجد بنفسه ٥ ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لفن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل ، .

⁽٧) أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص ٣٩ .

⁽٨) يقول أحمد فكرى في نفس المرجع ص ٤٠ ه أن اقتناع المستشرقين بما أورده كيتاني من آراء تتمثل في أن مسجد المدينة الذي أجمع مؤرخوا الإسلام على ذكره ، لم يكن إلا بيت الرسول نفسه ، وتساءلوا ماذا كان يدعو المسلمين إلى بناء يبت للصلاة ، وصلاة الجمعة لم تفرض عليهم ، بل ولم تفرض الصلاة قبل وفاة الرسول هوذكر في حاشية ص ٣٩ من نفس المرجع أنه لم يخالفهم إلا الأستاذ كريمر في كتابه تاريخ المدينة في الشرق مخت حكم الخلفاء .

إلا بعد نصف قرن من تطور الدين الإسلامي (1). بيد أن هذه المزاعم والافتراءات الناجمة عن تعصب هؤلاء العلماء، وعدم تمكنهم من فهم اللغة العربية فهما صحيحا تنهار أمام ما قام به الدكتور أحمد فكرى من بحث في كتابيه مسجد القيروان ، والمدخل إلى مساجد مصر والقاهرة (٢). علاوة على ذلك لقد عارض FR. BUHL المستشرقين المؤيدين لآراء كيتاني مدللا على أن ذكر مسجد الضرار في سورة التوبة آية رقم ١٠٧ دليل على بناء المسجد النبوى في عهد الرسول (٣).

ولم يقتصر المستشرقون على التشكيك في بناء المسجد النبوى بأمر الرسول واشرافه ، وإنما امتد ذلك أيضًا إلى التشكيك في بعض العناصر المعمارية كالحراب⁽³⁾، والمنبر ونظام تخطيط المسجد وغيره مستغلين (ما في روايات المؤرخين والكتاب العرب القدماء من نقاط ضعف وثغرات)⁽⁰⁾، عديدة ، بما يوجب على كل باحث منصف تفنيد هذه المزاعم ودحضها بأسلوب علمي سليم قائم على الدليل المقنع وخال من التعصب والأهواء .

* * *

⁽١) العمارة الإسلامية المبكرة ، جـ١ القسم الأول ، ص ٧ .

⁽٢) ص ٣٩ _ ٥٠ من الكتاب الأول وصفحة ٢٦٧ من الكتاب الثاني .

 ⁽٣) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة المدينة جـ٣ ص ٩٠ .

⁽٤) يرى فريد شافعى فى كتابه العمارة العربية ، ص ٥٩٥ أن المحراب المجوف وجد فى المسجد النبوى فى حياة الرسول وأنه كان على شكل بجويف بسيط لم يتضح هذا التجويف إلا فى عمارة عثمان رضى الله عنه . والحقيقة أن اسطوانة مصلى النبى التى صلى إليها مدة من الزمن كانت علامة عميزة لموضع المصلى الشريف الذى كان محاذيا لمها . ولم يتوفر لى نص يفيد بأن المحراب وجد فى عهد الرسول كما يرى شافعى

⁽٥) فريد شافعي : المرجع السابق ص ٥٨٤

٢ تخطيط المسجد النبوي وبناؤه

اهتم النبي على ، بعد إعداده مكان المسجد ، بأمر بنائه وتعيين إنجاه القبلة على وجه التأكيد بمساعدة أمين الوحى عليه السلام من صحة إنجاه قبلة المسجد الأول، وليس غريبا أن يحتاج الرسول على هذا الأمر إلى مرشد سماوى لمعرفة الإنجاه الصحيح للقبلة ، نظرا لانعدام الوسائل التي تساعد على تحديد الانجاه القطعي للقبلة في ذلك الوقت ، وقد حدث إنحراف في إنجاه القبلة في بعض المساجد التي أسست بعد المسجد النبوي بوقت طويل ، كما هو الحال في مسجد القيروان بتونس الذي وضع أساسه عقبة بن نافع سنة خمسين من الهجرة (١)؛ ومسجد واسط الذي أنشأه الحجاج سنة ٨٦هـ (٢)، ومسجد المنصور ببغداد الذي بني سنة ١٤٩هـ (٣)، وكذلك جامع القروبين في مدينة فاس (٤). ولهذا فليس من المستغرب أن يحظى تعيين انجاه القبلة بهذا الاهتمام الكبير من جانب الرسول علله ، وذلك لأن جدار القبلة كما يقول أحمد فكرى « كالقاعدة للمستطيل إن انحرفت فلا مناص من أن تنحرف أضلاعه الأخرى ولا مناص من أن تخيد أساكيب (بلاطات) المسجد أيضاً فهي موازية لهذا الحائط (٥) الذي كان يتجه عند تأسيس المسجد النبوي من الشرق إلى الغرب في انجاه بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى . ويوازيه في الجنوب جدار مثله في الطول يتجه من الشرق إلى الغرب ، أما الجداران الآخران وهما الشرقى والغربي ، فيمتدان من الجنوب إلى الشمال في شكل مستقيم ويتعامدان على طرفي جدار القبلة مما جعل مخطط المسجد يأخذ شكل المستطيل المتوازى

⁽١) أحمد فكرى . مسجد القيروان ، ص ٢٢

⁽۲) أحمد فكرى : المدخل ، ص ۲۱۵ .

⁽٣) رمزية محمد الأطرقجي : بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور ، ص ٢٨ .

^{· (}٤) عبد الهادي التازي : جامع القروبين ، جــ٣ ص ٢٥٧ _ ٢٥٩ .

⁽٥) أحمد فكرى . مسجد القيروان ، ص ٢٣

الأضلاع . وبدأ الرسول على مع أصحابه في تنفيذ هذا البناء البسيط ، الذي يتفق مع بساطة الدين الإسلامي الحنيف ، و والذي لا يتطلب أداؤه أكثر من جدران تقام بأية مادة من مواد البناء ، تحدد محيط المسجد وتخفظ حرمته ، ومن سقيفة أو ظلة أو أكثر يحتمي بها المسلمون في أثناء صلاتهم » (١).

وهذه البساطة هي التي توخاها الرسول في أول بناء لمسجده وهو ما عناه بقوله لأصحابه و ابنوا لي مسجدا عريشا كعريش موسى ، ابنوه لنا من لبن ، (٢٠). وكان اللبن مادة أساسية في بناء المسجد الأول بعد تأسيسه بالحجارة المحفور لها في باطن الأرض إلى ارتفاع ثلاثة أذرع (٣). أي بارتفاع ١٥٠ سم تقريباً (٤)، وهو ما اقتصر عليه الرسول عليه في المرحلة الأولى من بناء المسجد الشريف استنادا إلى ما أورده السمهودي نقلا عن ابن عائذ عن عطاف بن خالد و أنه عليه صلى فيه وهو عريش النا عشر يوما ، ثم بناه وسقفه ، (٥).

ويؤيد تطور البناء هذا ما ذكره ابن النجار عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (كان طول جدار المسجد بسطة (٢) ، وكان عرض الحائط لبنة لبنة ثم أن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصف ، ثم قالوا : يا رسول الله لو أمرت فزيد فيه قال : نعم فأمر به فزيد فيه وبنى جداره لبنتين مختلفتين ، ثم اشتد عليهم الحر فقال : نعم فأمر له بسواري من فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل فقال : نعم فأمر له بسواري من

⁽١) فريد شافعي : العمارة العربية ، جــ ١ ص ٢٣٧ .

⁽۲) أورد السمهودى : فى وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٧ الروايات التى ذكرت العريش ومنها ما يقول أنه مبعة أذرع وأخرى تقول أنه إذا قام فيه أصاب رأسه السقف . ويشرح القرطبى فى بهجة ، ص ١٦٦ العريش فيتعول : ٩ أن عريش موسى كان إذا قام به أصاب رأسه السقف ، والعريش كل شىء سقف والجمع عروش ، وقيل عرش ويسمى مجلس السلطان عرشا . وعرش الله عز سلطانه عما لا يعلمه البشر ٤ .

⁽٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ١ ص ٢٣٩ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص٧٩.

⁽٤) ذراع اليد هي نفس الذراع الشرعية وتساوى ٥٠/٣ من المتر . انظر : فالترهنتس في المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٨٨

⁽٥) وفاء الوفا ، جــ١ ص ٣٢٧ .

⁽٦) البسطة هي قامة الرجل مع رفع اليد إلى أعلى ، انظر ابن منظور : لسان العرب جــ٧ ص٢٦١.

جذوع النخل شقة ثم شقة ، ثم طرح عليها العوارض والخصف والأذخر (١)، وجعل وسطه رحبة . فأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف و يقطر سقفه وعليهم فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين فقال لهم : عريش كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك و (٢) وقد يبدو أن الشرح الموجز الذي أوردته السيدة عائشة رضى الله عنها للمراحل التي مر بها بناء المسجد في عهد رسول الله على غير واضح ولكنني بتبعى للروايات المختلفة استطعت أن أتفهم الأدوار التي مر بها المسجد النبوى أول مرة بالحجارة (٢). وذلك لأنها أقوى وأقدر على مقاومة السيول والمياه التي قيل أنها كانت مجتمعة في مكان المسجد . وكعادة البناة في كل عصر فلا بد من حفر أساس لجدران المسجد حتى لا تجرف السيول والأمطار تربة الأرض المحيطة بالمسجد فتيي الجدران معلقة (٤). وقد كان ارتفاع الجزء المبني من الحجارة بما فيه الجزء المدفون ثلاثة أذرع أي متر ونصف تقريبا ، ثم أضيف عليه من اللبن ما أوصل المجدار إلى ارتفاع البسطة ، وهو المقصود من قول ابن النجار أنهم و جعلوا أساس المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن » (٥) وذلك عن طريق وضع لبنة فوق المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن » (٥) وذلك عن طريق وضع لبنة فوق المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن » (٥) وذلك عن طريق وضع لبنة فوق المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن » (٥) وذلك عن طريق وضع لبنة فوق

⁽۱) قال ابن منظور في نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٠٣ و الأذخر حشيش طيب الربح له أصل مندفن دقاق وفر الربح ، وهو مثل أسل الكولان إلا أنه أعرض وأصغر كعوبا ، وله ثمرة كأنها مكاسح القصب ، إلا أنها أدق وأصغر وهو يشبه في نباته الغرز ، يطحن فيدخل في الطيب ، وهو ينبت في الحزون والسهول وقلما تنبت الأذخرة منفردة ... وإذا جف الأذخر أبيض ، وهو حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب .

⁽٢) الدرة الثمينة ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ، المراغى : مخقيق النصرة ص ٤٤ .

⁽٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جــ ١ ص ٢٣٩ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٧٩ .

⁽٤) ذكر السمهودى في الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٣ عن ابن زبالة وبحيى أن و عرض جدار المسجد مما يلى المغرب ذراعان يتقصان شيئا ، وعرض متقبته (مدماكه) مما يلى المشرق فراعان وأربعة أصابع ، وإنما زيد فيه لأنها من ناحية السيول ، وفي هذا يقول السمهودى و وهذا لأن السيل كان يغشى المسجد من تلك الناحية ، ويبدو من كلام ابن زبالة ويحيى أن عرض هذا الجدار كان في عمارة المهدى ويبدو أن عرض المداميك التي أقامها الرسول كانت مثل المداميك الذكورة أو قريا منها .

⁽٥) الدرة الثمينة ، ص ٦٩ .

أخرى وهذه في نظري هي المرحلة الأولى من بناء المسجد استنادا إلى ما أورده السمهودى نقلا عن رزين من رواية جعفر حيث قال (أن جداره قبل أن يظلل قامة وشيئا ، (١)، وكان البناء الذي استخدم فيه هو السميط من اللبن ، (٢) حين كان عـدد المسلمين في أول السنة التي قدم فيها الرسول ﷺ إلى المدينة لا يتجاوز الألف ، استنتاجا مما ذكره المراغي من أن عدد المسلمين الذين خرجوا معه من قباء وصلوا معه الجمعة في مسجد بن سالم بوادي رنوناء (كانوا مائة رجل ويقال أربعين ١(٣)، ومما ذكره السمهودي عن عدد المستقبلين له في المدينة بأنهم خمسمائة مسلم (٤)، وهذا العدد من المهاجرين والأنصار هم الذين كانوا يداومون على شهود الصلاة مع رسول الله في مسجده بالمدينة أول الأمر . بيد أن أتباع هذا الدين كثروا بمرور الوقت مما تطلب معه اعادة بناء المسجد مرة ثانية ، وهذا البناء هو الذي استخدمت فيه السعيدة من اللبن (٥)، ولكن أحدا من المؤرخين لم يشر إلى الأسباب التي من أجلها استخدم هذا النوع من البناء سوى ما أورده ابن النجار من رواية عائشة رضى الله عنها حيث قالت : (ثم أن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصف ﴾ (٦)، ولكن الاختلاف الملحوظ في الروايات التاريخية حول ذرع المسجد في عهده ﷺ يجعل المرء يقف أمام هذا الأختلاف في الذرع الذي يتدرج من الصغر إلى الكبر موقف المتشكك في أن كل هذه الروايات تدور حول مرحلة واحدة من مراحل بناء المسجد .

۱ - فقد روى ابن اسحاق الحربى عن يحيى بن حسين أنه قال : ١ حدثنى هارون
 بن موسى ، عن محمد ابن يحيى ، قال : كان فيما انتهى إلينا من ذرع

⁽١) المصدر المابق جـ ١ ص ٣٣٥ .

⁽٢) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ٧ ص ٣٢٤ أن السَّميطَ والسَّميطُ هو الأجر القائم بعضه فوق بعض ومثل ذلك ذكره الفيروزبادي في القاموس المحيطُ جـ٢ ص ٣٧٩ .

⁽٣) المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٣٨ .

⁽٤) وفاء الوفا ، جــ١ ص ٢٥٥ .

⁽٥) قال ابن منظور في لسان العرب جـ٣ ص ٢١٥ أن السعيدة هي اللبنة لبنة .

⁽٦) انظر أعلاه ص ٣٤ .

مسجد النبى ﷺ ، ذلك من القبلة إلى حده الشامى أربعا وخمسين ذراعا وثلثى ذراع ، وحده من المشرق ثلاثة وستون ، يكون ذلك مكسرا ثلاثة آلاف وأربع مائة ذراع ، وأربع وستون ذراعا (١).

السمهودى ما تحصل له من روايات فى ذرع المسجد النبوى فقال:
 وقد تحصلنا فيما تقدم فى ذرع المسجد على أربع روايات: الأولى ، سبعون ذراعا فى ستين أو يزيد ، والثانية ، مائة ذراع فى مائة ، وأنه مربع ، والثالثة ، أنه أقل من مائة ذراع ، وهذا صادق بالأولى فليحمل عليها ، الرابعة ، أنه بناه أولا أقل من مائة فى مائة ثم بناه وزاد عليه مثله فى الدور ، (٢). كما أن هذا التدرج ملحوظ فى ارتفاع الجدار ، فتارة يوصف بأنه قدر قامة الرجل أو قامة وبسطة ، كما نقل السمهودى عن ابن زبالة ويحيى من أن « جداره قبل أن يظلل قامة وشيئا » (٦) وعند ابن سعد بسطة (٤). وفى الصحيحين « كان جدار المسجد ما كادت الشاه بجوزه » (٥) وأورد السمهودى عن كل من الغزالى والأقشهرى روايتين مفادهما أن جدار القبلة سبعة أذرع (٢) ، وهو ما يقول عنها أحمد فكرى أنها « ثلاثة أمتار ونصف » (٧). وهو ارتفاع كبير لا

⁽١) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٥٩ وحاصل الضرب مغلوط وصحته ٣٤٤٤ ذراع أى أنه يزيد خمسون ذراعا .

⁽۲) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ۱ ص ۳٤٠ . وقد علق السمهودى على الرواية الرابعة بقوله و الظاهر أن المراد من هذه الرواية الاشبار لا الأفرع ، فيقتضى أن المسجد النبوى بعد البناء الثانى صار أحد امتداديه ماتتى شبر ، والامتداد الآخر نحوها ، فيوافق رواية ماتة فراع في مثلها ٥ . وإذا كان حاصل ضرب المرحلة الأولى ٧٠×٢٠ = ٤٢٠٠ فراع فإن حاصل ضرب المرحلة الأخيرة أكثر من ضعفين هذا الرقم ١٠٠٠٠ = ١٠٠٠٠ فراع وهذا يوافق قوله زاد عليه مثله في الدور .

⁽٣) السمهودي ، المصدر السابق ، جــ ١ ص ٣٣٥ ، وانظر المراغي : تحقيق النصرة ، ص ٤٥ .

⁽٤) الطبقات الكبرى ، جـ١ ص ٢٤٠ .

⁽٥) القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ص ١١٥ ويقصد به أن الشاة تستطيع بصعوبة القفز من فوقه .

⁽٦) السمهودي : وقاء الوقا ، جدا ص ٣٣٦ .

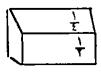
⁽٧) المدخل ، ص ١٧١ .

يمكن أن يكون قد استخدم من أول مرة ، ومن هذا يتبين أن عمارة المسجد النبوى الشريف مرت بثلاث مراحل في عهد الرسول على . واستخدم في كل مرحلة منها نوع خاص من البناء كان يعبر عنه تارة بلبنة ، وتارة بلبنة ونصف وتارة بلبنتين مختلفتين (١)، وهي كالتالى :

أولاً: المرحلة التي كان فيها طول المسجد من المشرق إلى المغرب ٦٣ ذراعا وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٥٤ ذراعا وثلثا ذراع ، وارتفاعه قامة أو بسطة ونوع البناء لبنة فوق لبنة ، وكانت أرض المسجد كلها مكشوفة .

ثانیا : المرحلة التي كان طول المسجد فيها صبعين ذراعا وعرضه أكثر من ستين ذراعا وارتفاعه قامة وشيء ونوع البناء لبنة ونصف وأرضه مكشوفة . شكل) (٢٣).

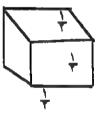
ثالثًا: بقى المسجد في هذه المرحلة كما هو في المرحلة السابقة ، أى أقل من مائة ذراع إلا أنه سقف بالعوارض التي ترتكز على الأعسدة من جذوع النخل



وفوقها الخصف والأدخر ، ثم استخدم الطين في تغشيتها فيما بعد ، وقد أوجب استخدام السقف في هذه المرحلة رفع البناء الذي يقول عنه ابن المحجوب : ﴿ أَنَ طُولَ جدار المسجد في الهواء كان قبل تسقيفه قامة تزيد شبرا ، كذا نقل ابن زبالة عن أنس ابن مالك ، ولما سقفه الرسول بالجريد كما تقدم فلابد أن تظهر في طوله

وهو ما يتفق مع ما ذكره ابن هشام في القسم الأول من السيرة النبوية ص ٤٩٦ والسمهودى في وفاء الوفا ، جدا ص ٣٣٠ من أن عمار بن ياسر اشتكى إلى رسول الله على عند بناء المسجد الشريف من تخميله لبنتين خلافا لبقية العاملين الذين كانوا يحملون لبنة واحدة وذلك لأن لبنة من هذا النوع هي ما يتفق وجهد الإنسان العادى .

أما النوع التأتى من اللبن فطوله نصف ذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه نصف ذراع وشكله هكذا:

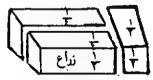


ويمكن وفق هذه المعطيات الجيدة إعادة ترسم كل طريقة من طرق البناء الثلاث كالتالى : النوع الأول من البناء وهو ما يعبر عنه ابن النجار 3 بلبنة لبنة 4 فكان مبنيا كله بالنوع الأول من اللبن على هذا النحو :



أى أن سمك الجدار فيه ربع ذراع .

أما النوع الثانى وهو ما عبر عنه آبن النجار بلبنة ونصف فكان الجدار فيه أكثر سمكا من النوع الأول ، وذلك لأنه استخدم فيه لبنتين من النوع الأول وأقامهما بجوار بعض ووضع أمامهما لبنة من النوع الثانى وهو ما عبر عنه بالنصف وذلك على النحو التالى :



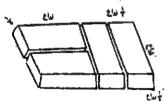
أما النوع الثالث من البناء وهو ما عبر عنه ابن النجار أيضًا بلبنتين مختلفتين فكلها من النوع الأول ، إلا أن اللبن قد وضع على عرضه رغبة في زيادة عرص المدماك لكي يتقق مع النطور -

زيادة قليلة ﴾ (١). ومن المرجع أن استخدم اللبنتين المعترضتين كان في هذه المرحلة نظراً لما يتطلبه تسقيف المسجد الشريف من متانة في البناء ، وهذا البناء هو ما بقى عليه المسجد حتى تم تحويل القبلة وتجديد بناء المسجد وتوسعته في السنة البسابعة من الهجرة . ولعل مما يؤيد هذا التقسيم بأدواره الثلاثة بقاء و رسول الله تلك في بيت أبي أيوب سبعة أشهر ه (٢) وقيل عشرة أشهر كما يبدو مما نقله السمهودى عن رزين الذى قبال : أقبام عند أبي أيوب من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الثانية ه (٣) وقال القرطبي : و كان ابتداء بنيانه تلك لمسجده في شهر ربيع الأول من الطبرى من السنة الأولى ، وكانت اقامته في دار أبي أيوب سبعة أشهر ه في ذي القعدة في أن رسول الله تلك و بني بعائشة بعد مقدمه المدينة بشمانية أشهر في شوال » (٥).

وليس بمستبعد أن يشهد المسجد النبوى الشريف في الأشهر السبعة التي أقامها الرسول بدار أبي أبوب قبل أن يكمل بناء داره ومسجده هذا التطور المعماري بمراحله الثلاث لا سيما وأن أنصار الدعوة في ازدياد . ولا شك أن حرصهم على حضور الصلاة في جماعة مع الرسول عليه السلام قد أوجب هذا التوسع المتتابع في المسجد النبوى الشريف .

ومهما يكن من أمر فإن بناء المسجد كان مما لا بد منه كما يفهم من رواية أبى داود عن أنس بن مالك أن رسول الله تشتق قال : (أن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا ، إلا مالا ، أي إلا ما لا بد منه (٦).

⁼ المعمارى الذي حدث في ارتفاع سقوف المسجد وجدرانه وكان على النحو التالي :



⁽١) قرة العين في أوصاف الحرمين . ورقة ٦٥ أ .

⁽۲) البلاذري : فتوح البلدان ص ۱۲ وابن النجار : الدرة الثمينة ص ۱۸ .

⁽٣) السمهودى : وقاء الوقا ، جــ١ ص ٢٦٥ .

⁽٤) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٤ .

⁽٥) تاريخ الرسل والملوك ، جــ ٢ ص ١٢٦١ .

⁽٦) السمهودي : المصدر السابق جدا ص ٢٠٩ .

٣ ـ المسجد النبوى من تحويل القبلة حتى السنة السابعة من الهجرة

احتل نبأ تخويل القبلة مكانا بارزا عند رواة السيرة ومدونيها ، وذلك لأن أمر القبلة كان يشغل بال الرسول منذ استقر به المقام في المدينة المتورة (١) ، كما أن الرغبة في الابجاه إلى الكعبة قد راودت بعض المسلمين قبل الهجرة كالبراء بن معرور الذي استقبل الكعبة عند مقدمه مع قومه الأنصار لمبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام في العقبة الثانية فقال له الرسول عليه السلام وقد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ ، وقد زالت حيرته ﷺ بعد ١٦ أو ١٧ شهرا بنزول الآية الكريمة ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ (٢).

⁽۱) عن سبب اهتمام الرسول بهذا الأمر انظر ما ذكره الطبرى عن حب النبى المنتقبال البيت وما قالته اليهود في استقباله لبيت المقدس ، جـ٣ ص ١٣٨١ ، وابن سعد في طبقاته ، جـ١ ص ١٤٨ ، وابن سعد في طبقاته ، جـ١ ص ١٤٥ من ٢٤٦ عن حب النبي لاستقبال الكعبة ، وانظر ابن الأبير في الكامل جـ٧ ص ١١٥ عن صلاته في مكة وجعله الكعبة بينه وبين بيت المقدس وعدم تمكنه من ذلك في المدينة وانظر ما ذكره السمهودي نقلا عن يحيى عن ابن عباس قال : وكان رسول الله الله إذا وقف يصلى انتظر أمر الله في القبلة ، وكان يفعل أشياء عما لم يؤمر بها ولم ينه عنها من فعل أهل الكتاب ، قال : فبينما رسول الله كله يصلى ، فأشار له جبريل يا محمد صلى إلى البيت ، والكتاب ، قال : فأنزل الله تعالى وصلى جبريل عليه السلام إلى البيت ، قال : فدار النبي كله إلى البيت ، قال : فأنزل الله تعالى و قد نرى نقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » إلى و وما الله يغافل عما تعملون » قال : فقال المنافقون عن محمد إلى أرضه وقومه ، وقال المشركون أراد محمد أن يجعلنا له قبلة، وأن يجعلنا له وسيلة ، وعرف أن ديننا أهدى من دينه ، وقالت اليهود للمؤمنين ، ما صرفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم إلا تعبتون » الوفاء ، جـ١ صرفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم إلا تعبتون » الوفاء ، جـ١ صرفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم إلا تعبتون » الوفاء ، جـ١ صرفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم إلا تعبتون » الوفاء ، جـ١ صرف كسه و مـ٣٠٠ .

⁽۲) سورة البقرة : آية ۱٤٤ . وذكر الزرزقي في أخبار مكة جــ ا ص ١٩ ترجيح رواية السبعة عشر شهرا . وذكر السمهودي نقلا عن ابن حجر العــقلاني أن ٥ أسانيد الروايات المتقدمة أعنسي =

وقد استجاب عليه السلام لهذا الأمر الرباني فاستدار إلى الكعبة وهو يصلى الظهر في مسجد بني سلمة ، وبالرغم من اختلاف الروايات ، إلا أن الثابت عند الحافظ بن حجر كما يقول السمهودي (أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر (1) ومن ثم انتشر نبأ تحويل القبلة في المدينة وما يحيط بها من قرى ، فكان وقت وصول الخبر يختلف من مكان لآخر (٢).

وقد ترتب على هذا الحدث الكبير في المسجد النبوى آثارا معمارية مهمة هى :

أولا : انتقلت القبلة من الشمال إلى الجنوب بأمر الله عز وجل ولهذا كان
لا بد من نقل الظلة التي أقيمت فيما سبق لتقى المصلين الحر والمطر من الجهة
الشمالية إلى الجهة الجنوبية ، بيد أن الحاجة إليها لايواء الفقراء والمساكين أوجبت
بقاءها وإقامة أخرى في الجهة الجنوبية . وكان ما بين الظلتين رحبة واسعة (٣).
ولكن المصادر التي أمكنني الاطلاع عليها لم تشر إلى تغيير انجاه جدار القبلة الذي
يقول عنه أحمد فكرى أنه « كالقاعدة للمستطيل إن انحرفت فلا مناص من أن

⁻ رواية ثلاثة عشر شهرا وتسعة عشر شهرا ونحوها شاذة . قال وأما رواية الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهرا وستة عشر ، ورواية الشك في ذلك أن من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا ، وألغى الأيام الزائدة ، ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدها معا ، ومن شك تردد في ذلك ، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس ، وقول ابن حبان ه سبعة عشر شهر وثلاثة أيام » بنى على أن القدوم كان في ثاني عشر وبع عالم وثلاثة أيام » بنى على أن القدوم كان في ثاني عشر وبع الأول . انظر : الوفا ، جـ١ ص ٣٦٤ .

⁽١) وفاء الوفا جــ١ ص ٣٦٤ .

⁽٢) كما حدث لبنى حارثة إذا يقول السمهودى في نفس المصدر جدا ص ٣٦٧ نقلا عن ابن أبي حارثة ، فاستقبلت حاتم عن ثويلة بنت أسلم قالت و صلبت الظهر والعصر في مسجد بنى حارثة ، فاستقبل البيت مسجد ايلياء ، فصلينا سجدتين : أى ركعتين ، ثم جاء من يخرنا أن النبي على قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام » .

⁽٣) أحمد فكرى : المدخل ص ١٧١ .

تنحرف أضلاعه الأخرى 1 (١).

ولم يرد عن هذا الحدث المعماري أدنى إشارة إلا ما ذكره أبو عبد الله بن المحجوب حين قال : و ولا خلاف أنه علله جعل قبلة مسجده الكريم في أول بنائه إلى جهة الشام لبيت المقدس وصلى إليها ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، ثم أمره الله باستقبال الكعبة بمكة فحوّل قبلة مسجده إليها وهي على عكس ما كانت عليه ، فإن استقبال الشام إلى شمال المسجد واستقبال الكعبة ومكة إلى جنوبيه ، (٢). إلا أن كلا من بيت المقدس والمدينة المنورة ومكة المكرمة ليست على خط طول واحد كما يظهر من الخريطة المرفقة شكل (٢٤) والصورة شكل (٢٥) ومعنى ذلك أن الإكتفاء بعمل ظلة في المسجد بازاء جدار القبلة قد يترتب عليه انحراف في ترتيب الصفوف داخل هذه الظلة وباقى المسجد ، فالمدينة المنورة تقع على خط طول ٣٦و٣٩° شرقا ^(٣)، ومكة المكرمة على خط طول ٩ر٠٤° شرقًا^(٤). وبيت المقدس على خط طول ١٣ ر٣٥° شرقا(٥) . أي أن هناك خط يشبه القوس يربط ما بين هذه المدن الثلاث . ومما يؤيد تشككي في بقاء جدران المسجد على حالها الأول ، ما ورد في الروايات التي تذكر نبأ تخويل القبلة ، فابن المحجوب ينقل عن ابن زبالة « أنه عَلَى لما أمره الله باستقبال الكعبة أتاه جبريل عليه السلام فرفع له الكعبة ، وقال يا رسول الله ابن قبلة مسجدك وأنت تنظر إلى الكعبة فصوب قبلته وهو يشاهدها لا يحال بينه وبينها ، حتى إذا فرغ قال جبريل للجبال والشجر هكذا وأشار إليها فعادت كما كانت ، (٦).

وذكر القرطبي أن رسول الله عَنْهُ أقام ، رهطا على زوايا المسجد ليعدلوا القبلة

⁽١) انظر أعلاه ، ص ٣٣ .

⁽٢) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ أ .

⁽٣) عمر الفاروق رجب : المدينة المنورة ص ٢٣ .

⁽٤) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٣٧ .

⁽٥) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ص ١٣ .

⁽٦) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ أ .

فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة) (١). وقال ابن النجار أنه عليه الصلاة والسلام ، أقام رهطا على زوايا المسجد ليمدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ، (٢). وأسند يحيى عن طريق ابن زبالة كما نقله السمهودي عن الخليل بن عبد الله الأزدى عن رجل من الأنصار أن رسول الله ﷺ أقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ، ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا ، فأماط كل جبل بينه وبين القبلة ، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة .. ؛ (٣). واستنادا إلى ما ورد في هذه الروايات من ألفاظ تؤيد تربيع المسجد وتعديل قبلته يتبين أن المسجد النبوى شهد في هذه المرحلة الهامة من تاريخه تعديلا في وضع جدرانه ، وإلا فما الداعي إلى استعانة الرسول على بمن يقوم على أركان المسجد ليضع الانجاه الصحيح الذي لم يتم إلا بمساعدة أمين الوحى عليه السلام ١٤٤١ ولولا أن الأمر بهذه الصعوبة لاكتفى الرسول 🥸 يوضع علامة في جدار القبلة الجديدة . ومما يؤيد اعتقادي في تغيير جدران المسجد الشريف بقاء الصفوف في المسجد موازية حتى الآن لجدار القبلة الذي كان بإزائه موضع مصلاه عليه السلام . وهو كما يقول السمهودي انجاه قطعي ولا مجال للاجتهاد فيه (٥)، وأنه 3 لا يجتهد في محراب النبي ﷺ لأنه

⁽١) بهجة النفوس والأسرار ص ١١٦ .

 ⁽۲) الدرة الثمينة ص ۷۰ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ۷۹ ، المراغى : محقيق النصرة
 ص ۲۰ .

⁽٣) السمهودى : وفاء الزفاج اس ٣٦٦ كما أورد فى الصفحة نفسها أحاديث منها 3 عن نافع بن جبير من طرق مرفرعا : ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت إلى الكعبة فوضعتها أومها ٤ . 3 وعن ابن عجلان قال : وضع رسول الله كلة قبلة مسجده وجبريل قائم ينظر إلى الكعبة ، ثم كشف له ما بينه وبينها ٤ . وعن ابن شهاب مرفوعا ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى وبين الكعبة فوضعتها أومها ٤ .

 ⁽٤) أن الوضع الذى رسمه بوتى للمسجد النبوى قبل تخويل القبلة شكل (٢٦) يمكن قبوله في
 حالة عدم تعرض المسجد النبوى في هذه المرحلة لتغيير وضع جدران المسجد .

⁽a) المصدر السابق ، جــ ا ص ٣٨٣ .

صواب قطعا: إذ لا يقر على خطأ. فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فى اليمنة واليسرة ، بخلاف محاريب المسلمين سيما وقد تقدم أنه وضعه (١) وجبريل يؤم به البيت) (٢). ونقل أيضًا عن الإمام النووى قوله : (وكل موضع صلى فيه رسول الله تكله وضبط موقفه تمين ولا يجتهد فيه بتيامن ولا تياسر) (٣).

قانياً: ترتب على نقل القبلة من الشمال إلى الجنوب مع الابقاء على الظلة الأولى مكاناً لأهل الصفة (٤)، أن أصبح للمسجد لأول مرة ظلتان يتوسطهما صحن مكشوف ، ولعل الظلة في المسجد النبوى قد أثبتت جدواها منذ استحداثها حتى تم تخويل القبلة ، الأمر الذي أوجب اقامتها أمام جدار القبلة الجديد .

ثالثا: استجد للمسجد النبوى باب فى مؤخره ، وذلك فى رواق القبلة القديم الذى خصص لأهل الصفة فيما بعد . وسد الباب الذى كان فى مؤخر المسجد القديم الذى أصبح بعد تحويل القبلة رواقا لها . أما البابان الآخران وهما باب الرحمة أو باب عائكة وباب جبريل ، فبقيا على حاليهما (٥) ، وهما كما يقول ابن المحجوب و فرج لا أغلاق عليها و (٦) .

وابعاً: أصبحت حجر أمهات المؤمنين التي أنشئت منذ قدوم الرسول إلى المدينة مجاورة لصدر المسجد، أى لرواق القبلة الجديد الذي كان يغشاه الناس للإجتماع بالرسول على وحضور الصلاة معه فيه ، وكان أول هذه البيوت بيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة (٧)، ثم بيت عائشة رضى الله عنها . وفي ذلك يقول الزركشي

⁽۱) يقصد أن رسول الله مح وضع علامة مصلاه بنفسه وهي العود الذي كان يرتكز عليه عند آداء الصلاة أما المحراب بمعناه المعروف فلم ينشأ إلا فيما بعد وبالتحديد في عمارة الوليد للمسجد النبوي .

⁽۲) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ا ص ۳۸۳ .

⁽٣) السمهودي : نفس الصدر ، جـ ١ ص ٣٨٣ .

⁽٤) السمهودي : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٥٣ ، أحمد فكرى المدخل ، ص ١٧١ -

⁽٥) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣١ ، السمهودي : المصدر السابق ، جـ ١ ص٣٣٦.

⁽٦) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ أ . ويقصد بكلمة الأعلاق مصاريع البيان التي تغلق بها فتحات المداخل .

 ⁽٧) ذكر الطبرى في تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ١٣٦٣ أن قدوسها رضى الله عنها إلى المدينة
 كان في السنة الأولى من الهجرة الشريفة .

نقلا عن الذهبى: « لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه فعل ذلك . إنما كان يريد بيتا واحدا حينقذ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة ٤ (١)، رضى الله عنها ، ولكن الروايات أوردت أنه عيه السلام بنى بيتين مع بناء المسجد أول مرة ، أحداهما لعائشة رضى الله عنها « لأنها كانت زوجته غير أنه لم يبن بها فتأهب لذلك بأن بنى لها حجرتها (٢). وكانت هاتان الحجرتان مبنيتان كباقى الحجر ، باللبن وسقفهما بجذوع النخل والجريد (١) ، وإلى جوارهما كان بيت فاطمة رضى الله عنها لأن زواجها من على بن أبى طالب رضى الله عنه كان كما يذكر الطبرى فى شهر رجب من السنة الثانية (٤) ، ويؤيد الذهبى فيما رواه عن ابن عائذ عن محمد بن رجب من السنة الثانية (٤) ، ويؤيد الذهبى فيما رواه عن ابن عائذ عن محمد بن شعيب أن النبى عليه بنى « لحمزة ولعلى ولجعفر وهم بأرض الحبشة وجعل مسكنهم فى مسكنه وجعل أبوابهم فى المسجد مع بابه ثم أنه بدا له ، فصرف باب حمزة وجعفر » (٥).

وبناء على ما تقدم فإن قرب هذه البيوت التي بناها رسول الله علله حتى حولت القبلة في النصف الأول من السنة الثانية ، من مقدم المسجد ، كان نتيجة من نتائج تخويل القبلة . كما أن كثيرا من معالم المسجد الشريف كالاسطوانات المشهورة ومنبره الشريف لم تحدد إلا بعد نقل القبلة على أن كثيرا من الروايات يحدد موضع مصلى النبي قبل تحويل القبلة . فينقل السمهودي عن ابن زبالة عن أبي هريرة رضى الله عنه قوله « كان مصلاه الذي يصلى فيه بالناس إلى الشام في مسجده أن تضع موضع الاسطوان المخلق اليوم (٢) خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام ، حتى إذا تضع موضع الاسطوان المخلق اليوم (٢) خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام ، حتى إذا

⁽١) أعلام المساجد بأحكام المساجد ، ص ٢٧٤ .

⁽۲) البزیجی : نزهة الناظرین ، ص ۱۰ .

⁽٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جــ ١ ص ٢٤٠ .

⁽٤) المصدر السابق جـ٢ ص ١٢٧٣ .

⁽٥) تاريخ الإسلام ، جدا ص ٢٠ .

⁽٦) هي الاسطوانة المعروفة باسطوانة عائشة رضي الله عنها .

كنت (بيمين) باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع ، (١).

هذا عن الآثار المعمارية التي ترتبت على مخويل القبلة . أما الوصف الدقيق لظلتي المسجد فإن كتب التاريخ لم تزودنا بما يكفي لمعرفة حال الظلة الأولى ، إلا أنها قد أعطتنا من الإشارات ما يكفى لترسم حال الظلة الثانية ، فمن المعروف أن رسول الله على قد اتخذ مصلاه بازاء جدار القبلة من أول يوم أمر فيه بالتوجه في صلاته إلى الكعبة ، وإن كان ما نقله السمهودي عن ابن زبالة يفيد أنه صلى إلى اسطوانة عائشة رضى الله عنها ، المتوسطة للروضة ، بضع عشرة المكتوبة (٢) ، ثم تقدم إلى مصلاه الذي وجاه المحراب في الصف الأوسط ع^(٣)، والمشهور كما يقول السمهودي أن مقام النبي على لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول ، (٤). ولا بد أن الرسول علله كان يتوسط المصلين في صلاته . وقد اتخذت الاسطوانات المشهورة في الروضة الشريفة أسماءها من أحداث وقعت قبل السنة السابعة للهجرة ، فمثلا إسطوانة التوبة ، التي ارتبط فيها أبو لبابة بشير بن عبد المنذر الأنصاري الأوسى رضي الله عنه ، (٥)، عقب تورطه في نصح بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة ، والتي يقول عنها المطرى ، أنها الثانية من القبر الشريف والثالثة من القبلة والرابعة من المنبر والخامسة من رحبة المسجد ، وهي التي تلي إسطوانة المهاجرين من جهة الشرق في الصف الأول الذي خلف الإمام المصلى في مقام النبي عَلَمُ ، (٩) ، وقد ذرع ابن زبالة ما بينها وبين القبر الشريف والمنبر ، وأعاد السمهودي ذلك الذرع فكان مطابقًا لما ذرعه ابن زبالة وهو أن ما بين (اسطوان

⁽۱) السمهودى : وفاء الوفاج الص ٣٦٧ وقال عنه مؤلف تاريخ مكة والمدينة لمجهول ، ورقة ٣٨ ب بأنه و في محاذاة محرابه الآن و ولهذا نراه لا يتوسط جدار قبلة المسجد الأول الذي كان على عهد رسول الله \$.

⁽٢) أي قرابة ثلانة أيام على اعتبار أن الصلاة المكتوبة هي خمس صلوات في اليوم .

⁽٣) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٤١ .

⁽٤) السمهودي : وفاء الوفا ، جدا ص ٣٦٧ .

⁽٥) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ ، السمهودى : المصدر السابق جد٢ ، ص ٤٤٠ .

⁽٦) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

التوبة وبين جدار القبر الشريف عشرين دراعا »(۱) وأن ما بين و مصلى النبي كله من مسجده الأول وبين اسطوان التوبة سبع عشرة ذراعا »(۲) ومن المتفق عليه أن الاسطوانات في العمائر التالية للمسجد لم تغير موضعها الأول ، كما حدث في عمارة سيدنا عثمان رضى الله عنه للمسجد النبوى الشريف حين و قدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل » (۲). هذا عن اسطوانة التسوبة ، وعن اسطوانة القرعة المعروفة بأسماء عدة ، أشهرها اسطوانة عائشة ، فقد صلى إليها اسطوانة الله على قرابة ثلاثة أيام ثم تقدم إلى مصلاه (٤)، وفي فضلها قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها) لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالأسهم » (٥)، وقد عرفت بهذا الاسم منذ صلى إليها الرسول عليه السلام بعد بالأسهم » (٥)، وقد عرفت بهذا الاسم منذ صلى إليها الرسول عليه السلام بعد اقامتها فور تحويل القبلة . « وهي الثالثة من المنبر والثالثة من القبلة رواقان (بلاطتان) » (٢).

وقد ذرع ابن زبالة المسافة بينها وبين مصلى النبى تظففكانت سبعة عشر ذراعا، وقد اختبره السمهودى وأثبت صحة ذلك الذرع (٧). إلا أنه ذكر أنه وجد بإحدى سخ كتاب ابن زبالة أنه تسعة عشر ذراعا ، وهذا الفرق فى الأذرع يمكن قبوله على احتمالين : الأول أنه ذرع من اسطوانة التوبة إلى طرف المصلى الشرقى فكان سبعة عشر ذراعا ، والآخر إلى طرفه الغربى فكان تسعة عشر ذراعا ، والآخر إلى طرفه الغربى فكان تسعة عشر ذراعا ، ومن هذا الذرع المتطابق عند المؤلفين يتبين أن المسافة بين كل اسطوانتين هى عشرة أذرع (٨)، وهو ما يتفق مع ما ذكرته معظم الروايات من قياس المسجد بعد الزيادة

⁽١) المصدر السابق ، جـ٢ ص ٤٤٦

⁽٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٤٤٦

⁽٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٠٥

⁽٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩١ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ .

⁽٥) ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٩١ .

⁽٦) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

 ⁽A) ذكر ابن حجر الهيشمى فى مخفة الزوار ص ٨٩ أن اسطوانات المسجد النبوى من جذوع النخل
 بين كل اسطوانتين عشرة أدرع

الثانية ، والتى قدرت بسبعين ذراعا فى ستين وشىء فى رواية (١) وثلاثة وستين فى رواية (٢) ، ومع ما ذكره ابن زبالة ويحيى من (أن مسجد رسول الله على كان ثلاث أساطين مما يلى المشرق ، وثلاث أساطين مما يلى المغرب (٢) سوى ما خرج فى الرحبة أى الأساطين المصفوفة من الرحبة إلى القبلة ، (٤).

ويؤيد هذا ما ذكره ابن جماعة في منسكه (٥). حين قال : 3 قد عرف المتأخرون مقدار المسجد الذي كان عليه أولا ، فقالوا : كان على التربيع من الحجرة المقدسة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب ، ومن موضع الدرابزين الذي هو بين الأساطين المتصل (٦) بالصندوق أمام المصلى الشريف إلى موضع الحجرين المفروزين في صحن المسجد الشريف ۽ (٧). ويبدو أن ابن جماعة عد من السطوانة السرير حتى أدخل الاسطوانة الملاصقة للجدار الغربي والواقعة الآن في الصف المجاور محراب الحنفية ، وقد أعاد السمهودي هذا الذرع فقال : و وقد ذرعت ما بين الاسطوانة التي نلي المنبر عند ظهره من المغرب إلى حائز عمر بن عبد العزيز الذي داخله الحجرة الشريفة بمقط (٨) فكانت مساحته سبعة وخمسين ذراعا ونصف ذراع راجح ، وعرض الحائز المذكور ذراع وربع راجح كما تحرر لي عند عمارة ما نقض منه ... فيكون ما بين الاسطوانة المذكورة والحجرة الشريفة بمعد وخمسون ذراعا ينقص يسيرا ٤ (٩).

⁽١) السمهودي : المصدر السابق جدا ص ٣٤٠ .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٤٨ ، السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٥ .

⁽٣) عدها على اعتبار توسط مصلى النبي 🏶 لهذه الاسطوانات فثلاث عن يمينه وثلاث عن يساره .

⁽٤) السمهودي: المصدر السابق جـ١ ص ٣٤٩ .

⁽٥) بحثت عن منسك ابن جماعة فلم أجده .

 ⁽٦) أقيم هذا الدرابزين في موضع جدار قبلة المسجد في عهد الرسول ليفصل بين البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان في مقدم المسجد .

⁽٧) السمهودى : المصدر السابق جـ١ ص ٣٤٢ .

 ⁽٨) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ٧ ص ٨٠٦ إن المقط ٥ حبل صغير يكاد يقوم من شدة فتله ، وقيل هو الحبل أيا كان ٤ .

⁽٩) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ١ ص ٣٤٦ .

ولعل الناقص عما قيل من أن عرض المسجد من الشرق إلى الغرب سبعون ذراعا هو ما كان موضع الجدار الآنه تقرر كما يقول السمهودى (أن جدار المسجد من جملة المسجد) (1) ، وإلى هذا يشير في معرض حديثه عن الأقوال التي يخصل عليها في حد المسجد من الغرب فيقول (أحد الأقوال : أنه إلى الاسطوانة التي تلى المنبو من تلك الجهة ، وهو الذي عول عليه ابن النجار ومن تبعه) (٢) ، أما ذرع المسجد من الشمال إلى الجنوب فيقول عنه السمهودى أنه اختبر بنفسه هذا الذرع من الدرابزينات المذكورة في رواية ابن جماعة إلى الحجرين المذكورين فكان سبعين ذراعا بذراع العمل ، ذراعا بذراع اليد المتقدم ذكره ، وقد قال ابن جماعة أنه اختبر ذلك بذراع العمل ، فكان ستة وأربعين ذراعا وثلثي ذراع (٢) . فهو موافق لذرعنا ، بل يرجح قليلا ، فكان من ذراع العمل ، وقد قال ابن جماعة أنه اختبر ذلك بذراع العمل ،

أما الروايات التي ذكرت أن حد المسجد ثلاث اسطوانات عن يمين المنبر وثلاث عن يساره فلا أظنها تنطبق على وصف المسجدالشريف في هذه المرحلة من البناء إذ أن المنبر لم يدخل المسجد إلا في السنة الثامنة ، والأجدر بتوسط جدار القبلة هو مصلى النبي عليه السلام الذي اتخذه الرسول بعد بخويل القبلة (٥). واستنادا إلى ما سبق من عرض وتخليل لبعض الروايات يتضع لنا أن الظلة التي أقيمت خلف جدار القبلة الجنوبي كانت تتألف من ستة أعمدة تمتد من الشرق إلى الغرب ، ومن سبع بوائك تمتد عمودية على جدار القبلة ، وإن كنت قد توصلت إلى معرفة عدد السطوانات رواق القبلة الممتدة من الشرق إلى الغرب فإنني لم أهتد إلى معرفة عدد الأسطوانات الممتدة من جدار القبلة إلى رحبة المسجد ، علما بأن طول الجدار الممتد من الشمال إلى الجنوب هو سبعون ذراعا على أشهر الروايات التي اعتمدت عليها .

⁽١) نفس الصدر : جـ ١ ص ٣٤٥ .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٥٣ .

⁽٣) أى حوالى ٣١ مترا لأن ذراع العمل يساوى ٥ر٦٦ سم كما يقول فالترهنتس فى المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٨٩ .

⁽٤) السمهودى : المصدر السابق ، جــ ١ ص ٣٤١ .

 ⁽٥) انظر المخطط الذي وضعته عن المسجد النبوى قبل مخويل القبلة وبعدها شكل (٢٣ ، ٢٧) .

٤ ـ الزيادة الرابعة للمسجد النبوى سنة ٧هـ

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارته التى تلت مخويل القبلة شكل (٧) ، حتى السنة السابعة من الهجرة ، عقب عودة الرسول على من خيبر ، أما الرواية التى تذكر أن رسول الله بنى مسجده باللبن بعد أربع سنين (١) ، فهى تخالف ما أثبته من استخدام اللبن فى عمارة المسجد من أول سنة للهجرة (٢) ، فضلا عن أنها رواية غير مشهورة . ومخالفة لكثير من الحقائق الثابتة ، كتحويل القبلة فى النصف الأول من السنة الثانية ، والذى ترتب عليه كما عرفنا من قبل الرسول في النصب الذى دفع الرسول الله المسجد هو ضيقه بالمصلين كما فى رواية الترمذى عن قصة اشراف عثمان على الناس يوم الدار (٣) ، إذ روى) عن ثمامة بن حزن القشيرى أن اشراف عثمان رضى الله عنه قال : أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى بأهله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة ؟ ه (٤).

وكان من الطبيعي أن يزاد في المسجد في هذه الفترة من عصر الدعوة الإسلامية التي ازداد أنصارها وكثر الإقبال عليها لا سيما وأنها قد اتخذت منه من أول يوم مكانا لعبادتها ومركزا لقيادتها السياسية والعسكرية بالإضافة إلى ما كان يقوم به المسجد من دور في نشر تعاليم الدين الجديد ، وقد اختلف في موضع هذه الزيادة . فابن زبالة فيما ينقله عنه السمهودي يقول : و ترك رسول الله تلك المسجد من القبلة في تلك البنية على حده الأول ، وزاد فيه من ناحية المشرق إلى الاسطوان التي دون المربعة التي عند القبر ... ومن المغرب إلى الأسطوان التي تلي المربعة التي

⁽١) ابن اسحاق : كتاب الناسك ، ص ٤٠٣ ، المراغى : محقيق النصرة ص ٢٠ .

⁽٢) انظر ما قدمته في ص ٣٩ عن مراحل استخدام اللبن في عمارة المسجد النبوى .

⁽٣) نسبة إلى دار عثمان التي حصر فيها قبل قتله رضي الله عنه .

⁽٤) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ، جـ٥ ص ٢٩٠ ، السمهودي ؛ وفاء الوفا ، جـ١ ص٣٣٨.

لها نجاف (۱) أيضاً من بين الأساطين ... وترك مما يلى الشام لم يزد فيه) (۲). يبد أن السمهودى فيما ينقله عن المحاسبى يفيد بأن و منتهى طوله من قبلته إلى مؤخرة حذاء تمام الرابع من طيقان (۲) المسجد اليوم ، أى فى زمنه (٤) ، وما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول ، قال : وقد روى عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثانى من الباب الذى يقال له باب عشمان (۵) ... وهو أربع طيقان) (٦). ثم يذكر السمهودى أن هذا و مؤيد للرواية المتقدمة فى الذرع ، وهى رواية مائة ذراع فى مائة ذراع » (٧) ، ثم يذكر أن جداره كان فى موضع الاسطوانة الخامسة من الجهتين ، إلا أنه يزيد على الاسطوانة الخامسة فى المشرق شيفا مما الخامسة من الجهتين ، إلا أنه يزيد على الاسطوانة الخامسة فى المشرق شيفا مما بينها وبين الاسطوانات اللاصقة بجدار القبر (٨) ويذكر السمهودى دليلا أثريا على صحة هذا الحد من المشرق فيقول : وويؤيد ذلك أنه قد ظهر عند تأسيس دعائم صحة هذا الحد من المشرق فيقول : وويؤيد ذلك أنه قد ظهر عند تأسيس دعائم القبة الآتى ذكرها(۱) درج عند باب مقصورة الحجرة الشامى فى موازاة الحد الذكور يقابل الباب المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام . فالظاهر أنه كان هناك قبل نقله إلى محله اليوم » (١٠).

⁽۱) قال ابن منظور في لسان العرب ، جــ ۱۱ ص ٢٣٦ ، أن النجاف هو ما يستقبل الباب من أعلاه والنجاف هي العتبة ، وهي أسكفة الباب .

⁽٢) وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٥٢ .

⁽٣) قال ابن منظور في المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٢٣٣ ، أن ٥ الطاق ما عطف من الأبنية ، الجمع الطاقات ، والطيقان فارسي معرب . والطاق صقد البناء حيث كان ، والجمع أطواق وطيقان ه . . .

⁽٥) أي المعروف بباب النساء .

⁽٦) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٥٣ .

⁽٧) نفس المصدر جدا ص ٣٥٣.

 ⁽٨) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٥٠ ، وقد ذكر ابن اسحاق فى كتاب المناسك ص ٣٩٧
عن مالك رضى الله عنه ، و أن الجدار من الشرق حد القناديل التى بين الأساطين التى وسطها
اسطوانة التوبة وبين الأساطين التى تلى القبر ٩ .

⁽٩) يقصد القبة التي أعيد تجديدها سنة ٨٨٧هـ. فوق الحجرة الشريفة .

⁽١٠) المصدر السابق ، جــ ٣ ص ٦٨٩ .

أما حدوده من المغرب فالمرجح عند السمهودى أنها الاسطوانة الخامسة من المنبر وذلك و لأن مجاهها في حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل إلى العصابة السفلى الظاهرية ، لكنه انقشر بعضه عند اصلاح العصابة العليا وتبييض الجدار في العمارة التي أدركناها أولا (١) ، وذهب منه ما كان بين العصابتين وبعض ما فوق العليا ، وبقى منه ما بين العصابة العليا والسقف ثم ذهب بقيته في الحريق الحادث في زماننا (٢) ، وبقى موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين ، وقد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلى ، فالظاهر أنه علامة نهاية المسجد النبوى من هذه الجهة (٣).

وعلى هذا فإن الزيادة في المسجد الشريف في عهده عليه الصلاة والسلام كانت و في شرقيه بمقدار عشرة أذرع أو اسطوانة ، وفي غربيه بمقدار عشرين ذراعا ، أو اسطوانتين » (٤). أما شماليه فكانت بمقدار أربعين ذراعا (٥)، ولذا فإن عرض المسجد من الشرق إلى الغرب كان مائة ذراع وليس كما يذكر الدكتور أحمد فكرى أنه تسعون ذراعا (٢)، لأن و جدار المسجد الشرقي كان فيما بين الأساطين اللاصقة بالقبر وبين الأساطين المقابلة لها » (٧)، أى أنه كان إلى الشرق

⁽١) يقصد عمارة قايتباي الأولى للمسجد النبوي سنة ٨٧٩هـ .

⁽٢) يقصد الحريق الثاني الذي دمر المسجد سنة ٨٨٦هـ .

⁽٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٥٤ . وقد ذكر أن شيخ الحرم النبوى في حدود منة السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٥٤ . وقد ذكر أن شيخ الحرم النبوى ألى في قبلة المنبر من صف الاساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف منقوشا فيه أن ذلك هو الذي استقر عليه الأمر في نهاية المسجد النبوى وحده ٤ . وقال السخاوى في التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٥ وبين انتهائه وباب السلام الآن خمس بوائك حسما علم أعلى الاسطوانة الخامسة من المنبر ٤ .

⁽٤) أحمد فكرى : المدخل ص ١٧١ .

⁽٥) انظر المخطط شكل (٢٧) .

 ⁽٦) أحمد فكرى: المرجع السابق ص ١٧١ ، ويبدو أنه اعتبر الذرع يبدأ من الاسطوانات الواقعة فى
 صف اسطوانة الوفود بينما الصواب أنه بينها وبين الأساطين الملاصقة للقبر الشريف .

⁽٧) السمهودي : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٥٠ .

من أسطوانة الوفود ، وهو ما يتفق مع ما ذكره من أن عائشة رضي الله عنها كانت ترجل رأس النبي ﷺ من بيتها وهو في معتكفه على سرير له يوضع بين ١٥الاسطوان التي وجاه القبر وبين القناديل(١) ، ويرجحه كذلك ما يذكره السمهودي من وأن المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطا للمسجد إذ يبعد أنه ﷺ لا يتوسط أصحابه ويقف على منبر في طرفهم (٢)؛ . انظر شكل (٢٧) . هذا عن ذرع المسجد وموقع الزيادة منه ، أما صفة العمارة وعدد الأسطوانات في كل ظلة ، فلم يرد عنهما إلا إشارات يمكن التعرف عليهما من خلالها . فقد ذكرت بعض الروايات أن الأحجار استخدمت في بناء المسجد لرفع أساس جدرانه ثم وضعت عليها «اللبنتان المعترضتان » (٣)، وهذا النوع من البناء هو ما استخدم في المسجد النبوي الشريف منذ استقر الرأى على تسقيفه ، نظرا لمتانته وقوة مخمله ، ويصف السمهودي بعض هذا اللبن فيقول : ﴿ شاهدت لبنا أخرج من جدران الحجرة الشريفة في العمارة التي أدركناها أولا (٤)، يزيد في الطول على الذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع ذراع ، وفيه شيء مرتفع طوله وعرضه وسمكه واحد ، وكل ثنتين منه طول لبنة مما قدمناه ، والذي يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة الشريفة التي كانت مبنية به أولا جعل للتبرك لأنه أتى غير مستو(٥) والجدار مبنى بالحجارة الوجوه المحكمة (٦)، وبالقصة فلا يناسبه وضع ذلك فيه ولهذا جعل بين الحجارة الوجوه في أعالي الجدار وقد تقدم أن الذي استقر عليه عرض الجدار في زمنه على الأنثى والذكر ، وهما لبنتان مختلفتان ، واللبنتان المختلفتان ، من هذا اللبن الذي رأيناه أو اللبنة ونصف الأخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف

⁽١) نفس المصدر جدا ص ٣٥١ .

⁽٢) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٤٨ .

⁽٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٧٠ ، السمهودي : المصدر السابق جــ ١ ص ٣٤٦ .

⁽٤) يقصد عمارة قايتباي الأولى منة ٨٧٩هـ .

⁽٥) يقصد غير محروق أى أنه لبن وليس أجر .

⁽٦) يعنى الحجارة المنحوتة .

يسيرا فيكون ذلك هو عرض الجدار في زمنه تلف (١) ويشهد له ما شاهدناه أيضاً في عرض جدار الحجرة الشريفة ، (٢).

أما ارتفاع سقف المسجد الشريف فقد بلغ سبعة أذرع (٣)، أى ثلاثة أمتار ونصف كما يقول فكرى (٤)، وهو ارتفاع كبير يتناسب مع عمق ظلتى المسجد اللتين أمكن معرفة عددبلاطاتها وبوائكهما ، فمن خلال تتبع مواقع الاسطوانات المشهورة في الروضة المشرفة ، يلاحظ أن آخرها مما يلى الصحن في عهده عليه السلام اسطوانة الوفود ، والتي يقول عنها المطرى أن رسول الله علله و كان يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته وكانت مما يلى رحبة المسجد ، (٥)، ومنها إلى جدار القبلة ثلاث اسطوانات كما في الشكل رقم (٢٨) ، وعلى ذلك فعدد بلاطات رواق القبلة ثلاث بلاطات في عشر بوائك ، والأمر كذلك بالنسبة للرواق الشمالي، الذي به موضع أهل الصفة .

ولكن الوضع الحالى للصفة كما يظهر من مخطط المسجد النبوى الذى أعده مهندسو الأتراك بعد عمارة السلطان عبد الجيد شكل (٢٩) يثير بعض التساؤلات ، ومنها هل كان موضعها من المسجد كما كان في عهد الرسول عليه السلام؟ ثم ما الداعي إلى اقتصاره على النصف الشمالي الشرقي من مؤخر المسجد (٢)؟

⁽۱) هذا يخالف الطريقة التي توصلت إليها في بناء اللبن في المسجد النبوى والتي اتضح فيها أن أقصى عرض للجدار المبنى باللبن الذي أورد السمهودي مقاساته هو ذراع فقط ، ولا يمكن أن يتشكل من هذا اللبن جدار بعرض متر ونصف بناءً على ما ذكره السمهودي من أن آخر طريقة للبناء شهدها المسجد النبوى في عهد الرمول كانت باللبنتين المختلفتين التي يقول عنها الكتاني في التراتيب الإدارية ، حـ ٢ ص ٧٧ أنها و لبنتان تعرض عليها لبنتان » .

⁽٢) وفاء الوفا ، جــ١ ص ٣٤٦ .

⁽٣) السخاوي : التحقة اللطيفة جــ ١ ص ٤٥ .

⁽٤) المدخل : ص ١٧١ .

 ⁽٥) التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٨ ، والقرطبي ، بهجة النفوس والأسرار ص ١٣٦ والخوارزمي ،
 اثارة الترغيب والتشويق ص ٢٩١ .

 ⁽٦) خالف كريزول ومن أخذ برأيه هذا الوضع الذي أقره مهندسو الأتراك ووضعوا العمقة في الجانب
الشمال الغرى من وؤخر المسجد ، انظر شكل (٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

ومهما يكن من أمر فإن الوضع الذى استقر عليه المسجد النبوى فى آخر عمارة له فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، يتفق من وجوه عدة مع الخطط الذى أعده أحمد فكرى عن المسجد النبوى فى عهد الرسول عليه السلام ، ويعد كما يقول محاولة أولى من جانبه ، وإن ذكر (أن جزءا منه افتراضى) (1). ولى ملاحظات على هذا المخطط سوف أذكرها عند الحديث عنه .

⁽١) المدخل ص ١٨٩ .

٥ـ تقييم المخططات التي وضعت عن عمارة المسجد النبوي٠ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

اهتم كثير من الباحثين برسم مخططات للمسجد النبوى الشريف في حياة الرسول كله ، وكان رائدهم في ذلك الكابتن كريزول CRESWELL الذي أعد مخططا شكل (٣٠) رفضه أحمد فكرى ، وقال عنه أنه من نسج الخيال (١٠) . وكان في هذا الرفض منا يغني لولا أن تشابه الخططات التي أعدها كل من فسريد شافعي (٢٠) ، وسعاد ماهر (٣) ، لخطط كريزول . قد دعاني إلى دراسة هذه الخططات ومقارنتها بمخطط فكرى من ناحية ، وبما اتضح لى من خلال دراستي للمسجد النبوى في عهد الرسول من ناحية ثانية ، فمن الأخطاء التي يمكن ملاحظتها على مخطط كريزول وما تبعه من مخططات كمخطط فريد شافعي شكل (٣١) ومخطط سعاد ماهر شكل (٣١) .

ا _ أنه قصر ظلة مؤخر المسجد على جزء من بلاطة واحدة مختل الجانب الشمالى الغربى من المسجد (3) ومن المعروف أن هذه الظلة كانت بها قبلة المسلمين الأولى قبل مخويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة ، ولا يعقل أن يكون المسجد قد بقى دون ظلة مخمى المسلمين من الحر والمطر قبل مخويل القبلة ، ولا أظن أن الرسول محلة قد هدم هذه الظلة عند مخويل القبلة إلى الظلة الجنوبية ، إلا إذا كانت جدران المسجد كلها قد تعرضت للتغيير عقب مخويل القبلة ، وهو احتمال له وجاهته (٥) ، وعلى ذلك فإن ما يحظى بالقبول والتأييد هو أن هذا الجزء المخصص للصلاة قبل مخويل القبلة الذي كان مسقوفا بسعف

⁽١) المدخل : ص ١٨٤ .

⁽٢) العمارة العربية ، ص ٦٠ .

⁽٣) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ١ ص ٣٧ .

⁽٤) انظر كريزول ، العمارة الإسلامية المبكرة جدا القسم الأول ص ٩ .

⁽٥) انظر ما ذكرته عن هذا الاحتمال في ص ٤٤ من الرسالة .

النخيل أو غيره قد خصص لأهل الصفة _ لنومهم وراحتهم _ دون بقية المسجد (۱) ، وكان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة (۲) ، ولم أجد في النصوص الكثيرة التي اطلعت عليها ما يشير إلى تخديد موقعها من مؤخر المسجد ، مما يزكي في اعتقادي أن الظلة كانت بامتداد الجدار الشمالي للمسجد ، على أن الخطط الذي أعده محمود عكوش شكل (۳۳) (۱) ، ومخطط المسجد النبوى بعد عمارة السلطان عبد الجيد له سنة ۱۲۷۷هـ شكل (۲۹) ، يجعلان موقعها في الجانب الشمالي الشرقي من المسجد بخلاف كريزول ومن أخذ برأيه (٤) ، فأنهم يجعلونها في الجانب الشمالي الغربي ، على غير سند في كلتا الحالتين .

۲ – قصرت المخططات المذكورة ، مقدم المسجد على بلاطتين فقط ، ومن المعروف أن ثلاث من اسطوانات الروضة الشريفة ، التي اكتسبت أسماءها من أحداث وقعت في عهد الرسول على ، تقع خلف بعضها في خط مستقيم ، كما يظهر من النص الذي أورده السمهودي عن ابن زبالة من أن و الأسطوان التي إلى الرحبة في صف اسطوان التوبة بينها وبين اسطوان التوبة مصلى على بن أبي طالب (٥) ، ومعنى هذا أن مقدم المسجد كان يتألف من ثلاث بلاطات ومثلها أيضاً في مؤخر المسجد (٢).

٣ - وضعت بيوت أمهات المؤمنين كلها في الجهة الشرقية من المسجد على امتداد جدار المسجد الشرقي حتى باب جبريل . ورغم تأييد بعض الروايات لهذا

⁽١) أحمد فكرى : المدخل ص ١٨٦ .

⁽٢) القرطبي : يهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٣ ، السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٣ ص ٤٥٣ .

⁽٣) انظر المخططين اللذين أعددتهما شكل (٢٨ ، ٢٧) .

⁽٤) انظر فرید شافعی شکل (٣١) وسعاد ماهر شکل (٣٢) .

⁽٥) السمهودي : وقاء الوفا ، جد ٢ ص ٤٤٩ .

⁽٦) انظر المخطط الذي أعده أحمد فكرى شكل (٣٤) .

الوضع (۱) ، إلا أن الكثير من الرويات تؤيد امتداد بيوت أمهات المؤمنين إلى الجنوب من حجرة عائشة رضى الله عنها (۲) ، ومنها دار حفصة رضى الله عنها ، وقد أدخل بعضها فى المسجد النبوى الشريف فى عمارة الوليد بن عبد الملك ، بعد اتفاق عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مع أصحابها على فتح الخوخة المعروفة بخوخة آل عمر ، والتى كانت تفضى إلى المسجد الشريف فى البلاط الذى يقع أمام الوجوه الشريفة ، فى موقف الزائرين اليوم ، ولم تسد إلا فى عمارة الأشرف قايتباى للمسجد النبوى سنة ٨٨٨هد (٣).

هذا عن أهم ما لاحظته في المخططات المشابهة لمخطط كريزول ، أما المخططان اللذان أعدهما بوتي شكل (٢٦) ففي نقد الدكتور أحمد فكرى لهما ما يفي بالغرض (٤٠)، لا سيما وأن محمود عكوش قد شارك

⁽۱) قال ابن النجار في الدرة الشمينة ص ۷۳ و لما تزوج رسول الله محلة نساءه بني لهن حجرا وهي تسعة أبيات وهي ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذي يلى باب النبي كله ٤٦٠ و نقل السمهودي في الوفاء جـ٢ ص ٤٦٠ و عن يحيى من طريق الواقدي عن عبد الله بن يزيد الهذلي قال : رأيت بيوت أزواج النبي كله حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت من لبن ، ولها حجر من جريد مطرودة (ملبسة) بالطين ، عددت تسعة أبيات بحجرها ، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلى باب النبي كله إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم (في زمنه) و انظر موقع منزل أسماء من المسجد النبوي في الشكل (٤٥) .

⁽۲) ذكر ابن اسحاق في كتاب المناسك ص ٣٧٣ عن إسماعيل بن محمد بن إسحاق و وهو أحد علماء المدينة وذو سنهم ، قال : كانت أول حجرة من حجر أزواج النبي كله ، حجرة حفصة وهي موضع الخوخة التي تدعى خوخة عمر ثم تليها حجرة حجرة ، حتى تنتهى إلى حجرة عائشة رضى الله عنهن أجمعين ، وهو موضع القبر ، وبعدها حجرة فاطمة في الصدر عند باب جيريل ، وبعدها حجرة أم سلمة ، وآخر الحجرات حجرة جويرية ثم علامة مثل خاتم سليمان في ذلك الحاتط من رخام أرانيه إسماعيل ، وهناك دار عقيل بن أبي طالب ؟ . وانظر : الذهبى ، تاريخ الإسلام ، جـ٣ ص ٢٦٨ ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ٣ ص ٤٥٩ .

⁽٣) انظر أدناه ص ٣٤٣ .

⁽٤) اعترض أحمد فكرى فى المدخل ص ١٨٦ على مخطط محمود عكوش بأربع بقاط ، أولا : قصره الظلة الشمالية على موضع أهل الصفة ، وثانياً جعله طول جدار القبلة مائة ذراع ، وأنا أميل إلى ما ذهب إليه محمود عكوش ، وثالثا جعله زيادة الرسول الأحيرة من الشرق قدر اسطوانتين ، ورابعا فتح الأبواب فى غير مواضعها . أما رسم يوتى فقريب من الدائرة به باب واحد، وهو عن وضع المسجد قبل تخويل القبلة .

المخططات السابقة في قصره ظلة مؤخر المسجد على جانب أمام الجدار الشمالي (١)، ومع اقتناعي ببعض اعتراضات أحمد فكرى على هذين المخططين ، إلا أنني ألاحظ أيضًا على المخطط الذي أعده فكرى عن المسجد الشريف في عهد الرسول على شكل (٣٤) أمرين مهمين :

أولاً: قصره طول جدار القبلة الممتد من الشرق إلى الغرب على تسعين ذراعا (٢)، وفى هذا إهمال لكثير من الروايات التي تؤيد تربيع المسجد، وتنص صراحة على أنه مائة في مائة ذراع (٣). هذا فضلا عن أن مخططه يحتوى على عشر بوائك بكل من الظلتين. وقد ورد أن بعد إلاسطوانات عن بعضها عشرة أذرع (٤)، وفي هذا تأييد لكون جدار القبلة مائة ذراع، ولكنه يذكر في موضع آخر أن طوله تسعون ذراعا (٥).

ثانياً: موقع باب النساء من المخطط الذي أعده ، مع أن هذا الباب لم يفتح إلا في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٦). بالإضافة إلى إهماله للباب الذي نقل بعد تحويل القبلة من الجدار الجنوبي إلى منتصف الجدار الشمالي علما بأن الأبواب الثابت وجودها في عهد الرسول عليه السلام (ثلاث أبواب ، باب في خلفه (١).

ومهما يكن من أمر فإن مخطط أحمد فكرى بعد إجراء التعديلات السابقة عليه يتفق مع ما كان عليه المسجد في عهد الرسول علله . أما المخطط الذي أعده

⁽١) انظر الرسم في المدخل لأحمد فكرى ، ص ١٨٦ .

⁽٢) نفسي المرجع السابق ص ١٧١ .

 ⁽٣) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٧٩ ، المراغى : مخقيق النصرة ص ٤٤ ، السمهودى :
 وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ .

⁽٤) ابن حجر الهيشمى : مخفة الزوار ص ٨٩ .

⁽٥) انظر ص ١٧١ من المدخل .

⁽٧) يعنى في مؤخر المسجد .

⁽٨) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٦٩ .

الدكتور حسن الباشا عن المسجد النبوى شكل (٣٥) بعد تحويل القبلة ، والمنشور في مجلة منبر الإسلام ، فإنه رغم احتوائه على ظلة جنوبية وأخرى شمالية ، إلا أنه قصر البلاطات في كل منهما على بلاطتين (١) ، وهو مخالف لعدد البلاطات الشيلاث التي ثبت وجبودها في رواق القبلة (٢) ، بالإضافة إلى أنه جبعل بين الحجرات التي ظهرت بالخطط وبين المسجد طريق ضيق ، وهو مخالف كما ثبت من الحجرات شرعت في المسجد الشريف بعد الزيادة الأخيرة سنة سبع من الهجرة ، هذا فضلا عن قصره الحجرات على حجرتين فقط .

أما المخطط الذي أعده الدكتور حسن الباشا أيضاً في كتاب المدخل إلى الآثار الإسلامية عن عمارة المسجد النبوى في فجر الإسلام شكل (٣٦) فإنه لا يشير إلا إلى تخديد موضع الزيادات من المسجد الشريف دون ذكر عدد الأذرع المضافة في كل زيادة مسواء في المتن أو على الرسم ، إلا أنه يدل بشكل واضح على نسبة الزيادات ، كما أنه تدارك ما فاته في المخطط الأول فجعل بيوت أمهات المؤمنين ملاصقة لجدار المسجد الشرقي ، وأن كان قد قصرها على ثمان حجرات بدلا من تسع .

* * *

⁽١) العدد الثالث ، السنة ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ص ١٣٨ .

⁽٢) انظر أعلاه ص ٥٠ وما قبلها ، وانظر أدناه ص ٦٣ ، ٦٤.

٦ ـ معالم المسجد النبوى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

توفى النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد اتضحت معالم المسجد الشريف المتمثلة فى الروضة المطهرة والمنبر الشريف ، وموضع مصلاه علله ، وأبواب المسجد الثلاثة وحجر أزواجه ، كما سن بعده الزيادة فى المسجد الشريف إن احتاج الأمر إلى ذلك، كما يستفاد من الحديث الشريف « لو مد مسجدى هذا إلى صنعاء لكان مسجدى » (۱).

أما الروضة المطهرة فقد مخددت معالمها بموجب الحديث الشريف و ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، (۲) ، وطولها ۲۲ مترا في عرض ۱۰ مترا(۲) . وعن الطول فمتفق عليه ، وذلك لأن الحديث صرح بأنه ما بين بيته على ومنبره . ولكن الاختلاف أن الحجرة ولكن الاختلاف أن الحجرة الشريفة ، المتفق على أنها المقصودة في الحديث الشريف (٤) ، ليست في موازاة المنبر الشريف ، ولهذا و فليس شيء من البيت في مجاذاة شيء من المنبر ، بل البيت يحاذي الرواقين (البلاطتين) خارج المنبر من أمامه من جهة الشمال والمنبر يحاذي

 ⁽۱) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ۳٦۱ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ص ۹۳ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ۸۱ ، المراغى تحقيق النصرة ، ص ٤٦ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ۲ ص ٤٨١ .

⁽٢) ذكر محمد تاصر الدين الألباني في تخذير الساجد عن اتخاذ القبور مساجد : حاشية ص ١٩٩ أن هذا المحديث قد رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وأنه حديث متواتر ، وأن الصحيح هو بيتي بدلا من قبري كما ترويه بعض الروايات .

⁽٣) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٠ ، إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جــ١ ص ٤٥١ .

⁽٤) أورد ابن الجوزى في الوفا بأحوال المصطفى ، جدا ص ٤٠٤ أربع روايات لهذا الحديث كلها تنص على كلمة بيتى . وفي هذا المعنى يقول محمد ناصر الدين الألباني نقلا عن ابن تيمية أن و هذا هو الثابت الصحيح ، ولكن بعضهم رواه بالمسي فقال (قبرى) وهو محلة حين قال هذا القول لم يكن قد قبر علا ، ولهذا لم يحتج بهذا أسد من الصحاة حينما تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان نصا في محل النزاع ، ولكن دفن في حجرة عائشة في الموضع الذي مات فيه ٤ .

الرواق (البلاط) الذي خارج البيت من جهة القبلة ، وعلى هذا فإن جعلت الروضة ما حاذى كلا منهما وإن لم يحاذ الآخر كانت مربعة لشمولها الرواقات (البلاطات) الثلاثة المذكورة ، وإن جعلت ما حاذاهما مما خرجت عن التربيع وكانت كصورة مثلث قاعدته جدار البيت ، وهو الذي فيه القبر الشريف الآن ، ويتضايق ضلعاه إلى قدر امتداد المنبر وهو خمسة أشبار ، والأول أصح بل الصواب وعليه العلماء والناس ، (۱) . ويزيد ذلك توكيدا ابن الخطيب المدنى فيقول : «والصواب أن نهايتها إلى صف اسطوانة الوفود التي تلى اسطوانة سيدنا على رضى الله عنه » (۲) . ويذكر ابن المحجوب أن اهتمام العلماء بقياس « المسافة التي بين حجرة قبره وموضع منبره يدل على أن مفهومهم من الروضة هي هذه المسافة لا سيما مع تزاحم الناس عليها ورغبتهم في الصلاة والدعاء بها في صدر الإسلام إلى سيما مع تزاحم الناس عليها ورغبتهم في الصلاة والدعاء بها في صدر الإسلام إلى الآن فاتضح بذلك كله أنها هي المراد بالحديث الكريم » (۲).

وأشهر ما يميز الروضة المطهرة اسطواناتها الشريفة شكل (٢٨) التى اكتسبت فضلها وشهرتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . وهي التي مكنتني من معرفة حدود رواق القبلة في عهده علله . وآخر هذه الاسطوانات مما يلى الصحن اسطوانة الوفود التي يقول عنها ابن النجار أنها و خلف اسطوانة على بن أبي طالب التي خلف اسطوانة التوبة . كان النبي يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته » (٤)، وتعرف أيضًا باسطوانة القلادة ، وهو اسم اكتسبته بعد موت الرسول على نظرا لجلوس و سرات الصحابة وأفاضلهم إليها » (٥). ومن الغريب حقا أن ينشأ يعد هذا التحديد الدقيق المجمع عليه بين قدماء مؤرخي المدينة وثقاتهم خلاف في مخديد

⁽١) تاريخ مكة والمدينة ، لمؤلف مجهول ، ورقة ٤٠ ب ، البرزنجي : نزهة الناظرين ، ض ١٥ .

⁽٢) نتيجة الفكر في أخبار مدينة سيد البشر ،. ورقة ١٥٣ ب .

⁽٣) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٥ أ .

⁽٤) الدرة الثمينة ، ص ٩٢ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ ، المراغى : مختقيق النصرة ص ٣٠ ، السهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٤٤٩ .

⁽٥) السمهودي ك نفس المصدر ، جــ ٢ ص ٤٤٩ .

الموقع الصحيح لهاتين الاسطوانتين ، فيكتب الإسمان على الاسطوانتين الموازيتين لهما من الشرق ، انظر شكل (٢٩) ، وذلك في حدود المائة العاشرة زمن السلطان سليم العشماني كما يظن البرزنجي (١) ، الذي حاول اقناع المسئولين عن عمارة الحرم النبوى الشريف في عهد السلطان عبد الجيد سنة ٢٧٧ هـ ، بتحديد الموقع الصحيح لهما . إلا أن رأيه المدعم بالأدلة والبراهين لم يجد قبولا لدى المسئولين عن عمارة الحرم رغم اقتناع الكثيرين من أهل المدينة آنذاك بصحة رأيه (٢) . ولا زنا نرى هذا الخطأ قائما في المسجد النبوى الشريف إلى اليوم .

أما اسطوانة التوبة (٢)، فهى الاسطوانة الثانية عن يمسين حجرة النبى كلف في الصف الأول خلف إمام الروضة ، (٤). وتجمع النصوص على أنها في صف اسطوانة الوفود واسطوانة المحرس في الصف الثاني من الحجرة الشريفة ، ولم يشذ عن ذلك إلا ابن فرحون الذي إعتبرها ملاصقة للشباك (٥)، أي في موضع اسطوانة السرير . وقد أنكر السمهودي ذلك وأثبت صحة موقعها الحالي موضع اسطوانة السرير . وقد أنكر السمهودي ذلك وأثبت صحة موقعها الحالي اعتمادا على تأكيده بنفسه من ذرع ابن زبالة المسافة بينهما وبين مصلى

⁽١) نزهة الناظرين ، ص ٥٦ .

⁽٢) تفس المصدر ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

⁽٣) عن سبب تسمية هذه الاسطوانة باسطوانة التوبة ، انظر المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ ، القرطبى : بهجة النفوس ، ص ٢٤ ، ١٢ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٤٤٦ _ ٤٤٥ _ ٢٧ . أما ما جاء عن الاختلاف في تاريخ التسمية من أنه كان بعد غزوة بنى قريظة وأن نزول الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ الآية ، كان بسبب تورط أبو لبابة في نصح بنى قريظة ، أو كان بسبب تخلفه عن غزوة تبوك ، وأنه نزلت فيه وفي المتخلفين معه الآية ﴿ وَآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ الآية . وقد ذهب البرزنجي في نزهة الناظرين ، ص ٥٥ إلى الجمع بين الروايتين ، وذكر أن أبا لبابة . كان يعمد في كل مرة إلى هذه الاصطوانة ، ولذلك سميت باسمه ، بيد أنى ألاحظ أنه إذا كان بشير بن عبد المنذر المعروف بأبي لبابة قد أذنب في غزوة بن قريظة سنة ٥ هـ . فإنه لا يمكن أن يتجرأ على مخالفة الرسول في غزوة تبوك سنة ٩ هـ مما يضعف الجمع بين التاريخين .

⁽٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩١ .

⁽٥) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٦٣ .

الرسول عليه السلام في مسجده الأول ، والذي بلغ ١٩ ذراعا (١) ، وما بينها وبين جدار القبر الشريف الذي بلغ عشرين ذراع (٢) . وإلى الشرق في محاذاتها تقع اسطوانة السرير «وهي اللاصقة بالشباك اليوم في شرق أسطوانة التوبة وابن فرجون يجعلها أياها» (٢).

أما اسطوانة عائشة رضى الله عنها ، والتي عرفت بأسماء عدة أشهرها القرعة ، والسهمان ، والمخلقة ، والمهاجرون ، فهي كما يقول ابن زبالة فيما يرويه السمهودي ووافقه عليه المطرى و الثالثة من المنبر والثالثة من القبر الشريف وكانت أيضاً الثالثة من رحبة المسجد » (3) ، وهي التي كان يصلى إليها الرسول الفريضة قبل أن يتحول إلى المصلى الشريف ، وبينها وبين المصلى المذكور كما يقول السمهودي تسعة عشر ذراعا ، وهو موافق لما ذرعه ابن زبالة (٥).

أما اسطوانة مصلى رسول الله الله الواقعة اليوم في الجانب الغربي من المحراب النبوى في موضع جدار القبلة في عهد الرسول ، وموضعها الحالى كما يظهر من مخطط المسجد شكل (٢٨) ، يوحى بأنها لم تكن من الاسطوانات التي كان يعتمد عليها سقف المسجد في عهد الرسول . فصف الاسطوانات الذي تقع فيه وما يليه استحدثا بعد هدم جدار القبلة الأول في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولذلك لم يرد أن بها شيئا من الاسطوانات المشهورة . ويذكر ابن النجار أن الجذع الذي كان يخطب إليه الرسول الله كان و في موضع الاسطوانة المخلقة التي عن يمين محراب النبي الله عند الصندوق (٢٠).

ويذكر المطرى أن الجذع كان لاصقا بالجدار القبلى للمسجد ، في موضع كرسي الشمعة اليمني التي توضع عن يمين الإمام المصلى في مقام رسول الله

⁽١) وفاء الوفاء جـــا ص ٣٧٤ .

⁽٢) نفس الممدر ، جــ ٢ مِن ٤٤٦ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جدًا ص ٤٤٧ .

⁽٤) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٧ ، السمهودي : المصدر السابق جـ٢ ص ٤٤١ .

⁽٥) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٤٤٦ .

⁽٦) الدرة الثمينة ، ص ٧٨ .

على (١)، وقصة حنين الجذع معروفة ومشهورة عند المحدثين ، والخبر بها متواتر ، كثير من الصحابة (٢).

أما الاسطوانات التى حجبها المشبك الخارجي الذى أحيط بالحجرة الشريفة في عهد قايتباى سنة ١٨٨٧هـ . فأولها اسطوانة مربعة القبر ، ويقال لها مقام جبريل أيضا (٤)، وهي في حائز الحجرة الشريفة في جانبها الغربي الشمالي بينها وبين اسطوانة الوفود الاسطوانة اللاصقة بالشباك (٥). وكانت هذه الاسطوانة خارج المسجد كما يقول ابن إسحاق الحربي فيما يرويه عن أبي ثوبة عن سليمان بن عبد العزيز ، عن أبيه قال : (مقام جبريل إذا خرجت من باب النبي على الذي يقال له باب عثمان على يمينك بجنب الميزاب إلى الباب » (١).

أما اسطوانة التهجد فهي و وراء بيت فاطمة رضي الله عنها وفيها محراب(V)

⁽١) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٤٨ .

⁽۲) الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٩ ، الاسفرائنى : زيدة الأعمال ، ورقة ١٩٠ ب ، وقد عد منهم الخوارزمى أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ، وعبد اله ين عباس ، وسعد بن سعد ، وأبو سعيد الخدرى ، وبريده ، وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة .

⁽٣) أورد ابن النجار في الدرة الدمينة ، ص ٧٧ ـ ٧٩ عدة أحاديث عن خبر حنين الجذع منها ما رواه بسنده إلى أنس بن مالك و قال : كان رسول الله كل يخطب يوم الجمعة إلى خشبة مسندا ظهره إليها فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبرا فبنوا له عنبرا له عتبتان فلما قام على المنبر يخطب حبت الخشبة إلى رسول الله كل : قال أنس وأنا في المسجد قسمعت الخشبة تحن حنين الواله فما زالت يحن حتى نزل إليها فاحتصنها فسكنت ، وانظر أيضًا ، المطرى : المصدر السابق ، فما زالت يحن حتى نزل إليها فاحتصنها فسكنت ، وانظر أيضًا ، المطرى : المصدر السابق ، مس ٢٩٠ ، والمراغى : يحقيق النصرة ، ص ٢٠ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٢٩٢ ـ

⁽٤) ذكر السمهودى : في نفس المجمدر ، جـ٧ ص ٥٨٠ وما بعدها أن سبب تسمية هذا الموضع بمقام جبريل يعودإلى غزوة بنى قريظة عندما أمر جبريل عليه السلام رسول الله علله بالتوجه إلى بنى قريظة بعد عودته من غزوة الخندق وذلك في السنة الخامسة من الهجرة .

⁽٥) السمهودى : المصدر السابق ، جــ ۲ ص - ٤٥ .

⁽٦) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٧ .

 ⁽٧) ربما يكون هذا المحراب قد أحدث فيها بعد دخولها في المسجد في عمارة الوليد بن عبد الملك
 للمسجد الشريف .

إذا توجه الرجل إليه كان يساره إلى باب عشمان رضى الله عنه » (1). وبجمع الروايات على صلاة النبى إليها بما يفيد بأنها من المسجد ، بيد أنها خارج حدوده في زمنه على ويذهب السمهودي إلى أن هذه الاسطوانة ليست من المسجد ولا من بيت النبى على (٢) ، وإنما موضعها لعله و القبة التي كان يعتكف على فيها في رمضان . فقد روى الطبراني في الكبير عن أبي ليلي قبال : رأيت رسول الله على اعتكف في قبة من خوص ، وفي الكبير والأوسط عن معيقيب قال : و اعتكف رسول الله على في قبة من خوص بابها من حصير والناس في المسجد » (٣) ، ويمضى السمهودي فيذكر أن يحيى أسند عن أبي حازم مولى الأنصار أنه قال : و اعتكف رسول الله على في المسجد في رمضان في قبة على بابها حصير » (٤).

ثم يذكر السمهودى أيضاً عن أبن عمر رضى اله عنهما أنه قال: 3 بنى النبى على بنتا من سعف فى المسجد فى آخر شهر رمضان يصلى فيه ، (*). ومع ذلك يلاحظ أن من الروايات التى يذكرها السمهودى ما يفيد أن 3 القبة ، أو 3 البيت ، من السعف كان داخل المسجد . بيد أن هذا يخالف الحديث الذى نقله السمهودى عن يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله على يخرج حصيرا كل ليلة إذا انكفت الناس (٢) ، فيطرح وراء بيت على ، ثم يصلى صلاة الليل ، فرآه رجل فصلى بصلاته ، ثم أخر فعملى بصلاته ، حتى كثروا ، فالتفت رسول الله على أذا بهم ، فأمر بالحصير فطوى ثم دخل ، فلما أصبح جاءوا فقالوا : يا رسول الله ،

⁽۱) ابن النجار : الدرة الشمسينة ص ۷۷ ، المطرى : الشميريف بما أنست الهنجرة ، ص ۳۰ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ۲ ص ٤٥١ .

⁽٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٥٢ .

٤٥٢ من ٢٥٢ من ٤٥٢ .

 ⁽٥) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٥٢ ، وقد وجدت قول أبى ليلى ١ رأيت رسول ١٤٤ اعتكف في قبة من خوص ٤ في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ ٤ ص ٣٤٨ .

 ⁽٦) يعنى انصرفوا إلى منازلهم لأن الكفت كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٢ ص ٧٨ ،
 هو ٤ صرفك الشىء عن وجهه وانكفت أى رجع راجعاً ٤ .

كنت تصلى الليل فنصلى بصلاتك ، فقال : انى خشيت أن تنزل عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها ، (1) ، وهذه الصلاة غير صلاة الاعتكاف التي كان يقوم بها معه كثير من أمته ، ولا زال يعكف عليها كثير من المسلمين .

أما التعليل لهذا الموقع كما أراه فيما أورده السمهودى في الروايات السابقة وما ذكره ابن سعد من أنه كان لبيت عائشة رضى الله عنها بابان (٢) وأن بيت فاطمة رضى الله عنها كان به (كوة إلى بيت عائشة رضى الله عنها ، فكان رسول الله عنها إلى المخرج (٣) ، أطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم) (١) ، أقول إذا صع ذلك فإن الرسم الذي اقترحه محمد لبيب البتنوني (٥) شكل (٣٧) يتفق والحقيقة أو يقرب منها . وعلى هذا فإن خروج النبي عليه السلام من باب بيته الشامى بعد خروج الناس من المسجد وصلاته في موضع اسطوانة التهجد ، والذي كان قريبا من بيت عائشة رضى الله عنها ، ييسر الأمر على من أراد الاقتداء به ، وإلا لو كان هذا الموضع من بيت النبي لما مجرأ أحد على الدخول إليه والصلاة خلف الرسول بغير إذنه .

⁽١) السمهودي : المصدر السابق جــ ٢ ص ٤٥١ .

⁽۲) ذكر ابن صعد في الطبقات الكبرى جـ ۲ ص ۲۸۹ أن الناس قالوا عندما قبض رسول الله كلف وكيف نصلي عليه ؟ قالوا : أدخلوا من ذا الباب أرسالا أرسالا فصلوا عليه وأخرجوا من الباب الآخر ؟ . قال ابن المحجوب في قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ۲۱ أ ، ب أن أبواب يبوت أمهات المؤمنين و كانت شارعة إلى قضاء العجاج والطرقات فكان لكل بيت بابان باب هو خوخة يخرج منها إلى المسجد وهو شارع في المسجد وباب بخارج حجرة من خيام الشعر وهو شارع إلى الطرقات ؟ ، ونقل السمهودى في وفاء الوفاء ، جـ ۲ ص ۲٥٩ وما بعدها عن ابن زبالة و عن محمد بن هلال قال : أدركت يبوت أزواج النبي كلك كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة من القبلة وفي المشرق والشام ، ليس في غربي المسجد شيء منها ، وكان باب عائشة مواجه الشام ؟ .

⁽٣) الموضع الذي كان يقضى فيه حاجته .

⁽٤) السمهودى : الكصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٦٦ .

⁽٥) الرحلة الحجازية ، ص ٢٥٠ .

أما المحراب النبوى الشريف فلم يكن له وجود في زمنه على (١) ، وإنما كان يعرف مصلاه بعلامات منها اسطوانة عائشة رضى الله عنها ، التي قيل أنه صلى إليها بضعة عشر فرضا ، قبل أن ينتقل إلى مصلاه الشريف (٢) ، الذي يبعد عنها بتسعة عشر فراعا (٣) ، كما مخدد موضعه في مرحلة ثانية ، بموضع الجذع الذي كان يخطب إليه الرسول الكريم قبل صنع المنبر الشريف ، وقد ذكر ابن النجار أنه كان و في موضع الاسطوانة المخلقة التي عن يمين محراب النبي ا (٤) ، كما أن العود الذي أضيف إلى جدار القبلة في أواخر حياة الرسول عليه الصلاة والسلام قد حدد موضع المصلى الشريف بشكل أفضل ، كما يفهم مما ذكره ابن اسحاق بسنده عن سهل بن يعقوب و أن العود الذي كان في المقصورة (٥) جعل لرسول عليه ، وإذا قام من سجوده اعتمد عليه ، وإذا قام من سجوده اعتمد عليه ، وإذا كلم إنسانا لحاجته اعتمد عليه » (١)

⁽۱) يذكر فريد شافعي في العمارة العربية ، ص ٦١١ ، أنه كان و في عهد الرسول الكريم محراب بمسجده في المدينة وفي مسجده بقباء ، وذلك منذ السنة الثانية من الهجرة على الأقل ، والتي نزلت فيها الآية الكريمة بالأمر باتخاذ الكعبة قبلة للصلاة ، وأغلب ظننا أنها (كانت) على هيئة علامة في جدار القبلة تتميز بالبساطة ، وأن هذه الهيئة المبسطة انتقلت إلى طور أو أطوار جديدة في العراق والشام ومصر وأقطار شمال افريقية ، وذكرت نجاة يونس الحاج في ص ٢٠ من المحارب العراقية أن رسول الله تكل اتخذ و الحربة والعنزة والوتد أثناء اقامته للصلاة في الفضاء لكي يحدد بها ايجاه القبلة ، بينما في بيت الصلاة اتخذ المحراب المجوف ، وما ذكراه بخصوص اتخاذ المحراب المجوف ، وما ذكراه بخصوص اتخاذ المحراب المجوف ، وما ذكراه بخصوص

⁽٢) ابن النجار : الدر الثمينة ، ص ٩١ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٤٤٦ .

⁽٤) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

⁽٥) ذكر ابن اسحاق : في كتاب المناسك ، ص ٤٠٣ أن عمر بن عبد العزيز هو الذي نقل العود الذي كان يعتمد عليه الرسول من موضع مصلاه إلى جدار القبلة بجوار المحراب المشماني ، وانظر أيضاً ابن النجار الدرة الشبينة ، ص ٨٩ .

⁽٦) كتاب المناسك ، ص ٤٠٣ وذكر في رواية ثانية عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي الله عنه الله عنه القبلة ثم يلتفت عن يمينه وعن شماله فإذا استوت الصفوف كبر الله عنه وذكر في رواية أخرى ص ٤٠٣ أن هذا العود سرق بعد وفاة الرسول (فلم يجده أبو بكر حتى =

ويدو أن الاسطوانة المخلقة التى ذكرها ابن النجار فى روايته السابقة ، لم يكن لها وجود فى زمنه علله ، وأنها وضعت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد انتقال جدار القبلة عند اضافة البلاطة الواقعة فى مقدم المسجد سنة ١٧هـ ، وأن تخليقها كما يذكر ابن اسحاق الحربى كان بقصد الدلالة على المصلى النبي الشريف (١) . ومهما يكن من أمر فقد تواتر العلم بالموضع الصحيح لمصلى النبي الذى وقد اهتم العلماء بتحديد مكانه ، فقد ذكر السمهودى أنه ذرع ما بين المنبر الذى كان قبل الحريق الثانى والمصلى الشريف فكان طوله أربعة عشر ذراعا وشبراً ثم ذكر أنه موافق لما ذكره ابن زبالة (٢) . ثم ذكر أن من المنبر إلى الحجرة ثلاثة وخمسون ذراعا كما هو عند ابن زبالة (٣) ، ونقل ابن حجر الهيشمى عن أبى فسان صاحب الإمام مالك و أن ما بين الحجرة الشريفة ومقام النبي على ثمانية وثلاثون ذراعا » (٤) .

أما عن الصلاة في الفضاء فقد ذكر الطبرى أن رسول الله كله و خرج في السنة الثانية إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد ، وحملت العنزة له إلى المصلى فصلى إليها ه (٥) ، ويكفى للدلالة على القبلة في مثل هذه المساجد المؤقتة ، أو التي يراد تأسيسها ، وضع مجموعة من الأحجار بجنب بعضها على خط مستقيم وتمييز موضع الإمام بعود أو حربة أو عنزة تنصب وسط هذا الخط .

وفي عهده عليه الصلاة والسلام استقرت أبواب المسجد النبوى على ثلاثة

وجده عمر رضى الله عنه عند رجل من الأنصار قد دفنه بأرض أكلته الأرضة ، فأخذ له عودا فشقه فأدخله فيه ، ثم شعبه ورده في الجدار ... و ويفهم من هذه الرواية أنه بقى بعد موت الرسول الكريم للدلالة على موضع مصلاه الشريف حتى نقله عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة بجوار الحراب العثماني .

المصدر السايق ص ٤٩٦ .

⁽٢) وفاء الوقا ، جــ١ ص ٣٧٤ .

⁽٣) تقس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٣٨ .

⁽٤) مخمَّة الزوار إلى قبر النبي الهتار ، ص ٦٣ .

⁽٥) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١٢٨١ .

أبواب ، هي : الباب الذي فتح في مؤخرة المسجد بعد تخويل القبلة ، وباب عائكة وهو المعروف بباب الرحمة ، والباب الذي كان يدخل منه النبي تكل المسجد ، وهو المعروف بباب آل عثمان أو باب جبريل (١) . وهذه الأبواب (هي فرج لا أغلاق عليها) (٢) . ومع إجماع الروايات المختلفة على ذكر الأبواب الثلاثة التي لا تزال محتفظة بمواضعها إلى اليوم (٣) ، إلا أن ابن حجر الهيشمي يضيف إليها بابين هما: باب على رضى الله عنه ، الذي يقول عنه أنه (كان مكان الشباك الآن الذي تخته أرجل الصحابة (٤) ، رضى الله عنهم) (٥) ، وباب النبي الذي كنان يدخل منه إلى المسجد ، وقد سد عند تجديد الجدار الشرقي (١) . بيد أنه لا يمكن عد هذين البابين من أبواب المسجد التي كان الدخول منها والخروج إلى المسجد مسموحا به لجميع المسلمين ، ولذلك فقد سد باب على رضى الله عنه مع الأبواب التي كانت شارعة في المسجد قبل وفاة الرسول عليه السلام عندما أمر بسدها إلا باب أبي بكر (٧) ، وجاء أنه قال لعمه العباس رضى الله عنه (ما فتحت

⁽١) المطرى : التعرف يما أنست الهجرة ، ص ٣١ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٣٧ .

⁽٢) انظر أدناه ص ١٠٤ الحاشية رقم ١ .

⁽٣) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٨٧ .

⁽٤) يقصد به الشباك الواقع في مشبك الحجرة الشريفة من جانبها الشرقي .

⁽٥) مخفة الزوار ، ص ١٠٦ .

⁽٦) ابن حجر الهيشمى : نفس المصدر ، ص ١٠٦ . وقد كان هذا الباب كما يقول ابن المحجوب فى قرة العين ، ورقة ٦٤ أ أن أبواب بيوت أسهات المؤمنين ، كانت شارعة إلى فظاء المحاج والطرقات، فكان لكل بيت بابان ، باب هو خوخة يخرج منها إلى المسجد وهو شارع فى المسجد وباب شارع إلى الطرقات .

⁽٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله على مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه فى خرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأتنى عليه وقال : ٤ أنه ليس أحد آمن على فى نفسه وماله من أبى بكر ين أبى قحافة، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أقضل ، مدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر . وعد السمهودى فى الوفا ، جـ٢ ص ١٤٥ وما بعدها باب حمزة بن عبد المطلب وباب على والعباس وعمر وعثمان .

عن أمرى ولا سددت عن أمرى ، (١). ولذلك بقى لخوخة (٢) الصديق رضى الله عنه أثر في المسجد إلى زمن السمهودي .

ومهما يكن من أمر هذه الأبواب فقد كان الأمر بسد الأبواب الشوارع في المسجد النبوى الشريف بمثابة عمل معمارى كبير اختتم به الرسول عليه السلام أعماله في مسجده الشريف قبل تسليم روحه الطاهرة إلى خالقها العظيم .

⁽١) ابن معد : الطبقات الكبرى ، جــ ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها .

⁽٢) عرف السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٧١ الخوخة فقال هى طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء ولا يشترط علوها ، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب وهو المقصود هنا ، ولهذا أطلق عليها باب ، وقيل لا يطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق .

٧ـ منبرا الرسول صلى الله عليه وسلم

لقى المنبر الذى اتخذه الرسول عليه السلام فى مسجده بعد الزيادة الأخيرة فى السنة السابعة من الهجرة ، اهتماما كبيرا من قبل بعض المستشرقين الذين ألفوا البحث عن كل عنصر معمارى يستحدثه المسلمون ، للرجوع بأصله إلى غير العرب . وكان هدفهم هذه المرة النيل من أخلاق الرسول وشخصيته ، التى تأكدت عظمتها بالآية الكريمة ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) . ورغم تواضع الرسول الذى تشهد به كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والروايات المختلفة ، إلا أن المستشرق بكر BECKER يؤكد ﴿ أن محمدا لم يتخذ منبرا إلا عندما أصبح رجلا عظيما يستقبل السفارات بصفة مستمرة من جميع الجهات ﴾ (١) . ويذكر كريزويل CRESWELL أن المنبر الشريف ﴿ كانت تنقصه الدلالة الدينية فى الأيام المبكرة من الإسلام ﴾ (١) . بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما أنكر أصله العربى ناسبًا له أصلا حبشيا معتمدا فى ذلك على شوالى SCHWALLY ويذكر ونلدكه (١) ، ومتخذا من ذكر اسم باقوم فى إحدى الروايات (٥) حجة لاثبات ما ذهب إليه (٢) . ويرى الدكتور فريد شافمى أن ﴿ حقيقة بناء الكعبة وصناعة أول منبر

⁽١) سورة القلم ، آية رقم (٤) ، وانظر سورة التوبة آية رقم ١٢٨ .

⁽٢) ، (٣) كريزول : العمارة الإسلامية المبكرة ، جدا القسم الأول ص ١٤ .

⁽٤) انظر كريزول : نفس المرجع ، جــ القسم الأول ص ١٤ .

 ⁽٥) ذكر المراغى فى مختيق النصرة ، ص ٦٤ _ ٦٥ مجموعة من الروايات التى تذكر أسماء مختلفة
 لاسم صانع المنبر وقال فى آخرها و وبقال : إنما عمله باقوم بانى الكعبة لقريش نقله بعض
 شيوخنا ٤ . انظر السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٣٩٦ .

⁽٦) إذا كان ما ذكره الأزرقى في أخبار مكة ، جـ ١ ص ١٥٨ صحيحا بالنسبة لاستعانة قريش بناقوم الرومى في بناء الكعبة ، فإن ما ذكره عن صغر رسول الله كالله الذي بلغ الحلم آتذاك ما ينفى قدرة هذا النجار المزعوم على صنع المنبر للرسول في المدينة . فإنه ولا شك يكون حينذاك في أرذل العمر . أى أتنا لو فرضنا أن عمره عندما أعان قريش كان في حدود الخمسين عاما ، وعمر الرسول عليه السلام خمسة عشر عاما ، وأن رسول الله كالله يستحدث المنبر إلا في السنة السابعة أو الثامنة من الهجرة كما صرح به ابن النجار والمراغى عندما كان عمره كالله مسين =

للرسول الكريم فى المدينة لا تزال غامضة كل الغموض ولا تزال فى حاجة شديدة إلى دراسات وأبحاث أخرى على أسس سليمة ومنطق علمى ثابت (١). كما يحذر من أمثال الروايات التى استعان بها كريزول وغيره والتى يراد بها و إثبات الرأى الذى يقول بنشأة العمارة والفنون العربية الإسلامية بفضل الفنانين من غير المسلمين ومن غير العرب (٢).

ومهما يكن من أمر هذه الروايات فإن صانع المنبر المختلف فيه غير هام بالنسبة لنا وإن ما يعنينا هو الزمان والمكان الذى استحدث فيه هذا العنصر المعمارى الهام فكان لوجوده _ فى السنة السابعة أو الثامنة من الهجرة _ فى المسجد النبوى الشريف أسباب منها :

ا - لم يكن عدد المسلمين في المدينة قبل هاتين السنتين من الكثرة بحيث كانت تستوجب استخدام المنبر ، بل كانت تكفي لإسماعهم خطب الرسول وأقواله مصطبة من اللبن في مقدم المسجد (٣) ، وقيل أنه كان يستند إلى جذع نخل - عندما يخطب الناس (٤) ، فلعله كان يقف على هذه المصطبة مسندا ظهره إلى جذع النخل المذكور في رواية ابن سعد .

٢ _ قلة عمق ظلة المسجد وانخفاض سقفها ، كان يساعد على سماع المسلمين

⁼ عاما ، على اعتبار أن مولده كان ٥٧١م ووفاته ٦٣٢م . فإن عمر باقوم يكون فوق التسعين ، أى أنه عاجز عن إعداد منبر أو إرشاد أحد إلى صنعه . هذا فضلا عن أن من الروايات ما ينفى الاستعانة يباقوم فى بناء الكعبة فقد ذكر الأزرقى فى أخبار مكة ، جـ ١ ص ١٦١ وابن هشام فى السيرة النبوية ، القسم الأول ص ١٩٥ تقسيم بناء جدران الكعبة بين قبائل قريش ومشاركتهم كلهم فى البناء . ثم من كان يبنى لقريش بيوتهم قبل ذلك .

⁽¹⁾ فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٦٢٩ .

⁽٢) نفس المرجع ، ص ٦٣٣ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

⁽٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جــ ١ ص ٢٥٢ .

لصوت النبي ﷺ فلم تكن هناك حاجة إلى منبر يعتليه الرسول (١).

" _ كانت بدانة الرسول كلة وكبر سنه ، مما بدأت علاماته تظهر في غزوة بدر (") من الدوافع الرئيسية لصناعة المنبر ، فقد روى محمد بن سعد بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : « كان رسول الله كلة يخطب يوم الجمعة إلى جدع في المسجد قائما فقال : « أن القيام قد شق على " ، فقال له تميم الدارى (") : «ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام ؟ » (3).

⁽١) ذكر إبراهيم شريف: في خواص المادة والصوت ، جـ١ ص ٢٥٤ أن من العوامل التي تزيد من شدة الصوت عند المستمع ما يلي :

⁻ الخواص الانعكاسية للجدار والأسقف والأرضية وكل العواكس التي يمكن أن تساعد على توزيع العبوت توزيعا منتظما يقدر الإمكان.

⁻ استخدام مكبرات الصوت . فالعواكس المستوية تساعد على زيادة شدة الصوت بينما العواكس المتحنية تسبب بعض المتاعب . ومن المستحسن تواجد عواكس مستوية خلف المتحدث لكى تساعد على انعكاس الصوت صوب المستمعين . ومن العوامل التي تساعد أيضاً على زيادة شدة الصوت عند المستمعين ، الأسقف المنخفضة بشرط تعرج سطوحها حتى يمكن توزيع الصوت توزيعا متظما في القاعة .

⁽۲) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الثاني ص ٨٦ ، السمهودى : المصدر السابق جـ١ ص ٢٩٣ الذى ذكر في ص ٥٣٢ من الجزء الثاني أن رسول الله كاك ١٥ إذا هلك الهالك شهده يصلى عليه حيث يدفن ، فلما ثقل رسول الله كا وبدن نقل إليه المؤمنون موتاهم فصلى بهم رسول الله كا على الجنائز عند بيته ٤ .

⁽٣) يذكر السخاوى في التحقة اللطيفة ، جـ١ ص ٣٨٩ ترجمة تميم الدارى فقال : أنه تميم بن أوس بن خارجة بن سودان بن خديجة أبو رقية اللخمى الدارى الصحابى الشهير ، له مناقب جمة، وأحاديث جملة . روى عنه أنس ، وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ... قال ابن سعد ولم يزل بالمدينة حتى تخول بعد قتل عثمان إلى الشام ، وبها مات سنة أربعين .

⁽٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ ص ٢٥٠ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ص ٧٩ ، وذكر السمهودى في وفاء الوفا جـ٢ ص ٣٩٦ أن ٥ عند أبى داود باسناد جيد أن النبي كله لما بدن قال له تميم الدارى : يا رسول الله ألا تتخذ لك منبرا يحمل ـ أو يجمع ـ عظامك قال ته بلى ، فاتخذ له منبرا مرقاتين : أى غير القعدة ٤ ثم ذكر أن الحافظ ابن حجر قال : ٥ ليس في الروايات التي صمى فيها النجار قوى السند إلا هذا ٥ .

ويسدو أن ذلك قد راق للرسول الله إلا أنه لم يشأ أن يحققه دون مشاورة أصحابه ، وهو ما أشار إليه ابن سعد بعد ما تقدم بقوله و فشاور رسول الله كله المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذه و نظرا لكثرة الناس وحاجتهم إلى رؤيته وسماعه وهو يخطب انظر شكل (٣٨) . ومن هذا يتبين للرسول الله ضرورة اتخاذ المنبر لإبلاغ صوته إلى الجموع المحتشدة داخل المسجد بأبعاده المربعة (١) التي بلغ طول كل ضلع منها مائة ذراع في وقت لم تعرف فيه الوسائل الحديثة لتكبير الصوت كل ضلع منها مائة ذراع في وقت لم تعرف فيه الوسائل الحديثة لتكبير الصوت وقد أصبح استخدامها من الضروريات في الوقت الحاضر في مساجد لا تبلغ ربع مساحة المسجد النبوى الشريف (١). أما وصف هذا المنبر ونوع خشبه فقد قيل أنه مساحة المسجد النبوى الشريف (١). أما وصف هذا المنبر ونوع خشبه فقد قيل أنه

أما الدكتور عبد الرحمن فكرى حسن ، الأستاذ بقسم الفيزياء بكلية التربية بمكة المكرمة . فقد أفادنى بالمعلومات التالية التى أنقلها عنه حرفيا فيما يخص الموضوع الذى نحن بصدده . قال : و من المعروف فى علم الفيزياء أن مساحة سطح الكرة = نق . نق = نق ٢ ط . أى أن : الطاقة الكلية العسادرة من المتكلسم في مساحة سطح كرة أكبر (نق كبير) مساحة سطح كرة أكبر (نق كبير)

وبما أن الكمية التى فى البسط واحدة إذن النتائج لكل وحدة مساحات يكون أصغر كلما كبرنا المساحة . أى كلما كبرنا من الكرة الحيطة بالمتكلم . أى كلما بعدنا عن الخطيب . إذن لو وضعنا حاجزا ماديا بين المستمع رقم ١٠٠ والخطيب لساعدنا على عدم وصول تلك الطاقة الصوتية الضعيفة نسبيا عن تلك التى تصل إلى المستمع رقم ١ ويتمثل هذا الحاجز فى الصفوف الأمامية . ولكى نساعد على تقليل امتصاص هذا الصوت من أجسامهم بنجمل الخطيب مرتفع بمض الشيء عن مستوى رؤوس هؤلاء المنصتين ، وهذا هو السبب الطبيعي (أى الفيزياتي) لاستخدام كرمى أو منبر أو عتبة . لوقوف الخطيب أو المحاضر عليها وهناك بجانب هذا السبب الأسامى أسباب أخرى بعضها يتمثل فى التأثير النفساني على المنصتين ، بمعنى أن قوة تأثير الخطيب على المستمع تكون أكبر عند رؤيته له ٤ . شكل (٣٨) .

⁽١) يبدو أن صحن المسجد كان يستخدم للصلاة لا سيما يوم الجمعة التي كان يخطب فيها الرسول عليه السلام باستمرار .

⁽٢) قال إبراهيم شريف في خواص المادة والصوت ، ص ٢٤١ وما بعدها أنه عندما يصدر الصوت من مصدر صوتى في القاعة فإن موجة مباشرة تصل إلى المستمع في خط مستقيم وتصله تباعا موجات عديدة أخرى لنفس الصوت عن طريق انعكاسات متكررة في الحوائط والأسقف . ويصل عدد هذه الانعكاسات في بعض الأحوال إلى حوالي مائتين قبل أن تصل إلى المستمع ٤ . ثم عدد العوامل التي يخكم زمن الانعكاسات فذكر منها :

١ - الخواص الانعكاسية لجدران وأرضية وسقف القاعة . ٢ - معامل امتصاص السطوح الموجودة في القاعة مثل السجاد والمفروشات . ٣ - شدة الصوت قبل توقفه مباشرة . ٤ - تردد الصوت . ٥ - أبعاد القاعة .

من خشب الطرفاء ، وقيل أن الطرفاء هي العرعر (١) ، وقيل من خشب الأثل على الصحيح في عشرة أقوال (٢) . والأثل هو الصحيح لوجوده بكشرة في المدينة ونواحيها ، أما العرعر فلا ينمو إلا في المناطق الباردة والعالية كالطائف وعموم جبال السراة . ولا يمكن أن يقال أن خشبه من غير المدينة ، لأن الفكرة نفذت فور اقتناع الرسول بجدواها كما تدل عليه عموم الروايات التي تذكر صناعة المنبر ومنها ما ذكره ابن النجار عن أبي الزناد و أنه عليه السلام كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد فقال : و أن القيام قد شق على و وشكا صعفا في رجليه » . فقال له تميم الدارى وكان من أهل فلسطين : يا رسول الله أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام . قال : فلما أجمع ذو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب : أن لي غلاما يقال له كلاب أعمل الناس فقال له النبي العباس بن عبد المطلب : أن لي غلاما يقال له كلاب أعمل الناس فقال له النبي جاء بالمنبر فوضعه في موضع المنبر اليوم ثم راح إليه رسول الله على يوم الجمعة فلما جاء الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات ... و (٤)

وعلى أى حال فقد كان هذا المنبر يتألف من درجتين ومجلس ، أى ثلاث درجات كما شاهدها الهروى (٥). وكان طوله كما يقول ابن النجار و ذراعين وشبر وثلاث أصابع وعرضه ذراع راجع وطول صدره(٦) وهو مستند النبى صلى

⁽۱) الهروى: كتاب الأشارات إلى معرفة الزيارات، ص ۹۰، وقد ذكر فى حاشية ص ۱۳۰ من إحدى نسخة المخطوطة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود المركزية بالرياض برقم ۹۵۷ تاريخ وأن الأثل شجر معروف بمصر ويعرف فيها الآن باسم العبل ولا يزال أهل المدينة إلى يومنا هذا يستعملون الأثل ويسمونه أيضا الطرفاء ويسقفون به يبوتهم » .

⁽٢) تاريخ مكة والمدينة ، لمؤلف مجهول . ورقة ٣٩ ب .

 ⁽٣) قال ياقوت الحصوى في معجم البلدان ، جـ٤ ص ١٨٢ و أن الغابة موضع قرية بالمدينة من
 ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة من طرفائه صنع منبر النبي عليه السلام ، وهو على بريد
 منها » .

⁽٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٧٩ - ٨٠ .

⁽٥) كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص ٩٠.

⁽٦) أي الموضع الذي يسند إليه الرسول ظهره الشريف.

الله عليه وسلم إذا جلس يخطب شير وأصبعان ۽ (١).

ويمكن تصور صورة أوضع لحال المنبر الأول من خلال الحديث الشريف «قوائم منبرى رواتب في الجنة» (٢). ويذكر ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط أنه قال : ٥ رأيت ناسا من أصحاب النبي علله ، إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون » (٣). وطول هاتين الرمانتين كما في رواية ابن النجار المتقدمة شبر واصبعان . وبهذا الأثر النبوى الموثوق به (٤) ، بدأ فن المنابر الإسلامية أولى إنجازاته في المدينة المنورة في ظل المقيدة الجديدة ، ثم أكمل نموه في البلاد الإسلامية التي تنعم بوفرة المواد اللازمة العقيدة الجديدة ، ثم أكمل نموه في البلاد الإسلامية التي تنعم بوفرة المواد اللازمة العقيدة الجديدة ، ثم أكمل نموه في البلاد الإسلامية التي تنعم بوفرة المواد اللازمة العقيدة الجديدة ، ثم أكمل نموه في البلاد الإسلامية التي تنعم بوفرة المواد اللازمة النفرة المواد اللازمة المقاد خصائص وعميزات هذا الفن الناشئ .

* * *

⁽١) الدرة الثمينة ، ص ٨٢ .

⁽٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جــ١ ص ٢٥٣ ، ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

⁽٣) ابن سعد : المصدر السابق ، جدا ص ٢٥٣ .

⁽٤) سوفاجيه : المسجد الأموى في المدينة ، ص ٨٦ .

المبحث الثانى عمارة المسجد النبوى في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الثانى عمارة المسجد النبوى فى عهد الخلفاء الواشدين

أ ـ زيادة عمر بن الخطاب في المسجد النبوي سنة ١٧هـ :

بقى المسجد النبوى الشريف على ما كان عليه فى حياة الرسول كل طوال حياة أبى بكر الذى لم يتمكن من توسعة المسجد نظرا لانشغاله أول الأمر بأمر السقيفة التى قال عنها عمر أنها و فتنة وقى الله شرها و (١). ثم ما تلاها من حروب ضد المرتدين من العرب والحرص على تجهيز الجيش الذى أحده الرسول بقيادة أسامة بن زيد وبعثه إلى أرض الروم . كل هذا مع قصر مدة خلافة الصديق بما حال دون القيام بتوسعة المسجد النبوى الشريف (٢) ، أو القيام بأى عمل معمارى فيه (٦) . القيام بتوسعة المسجد النبوى الشريف (١٣ - ٢٣هـ) ، وبالتحديد فى سنة ١٧هـ (٤) ، أحس عمر رضى الله عنه بضيق المسجد بالمصلين ومفاتحة بعضهم له بأمر التوسعة أحس عمر رضى الله عنه بضيق المسجد بالمصلين ومفاتحة بعضهم له بأمر التوسعة أحس عمر رضى الله عنه بضيق المسجد بالمصلين ومفاتحة بعضهم له بأمر التوسعة كما فى رواية يحيى عن ابن عمر رضى الله عنهما و أن الناس كثروا فى عهد

⁽١) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ص ٦٥٨ ، تاريخ اليعقوبي جــ٢ ص ١٥٨ .

⁽٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٥ .

⁽٣) ذكر السمهودى في وفاء الوفا جـ٢ ص ٤٨١ نقلا عن أبي داود ٥ أن مواريه تخرت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع النخل ٥ . والسمهودى لا يستبعد قيام الصديق بهذا العمل ٥ إذ أن المنفى كما يقول هو الزيادة ٥ . ونظرا إلى قصر المدة التي مكنتها هذه الجذوع في المسجد من أقامها الرسول عليه السلام منة لاهم إلى نهاية خلافة الصديق منة ٣١هم . وهي منة أعوام وإلى ما عرف عن النخل من قوة مخمل لفترة أطول من هذه ، كما حدث في عمارة عمر للمسجد التي بدأت منة ١٧هم . وبقيت حتى وسع عثمان المسجد منة ٢٩هم أي ١٧ عاما ، فإنه يترتب على ذلك إحتمالان يجب التسليم بأحدهما : الأول استبعاد قبام الصديق بتغيير جذرع النخل في المسجد ، وثانيهما : التسليم بالروايات التي ذكرت استخدام عمر لأعمدة اللبن محل جذرع النخل في المسجد ، وثانيهما : التسليم بالروايات التي ذكرت استخدام عمر لأعمدة اللبن عمر رضى الله عنه زاد في المسجد ، وبناه على بنائه في عهد رسول الله كله باللبن والجريد وأعاد عمد خشبا ١ .

⁽٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ص ٨٧ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٤٨١ .

عمر ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين لو وسعت في المسجد ، فقال عمر : لولا أني سمعت رسول الله على يقلول : ﴿ أنسى أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا ، ما زدت فيه)(١).

واحساس عمر رضى الله عنه بحاجة المسجد إلى التوسعة في هذه الفترة بالذات، أمر يتفق مع ازدياد عدد المسلمين الوافدين إلى المدينة نتيجة الفتوحات الإسلامية التي شهدتها تلك الفترة من تاريخ عمر رضى الله عنه . وعلى أية حال فقد وجد عمر في زيادة الرسول عليه السلام في مسجده سنة سبع من الهجرة أمرا يستند إليه في جواز التوسعة في هذا المسجد مستشهدا بما سمعه من أحاديث شريفة فيها الإذن بالتوسعة في المسجد عند الحاجة (٢)

وكان لا بد له من تخديد موضع الزيادة التي ينوى إدخالها في المسجد ، واضعا في اعتباره أمرين مهمين :

١ ـ أنه لا يمكن التعرض لحجرات أمهات المؤمنين الباقيات على قيد الحياة والتي

⁽۱) السمهودى : نفس المصدر جـ ۲ ص ٤٨٢ ، وانظر ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص الله عنه المعرفة ، ص ١٠٠ . المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٤٥ .

⁽٢) ورد في جواز الزيادة في المسجد النبوى أحاديث عدة منها ما ذكره ابن اسحاق في كتاب المناسك ص ٢٦١ أن عمر قال : ٥ لو زدنا فيه حتى الجبانة لكان مسجد رسول الله ﷺ ومنها أيضاً ما ذكره السمهودى في الوفا ، جـ٢ ص ٤٩٦ عن ابن شبة ، ويحيى عن أبي عمرة ، وزاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه في المسجد من شامية ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله ﷺ . ولهما عن ابن أبي ذئب : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو مد مسجد رسول الله ﷺ إلى ذى الحليفة لكان منه ، ولهما عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا ٥ مسجد رسول الله ﷺ إلى ذى الحليفة لكان مسجدى ٤ .

كما يذكر المراغى في تحقيق النصرة ، ص ٤٦ أن عمر قال عندما فرغ من زيادته : ٥ لو انتهى بناؤه إلى الجانة لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ .

يرقد في إحداها جثمان الرسول الله وصاحبه الصديق رضى الله عنه . وقد أوضح عمر ذلك للعباس رضى الله عنهما ، كما في رواية لابن سعد (١) . . .

٢ ـ ما روى عن رسول الله ﷺ من حبه للزيادة في قبلة المسجد ، فقد روى ابن النجار بسنده عن مسلم بن خباب أن النبي قال يوما وهو في مصلاه : لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة ، (٢).

وفى رواية يحيى بن الحسين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : أن عمر رضى الله عنه قال : أن عمر رضى الله عنه قال : (أنى أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا) ما زدت فيه ﴾ (٢).

وعلى هذا فإن الرواية التى يرويها ابن النجار ومن تبعه من مؤرخى المدينة ، أن عمر عندما أراد الزيادة و أجلسوا رجلا فى المصلى ثم رفعوا يده وخفضوها ، ثم جىء بمقط (٤) فوضعوا طرفه بيد الرجل ثم مدوه ، فلم يزالوا يقدمونه ، ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه بما أشار به النبى كله و (٥) ، إنما تدل فى نظرى على محاولة عمر رضى الله عنه التوفيق بين الزيادة فى المسجد ومراعاة الأحاديث الدالة على رغبة الرسول الكريم فى زيادة قبلة مسجده . وهو ما يعنيه أيضاً ابن المحجوب بقوله و فتحرى عمر رضى الله عنه إشارة المصطفى بيده الكريمة و (٢). فلو اقتصر عمر فى الزيادة على ظلة القبلة لما مخقق الغرض الذى توخاه من الزيادة ، وهو توسعة المسجد ، هذا بالإضافة إلى أن ظلة القبلة ستصبح عميقة بحيث يبتعد فيها جدار القبلة عن موضع مصلى النبى كله والمنبر الشريف وعن الروضة المطهرة ، ولا المذلك استخدم المقط فى تحديد مواضع الزيادة .

⁽١) انظر أعلاه من ٨٤ .

⁽٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩٣ . السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٨٢ .

⁽T) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٨٢ .

⁽٤) انظر تعريف المقط أعلاه ص ٤٩ .

⁽٥) المراغي : تحقيق النصرة ، ص ٤٦ ، السمهودي : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٤٨٢ .

⁽٦) قرة العبن في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ ب .

وهذا العمل أشبه ما يكون باعداد مخطط لزيادة المسجد ، قدرت فيه الدور التى ستدخل فى توسعة المسجد تمهيدا لشرائها كما فى رواية ابن سعد التى ذكرت أنه لا كثر المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه ، وضاق بهم المسجد فاشترى عمر ماحول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين ، فقال عمر للعباس : يا أبا الفضل إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم وقد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين فى مسجدهم إلا دارك وحجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك فبعنيها بما شعت من بيت مال المسلمين أوسع بها فى مسجدهم ، (۱).

وعلى أية حال فإن رغبة عمر في إدخال هذه الدور في المسجد لم تتحقق دون معارضة أصحابها (٢)، ومنهم العباس بن عبد لمطلب الذي لم يقنعه إلا أبي بن كعب(٢) الذي يقول عنه عمر رضى الله عنه أنه سيد المسلمين(٤) ويبدو أن وقتا طويلا قد استغرق في الإعداد لهذه الزيادة ، فيما بين نزع ملكية الدور وهدمها ، وإعداد اللبن وجذوع النخل ، وتقريب الأحجار اللازمة لتأسيس الجدران الجديدة ، التي قبل أن عمر رضى الله عنه بني أساسها (بالحجارة إلى أن بلغ قامة) (٥).

⁽١) الطبقات الكبرى ، جـــ ص ٢٦ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٤٨٦ .

 ⁽۲) ذكر الأزرقى فى أخبار مكة ، جــ ۳ ص ۹۹ أنه حدث لعمر مثل هذه المعارضة عندما أراد توسعة المسجد الحرام سنة ۱۷هـ .

⁽٣) إبن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٢ .

⁽٤) عدد السخاوى في التحقة اللطيفة ، جـ١ ص ١٥٧ ، فضائل أبي بن كعب بن قيس الخزرجي المدنى ، ومن خصائصه أن الله تعالى ذكره في الملاً الأعلى وأمر نبيه على أن يقرئه القرآن . فقال له : 3 أن الله أمرنى أن أقرئك القرآن فبكى ٤ . وسأله النبي على ٤ أي آية في القرآن أعظم ؟ قال: آية الكرمى فقال : ليهنك العلم أبا المنذر ٤ . وكان يكتب الوحى لرسول الله على في حياته ، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهده تلك في حياته . ولجلالته فإن عمر لما أراد أن يأخذ من العباس رضى الله عنهما دارا له بالثمن ليدخلها في المسجد النبوى وامتنع ، حاكمه عمر وهو خليفة إلى أبي راشد ، فوعظ العباس ، فطابت نفسه ، وبذلها لله ووصفه عمر بسيد المسلمين ٤ .

 ⁽٥) انظر ما نقله السمهودى عن يحيى ورزين في الوفاء ، جـ ٢ ص ٤٩٥ ، وانظر المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ .

ومن الطبيعي أن يؤخذ بنصيحته المعمارية التي قال فيها و عرضوا المداميك وقاربوا ما بين الخشب وفي بناء المسجد الشريف كما نقل السمهودي عن البخاري تعليقا عن أبي معيد الذي قال : و أمر عمر ببناء المسجد ، وقال : أكن الناس من المطر ، وإياك أن مخمر أو تصفر فتفتن الناس و (۱). وبعد ذلك أكمل البناء باللبن المضروب في البقيع (۱) إلى أن بلغ به السقف الذي قيل أن ما بينه وبين الأرض أحد عشر ذراعاً (۱) ، وهو ارتفاع متناسب مع عمق الظلة وطولها (۱) ، فقد أصبح بها بعد هذه الزيادة أربع بلاطات واثني عشر بائكة ، أي أن زيادة عمر في القبلة كانت عشرة أذرع أو اسطوانة وفي الغرب عشرين ذراعاً (۱) ، أو اسطوانتين وفي الشمال ثلاثين ذراعا أو ثلاث اسطوانات (۱) . وقد حدد السمهودي هذه الزيادة ، مخالفا المطرى والمراغي في حدود المسجد من جهة الغرب إذ يقول : و فيكون نهاية المسجد في زمنه من تلك الجهة الاسطوانة السابعة من غربي المنبر ، ومن المشرق الحجرة الشريفة ، لأنه لم يزد في تلك الجهة شيعا ، ومن القبلة صف الأساطين التي تلي القبلة .. و(۱) انظر شكل (۳۹) .

⁽١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب بنيان المسجد رقم ٦٢ ، جـ١ ص ٨٩ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٤٩٦ . ويقصد بقوله لا تحمر أو تصفر أى لا تجمل فيه ألوانا من الطلاء فتشغل الناس بالنظر إليه عن الخشوع الواجب للصلاة .

⁽٢) انظر ما نقله السمهودي عن يحيي في المصدر السابق ، جــ ٣ ص ٤٩٥ .

⁽٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص ٨٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٨٠ .

⁽٤) إذا حولنا هذه الأذرع إلى أمتار على اعتبار أن الذراع ٥٠/٣ سم × ١١ ذراع كما هو ذراع اليد عند فالترهنتس . في المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩١ لبلغ ارتفاع السقف ٥/٥٣م وهو قريب من الذراع الشرعية التي يقدرها هنتس ٤٩/٨٧٥ × ١١ = ١٤٨٥م .

⁽٥) لاحظ السمهودى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٥٠٦ وجود تربيع فى أسفل الاسطوانة السابعة من المنبر وأنه زال بعد الحريق سنة ٨٨٦هـ ، ويعتقد أن ذلك التربيع الذى أدركه هو حد زيادة عمر رضى الله عنه من المغرب .

 ⁽٦) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩٤ ، ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ٥ ص ٨٧ ، المطرى:
 المصدر السابق ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٧ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٦ .

⁽٧) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٩٣ .

وهذا الارتفاع الذى تطلبته التوسعة اقتضى بطبيعة الحال تغيير الأسطوانات القديمة كلها والتي كان ارتفاعها كما عرفنا في آخر عمارة للمسجد الشريف في عهد النبي على سبعة أذرع (١). وما من شك في أن عمر رضى الله حرص على إعادة الاسطوانات الجديدة في مواضع الاسطوانات القديمة ، التي كانت على خلاف ما قاله ابن زبالة من جذوع النخل أيضًا (٢). ويتناسب طولها مع ارتفاع السقف الذي بلغ ١١ ذراعا أي حوالي خمسة أمتار (٢) وهو ارتفاع لا يمكن أن تبلغه أعمدة اللبن وأكتافه إلا إذا زيد في عرضها بأكثر من ذراع في ذراع ، أي أن مساحة كبيرة من المسجد قد تحتلها هذه الأعمدة العريضة نسبيا .

وما تؤكده الروايات من أن عمر بدأ بالزيادة في مقدمة المسجد⁽²⁾ أمر يتفق مع حرصه على يخرى الدقة في رسم موضع جدار القبلة الجديد ، كما أنه عنى بإعادة الظلة الشمالية نظرا لاهتمامه بفتح باب النساء في مؤخر الجدار الشرقي مما يلى هذه الظلة ، فقد نقل السمهودي عن أبي داود ما يفيد أن عمر خصص هذا الباب للنساء ، ونقل أيضًا عن ابن زبالة ويحيى عن طريقه عن ابن عمر حتى لقى عمر حين بني المسجد يقول : هذا باب النساء فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى الله ، وكان لا يمر بين أيدى النساء وهن يصلين (٥). كما ذكر السمهودي أيضًا أنه ﴿ يؤخذ من كلام ابن زبالة ويحيى تسمية السقف الشامى ، بسقائف

⁽١) السمهودي : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٣٦ .

⁽٢) ذكر السمهودى: في نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٨١ أن الذى في صحيح البخارى وسنن أبى داود و أن عمر رضى الله عنه زاد في المسجد وبناه على بناته في عهد رسول الله كله باللبن والجريد . وأعاد عمده خشبا وهذا مخالف لما في رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لبن والمعول عليه رواية الصحيح ٤ . كما أورد كل من القرطبي في بهجة النفوس والأسرار ص ١٢٧ م ابن حجر الهيثمي : محمة الزوار ص ٨٩ رواية بناء عمر لإسطوانات اللبن .

⁽٣) ذكر فالترهنتس ، في كتاب المكاييل والموازين الإسلامية ص ٩١ أن ذراع اليد ٥٠/٣ سم .

⁽٤) ابن المحجوب: قرة العين في أوصاف الحرمين، ورقة ٦٥ ب. وأشار إلى تقديم عمر لجدار القبلة دون أن يصرح بذلك كل من ابن اسحاق في كتاب المناسك، ص ٣٦١، ابن رستة في الأعلاق النفيسة ص ٦٧، والسمهودي وفاء الوفا، جــ ٢ ص ٤٨١ وما بعدها.

⁽٥) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٧٢ .

النساء» (۱). غير أنه لم يترفر لى معلومات كافية عن عدد بلاطاتها أو بوائكها أو ارتفاعها كان ارتفاعها . إلا أن الغالب على ظنى أن بعد الاسطوانات عن بعضها وارتفاعها كان متساويا في جميع أنحاء المسجد ، كما أن عمقها يمكن أن يكون كعمق ظلة القبلة ، أو قريبا منه ، لأنه لم يكن في المسجد سوى ظلتين ، ولما ثبت أنه كان بجدارها الشمالي بابان هذا بالإضافة إلى أن باب الرحمة وباب النساء كانا في طرفيها الشرقي والغربي . انظر شكل (٣٩)

وبقى المسجد بعد زيادة عمر على ما كان عليه فى عهد الرسول بظلتين إحداهما جنوبية والأخرى شمالية . ولم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها ما يشير إلى أنه أحدث للمسجد ظلات جانبية . ويدل ضيق المسجد قبل التوسعة ، وطريقة توزيع الأبواب التى استحدثها عمر فى المسجد ، وهى باب السلام ، وباب النساء ، وباب فى مؤخر المسجد مع الإبقاء على الباب الذى كان فيه فى عهد الرسول ، وكذلك باب الرحمة ، وباب آل عثمان المعروف بباب جبريل ، الذى لم يتغير عن موضعه فى هذه العمارة على كثرة المصلين وعجز ظلتى المسجد عن استيعابهم خاصة فى الأوقات الحارة وأيام المواسم الأمر الذى أوجب فتح هذه الأبواب الستة (٢) . وإذا كانت الظلتان الجانبيتان لم تنشأ فى عهد عمر أو عثمان كما زعم فريد شافعى فى المخطط شكل (٤٠) (٢) ، فإن الحاجة إليهما بدأت من ذلك الوقت ، الذى بدأت فيه العناصر المعمارية الجديدة تظهر فى المسجد تباعا ذلك الوقت ، الذى بنيت فوق سطح المسجد ، والتى يقول عنها السمهودى نقلا عن رؤين (٤٠) أنها ذراعان أو ثلاقة (٥) .

⁽١) السمهودي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٩٢ .

 ⁽۲) عن هذه الأبواب الستة ومواقعها انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جــ ص ۸۷ ، المطرى:
 التعريف بما أنست الهجرة ، ص ۸۰ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ۱۲۷ ، المراغى :
 محقيق النصرة ص ٤٦ ، السمهودى : وفاء الموفا جــ ۲ ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٦٨٦ .

⁽٣) العمارة العربية ، ص ٦٧ وما بعدها .

 ⁽٤) هو رزين بن معاوية العبدرى الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٥هـ صاحب كتاب أخبار المدينة . انظر :
 ترجمته عند السخاوى : التحفة اللطيفة جـ٢ ص ٦٢ ، وما بعدها .

⁽٥) وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٤٩٥ .

ویذکر ابن النجار أن سقف المسجد فی عهد عمر کان من جرید قدره دراعان وبنی فوق ظهر المسجد سترة ثلاثة أذرع و (۱) ، وتبعه فی ذلك المطری والمراغی (۲) . بید أن السمهودی یعتقد أن ما ذکره یحیی فی هذا الخصوص خطأ إذ یقول : « وقال یحیی فی روایته المتقدمة (۳) وجعل أساطینه من جذوع نخل وسقفه بالجرید ذراعین فوق المسجد سترة حائطه ثلاثة أذرع ، وعبر این النجار عن ذلك بقوله : وسقفه جرید ذراعان وبنی فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع ، انتهی . والذی یظهر أن فی عبارة یحیی خللا ، وتبعه علیه ابن النجار ، وأن المراد ما ذکره رزین فی هذه الروایة بعینها فإنه قال فیها : وجعل عمر سترة المسجد فوقه ذراعین أو ثلاثة . فكأن لفظ « أو » سقط قبل قبوله ثلاثة أذرع » (۱) . ویلاحظ أن سترة المسجد النبوی حدث معماری یظهر لأول مرة فی عمارة عمر بن الخطاب رضی الله عنه للمسجد النبوی (۵) .

وإذا كان عمر رضى الله عنه قد استكمل بناء المسجد ببناء تلك السترة فيبدو أنه قد استشعر بعض انكار من بعض المنكرين عليه فقال : 3 لو انتهى بناء هذا المسجد إلى الجبانة لكان مسجد رسول الله على ، (٦). وبعد أن أتم عمر رضى الله عنه بناء المسجد الشريف بدأ يتشاور مع كبار الصحابة حول الفرش الصالح للمسجد

⁽١) الدرة الثمينة ، ص ٩٤ .

⁽٢) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، وتخفيق النصرة ، ص ٤٦ .

⁽٣) هى رواية نقلها عن يحيى قبل هذا النقل فى ص ٤٨٨ فى الجزء الثانى من الوفاء ذكر فيها قصة عمر مع العباس بن عبد المطلب فى إيتباع الذار المجاورة للمسجد وشروعه فى بناء المسجد بعد ذلك .

⁽٤) وقاء الوفا ، جــ ٢ ص ٤٩٥ .

⁽٥) كان لابد لسطح المسجد من مدخل يؤدى إليه لتسقيفه وبناء السترة المذكورة . ولا يعرف شيئا عن موضع هذا الدرج في عهد عمر بن الخطاب بيد أن ابن عبد ربه ذكر في العقد الفريد ، جـ٧ ص ٢٥٣ عند حديثه عن المقصورة التي شاهدها في القرن الرابع الهجرى و أنها مختل البلاط الأول الممتد من باب السلام إلى دار آل عمر ، أن منها يصعد إلى مطح المسجد و وبذلك يبدو أن الصعود إلى سطح المسجد النبوى كان قريبا من هذا الموضع .

⁽٦) ابن المحجوب : قرة العينَ في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ أ .

الشريف ، فقد روى و يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال : قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله تله ، ما ندرى ما نفرش فى مسجدنا، فقيل له : افرش الخصف والحصر (١). قال : هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول الله تله يقول : و العقيق واد مبارك ، (٢).

ويبدو أن سبب فرش المسجد الشريف بالحصباء (٢) المذكورة في رواية ابن سعد التالية ، التي نقلها عنه المطرى هو أن و الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم من التراب فجيء بالحصباء من العقيق (٤) من هذه العرصة (٥) فبسط في المسجد (٦).

ولا ينافى ذلك ما ذكره المطرى عن ابن الأثير فى جامع الأصول عن أبى الوليد قال : ا سألت ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن الحصباء التى كانت فى المسجد فقال : أنا مطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة فجعل الرجل يجىء بالحصباء فى ثوبه فبسطه مخته فلما قضى رسول الله على صلاته قال : ما أجمل هذا ﴾ (٧). ويدو أن هذا الرمل قد قل عما كان عليه فى عهد الرسول على كما أن تأثره بالعمارة التى أجراها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى

⁽١) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ٤ ص ١٩٥ ه أن الحصير وجه الأرض والجمع أحصرة وحصر والحصير سقيفة تصنع من يردى وآسل ثم تفرش ، سمى بذلك لأنه يلى وجه الأرض وقيل الحصير المنسوج سمى حصيرا لأنه حصرت طاقته بعضها مع بعض .

⁽٢) السمهودي : وقاء الوقا ، جــ ٢ ص ٦٥٦ .

⁽٣) ذكر ابن منظور في المصدر السابق جدا ص ٨١٩ أن الحصباء هي الحصى الصغار وقيل هي صغارها وكبارها .

⁽٤) قال الفيروزبادى في الجزء المطبوع من المغانم المطابة ، ص ٢٦٦ أن العقيق هو واد عظيم ، عليه أموال المدينة وهو على ثلاثة أميال من المدينة وميلين أو ستة ، أو سبعة .

⁽٥) قال الفيروزبادى في المصدر السابق ، ص ٢٥٢ أن العرصتان بعقيق المدينة ، من أفضل بقاع المدينة ، .

⁽٦) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٦٢ .

 ⁽٧) التعريف بما أتست الهجرة ، ص ٦٢ .

المسجد النبوى قد حتم على المسئولين عن العمارة المذكورة استبداله بحصباء واد العقيق التي يقول عنها المطرى أنها مخمل من العرصة التي تسيل من الجما الشمالية (۱) إلى الوادى فيحمل منه وليس بالوادى رمل أحمر غير ما يسيل من الجبل) (۲).

وقد حصب أيضا الجزء الذى خصصه عمر لمن أراد أن يقول شعرا أو يتحدث في غير ما بنى المسجد له . وكانت هذه البطيحاء كما يقول السمهودى نقلا عن ابن شبه « في جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره زمن عمر رضى الله عنه » (٣) وزاد على ذلك أن تلك البطيحاء دخلت « في المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضى الله عنه (٤) وبفرش المسجد الشريف تكون عمارة المسجد النبوى قد اكتملت بعد أن روعى فيها الاحتفاظ بمعالم المسجد الشهيرة في عهد الرسول كا كالمنبر وموضع المصلى الشريف وحدود الروصة ومواضع الأبواب . إلا أن هناك أمرا انفرد به أحد مؤرخي المدينة المعاصرين دون أن يشير إلى سنده فيما ذكره من إنشاء عمر رضى الله عنه « للبئر المشهورة بيثر زمزم في وسط الحصوة »(٥)(١).

وإذا صع هذا فإن البئر التي كان حولها النخلات المعروفة ببستان فاطمة خارجة عن حدود المسجد الشمالية آنذاك ، وإنما توسطت الحصوة بعد الزيادات التالية للمسجد الشريف من هذه الناحية . وربما تكون البئر التي ذكرها أبو عبيد

⁽١) ذكر الفيروزبادى في المغانم المطابة ، ص ٩٠ أن الجماء جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق ، إلى الجرف . ولذلك يبدو أن • الجما ، هي الجماء .

⁽٢) المصدر السابق ، ص ٦٢ ، وزاد السمهودى في وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٥٦ ، أنه رمل أحـمر يغربل ثم يقرش في المسجد ، .

⁽٣) نفس المصدر جـ٢ ص ٤٩٨.

⁽٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٩٨ .

 ⁽٥) ذكر دوزى فى المعجم المضاف على القواميس العربية ، جـ١ ص ٢٩٧ ، أنها صحن المسجد
 ويبدو أنها اكتسبت هذا الاسم من الحصا التي توضع فى الصحن .

⁽٦) أحمد ياسين الخيارى : تاريخ مساجد المدينة المنورة ص ٥ .

البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ حين قال : ومما يلى مؤخر المسجد حائط فيه نخل كثير ، وهو الحائط الذي كان لأبي طلحة الأنصاري المعروف ببيرحا ، (١).

* * *

⁽۱) أبو عبيد البكرى : جزيرة العرب (من كتاب المسالك والممالك) ، ص ٨٩ ولكن الفيروزبادى في الجزء المطبوع من المغانم المطابة ص ٣٦ يقول : أن بشرحا هي و بشر وبستان شمالي سور المدينة من جهة الشرق وقد صارت بشرحا لأبي بن كعب ، وحسان بن ثابت رضى الله عنهما حين دفعها إليهما أبو طلحة رضى الله عنه كما ورد في و الصحيحين وغيرهما) .

٢ ـ زيادة عثمان رضى الله عنه في المسجد النبوي سنة ٢٩ هـ

أختلف في زيادة عشمان (٢٣ ـ ٣٥هـ) رضى الله عنه للمسجد النبوى ، فالسمهودى ينقل عن يحيى بن الحسين عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أنه قال : ﴿ لما ولى عثمان سنة أربع وعشرين كلمه الناس أن يزيد في مسجدهم وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة ، حتى أنهم ليصلون في الرحاب (١) ... فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه ، (٢) . يبد أن القرطبي ينقل عن الإمام البخارى أن عثمان رضى الله عنه عندما ﴿ بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس في الزيادة عثمان رضى الله عنه عندما ﴿ بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس في الزيادة المطرى والمراغى وابن المحجوب والسمهودى(٤) ما يؤيد قول الإمام البخارى . ولكن بعض الروايات تفيد أن ﴿ أول عمل عثمان إياه في شهر وبيع الأول سنة ٢٩هـ بعض الروايات تفيد أن ﴿ أول عمل عثمان إياه في شهر وبيع الأول سنة ٢٩هـ وفرغ من بنائه في المحرم سنة ٣٥هـ فكانت مدة عمله عشرة أشهر ﴾ (٥).

وينقل السمهودي عن الحافظ بن حجر أن 3 بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور ، وقيل في آخر سنة من خلافته ، (٦) . وقيل أيضا أن ذلك كان

⁽۱) الرحبة جمعها رحاب ، وهى الساحة المتسعة كما يقول ابن منظور فى لسان العرب جـ ۱ ص ١٤ والمقصود بها فى النص المذكور الساحات الهيطة بالمسجد ولعل المقصود بها البلاط الذى كان يحيط بالمسجد النبوى من جميع الجهات .

⁽٣) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، ابن الضياء القرش : تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ورقة ١٤١ ب .

⁽٤) التحريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، تخلقيق التصرة ، ص ٤٧ ، قرة العين في أوصاف الحرمين ورقة ٦٦ ب ، وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٠٣ .

 ⁽٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص ٨٧ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ص ٩٧ ، المطرى :
 التحريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى : يهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ،
 الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣١ ، المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٤٧ .

⁽٦) السمهودي : وفاء الوقا جـ ٢ ص ٥٠٣ .

البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ حين قال : ومما يلى مؤخر المسجد حائط فيه نخل كثير ، وهو الحائط الذي كان لأبي طلحة الأنصاري المعروف ببيرحا ، (١).

* * *

⁽۱) أبو عبيد البكرى : جزيرة العرب (من كتاب المسالك والممالك) ، ص ۸۹ ولكن الفيروزبادى في الجزء المطبوع من المغانم المطابة ص ٣٦ يقول : أن بشرحا هي و بشر وبستان شمالي سور المدينة من جهة الشرق وقد صارت بفرحا لأبي بن كعب ، وحسان بن ثابت رضى الله عنهما حين دفعها إليهما أبو طلحة رضى الله عنه كما ورد في و الصحيحين وغيرهما ١ .

٧ - زيادة عثمان رضى الله عنه في المسجد النبوي سنة ٢٩ هـ

أختلف في زيادة عشمان (٢٣ ـ ٣٥هـ) رضى الله عنه للمسجد النبوى ، فالسمهودى ينقل عن يحيى بن الحسين عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أنه قال : « لما ولى عثمان سنة أربع وعشرين كلمه الناس أن يزيد في مسجدهم وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة ، حتى أنهم ليصلون في الرحاب (١) ... فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه ، (٢) . بيد أن القرطبي ينقل عن الإمام البخارى أن عشمان رضى الله عنه عندما « بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس في الزيادة ...» (٣) . وتبعم في ذلك رزين المتوفى سنة ٥٥هـ الذي ينقل عنه كل من المطرى والمراغى وابن المحجوب والسمهودى (٤) ما يؤيد قول الإمام البخارى . ولكن بعض الروايات تفيد أن « أول عمل عشمان إياه في شهر ربيع الأول سنة ٢٩هـ بعض الروايات تفيد أن « أول عمل عشمان إياه في شهر ربيع الأول سنة ٢٩هـ وفرغ من بنائه في المحرم سنة ٣٠هـ فكانت مدة عمله عشرة أشهر » (٥).

وينقل السمهودي عن الحافظ بن حجر أن ﴿ بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور ، وقيل في آخر سنة من خلافته ﴾ (٦) . وقيل أيضا أن ذلك كان

⁽۱) الرحبة جمعها رحاب ، وهى الساحة المتسعة كما يقول ابن منظور فى لسان العرب جدا ص ١٤ في المقصود بها في النص المذكور الساحات المحيطة بالمسجد ولعل المقصود بها البلاط الذى كان يحيط بالمسجد النبوى من جميع الجهات .

⁽٢) وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٠٢ .

 ⁽٣) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، ابن الضياء القرش : تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ورقة ١٤١ ب .

 ⁽٤) التعريف بما أنست الهجرة ، ص٨٠ ، مختقيق النصرة ، ص ٤٧ ، قرة العين في أوصاف الحرمين ورقة ٦٦ ب ، وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٠٣ .

 ⁽٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص ٨٧ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٩٧ ، المطرى :
 التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ،
 الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣١ ، المراغى : تخقيق النصرة ، ص ٤٧ .

⁽٦) السمهودي : وفاء الوقا جـ ٢ ص ٥٠٣ .

قبل أن يقتل بأربع سنين) (١). وعلى هذا فإنه يمكن حصر هذه الروايات المتعددة في ثلاث مجموعات :

١ ـ ما يجعل التفكير في أمر الزيادة في أول خلافة عشمان رضى الله عنه التي بدأت سنة ٢٤هـ دون الإشارة صراحة إلى البدء في تنفيذها ، والمرجع الأول في هذا الإمام البخارى .

٢ ـ ما يتفق مع ما رواه البخارى من أن مفاخحه الناس لعثمان رضى الله عنه فى أمر الزيادة كان فى أول خلافته ، أى فى سنة ٢٤هـ، ثم يشير إلى أن البداية الحقيقية للزيادة كانت فى ربيع الأول سنة ٢٩هـ . والفراغ منها فى المحرم سنة ٣٠هـ والمرجع فى هذا يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٢٧٧هـ ، وفيما ينقله عنه السمهودى (٢٠) وتبعه عليه ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ (٣٠).

٣ ـ ما يجعل الزيادة فى المسجد النبوى الشريف قبل أن يقتل عثمان بأربعة أعوام ، والقائل بذلك ابن إسحاق الحربى المتوفى سنة ٢٨٥هـ فيما ينقله عن يحيى بن الحسين أيضا (٤).

ويمكن التوفيق بين هذه الروايات على النحو التالي :

أن التفكير في أمر الزيادة كان في أول خلافة عشمان رضى الله عنه لأن المسجد ، كما يقول السمهودى نقلا عن يحيى ، عجز عن استيعاب المصلين «يوم الجمعة حتى أنهم ليصلون في الرحاب »(٥) وهو ما أشارت إليه الروايات التي ذكرت أمر الزيادة في أول خلافة عثمان دون أن تشير إلى البدء في تنفيذها .

⁽١) ابن إسعاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٣ ، السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٥ .

⁽٢) نقس المصدر جـ٢ ص ٥٠٢ .

⁽٣) الدرة الثمينة ص ٩٧ .

 ⁽٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٣ ، وانظر ما نقله السمهودى في المصدر السابق جـ٢ ص ٥٠٥ عن خارجة بن زيد ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٧ .

⁽٥) انظر أعلاه ص ٩٣ .

وضيق المسجد بعد توسعة عمر له سنة ١٧هـ أمر يتفق وتطور المجتمع الإسلامى خلال سبعة أعوام ، كانت كلها حافلة بالانتصارات العسكرية والفتوحات الكبيرة . ولا يمكن أن يكون عشمان رضى الله عنه قد شرع فى تنفيذ أمر الزيادة بمجرد التفكير فيها(١) ، خاصة وأن هذه العمارة بالذات كانت تختلف عن العمائر السابقة لها من ناحية البناء والمواد المسخدمة فيها(٢) ، وبعبارة أخرى فإن المواد القديمة التى كانت مستخدمة فى بناء المسجد فى عهد عمر رضى الله عنه لم تسهم فى هذه العمارة التى استخدم فيها الحجر المنحوت . وإعداد مثل هذه الأحجار المنحوت اللازمة لبناء المسجد كله وكذلك أحجار أعمدته التى قيل أنها كانت مستديرة اللازمة لبناء المسجد كله وكذلك أحجار أعمدته التى قيل أنها كانت مستديرة كانها « سوارى »(٣) ، كان يتطلب وقتاً كبيراً مما يزكى الروايات التى تقول أن بدء العمل كان فى ربيع الأول سنة ٢٩ هـ.

أما الروايات التى ذكرت أنه زاد فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين فإنه يمكن تأويل هذا الخلاف البسيط بأن المسجد لم يستكمل تبييضه وفرشه بالرمل الأحمر إلا فى سنة ٣١ هـ . وهذا العمل كما هو معروف لا يكون إلا بعد إتمام البناء ، وقد نقل ابن المحجوب عن ابن زبالة أن عثمان رضى الله عنه و بيضه بعد

⁽۱) علق السمهودى على رواية يحيى بن الحسين عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، التي تقول:

الله الناس كلموه في ضيق المسجد سنة ٢٤هـ فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه إلى قوله وكان أول عمله في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين ... إلخ ٤ ، إذ يرى أن ما ذكره أخيرا هو المسواب المذكور في كلام غيره فيحتمل ما ذكره أولا على أنه لم يشرع في المشاورة والعمارة عقب كلام الناس له ، بل استمر تلك السنين وربما تكرر الكلام فخطبهم في السنة التي وقعت فيها العمارة ٥ انظر وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٢٠٠ .

⁽٢) استخدم في هذه العمارة خشب الساج في تسقيف المسجد ، وهو فير محلى موطنه الأصلى بلاد الهند كما يقول حسين عبد الله باسلامة في تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٨٧ ويتطلب استيراده من الهند إلى أقرب ميناه للمدينة ، ثم نقله إليها وقتا طويلا . كما أن الاهتداء إلى المحاجر الصالحة لقطع الأحجار ثم نحتها ، أمران غير يسيران . وقد قابلت هذه الصعوبة العمال الأتراك أثناء عمارة السلطان عبد الجيد خان للحرم النبوى سنة ١٢٦٦هـ .

انظر : البرزنجي : نزهة الناظرين ، ص ٣٣ .

⁽٣) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ ب .

ما فرغ من بنائه (1). كما ذكر ابن إسحاق الحربي عن خارجة بن زيد أن عثمان رضى الله عنه قتل (وقد فرغ من بنيان المسجد ، وأن نقاشة الحجارة (٢) لعلى أبواب المسجد وقبابه (٣).

هذا عن زمن الزيادة وما قبل فيها ، أما الأسباب الكامنة وراء هذه التوسعة فالروايات تشير إلى أن الناس أحسوا من أول خلافة عثمان بعجز المسجد عن استيعابهم وطلبوا منه أن يزيد في المسجد ، ولكن المتتبع للزيادة التي زادها عثمان رضى الله عنه ، والتي هي ، على أشهر الأقوال ، بلاطة مما يلى القبلة وأخرى مما يلى الغرب (٤) وبلاطتان مما يلى الشمسال ، شكل (٣٩) ، يجد أن هذه الزيادة البسيطة التي قدرها مكتب التوسعة السعودية ٤٩٦ م (٣٩) والتي تقل كثيرا عن زيادة عمر رضى الله عنه ، التي قدرت هي الأخرى بـ ١١٠٠ م (١١) ، لا يمكن أن يكون المقصود بها أساسا توسعة المسجد . ويزيد من تشككي في أن الهدف من وراء هذه العمارة هو مجرد التوسعة ، بقاء المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨هـ على زيادة عثمان من الشمال كان مائة وتسعين فراعا ،

⁽١) نفس المصدر ، ورقة ٦٦ ب .

⁽۲) ذكر الدكتور حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ٣ ص ١٣٨٢ وما بعدها أن كلمةنقاش وردت و على الآثار العربية بدلالات حرفية مختلفة نابعة من معانيها اللغوية و فقد تستخدم في تسمية النقش على المعادن والأحجار أو ألواح الرخام والأشرطة الجمية . ويدو أن معناها هنا محصورا في تكحيل الأحجار بالقصة أو الجس . ولعله يقصد بقباب المسجد ، تلك العقود التي كانت فوق عتب الأبواب إذ اننى لم أجد ما يشير إلى استخدام القباب في عمارة المسجد النبوى في تلك الفترة المبكرة .

⁽٣) كتاب المناسك ، ص ٣٦٤ .

⁽٤) ذكر السمهودي في وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٦ أن زيادة عشمان مما يلي الغرب هي البلاطة الواقمة بعد الاسطوانة السابعة من المنبر وذلك لملاحظته وجود تربيع في أسفل تلك الاسطوانة .

⁽٥) إيراهيم الشورى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين ، جــ١ (الحرم النبوى) ، ص ٤٣ .

⁽٦) نفس المرجع ، ص ٤٣ ،

⁽٧) السمهودي : المصدر السابق ، جد ٢ ص ٥٠٥ .

وهو ما لم يبلغه المسجد إلا في زيادة الوليد وإنما كان طوله حوالي مائة وسبعين ذراعا وقد حددت نهاية المسجد من الشمال بإسطوانة (مربع أسفلها قدر الجلسة)، شاهدها السمهودي واعتبرها نهاية لزيادة عثمان من الشمال(١).

وبمقارنة هذه العمارة بما سبقها من عمائر في المسجد النبوى من حيث البناء ونوعية المواد المستخدمة يتبين أن نخر جذوع النخل المستخدمة في عوارض السقف وأعمدته كان لها دور كبير في عمارة عثمان رضى الله عنه . فقد نقل السمهودى عن أبي داود ما يؤيد هذا ، وذكر أنه رآه « في أصول متعددة معتمدة من السننه (۲). ثم ذكر أن مؤدى ذلك « يقتضى أن السبب في بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التي هي السوارى نخرت » (۲).

ويبدو أن الأعوام الخمسة التي تلت مفاتحة الناس لعثمان رضى الله عنه بأمر الزيادة في أول خلافته أكدت له حاجة المسجد إلى التوسعة وتجديد الأسلوب القديم الذي اتبع في بناء المسجد ، وذلك بتغيير اللبن والأحجار الغشيمة بأحجار منحوتة هي ما تعبر عنه الروايات بالأحجار المنقوشة (٤٠). وحلت الأعمدة التي تتألف و من

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٠١ .

⁽٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٥٠١ .

⁽٤) ابن قتيبة : كتاب المعارف ، ص ٧٤٠ ، ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٤ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ، ص ٩٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٣ ص ١٠٣ ، المطرى : التعريف بما أنست المهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، الخوارزمي : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٠ ، المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٤٧ ، السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٥٠١ ، ٥٠١ .

حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص (()) ، ليزيد في تماسكها محل جذوع النخل التي قيل أن زيد بن ثابت ، الذي كان يباشر عمارة المسجد في عهد عثمان ، وضعها في موضع الإسطوانات السابقة (٢). حرصا منه رضى الله عنه ألا يتغير موضع الإسطوانات التي كانت على عهد الرسول ﷺ ، ﴿ وهذه سنة اتبعها جميع الذين تعرضوا لتعمير المسجد وتخديده وزيادته منذ إنشائه (٣).

وأدت الحاجة إلى حماية الخليفة من المعتدين إلى بناء مقصورة من لبن تخيط بالمصلى الذى استحدثه عثمان فى البلاط الذى زاده فى مقدم المسجد⁽³⁾، وقيل أنه وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الأمام ، وكان يصلى فيها خوفا من الذى أصاب عمر ، (٥) ، وأقام عليها السائب بن خباب لحراسته ، ورزقه دينارين (٢) وكانت صغيرة يدل اللبن المستخدم فيها على أنها لم تبن مع المسجد سنة ٢٩هـ ويبدو أن الأحداث التى شهدتها المدينة فى أواخر عصره كانت هى السبب فى استحداثها بهذه الصفة .

وقد نسبها بعض الرواة إلى مروان بن الحكم أيضا ، مما دعا البرزيجي إلى القول

⁽۱) ابن النجار : المصدر السابق ، ص ۹۸ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٠٣ ، وذكر ابن حجر الهيشمى : مخفة الزوار إلى قبر النبى المختار ، ص ٨٩ ، أن هذه القطع من الحجارة ٥ في وسطها عمد من حديد مثبتة بالرصاص ٤ .

⁽٢) ابن إسحاق : المصدر السابق ص ٣٦٤ ، السمهودي : المصدر السابق جـ٢ ص ٥٠٥ .

⁽٣) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٧٤ .

⁽٤) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٤٦٩ . ويلاحظ أن المحراب المجوف لم يستخدم إلا في عمارة الوليد .

⁽٥) المطرى: التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى: بهجة النقوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، المراعى: تحقيق النترة . ص ٤٨ ، السمهودى: وفاء الوفا ، جـ٣ ص ٥١١ ، ابن الضياء تاريخ مكة المكرمة والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ورقة ١٤١ ب ، فريد شافعى: العمارة العربية ص ٦٤٩ .

 ⁽٦) المراغى : المصدر السبابق ، ص ٤٨ ، السبم بهبودى : المصدر السبابق جـ ٢ ، ص ٥١١ ،
 السخاوى: التحقة اللطيفة ، جـ ٢ ص ١١٣ .

بأنه ﴿ يجمع بأن عثمان أول من بناها من لبن ومروان أول من بناها من حجر فإنهم ذكروا أنه بناها بالحجارة المنقوشة ،(١). وعلى أية حال فرغم ما في هذا البناء من إحكام للصنعة وإتقان للبناء ، فإنني لم أجد ما يشير إلى جنسية البنائين أو موطنهم، على أن الغالب على الظن أنهم من أهل المدينة أو ممن استوطنها من أهل البلاد المفتوحة . وفي ذلك ما يفند دعوى من ذهب إلى أن الوليد بن عبد الملك استقدم الأروام والقبط ممن يدينون بغير الإسلام لبناء المسجد النبوى سنة ٨٨هــ بما يزكي ما ذهب إليه فريد شافعي^(٢).

إذ أنه كان هناك من الوقت ما يكفى لتعلم أهل المدينة وإتقانهم فن العمارة الذي بلغ كماله في عمارة الوليد للمسجد النبوي الشريف ، وما حدث من دقة في بناء جدران المسجد وإسطواناته ، فإنه اقتضى بطبيعة الحال أن يكون سقف المسجد محكم الصنعة أيضا فكان الخشب المستخدم في سقفه ساجا(٣). وهو ما يعبر عنه ابن إسحاق الحربي و بالخشب والجريد ا(٤)، بينما يقول عنه ابن المحجوب «وعوض الجريد الذي كان فيه بخشب الساج الرفيعة »(٥). وكان هذا الخشب

⁽١) البرزيجي : نزهة الناظريسن ص ٤٩ ، وذكر السمهودي : وفاء الوفا جـ٢ ص ٥١١ نقلا عن يحيى أن 3 أول من أحدث المقصورة في المسجد مروان بن الحكم ، بناها بالحجارة المنقوشة وجعل لها كوى (فتحات) وكان بعث ساعيا إلى تهامة ، فظلم رجلا يقال له دب ، فجاء دب إلى مروان : فقام حيث يريد أن يقوم ، حتى إذا أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيمًا فأخذه مروان فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال بعثت عاملا فأخذ ذودي بمزة (أخذ إيلى كلها) وتركني وعبالي لا غجد شيمًا ، فقلت أذهب إلى الذي بعثك فاقتله ، فهو أصل هذا، فجاء ما ترى ، فحبسه مروان حينا في السجن ، ثم أمر به فاغتيل سرا . فكانت المقصورة ٩. ويضهم من هذه الرواية أن مروان صلى في المصلى النبوي الذي لم يكن عليه مقصورة أو أنه صلى داخل مقصورة اللبن التي بناها عثمان في آخر حياته والتي كان يها كما يقال فتحات ينظر منها إلى الأمام . ويبدو أنَّ الأعرابي قد وصل إليه من إحدى هذه الكوى مما جعل ضربته غير مميته .

⁽۲) انظر أدناه ص ۱۱٦ .

⁽٣) البلاذري : فـــوح البلدان ، ص ١٣ ، المطرى : التمعريف بما أنست الهمجرة ص ٨٠ ، السمهودي : وفاء الوفا جــ٧ ص ٥٠١ .

⁽٤) كتاب المناسك ص ٣٦٤ .

⁽٥) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ ب .

عاما فى سقفى الظلتين الشمالية والجنوبية ، وهما الثابت وجودهما فى هذه العمارة خلافا لما ذكره الدكتور فريد شافعى من أنه (من المحتمل أن يكون قد أضاف أيضا ظلات أخرى إلى جانب الفناء الأوسط المكشوف)(١).

وعلى أية حال فإن سقفى هاتين الظلتين ، سطحان مستويان يرتكزان على عوارض تمتد فوق الإسطوانات وذلك لأنه ، لم تقم على هذه الأساطين عقود ، بل امتد فوقها السقف على أوتار أو عوارض خشبية (٢). وفتح لكل من الظلتين طيقان (٣)، وهي عبارة عن نوافذ مرتفعة في الجدارين الشرقي والغربي إلا أن فكرى يقصرها على رواق القبلة أو بيت الصلاة كما يسميه (٤)، وهو ما لم تشر إليه النصوص (٥).

وإذا كان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد زاد فى المسجد وغير من شكل البناء فإنه احتفظ بعدد الأبواب التى كانت فى عهد عمر رضى الله عنه ، وكذلك أماكنها (٦). فما كان منها فى الجدار الشرقى وهو باب جبريل وباب النساء أبقاهما فى موضعيهما الأولين ، وما كان منها فى الجانبين اللذين شملتهما التوسعة ، وهما الجانب الغربى والشمالى ، فقد جعلهما بمحاذاة الأبواب

⁽۱) العمارة العربية ، ص ۲۳۷ ، وقد كان رأى فريد شافعى هذا مبنيا على الغلن فقط إذ أنه لم يوفق إلى إيجاد مصدر لما ذكره ،كما أننى بحثت في مصادر كثيرة فلم أوفق إلى من يشير إلى استحداث الظلتين الجانبيتين في عهد عثمان رضى الله عنه .

⁽٢) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٧٤ .

⁽٣) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٦٤ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩٦ ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٠٥ ، ابن الضياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ورقة ١٤٢ أ .

⁽٤) المرجع السابق ص ١٧٤ .

 ⁽٥) أهمل فكرى فى قصره فتح النوافذ على ظلة القبلة ، حاجة الظلة الشمالية إلى مثل هذه
الطيقان لتزويدها بالضوء والهواء . لأنها قريبة من عمق ظلة القبلة نظرا لاقتصار المسجد آنذاك
عليهما فلا بد أن تكون عميقة أيضاً لتساعد فى حماية المصلين من الشمس والبرد .

⁽٦) القرطبي : بهجة النقوس والأسوار ، ص ١٢٨ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص٠٨، السميدي : وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٠٧ .

الأولى (١) ، انظر شكل (٣٩) ، كما احتفظ المسجد الشريف في هذه العمارة بمعالمه الرئيسية (٢) ، وكان ذلك أمرا ضروريا لكل من أراد أن يتعرض للمسجد النبوى بعمارة أو ترميم ، احتراما لعلاقتها الوثيقة بمؤسس المسجد عليه السلام .

وكان حرص عثمان رضى الله عنه على دقة العمل وخلاص النية فيه كبيرا جدا فلم يكتف بإسناده إلى زيد بن ثابت للشرف على عمارة المسجد في عهده لل كان و يباشر رضى الله عنه العمل بنفسه ه (٣)، وفي هذا المعنى أورد السمهودي بسنده إلى شاهد عيان هو عبد الرحمن بن سفينة الذي قال : و رأيت القصة (٤) تحمل إلى عثمان وهو يبنى مسجد رسول الله على ، من بطن نخل (٥)، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع وربما نام في المسجد ه (٦)، وقد كانت هذه الأعمال الصغيرة كفرش المسجد بحصباء وادى العقيق (٧)، وتبييضه بالقصة المجلوبة من وادى نخل بمثابة المسات الأخيرة لهذه العمارة التي ابتنى بها أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ما وعد به الحديث الشريف من أن و من بني لله مسجدا بني الله له بيتا في الجنة ما وعد به الحديث الشريف من أن و من بني لله مسجدا بني الله له بيتا في الجنة ما وعد به الحديث الشريف من أن و من بني لله مسجدا بني الله له بيتا في الجنة ما وعد به الحديث الشريف من أن و من بني لله مسجدا بني الله له بيتا في الجنة ما وعد به الحديث الشريف من أن و من بني لله مسجدا بني الله له بيتا في الجنة ما وعد به الحديث المد عنه قد وجد معارضة في هذه العمارة كما جاء في

⁽١) ابن المحجوب : قرة العبين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ ب حيث يذكر أن عثمان رضي الله عنه جدد بناء فرج أبواب المسجد وابقاها ستة أبواب كما كانت في خلافة عمر ، .

 ⁽۲) اشتهرت عده المعالم بعد تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة وهي : المنبر الشريف ،
والمصلى ، والروضة ، والاسطوانات المشهورة والأيواب الرئيسية (باب آل عثمان ، باب حاتكة ،
یاب مؤخر المسجد) .

⁽٣) المطرى : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٢ .

⁽٤) قال الفيروزبادي نني القاموس الهيط ، جــ٣ ص ٣٣٥ أن القصة هي الجص .

 ⁽٥) قبال اين الأنيبر في الكامل ، جــ٥ ص ٥٥٦ و إن بطن نبخل على ليلتين من المدينة ، وذكر المراخى : مخقيق النصرة ، ص ٢٢ أن بطن نخل على أربعة أميال من المدينة .

 ⁽٦) السمهودى : وقاء الوقا . جـ ٢ ص ٥٠٤ ، وانظر السخاوى : التحقة اللطيفة ، جـ ٣ ص
 ١٣٦ .

⁽٧) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣ .

⁽٨) الزركشي : اعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص ٣٦ .

صحيح مسلم • عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه على هيئته (١)، وقوله في حديث آخر • إنكم قد أكثرتم وأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من بنى مسجداً لله عز وجل بنى له الله بيتا في الجنة (٢).

ويقول السمهودى أن ذلك يدل على حبهم لبقاء المسجد (بجذوع النخل واللبن كما فعل عمر رضى الله عنه لموافقته لفعله فله ، ولهذا قال البغوى فى شرح السنة : لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة ، لا مجرد توسيعه ، (٦) ، فإنه ذكر أنه رضى الله عنه لم يشرع فى البناء حتى استشار فيه كبار الصحابة فى عهده إلا أنه يبدو أنهم بعدما شاهدوا نوع العمارة واختلافها عن سابقتها عارضوه .

* * *

 ⁽۱) ، (۲) رواهما مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ،
 جـ٥ ص ١٤ ، وانظر السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٥٠١ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٥٠٢ .

المبحث الثالث عمارة المسجد النبوى في عهد الدولة الأموية

المحث الثالث

عمارة المسجد النبوي في الدولة الأموية

ا _المسجد النبوس في أوائل الدولة الأموية : ـ

توالت على المدينة المنورة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أحداث جسيمة أدت في النهاية إلى تحويلها من عاصمة للمسلمين إلى مجرد مدينة روحية تتوالى على أهلها في المواسم صدقات الخلفاء وهبات المحسنين . ولا غرو فقد انعكست هذه الأحداث أيضا على المسجد النبوى الشريف الذي بقى محتفظا بعمارة عثمان له ثمانية وخمسين عاما لم يشهد خلالها من الأعمال الممارية إلا ما قام به مروان بن الحكم (١) ، الذي بلط حول مسجد رسول الله عنه بالحجارة وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه .

وجاء أنه رفع منبر رسول الله مح وزاد في درجه ، وسمر في مقعده لوحا لئلا يجلس أحد على ما كان يجلس عليه الرسول عليه الصلاة والسلام (٣) ، انظر شكل (٤١) ، وأن معاوية رضى الله عنه كساه قبطية (٤) . وأعاد مروان بن الحكم واليه

⁽۱) ذكر الطبرى في تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ١٦٢ ، ١٨١ أن ولاية مسروان بن الحكم للمدينة كانت سنة ٤٥هـ بعد عزل سعيد بن العاص ، وبقى في ولاية المدينة حتى عزل سنة ٨٥هـ بعبة بن أبي سفيان .

⁽٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٣ ص ٧٣٥ ، وكان السبب في تبليط ما حول المسجد أن الحكم كان قد أسن وأصابه مرض سمى بالربح فكان يجر رجليه إذا خرج إلى المسجد فتمتلئ ترابا فبلط ابنه مروان الطريق من داره إلى المسجد فأعجب ذلك معاوية وأمر بتبليط ما حول المسجد .

⁽٣) قيل أن معارية أمر بتقل المنبر النبوى الشريف إلى الشام ، فحاول مروان ذلك ، ولكن الشمس كسفت وهبت الربح لذلك ، وهى روايات لا صحة لها . فالشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فكيف يكسفان لتقل المنبر ، هذا بالإضافة إلى أن معاوية لا يمكن أن يجرأ على هذا العـمل . وعن هذه الروايات انظر العبـرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص ٩٣ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٣ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٣٩٩ .

⁽٤) الطيرى: المصدر السابق ، جـ٧ ص ٩٢ .

على المدينة آنذاك بناء المقصورة بالأحجار المنحوتة(١).

وسُمح للمصلين في خلافة عبد الملك بن مروان بالدخول إلى حجر أمهات المؤمنين والصلاة فيها يوم الجمعة (٢) ، وما خلا هذه الأعمال البسيطة التي لم تمس جوهر عمارة المسجد النبوى بشيء بقي المسجد و بعد عثمان على حاله ، لم يزد فيه أحد من الولاة حتى كان زمن الوليد بن عبد الملك ٥ (٢).

* * *

⁽۱) ياقوت الحموى: معجم البلدان ، جده ص ۸۷ ، المراغى: تحقيق النصرة ، ص ٤٨ ، السمهودى: المصدر ، جد٢ ص السمهودى: المصدر السابق جد٢ ص ٥٧٤ ، وانظر ما ذكره فى نفس المصدر ، جد٢ ص ٥١١ ، نقلا عن يحيى عن أول من استحدث المقصورة فى المسجد النبوى .

⁽٢) المراغى : المصدر السابق ، ص ٠٠ ، السمهودى : المصدر السابق ، جــ٧ ص ٥١٧ .

⁽٣) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٤ ، السمهودي : المصدر السابق جـ٢ ص ٥١٣ .

٢ ـ زيادة الوليد بن عبد الملك واسبابها

اهتم الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٩ مـ) بعمارة المسجد النبوى الشريف ، وأولاها من العناية ما جعل الرواة يختلفون في الدوافع التي حدت به إلى التفكير في عمارة المسجد النبوى ، فقد نقل ابن النجار عن الإمام مالك رضى الله عنه قوله : وحدثني الثقة عندى أن الناس كانوا يدخلون حجرات أزواج النبي بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة ، قال مالك : وكان المسجد يضيق عن أهله وحجر النبي يصلون فيها يوم المسجد ولكن أبوابها شارعة في المسجد عن أهله وحجر النبي المسجد ، كما في رواية الإمام مالك هو السبب الحقيقي لهذه العمارة ، خاصة إذا لاحظنا بقاء المسجد دون توسعه أكثر من نصف قرن (٢٩ ـ ٨٨هـ) مع احتفاظ المدينة بمركزها الروحي رغم خسارتها لمركزها السياسي .

وإذا كان السبب هو ما أشرت إليه فإنه لا يبدو بوضوح إلا في أيام الجمع والمواسم ، التي كان الوليد يتتبع أخبارها بدقة (٢). وليس ببعيد أن يكون الخليفة نفسه قد لمس هذا الضيق عندما حج بالناس قبل البدء في الزيادة ، وقد جاء أنه حج بالناس مرتين (٦). ويزيد من قوة هذا الاحتمال ما عرف عن الوليد من حبه للبناء (٤)، وبالأخص عمارة المساجد الجامعة التي عمر في عهده منها أربعة ، تمت كلها على ما يريد من دقة الصنعة وكمال البناء .

وإذا كانت كراهية الوليد المزعومة للعلوبين ورغبته في إدخال بيت الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما في المسجد ، هما السبب كما

⁽١) الدرة الثمينة ، ص ٧٤ .

 ⁽۲) ذكر كل من السمهودى نقبلا عن ابن زبالة في الوفا ، جـ ۲ ص ١٤٥ ، ابن رستة في
الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ ، أن الوليد بن عبد الملك ٥ كان يمعث كل عام رجلا إلى المدينة
يأتيه بأخبار الناس وما يحدث فيها .

⁽٣) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٦ ، ابن رستة : المصدر السابق ، ص ٦٧ ، القاسى : العقد الثمين ، جـ ١ ص ١٨٤ .

⁽٤) الذهبي : تاريخ الإسلام جـ٣ ص ٢٣٨ .

قيل ، في عمارة المسجد النبوى الشريف (١) ، فإنهما لم يكونا السبب في عمارته لبيت المقدس ولا الجامع الأموى ولا البيت الحرام ، ولئن كان أمر الوليد بإدخال حجر أمهات المؤمنين في المسجد هو السبب في الضجة التي أثيرت حول عمارة الوليد ، فإنه ما من سبيل أمام التوسعة الكبيرة التي قام بها هذا الخليفة في المسجد النبوى سوى إضافة تلك الحجرات إلى المسجد الشريف ، لا سيما وأن هذه الدور كانت قد خلت منهن تماما وقت إقرار الوليد لزيادة المسجد الشريف ، كما يتضح من الجدول المرفق (٢).

ولو افترضنا جدلا أنه أضاف الزيادة التي أحدثها في شرق المسجد والتي قدرت على أصح الروايات بأربع إسطوانات على الزيادة التي أضيفت في مغربه وقدرها إسطوانتان لأصبح كل من المنبر الشريف ومصلى النبي تك في طرف المسجد الشرقى ، وبعبارة أخرى لأصبح بعد المنبر عن الجدار الغربي أربعة عشر إسطوانة ، أي ثلاثة أضعاف الإسطوانات الواقعة شرقى المنبر والتي كانت قبل الزيادة خمس إسطوانات "

⁽١) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جــ٧ ص ٥١٣ وما بعلـها .

⁽۲) هذا جدول عن تاريخ زواج الرسول على بأمهات المؤمنين وتاريخ وفاة كل منهن . ويستفاد منه معرفة تاريخ بناء بيت كل واحدة منهن في عهده على ، وتاريخ خلوه بعد وفاتهن . وقد أضيفت جميعها بعد وفاتهن إلى المسجد الشريف في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٨هـ) . وقد اعتمدت في وضع هذا الجدول على كتاب سمط النجوم العوالي جدا ، لعبد الملك بن حسين العصامي المتوفى سنة ١١١١هـ .

⁽٣) انظر حدود المسجد النبوى عند السمهودي : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٣٥٥ _ ٣٥٦ .

مفحة		. ,		
المعدر	تاريخ وفاة كل واحدة منهن	<i>صفحة</i> المصدر	تاريخ الدخول بكل واحدة منهن	اسم أم المؤمنين
		,	بحل واحدا علهن	
777	قبل الهجرة يثلاث سنين	۳٦٧	قبل الهجرة	١) أم المؤمنين خديجة بنت
				خويلد
	في خلافة عمر وقيل في		احـ	
477	خلافة معاوية سنة ٥٥هـــ	441	,	٢) أم المؤمنين سودة بنت
	-	-		زمعة
۳۸۰	۱۷ رمضان سنة ۵۸هـ		۱هـ	٣) أم المؤمنين عائشة بنت
				الصديق
۲۸۱	شعبان سنة ٥٠هـ	۲۸۰	شوال سنة	٤) أم المؤمنين حفصة بنت
			۳هــ	عمر بن الخطاب
7.7.7	فی آواخر سنة ۳هــ	77.7	رمضان سنة	٥) أم المؤمنين زينب بنت
			۳ھـ	خزيمة
۳۸٦	سنة ٦١هـ في خلافة يزيد	777	شوال سنة	٦) أم المؤمنين أم سلمة هند
	بن معاوية		ئە <i>ــ</i>	بنت أبى أمية
۳۸۹			ذو القعدة	٧) أم المؤمنين زينب بنت
	ے ۲۹ھے	۳۸۷	سنة ٤هـ	جحش
44.	في ربيع الأول سنة ٥٠هــ ٣٨٩		سنة ١٥، ١هـ	٨) أم المؤمنين جـويرية بنت
		7/4		,
	_a £ £ å:		AV II.	الحارث بن أبي مزار
791	سنة ٤٤هـ	441	سنة ٧هـ	٩) أم المؤمنين أم حبيبة رملة
				بنت أبى سفيان
444	سنة ٥٦ ، ار ٥٥هــ	797	سنة ٧هـ	١٠) أم المؤمنين صفية بنت
				حَبِي بن أخطب
441	سنة ١٢ هــ	798	سنة ٧هــ	١١) أم المؤمنين مـيــمــونة
		' ` ` ` `		بنت الحارث الهلالية
•	1	t .	I	

ومما يجدر ذكره هنا أنه لا بد وأن تكون قد سبقت هذه التوسعة دراسة طويلة تحددت فيها الدور التي يجب إدخالها في المسجد ، خاصة وقد جاء أنه كان يفكر في إدخال بعض الدور المجاورة للمسجد إلى التوسعة المقترحة في ولاية الحجاج على المدينة المنورة في خلافة عبد الملك بن مروان (١) ، أي أن حاجة المسجد الشريف إلى التوسعة كانت قائمة قبل مجيء الوليد إلى الخلافة . ولذلك كتب الوليد سنة التوسعة كانت قائمة قبل مجيء الوليد إلى الخلافة . ولذلك كتب الوليد سنة المحمد إلى عمر بن عبد العزيز (في ربيع الأول يأمره بإدخال حجر أزواج النبي في مسجد رسول الله تكله وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مثلها ، وأن يقدم القبلة .. ، (١).

وذكر ياقوت الحموى أن صالح بن كيسان ، وهو المشرف على العمارة ، قال:

البتدأت بهدم المسجد في صفر سنة ٨٧هـ وفرغت منه لانسلاخ سنة ٨٩هـ، فكانت مدة عمله ثلاث سنين وهم بين صدور الأمر والبدء في التنفيذ وهو أحد عشر شهرا ، و أو عام إلا شهر و أمضاها عمر بن عبد العزيز في نزع ملكية الدور المجاورة وفي إعداد المواد اللازمة للعمارة ، ولم يكن عمر رضى الله عنه يقوم بذلك دون استشارة فقهاء المدينة وعلمائها فقد نقل الطبرى عن محمد عن موسى بن يعقوب عن عمه قوله : و رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس القاسم وسالم وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وعبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عمر يرونه أعلاما في عبد الله بن عبد الله بن عمر يرونه أعلاما في المسجد ويقدرونه فأسسوا أساسه و (٤).

وفي رواية ذكرها ابن إسحاق الحربي ﴿ فأروه مسجد رسول الله ﷺ الأول ،

 ⁽۱) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ۲ ص ٥١٥ ، وانظر ما ذكره الذهبى فى كتاب العبر فى خبر
من ذهب ، جـ ۱ ص ٨٥ ، من أن عبد الملك بن مروان حج سنة ٧٥هـ وعزل الحجاج عن
الحجاز وأمره على العراق .

 ⁽۲) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جــا ص ۱۱۹۲ ، المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ۳۰ .

⁽٣) معجم البلدان ، جـ٥ ص ٨٧ .

⁽٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩٣ ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، لجمهول ، جـ ٣ ص ٥ .

الذى زاد فيه عمر وعثمان ، فعلم عمر بن عبد العزيز المسجد الأول الذى كان على عهد رسول الله ه^(۱). وعلى هذا فإن الوليد لم يحدد كل الدور التى يجب على عمر بن عبد العزيز إدخالها ، وإنما اقترح عليه فقط أن يكون المسجد بعد الزيادة مائتين في مثلها وأن تشمل التوسعة دور أمهات المؤمنين التى قيل أنها كانت تخيط بالمسجد من الشرق ومن الجنوب . وكانت كلما مائت منهن امرأة (۱) أغلق بيتها ، وبقيت هذه الدور مغلقة حتى ألحقت بالمسجد (۱) ، وسمح للناس بالصلاة فيها يوم الجمعة في خلافة عبد الملك بن مروان . وكان قد بدىء في مدمها في صفر سنة ۸۷هـ(٤) وكسان ذلك يوم حسزن بالمدينة المنورة ، ويروى السمهودى من طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال : « كتب بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان قد اشترى حجر أزواج النبي ﷺ ، أن اهدمها الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان قد اشترى حجر أزواج النبي ﷺ ، أن اهدمها من يومه ه (۵).

ولم يكتف أهل المدينة بالبكاء بل عارضوا عمر بن عبد العزيز في هدمها أشد المعارضة ، وصاح خبيب بن عبد الله بن الزبير في مسجد رسول الله ، والحجرات تهدم فقال : « نشدتك الله يا عمر أن تذهب بآية من كتاب الله ، يقول : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ، فأمر به ، فضرب مائة سوط ، ونضح بالماء

⁽١) كتاب المناسك ص ٣٦٦ .

⁽٢) انظر الجدول الموضوع أعلاه ، حاشية رقم ١ من ص ١٠٩ عن تواريخ وفاة أمهات المؤمنين .

⁽٤) انظر أعلاه ص ١١٠ .

⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٤٧ . وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جـ ٣ ص ٢٣٨ نقلا عن الواقدى أن عطاء الخرسانى قال : ﴿ أُدركت حجر أزواج النبى كله من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد يقرأ بإدخال الحجر فى المسجد فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم . فسمعت سعيد بن المسيب يقول لو تركوها فيقدم القادم من الآفاق (جمع أفق ، وهى أطراف الأرض . انظر : ابن منطور : لسان العرب ، جـ ١٠ ص ٥ ، فيرى ما أكتمى به وسول الله على في حياته .

البارد، فمات ، وكان يوما باردا فكان عمر لما ولى الخلافة ، وصار إلى ما صار إليه من الزهد ، يقول : من لى بخبيب ! ه (١) ، وكانت هذه المعارضة القوية نابعة من حبهم لبقاء الآثار النبوية الكريمة وكراهتهم الصلاة إلى القبور الشريفة (٢) . على أن الحاجة إلى توسعة المسجد دعت كما يقول النووى إلى أن يبنوا و على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله ، لئلا يظهر في المسجد فيصلى إليه العوام ، ويؤدى إلى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقبا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ه (١) ، وذكر ابن تيمية و أن الحجرة لما أدخلت إلى المسجد سد بابها ، وبنى عليها حائط آخر ، صيانة له تك أن يتخذ بيته عيدا وقبره وثنا ه (٤).

وكان ذلك عملا هندسيا موفقا وفق بين حاجة المسجد إلى التوسعة وبين عدم الوقوع في المحذور الوارد في الأحاديث الشريفة . وقد كان من ابتكار أحد شيوخ المدينة المنورة ، إذ يقول عثمان بن عروة : (نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي المدينة المنورة ، إذ يقول عثمان بن عروة : فابي وقال : كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه ، قال : فقلت : فإن كان لا بد فاجعل له جؤجؤا(٥) ، وهو الموضع المزور(٢)

⁽۱) تاريخ الواقدى ، جـ ۲ ص ۲۸٤ . وذكر مؤلف كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، جـ ٣ ص ٤ مثل هذا الخبر إلا أنه زاد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد بأمر خبيب ، فأمره الوليد بضربه على النحو السابق . وفى هذا ما يدل على أن عمر بن عبد العزيز لم يضربه من تلقاء نقسه .

 ⁽۲) أورد محمد ناصر الدين الألباني ، في كتاب مخذير الساجد عن اتخاذ القبور مساجد ، ص ۱۱
 المعة عشر حديثا في هذا المعنى .

⁽٣) النووى : شرح صحيح مسلم ، جـ٥ ص ١٤ . وانظر الألباني : في المرجع السابق ، ص ٩٨ .

 ⁽٤) ابن تيمية : الجواب الباهر في زوار المقابر ، ص ١٢ ، وانظر الألباني : المرجع السابق ، ص ٩٥ وما بمدها .

⁽٥) لم أقف له على معنى في القواميس العربية . وما بعده من النص يشرح معناه .

 ⁽٦) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ٤ ص ٣٣٤ أن الزور هو الميل ، وقال أيضاً أنه ميل في
 وسط الصدر وهو ما يقصد به فيما برز في الجزء المثلث من حائز عمر بن عبد العزيز .

خلف الحجرة ^(١). انظر شكل (٥٤) .

وعمل كهذا يجعل الرد سهلا على من قال بأن بناة المسجد كانوا أقباطا وأرواما ، فقد كان في المدينة بناة ماهرين أمثال وردان البناء وغيره عمن امتهن البناء في المدينة ، وقد كان لهم ، كما قلت في عمارة عشمان رضى الله عنه للمسجد ، من الوقت ما يكفى لإتقانهم فن هذه الصنعة التي بلغت كمالها في عمارة الوليد للمسجد النبوى الشريف (٢).

وتكفى هذه النصوص للدلالة على أن أول عمل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى المسجد كان ستر حجرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، التى بها القبور الشريفة ، بهذا الحائز المخمس الذى اقترحه عليه عثمان بن عروة (٤) ، ليخفف من حدة للعارضة التى قوبل بها عند هدمه لحجرات أمهات المؤمنين وإدخالها فى المسجد من قبل فقهاء المدينة المنورة ، وذوى الشأن فيها وفى هذا ما يبطل الروايات التى ذكرت محاولة أحد العمال النصارى امتهان القبر الشريف ، فعمر كما يقول

⁽١) السمهودي : وقاء الوقا جـ ٢ ص ٥٤٨ .

⁽٢) كان هذا البناء الذى شارك فى بناء المسجد النبوى فى عمارة الوليد أمينا متقنا لعمله بارعا فيه يحيث اختاره عمر بن عبد العزيز ، عندما مال جدار الحجرة الشريفة أثناء حفر الأساس لاسطوانات المسجد من هذه الجهة ، لدخول الحجرة وإعادة بنائه . وفى ذلك يقول ابن إسحاق فى كتاب المناسك ، ص ٣٧٥ و حدثنى صالح بن محمد بن دراج قال حدثنى صليمان بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه قال : و،أخبرنى جعفر بن وردان البناء عن أبيه قال : صقط جدار بيت النبى خلة الشرقى ، حين حفرت الأساطين فى ولاية عمر بن عبد العزيز حين ينى المسجد فهمث إلى فجئت ، ووجدت معه عبد الله وسالم ابنى عبد الله بن عمر قال : فقام عمر بن عبد العزيز ليدخل في البيت فقال أحدهما : أدخل معك قريشا فقال : الآخر : إذن تغضب الأنصار فقال عمر : أدخل رجلا لا حشمة منه ، أدخل يا وردان فكنت الذى بناه ... » انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٤٥ .

⁽٣) انظر المبحث الخاص بعمارة سيدنا عثمان رضي الله عنه ص ٩٥ .

⁽٤) قالَ عنه السخاوى في التحفة اللطفة ، جـ٣ ص ١٦١ و أنه أحد خطباء قريش وعلماتهم وأشرافهم ... مات قبل الأربعين وماثة في أول خلافة أبي جنفر ٤

السمهودى (أتقى لله من أن يهمل قبر نبيه بيد الكفار حتى يغشوا فى بنائه (١) أو يمتهنوه بالصورة التى ذكرتها الروايات (٢). وذكر ابن إسحاق الحربى أن عمر بن عبد العزيز أمر (بباب بيت النبى على الشرقى فبنى ، ثم بنى حوله بيت مربع بالحجارة والقصة ، وسقفه بالخشب، ثم جعل حول ذلك سورا وجعله مزورا لتلا يصلى إليه (٣). وبناء بهذا الشكل يجعل من الصعوبة الوصول إلى قبر الرسول كله .

ويأتى بناء جدار القبلة كخطوة ثانية بعد تخميس الحجرة الشريفة ، فكان البناة لا ينزعون حجرا من البناء القديم ولا يضعون آخر فى مكانه إلا بإشراف عمر بن عبد العزيز الذى استدعى لهذا الغرض مشايخ المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى (٤) . وفى هذا دليل على هدم جدار القبلة الذى كان مبنيا فى عهد عثمان رضى الله عنه بالحجارة المنحوتة والقصة ، والذى لم يتغير عن موضعه فى هذه العمارة ، وإن كان قد امتد قليلا إلى الشرق والغرب ، إلا أن الارتفاع الكبير فى جدران المسجد النبوى جدران المسجد النبوى الشريف نحو ٢٥ ذراعا(٥) ، قد أوجبت زيادة عرض الجدار الأول أو ما يسميه الشريف نحو ٢٥ ذراعا(٥) ، قد أوجبت زيادة عرض الجدار الأول أو ما يسميه

⁽۱) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ۲۲٤ ، وذكر السمهودى هذا التعليق في معرض حديثه عن اللبن الذى وجد في بناء الحجرة عند انكشافها سنة ۸۸۱هـ ردا على من قال أن وجوده في الحجرة كان غشا من البنائين الكفرة الذين استخدمهم عمر كما زعم في بناء المسجد النبوى الشريف .

⁽۲) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٩ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨١ ، المخوارزمى : الثارة الترخيب والتشويق ص ٣٣١ ، المراخى : خمقيق النصرة ، ص ٥٠ ، السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٥١٩ .

⁽٣) كتاب المناسك ص ٣٧٦ ، وانظر الخوارزمي : المصدر السابق ص ٣٣٣ ، المطرى : المصدر السابق ص ٣٦١ .

 ⁽٤) ابن وستة : الأعلاق النفيسة ص ٨٠ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٠ ، المطرى : التعريف
 بما أنست الهجرة ص ٨١ .

⁽٥) قال ابن النجار في الدرة الثمينة ص ١٠٨ أن ارتفاع سقوف المسجد في عهد المهدى ٢٥ ذراعا وهو الارتفاع الذي كانت عليه في عهد الوليد بينما يذكر ابن المحجوب في قرة العين ورقة ٢٧ بأن ارتفاع جدران المسجد في عهد الوليد عشرون ذراعا ويبدو أنه ذرع من السقف إلى أرض المسجد .

السمهودى منقبته ، مما أدى إلى هدم هذا الجدار وتأسيسه كبقية جدران المسجد بالحجارة الغشيمة أو $Y^{(1)}$ ، ثم بناء ما ظهر من الجدران • بالحجارة الجيدة المنقوشة المتقنة $Y^{(1)}$.

وإذا كان حرص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كبيرا في توخى الدقة في وضع أساس جدار القبلة على ما كان عليه أولا فإنه كان حريصا أيضا في إقامة الإسطوانات في موضع الإسطوانات القديمة ، شأنه في ذلك شأن عثمان رضى الله عنه ، وهذه سنة اتبعها جميع الذين تعرضوا لتعمير المسجد وبجديده وزيادته منذ إنشائه (٣) ، وكانت هذه الإسطوانات كسابقتها تتألف من قطع حجرية مستديرة مثقوبة الوسط توضع قطعة فوق أخرى حتى تؤلف و إسطوانة مستديرة كسوارى الرخام (٤). وكان يوضع بوسط الأحجار المدورة عمود من الحديد يسكب عليه الرضاص المذاب ليملأ الفراغ حول العمود ويزيد من التحام القطع وقوتها ، وجاء الرصاص المذاب ليملأ الفراغ حول العمود ويزيد من التحام القطع وقوتها ، وجاء ان عمر بن عبد العزيز و أمر حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة النين يصليان إليها وقدر مجلس اثنين يتساندان إليها و"(٥).

وكانت الإسطوانات فى مقدم المسجد فى عهد ابن عبد ربه المتنوفى سنة ٣٢٨هـ مجصصة ، وسائر إسطوانات المسجد رخام . بيد أننى لم أجد لإسطوانات الرخام ذكر فى عمارة الوليد للمسجد ، كما أن المصادر التى اطلعت عليها لم تشر إلى بخصيص الإسطوانات فى عهده ، ويبدو أنها جصصت فى عمارة المهدى للمسجد سنة ١٦١هـ كما سيأتى (٦) ، وذلك لأن ابن عبد ربه المتسوفى سنة

⁽١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ص ٨٧ .

⁽٤) ابن المحبوب: المصدر السابق ، ورقة ٦٧ ب.

⁽٣) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٧٤ ، حسن الباشا : المدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٢٣ .

⁽٤) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ورقة ٦٧ ب .

⁽٥) السمهودي ؛ وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٥٢٢ .

⁽٦) انظر أدناه ص ١٥٠ .

٣٢٨هـ قد ذكر أن ١ العمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها نجف (١) منقشة مذهبة (٢). ويظهر أن هذا هو سند الدكتور حسن الباشا حين قال : » وشيدت أعمدة رواق القبلة بالحجارة وكسيت بالجص في حين صارت أعمدة الأروقة الأخرى من رخام (٣)

ولا يعقل أن يكون البحث عن المحاجر الصالحة وقطع الأحجار وإعدادها قد ترك حتى حضور الفعلة من الشام (٤)، وإنما لا بد أن تكون قد سبقت بناء المسجد، بل سبقت هدمه أيضا . ولا أظن أن من قدر على قطع هذه الأحجار في عمارتين متتاليتين للمسجد النبوى محتاجون إلى استقدام بناؤون مهرة يجيدون نحت الحجر وبناءه بدقة ، على أن اختلاف الروايات في عدد العمال الذين قيل أن الوليد أرسلهم (٥)، تسمع بالاستعانة بما ذكره الدكتور فريد شافعي عن ذلك من أن و ما يمكن استخلاصه من عدد العمال الذين اشتركوا في عمارة مسجد المدينة تختلف يمكن استخلاصه من عدد العمال الذين اشتركوا في عمارة مسجد المدينة تختلف نتائجه المعمارية إلى حد كبير مع كثرة العدد أو قلته ، ذلك أن مائة أو ثمانين

⁽١) عن النجف انظر أدناه ص ١٣٨ .

⁽٢) العقد الفريد ، جـ٧ ص ٢٥٢ .

⁽٣) المدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٢٣ .

⁽٤) نقل السمهودى فى الوفاء جـ ٢ ص ٥٢٢ ، ما ذكره يحيى بسنده إلى صالح بن كيسان الذى قال بعد ذكره لوصول خطاب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره ببناء المسجد ٥ واستعملنى على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى ﷺ ، حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد ٤ . وانظر : أبا عبيد البكرى : جزيرة العرب (من كتاب الممالك والمسالك) ص ٨٥ .

⁽⁰⁾ اختلفت الروايات في عدد هؤلاء العمال فهم ٨٠ عند البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٣ ، ١٠٠ عند البعقوبي : تاريخ البعقوبي جـ٢ ص ٢٨٤ ، وأبو عبيد البكرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ ، وبضعة وعشرون عند كل من ابن رستة والمقدسي ، الأعلاق النفيسة ص ٦٩ وأحسن التقاسيم ص ٨١ ، ١٠٠ عامل عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ٤ ص ٥٣٢ ، وهم كذلك عند المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٣٠ وعند السمهودي بضعة وعشرون في رواية وعشرة في رواية وأربعين في رواية ثالثة ، الرفاء ، جـ٢ ، ص ٥١٨ ، وانظر كذلك فريد شافعي: العمارة العربية ، ص ٨٨٥ .

عاملا يعملون فى مسجد مساحته نحو ١٠٠ × ١٠٠ متر ، ويبلغ الجزء المغطى المشيد منه نحو ٥٦٠٠ متر مربع كان من الممكن أن يساهم فيه أولئك العمال فى البناء والزخرفة معا وفئ غير ذلك من الأعمال .

• أما إذا كان عددهم بضعة وعشرين أو عشرة فقط فإن عملهم لا يكاد يتجاوز الزخرفة والتزويق بالفسيفساء أو بغيرها حتى ولو كانوا يعادلون مائة على حد قول السمهودى . أما البناء نفسه فكان من عمل آخرين من العمال والصناع المحليين فى منطقة الحجاز بوجه عام وفى منطقة المدينة بخاصة . وفى الحالة الأخيرة يصبح من غير المحتمل أبدا أن يكون القبط قد ساهموا بالبناء ، وبالتالى لم يعملوا القبلة على هيئة محراب مجوف أو على شكل هيكل الكنيسة »(١).

وأنا أؤيد الاحتمال الذى قال به شافعى وهو أن عملهم لم يكن يتجاوز الزخرفة فقط وأنهم (كانـوا مـن أهل الشـام ويدينـون بالإسـلام (() . وذلك للأسباب التالية :

- ا سخصية الدولة الإسلامية قد بدت بوضوح عقب التعريب الكامل الذى أحدثه عبد الملك بن مروان وتوجه سنة ٧٧هـ باتخاذ طراز جديد و للسكة وهو طراز عربى خالص ٥^(٦). كما أنه و مر على فتح الشام والعراق نحو سبعين سنة ، وضحت فيها شخصية الدولة العربية وقوى نفوذها ٤^(٤).
- ٢ ـ أن حضور هؤلاء العمال إلى المدينة كان متأخرا عن أعمال الهدم وقطع الأحجار ونحتها (٥)، ثما يؤيد أن مجيئهم كان بقصد الزخرفة فقط ، أو الأعمال التكميلية التي تتبع الانتهاء من البناء عادة .

⁽١) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٥٨٩ .

⁽٢) نفس المرجع ، ص ٥٩٥ .

⁽٣) عبد الرحمن فهمي : موسوعة النقود العربية (فجر السكة) ، ص ٤٩ .

⁽٤) فريد شافعي : المرجع السابق ، ص ٥٩٥ .

⁽٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١١٩٣ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٢ .

- ٣ ـ أن هذه العمارة لم تكن الأولى التى استخدمت فيها الأحجار النحيتة المطابقة بالقصة وإنما سبقتها عمارة عثمان رضى الله عنه سنة ٢٩هـ ، ولم يرد فى المصادر التى اهتمت بذكرها شىء عن هؤلاء العمال الأجانب .
- ٤ تم فى عهد الوليد بناء المسجد الحرام أيضا ، ولم يرد لهؤلاء العمال ذكر فى عمارته مع أن الأزرقى ذكر فى وصف هذه العمارة استخدام الفسيفساء فى تكسية الجدران أيضا (١) . وكانت هذه العمارة سنة ٩١هـ(٢) ، أى أنها قريبة العهد بعمارة المسجد النبوى ، فهل كان عمال مكة هم عمال المدينة ٩ العهد بعمارة المسجد النبوى ، فهل كان عمال مكة هم عمال المدينة ٩
- أن الظن الغالب هو أن هؤلاء العمال كانوا ينقلون من حرم إلى آخر كلما لزم الأمر ذلك .
- و أنه قد اتضح كما يقول فريد شافعى من البحث الذى أعدته الباحثة و فان برشم و عن فسيفساء قبة الصخرة والجامع الأموى بدمشق و أن الفنانين والصناع الذين قاموا بعمل فسيفساء قبة الصخرة ، وجامع دمشق كانوا من أهل الشام ، وأنهم كانوا أصحاب مدرسة خاصة بهم تميزهم عن المدارس البيزنطية ، أى الرومية والرومانية السابقة والمعاصرة وذلك من ناحية التكوينات الزخرفية والأسلوب التكنى و (٢).

ويمكننا تعميم هذا الاستنتاج أيضا على عمارة الحرمين الشريفين في عهد الوليد ، ويزيد من قوة هذا الاستنتاج أن سوفاجيه ذكر أن الفسيفساء استخدمت في تكوين الأشرطة الكتابية في المسجد النبوى (٤) ، مما يدل على معرفة هؤلاء العمال للغة العربية ، وأن كلمة رومي أو قبطي ظلت تلازمهم حتى بعد إسلامهم (٥). كما

⁽١) أخبار مكة ، جــ٢ ص ٧٢ .

⁽٢) حسين باسلامة : عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٨ .

⁽٣) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٥٩٣ .

⁽٤) المسجد النبوى في المدينة ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

 ⁽٥) اشتهر بعض الصحابة رضوان الله عليهم بجنسياتهم القديمة كصهيب الرومي وسلمان الفارسي وأم المؤمنين مارية القبطية .

أن أغلب ما كتب في جدران المسجد في هذه العمارة آيات قرآنية كريمة ، لا يمكن لعمر بن عبد العزيز أن يسند كتابتها إلا إلى مسلمين متطهرين(١)

* * *

⁽۱) غث كتب الفقه على امتحباب التطهر قبل قراءة المصحف الشريف . كما أن قصة أخت عمر بن الخطاب التي أسلمت قبله سرا ، وطلبت منه التطهر عندما أراد قراءة بعض الآيات الشريفة مشهورة . كما أن ما ذكره ابن النديم في الفهرست ، جـ١ ص ٦ نقلا عن ابن إسحاق يؤيد ذلك إذ قال : إن و أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الحظ خالد بن أبي الهياج ، رأيت مصحفا بخطه وكان سعد نصبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك وهو الذي كتب الكتاب الذي في مسجد النبي كله بالذهب من والشمس وضحاها إلى آخر القرآن ، ويقال أن عمر بن عبد العزيز قال أريد أن تكتب لي مصحفا على هذا المثال فكتب له مصحفا على هذا المثال فكتب له مصحفا تفوق فيه فأقبل عمر يقبله وامتحسه واستكثر ثمنه فرده عليه) .

٣ ـ العناصر المعمارية الجديدة

أ ـ المحراب المجوف :

أن ما ذكرته الروايات العربية بخصوص إسهام الروم والقبط في بناء المسجد النبوى الشريف قد استغل من قبل المستشرقين المهتمين بأمر العمارة الإسلامية ، فحاولوا عن طريقة الربط بين وجود الحراب الذى استحدثه عمر بن عبد العزيز لأول مرة في تاريخ المسجد^(۱) ، وبين حنية الكنيسة ^(۲) ، وقالوا إن الإسلام قد اقتبس المحراب على مضض^(۲) ، مستغلين ما جاء في مقالة السيوطي (إعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب) من أحاديث تصفه بالبدعة وتحرم الصلاة فيه (٤) ، ومع أن الشكوك تحيط بسند هذه الأحاديث وبصحة نسبتها إلى السيوطي (٦) ، إلا أن

⁽۱) كانت لفظة القبلة معروفة في عهد الرسول عليه السلام ، وتشير إلى ذلك أحاديث مخويل القبلة وآيات من القرآن الكريم ، وكان عليه السلام يوكز عصاه أو حربته كعلامة لتمييز انجاه القبلة ، انظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جــ ٢ ص ١٢٨١ ، ونجاة يونس الحاج : المحاريب العراقية م. ٢٠٠ .

⁽٢) يقول أحمد فكرى فى حاشية ص ٢٩٨ من المدخل و اختلف المستشرقون كعادتهم ، كما رأينا في البحث عن أصل المحراب ، وقال البعض أن المحراب مأخوذ عن المعابد الهندية ، وقال البعض الآخر أنه مشتق من الكنائس السورية ، وقال فريق ثالث أنه منقول عن المذابح القبطية ، وقال أحدهم أنه مشتق من الهيكل اليهودى .

⁽٣) فريد شافعي : العمارة العربية ص ٥٩٩ ، حيث يقول أن صاحبة هذا الرأى هي جرتدودبل وتبعها كريزول ولا مانس .

⁽٥) تشككت نجحاة يونس في نفس المرجع ، ص ٣٦ ـ ٣٥ في أحاديث السيوطي فقالت : أنه و أخذ بعضها من كتاب الزركشي و إعلام الساجد بأحكام المساجد ، والقسم الآخر من كتاب المدخل لابن الحاج ، والأحاديث المذكورة هي عن عمل الزخرفة وخاصة على جدار القبلة والحراب ، وأن السيوطي نسب هذه الأحاديث إلى المحراب كعنصر معماري عندما يقول : و أن استعماله محرم وهو من أشراط الساعة ،

 ⁽٦) يبدى فريد شافعى تشككه فى صحة نسبة هذه المقالة للإمام السيوطى فى العمارة العربية ،
 ص١٠١ وما بعدها فى صحة نسبة هذه المقالة إلى الإمام السيوطى وذلك فى ١ العمارة العربية ،
 العربية ،

مناقشتها والاحتجاج بها له مكانة كبيرة عند المشتغلين بالآثار الإسلامية من المستشرقين وقد حالف التوفيق بعض الباحثين العرب عمن أمكننى الاطلاع على بحوثهم أمثال فريد شافعى (١) وأحمد فكرى الذى أثبت بالدليل القاطع وجود محراب مجوف ينسب إلى عقبة بن نافع مؤسس جامع القيروان سنة ٥٠هـ (١)، أى أنه وجد قبل محراب المسجد النبوى بأربعين عاما . وفيما قدماه من عرض وتخليل لآراء المؤرخين واستنتاجات المستشرقين والرد عليها ، ما يغنى عن البحث فيها مرة أخرى . وكان وجود المحراب في المسجد ضرورة ملحة دعت إليها فوائد ثلاث كما تقول نجاه يونس الحاج (٣).

١ - دخول الإمام فيه ، لأن النبى الله أثناء الصلاة كان يترك بينه وبين جدار القبلة ثلاثة أذرع ، وأقله ممر الشاة ، ولهذا اضطر المسلمون إلى ابتكار المحراب المجوف لأن وقوف الإمام فيه يضيف إلى المسجد صفا كاملا .

٢ - ارشاد المصلين إلى الاعجاه الحقيقي للقبلة .

٣ - تضخيم الصوت أثناء الصلاة (٤).

ب _الهنارات :

لم يكن للمسجد النبوى قبل عمارة الوليد منارات يؤذن عليها ، وإنما كان يؤذن في عهد الرسول على من فوق إسطوانة في بيت حفصة (٥) ، وقيل من على سطح امرأة من بنى النجار (٦) ، ولا أعلم شيئا عن موضع الآذان في المسجد النبوى قبل عسارة الوليد ، إلا أن الغالب على الظن أن الدور الجاورة ، وربما سطح المسجد، كانت تستخدم للآذان أيضاً .

⁽١) نفس المرجع ، ص ٥٨٤ ـ ٦٢٤ .

⁽٢) انظر جامع القيروان ، ص ٥٧ _ ٥٩ ، والمدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٢٩٧ .

⁽٢) ، (٤) المحاريب العراقية ، ص ٢٩ .

⁽٥) ، (٦) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٥٢٩ وما يعدها .

وهناك روايات كثيرة تشير إلى وجود منارات في مساجد جامعة أقيمت قبل منارات المسجد النبوى . فقد ذكر البلافرى أن بناء منارة جامع البصرة كان في ولاية زياد بن أبيه سنة ٤٥هـ(١) ومنارات جامع عمرو بن العاص بالفسطاط أنشئت بأمر معاوية بن أبي سفيان في ولاية قرة بن شريك سنة ٥٣هـ(١) . ويبدو من انتشار المناثر في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، أن المسجد النبوى ولا شك كان بحاجة إلى مثل هذه المناثر خاصة بعدما هدمت الدور المجاورة له والحقت بالمسجد في الزيادات المذكورة سابقا . وقيام المناثر سواء في المسجد النبوى أو غيره من المساجد الجامعة كان ضرورة أوجها التوسع الكبير في المدن وكثرة السكان بها على أن المستشرقين تناولوا هذا العنصر المعمارى بالدرس والتحليل محاولين إرجاع على أن المستشرقين تناولوا هذا العنصر المعمارى بالدرس والتحليل محاولين إرجاع اشتقاقه من أصول غير إسلامية (٦) ، متناسين أن الحاجة هي التي دعت إليه ، والحاجة كما يقال أم الاختراع . ومهما يكن من أمر فإن ابن إسحاق الحربي نقل عن عبد العزيز بن عمران المتوفى سنة ١٩٧هـ قوله : « لم يبلغنا أن المسجد كان في منار يؤذن عليه بأكثر من تلك الإسطوان والأقباب (٤) ، فلما بني عمر بن عبد العزيز جعل للمسجد أربع منارات في كل زاوية منارة ه (٥)

وقد ذكر ابن زبالة فيما يرويه عنه السمهودى ، وصفا لعرض وطول ثلاث من مناير المسجد (٦٦)، إلا أنه ذكر في رواية نقلها عنه السمهودي أيضا إنشاء الوليد لأربع

معروفة ﴾ ولعل المقصود في هذا النص المباني المرتفعة المجاورة للمسجد .

⁽١) فتوح البلدان : ص ٤٨٥ ، وانظر فريد شافعي : العمارة العربية ص ٦٣٥ .

 ⁽۲) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ ۲ ص ۲٤٨ ، وانظر فريد شافعى : المرجع السابق ص ٦٣٧ .

⁽٣) فريد شافعي : العمارة العربية جـ ١ ص ٦٣٧ ، وانظر أحمد فكرى : جامع القيروان ، ص ١١٠ وما ذكره عن قول كريزول باشتقاق منارة جامع القيروان من برج الشيخ كاسون بالقرب من حاما. (٤) قال ابن منظور في لسان العرب جـ ١ ص ٣٥٩ ه أن القبة عجمع قبيب وقباب والقبة من البناء

 ⁽٥) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٨ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٠ والمطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٨١ ، الاسفرائنى : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال . ورقة ١٨٥ ب ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٢٥ .

⁽٦) نقل السمهودى عن ابن زبالة قوله و وطول المنارة الشرقية اليمانية فى السماء خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الشرقية الشامية خمس وخمسون ، والمنارة الغربية الشامية ثلاث وخمسون ، وعرض المنارات ثمان أذرع فى ثمان أذرع » .

ذكر بأن باب المنارة الرابعة على المسجد مما يلى دار مروان (۱). وتبعهما ابن إسحاق الحربى الذى نقل عن عبد العزيز بن عمران عن كثير بن جعفر الذى أسند إليه يحيى روايته السابقة (۲)، وكذلك ابن رستة (۳)، وهؤلاء ومن تبعهم أكدوا هدم سليمان بن عبد الملك لهذه المنارة الرابعة . إلا أن ابن فرحون ، الذى عاصر إعادة عمارة هذه المنارة سنة ٢٠٧هـ لأول مرة بعد هدم سليمان لها كما قيل ، قال : « إن بعض المؤرخين يذكر أن هناك مأذنة مشرفة على دار مروان فهدمها غيرة على أمله من مؤذنها ، فلم يجدوا لذلك صحة ولا أثر البتة » (٤). ولكن السمهودى يقول باحتمال « أن تكون على باب المسجد وسطحه مما يلى دار مروان ، وليس لها في الأرض أساس » (٥)، ثم يقول : « فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها (۲).

ولكن التقارب في طول المنارات التي ذكرها ابن زبالة وهو: ٥٥ ذراعا للشرقية والشرقية الشامية ، و ٥٣ ذراعا للغربية والشامية يجعل من المسلم به إذا صح وجودها أن طولها كان مساويا لهذه المنارات وبالذات للمنارة الشرقية اليمانية الواقعة في قبلة المسجد . وهذا الطول الذي يبلغ بالأمتار ٢٥ مترا(٧) يجعل من غير المعقول أن تكون بنيت بغير أساس . كما أن سوفاجيه ينكر هذا الرأى و لأن السقف الخشبي لقاعة الصلاة لا يمكن أن يحتمل ثقل برج ارتفاعه ٥٠ ذراعا مهما ذهب الظن إلى خفته ه (٨). وفي هذا ما يدعو إلى الشك في صحة هدم سليمان بن عبد الملك لها . ويزيد في صححة القول بأن المنارات التي أورد ذرعها ابن زبالة هي الملك لها . ويزيد في صححة القول بأن المنارات التي أورد ذرعها ابن زبالة هي

⁽١) السمهودي : المصدر السابق جــ ٢ ص ٥٢٦ .

⁽٢) كتاب المناسك ، ص ٣٦٨ .

⁽٣) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

⁽٤) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣ .

⁽٥) ، (٦) وفاء الوفا ، جــ٦ ص ٥٢٩ .

 ⁽٧) انظر حسن الباشا : الهدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٣٤ وفالترهنتس : المكاييل والأوزان
 الإسلامية ص ٨٨ .

⁽٨) المسجد الأموى في المدينة ص ٧٥ .

المنارات التي كانت في عهد الوليدو أن ابن جبير الذي زار المدينة منة ٥٨١ه وجد و المنارتين الشاميتين صغيرتان على هيئة برجين ١٤٠٥ أما المنارة الشرقية الجنوبية فإنها على هيئة الصوامع ١٤٠٠، مما يحسمل على الظن أن المهدى هدم المنارتين الشماليتين وأبقى المنارة الثالثة المعروفة بالرئيسية التي تقع في الركن الجنوبي الشرقي والتي أورد وصفها ابن زبالة ، وأنشأ هذين البرجين . وبهذا تكون رواية هدم سليمان بن عبد الملك للمنارة الرابعة رواية غير صحيحة ، إذ ليس من المعقول أن يأمر بهدم منارة تطل على دار يسكنه بصفة مؤقتة تنتهى بانتهاء الحج ، بل الصواب كما أراه أن هذه المنارة لم تنشأ أصلاً لقربها من دار مروان التي استخدمت دارا للإمارة من قبل بناء المسجد في ولاية مروان بن الحكم للمدينة في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان .

جــ الشرافات :

ذكرت معظم الروايات أن أول من أحدث الشرافات في المسجد النبوى عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد^(۳)، كما نقل السمهودى عن يحيى بن الحسين أن القاسم وسالم^(٤) نظرا إلى الشرافات التي عملها عمر بن عبد العزيز (وقالا أنها من زينة المسجد) (٥). غير أن من الروايات ما يذكر أن (عبد الواحد بن عبد الله

⁽¹⁾ رحلة ابن جبير ص ١٧٣ .

⁽۲) رحلة ابن جبير ، ص ۱۷۳ .

 ⁽٣) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٨ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ، ص ١٠١ ، المراغى :
 تحقيق النصرة ، ص ٥١ ، والسمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٥ .

⁽٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ذكر عنه السخارى فى التحفة اللطيفة جـ٢ ص ١٠٦ ، أنه تابعى سمع أباه وعائشة ورافع بن خديج وأبا هريرة وسفينة ، ثم سعيد بن المسيب ومات سنة ١٠٧هـ . أما القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة فقد ترجم له السخاوى فى المصدر المذكور ، جـ٣ ص ٤٠٣ .

⁽٥) وفاء الوفا جــ٢ ص ٥٢٥ .

⁽٦) ابن إستحاق : كتاب المناسك ص ٥٨٥ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة جـ٧ ص ٧٠ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٢٥ ، وقال السخاوى في التحفة اللطيفة ، جـ٣ ص ٩٨ ، أن يزيد بن عبد الملك ولى على المدينة المنورة سنة أربع ومائة عبد الواحد النصرى .

النصرى وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة ه (٢) ولا يظن أن عمر بن عبد العزيز أهمل عمل شرافات المسجد إن صح أنه أهمل عملها ، مع أنه استخدم التذهيب والفسيفساء والكتابات في تزيين داخل المسجد كما لا يظن أن ذلك ناشيء عن عدم معرفة بها أو كراهية لها (١) ، خاصة وقد ورد ما يؤيد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل لسطح المسجد في عهده سترة قدرت بذراعين أو ثلالة (٢) . وفضلا عن ذلك فإن الأزرقي يذكر بناء الشرافات في المسجد الحرام عند عمارة الوليد له سنة ٩١هـ (٣) ، ولا يعقل بتاتا أن تعمل في مكة وتهمل في المدينة

ويمكن الجمع بين الروايات الختلفة بأنها عملت في عمارة الوليد ثم جددها عبد الواحد النصرى سنة ١٠٤هـ. والفارق في الزمن بين انتهاء عمارة الوليد سنة ٩٠هـ، وعمل النصرى لها سنة ١٠٤هـ كفيل بعطبها أو إحداث خلل فيها مما دعا النصرى إلى إصلاحها فنسبت إليه . ومن المحقق سواء كان عمر بن عبد العزيز هو الذي أحدثها أو النصرى ، أنها كانت مخيط بأعلى جدران المسجد الخارجية بالإضافة إلى إحاطتها بصحن المسجد الشريف من الداخل .

هذا عن أهم العناصر المعمارية التي استحدثت في عمارة الوليد ، أما المقصورة التي جددها بالساج والتي قيل أنه أنفق عليها أربعين ألف دينار(٤)، فكانت مرتفعة

⁽۱) ذكر الزركشى فى إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٣٥ _ ٣٣٦ بأنه يكره نقش المسجد واتخاذ الشرافات له ، وروى عن البيهقى عن أنس مرفوعا قول الرسول عليه السلام 3 ابنو المساجد واتخذوها جما ٤ وروى عن ابن عمر أنه قال : 3 نهانا ، أو نهينا أن نصلى فى مسجد مشرف ٤ وانظر : السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٢٥ .

⁽٢) انظر أعلاه ص ٨٨ .

⁽٣) أخبار مكة جـ ٢ ص ٧٢ ، حسين باسلامة : عمارة المسجد الحرام ص ٤٨ .

⁽٤) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٩ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧١ ، السمهودى : وفاء الرفا جـ٢ ص ٥٢٣ ، ومع ذلك يبدو أن هذا المبلغ مبالغ فيه إذا كان المقصود به النفقة على المقصورة وحدها والصواب ما رواه ابن النجار من أن نفقة هذا المبلغ و كانت على جدار القبلة وما بين السقفين ، ولعل مقصد ابن النجار بما بين السقفين ما ذكره ابن عبد ربه عن مجاز المسجد بقوله : و وقبالة الحراب موسطة البلاطات بلاط مذهب كله شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه ، وفي البلاط الذي يلى المحراب تذهيب كثير ... ، انظر العقد الفريد جـ٧ ص ٢٥٢ .

عن أرض المسجد ذراعين^(۱) وكان يدخل لها من باب في جدار القبلة يؤدى إلى دار مروان^(۲)، التي كانت دار للإمارة والتي كانت « تمتد في قبلة المسجد من باب السلام إلى دار آل عمر)^(۳).

أما أبواب المسجد في هذه العمارة فقد ذكر كل من المطرى والاسفرائيني والمراغى أنها عشرين بابا^(٤). ولكن ابن النجار اعتبر هذه الأبواب بعد زيادة المهدى دون الإشارة إلى أنها كانت في عمارة الوليد (٥)، وأيده في ذلك السمهودى الذي عد قول من ذكر بأن الوليد جعل للمسجد عشرين بابا وهما ، لأن المنقول كما يقول عن هذه الأبواب و أنها إنما كانت في زيادة المهدى ٤^(٢) والواقع أن توسعة الوليد التي قدرها مكتب التوسعة السعودية ٢٣٦٩م٢ (١)، والتي كانت أربع المطوانات في الشرق وإسطوانتين في الغرب وأربع في الشمال ، لا مختاج إلى كل هذه الأبواب ، ولعلها اقتصرت على الأبواب التي كانت في المسجد قبل عمارته .

ويزكى هذا ما يذهب إليه الدكتور حسن الباشا من أن المداخل القديمة وانتقلت إلى الجدران الجديدة على نفس المحاور القديمة ، ومن ثم ظلت محتفظة بأسمائها ، وهي باب النساء وباب جبريل في الجدار الشرقي وباب الرحمة وباب

⁽۱) المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٥٤ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٢ ولعله يقصد بارتفاعها عن أرض المسجد أى ردمها بالتراب حتى ترتفع أرضها عن أرض المسجد بذراعين . وذلك لأنه قد جاء أن المهدى خفض أرضها حى جعلها بمستوى أرض المسجد .

⁽۲) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ۱۰ ص ۱۹۲ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ۲ ص ۷۰۱ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها جـ ۱ ص ۱۲۹ .

 ⁽٤) التعريف بما أنست الهجرة ص ٣١ ، زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٥ ب ، مخقيق النصرة ، ص ٧٥ .

⁽٥) الدرة الشمينة ص ١٠٩ .

⁽٦) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٦ .

⁽٧) إبراهيم الشوارى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين جـــ ص ٤٣ .

السلام في الجدار الغربي ١٥٠٠. وكذلك بابا مؤخر المسجد أيضا(٢).

وكانت مداخل بدون أبواب مما دعا عمر بن عبد العزيز عندما فرغ من بنيان المسجد إلى التفكير في (أن يجعل في أبوابه في كل باب سلسلة تمنع الدواب من الدخول فعمل واحدة وجعلها في باب مروان ثم بدا له عن البواقي (٣) .. وأقام الحرس فيه (٤) يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فيه ومن أن يخترقوه (٥).

* * *

⁽١) المدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٢٣ .

⁽۲) اقتصر سوفاجيه في مخططه الذي وضعه عن المسجد النبوى في عهد الوليد ص ٩١ ، من كتابه المسجد الأموى في المدينة ، على باب واحد في منتصف الجدار الخلفي للمسجد ، ومن المروف أن هذا الباب فتح في هذا الجدار في عهد الرسول عليه السلام بعد تحويل القبلة . إلا أن من الثابت أيضاً أنه كان به في عهد عمر بن الخطاب بابين ، وقد حافظ عليهما عثمان أيضاً في عمارته ، ومن الأولى أن يحافظ عليهما كذلك في عمارة الوليد هذه ، خاصة وأن الزيادة الكبيرة التي زادها الوليد ، تستوجب المحافظ عليهما على هذه الأبواب . أما أحمد فكرى فقد استبعدهما من المخطط الذي وضعه في كتاب المدخل ص ١٩٤ . والحقيقة أن لكل من سوفاجيه وأحمد فكرى ومن حلا حذوهما العلر في اختلاف وجهات النظر هذه لأنه ليس لدينا نص صريح يمكن ومن حلا حذوهما العلر في اختلاف وجهات النظر هذه لأنه ليس لدينا نص صريح يمكن الاعتماد عليه في عدد الأبواب ومواضعها الحقيقية في عمارة الوليد ، سوى ما ذكرته بعض الروايات من أن عددها عشرون بابا ، إلا أن هذه الأبواب كما سيأتي ، ثبت وجودها في عمارة المهدى للمسجد النبوى .

⁽٣) قال ابن النجار عقب ذلك و قلت فهى باقية إلى اليوم ٥ . وقال ابن حجر الهيشمى المتوفى سنة ٩٧٤هـ و وهـى اليوم معلقة بالباب المذكبور كما تراها ٥ . انظر مخطوط تخفة الزوار ، ورقة ٨٠١ أ . وذكر السمهودى أن و ملسلة باب السلام ترفع فى أيام المواسم ، لأنه اتفق فى سنة أربع وخمسين وثمانمائة ازدحام الناس عندها فهلك جماعة . وذكر سوفاجيه فى المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٧٨ و أن هذا الإجراء متبع حتى الآن فى الشرق وخاصة فى أبواب الأسواق ٥ .

⁽٤) يعني المسجد النبوي .

⁽٥) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٣ ، وانظر القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣٠ .

٤ . نقوش المسجد وزخرفته

لم يكتف عمر بن عبد العزيز والى المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك بعمارة المسجد النبوى الشريف بالأحجار النحيتة والقصة ، ولم يكتف أيضا بما أدخله على هذه العمارة لأول مرة في تاريخ المسجد من عناصر معمارية وزخرفية ، وإنما عمد فوق هذا كله إلى استخدام أنواع كثيرة من أساليب الزخرفة التي بدأت تزين المساجد من ذلك الوقت ، وهي :

أولا: الأشرطة الكتبابية المدونة بماء الذهب بالخط الكوفى السائد فى ذلك العصر (١) فى مخلية جدران المسجد الداخلية وكوشات العقود (٢) المطلة على الصحن إلا أن ما وصلنا مما كان مكتوبا فى عهده قليل جدا للأسباب التالية:

أ ـ لاعتداء الكثيرين من المتعصبين لبنى العباس من ولاه المدينة وغيرهم على هذه النصوص ومحو ما يسجل منها اسم أحد من خلفاء بنى أمية وإعادته باسم أحد خلفاء بنى العباس (٣)، وقد أدى ذلك إلى جرم بعض المؤرخين بقيام بعض خلفاء بنى العباس بعمارة المسجد النبوى الشريف (٤).

ب _ لأن الكثير من هذه الكتابات عبارات دعائية وآيات عديدة من القرآن

⁽١) ذكر إبراهيم جمعة في تطور الكتابات الكوفية ، ص ٧٧ أن مدة سيادة الخط الكوفي التذكاري في العالم الإسلامي تمتد حتى القون السادس الهجري .

⁽٢) هي واجهات الجدار المقام فوق العقود .

⁽٣) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٨٦ وما يعدها ، والمقريزى : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ٤٦ ، وانظر : سوفاجيه : المسجد الأموى في المدينة ، ص ٦٥ .

⁽٤) انظر ابن قتيبة : المعارف ، ص ٧٤٥ . وقد استطاع سوفاجيه فى المسجد الأموى فى المدينة ص ٢٢ أن يصل من خلال تحليله للنصوص إلى أن ما قاله ابن قتيبة بخصوص زيادة المأمون كانت بناء على ما قرأه فى جدار المسجد فقط دون أن يكون له سند آخر .

الكريم ، وما سجله المؤرخون منها يفتقر إلى التأريخ أو اسم كاتبه (١) ، إلا ما ذكره ابن النديم مما كان في جدار القبلة بأنه بخط خالد بن أبي الهياج .

حــ لأن المؤرخين الذين اهتموا بتسجيل هذه النقوش ، وفي مقدمتهم ابن زبالة المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، سجلوها بعد عمارة المهدى سنة ١٩٩ هـ ، فخلطوا بين نقوش المسجد في عهد الوليد ونقوش المسجد في عهد المهدى . وفوق هذا كله فقد ذكر ابن إسحاق الحربي نقلا عن يحيى بن الحسين و أن عمر بن عبد العزيز كتب الكتب(٢) في المسجد وأن الذي كتب الكتب الكتاب الذي في القبلة في مسجد النبي على أوله أم القرآن حتى ختمها ، و والشمس وضحاها » إلى خاتمة و قل أعوذ برب الناس » ، وهو من حذاء يمينك حين تدخل المسجد من الباب الذي يلى دار مروان حتى تنتهى إلى باب على و قال : و وكتبه مولى لأل حويطب بن عبد العزى يقال له سعد حطبة ، (٦) ولكن ابن النديم يروى خلاف عبد العزى يقال له سعد حطبة ، (١) ولكن ابن النديم يروى خلاف عبد العزى يقال له سعد حطبة ، (١) خالد بن أبى الهياج و هو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي خلله بالذهب من و والشمس وضحاها » إلى آخر القرآن (٤).

 ⁽١) ورد في بعض النقوش أن هذا من عمل أهل حمص وفي البعض الآخر عمل أهل بيت المقدس ولكن هذا لا يعنى أنه كان في عهد الوليد أو في عهد المهدى .

⁽٢) يقصد بها السور والآيات القرآنية المكتوبة على جَدران المسجد .

⁽٣) كتاب المناسك ص ٣٨٥ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٠ ، إلا أنه أهمل ذكر كاتبه وقال صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، المنشورة في مجلة العرب ، السنة الشامنة ، حـ٥ ، ٦ سنة ١٣٩٣هـ وصفا لما في جدار القبلة من كتابات فقال : ٥ وفي قبلة الحراب في أعلى التراخيم مكتوب بالذهب من باب الرحمة إلى باب جبريل من أول سورة ٥ والشمس وضحاها » إلى آخر مورة ٥ قل أعوذ برب الناس » وفوق ذلك الجدار كله نقش بالفسيفساء ٥ ومن هذا يفهم أن نقوش جدار القبلة لم تكن مكتوبة بفصوص الفسيفساء بل بحروف بارزة في الجدران المطلية بالجص كما يفهم مما ذكره ابن عبد ربه في ص ٢٥٢ من الجزء الثاني من المقد الذ.

⁽٤) الفهرست ، جدا ص ٦

ونقل كل من ابن رستة وابن إسحاق الحربي ، وابن قتيبة وابن النجار(١)، النص المنقوش في جدار رواق القبلة المطل على الصحن ، ومنهم من يزيد على غيره ومنهم من ينقص . وما دونه ابن قتيبة معتمدا فيما يبدو على ما حفظه (٢) ينقص كثيرا^(٣) والنص كما أورده ابن إسحاق الحربي كالتالي :

و يسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، محمد عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أمر عبد الله(٤) أمير المؤمنين بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتاب الله(٥) وطاعته(٦) وسنة نبيه (٧) صلى الله عليه (٨) وبصلة الرحم وتعظيم ما صغر الجبابرة من حق الله (٩) وتصغير ما عظموا من الباطل ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وإماته ما أحيوا من العدوان والجور(١٠)، وأن يطاع الله(١١) ويعصى العباد في طاعة الله. فالطاعة لله(١٢) ولأهل طاعة الله (١٣)، لا طباعة لأحيد في معصية لله ،

⁽١) الأعلاق النفيسة ص ٧٢ ، كتاب المناسك ص ٣٨٧ ، المعارف ص ٢٤٥ ، الدرة الشمينة ص

⁽٢) انظر ما ذكره سوقاجيه عن ذلك في صفحة ٦٢ من المسجد الأموى في المدينة .

⁽٣) هذا نص ما ذكره ابن قتيبة في المعارف ، ص ٢٤٥ : أمر عبد الله عبد الله يتقوى الله ومراقبته وبصلة الرحم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله 🏶 وتعظيم ماصغر الجبابرة من حقوق الله واحياء ما أماتوا من العدل وتصنير ما عظموا من العدوان والجور وأن يطاع الله ويطاع من أطاع الله وبمصى من عصى الله فإنه لا طاعة لخلوق في معصية الله والتسوية بينهم في فيعهم ووضع الأخماس مواضعها .

⁽٤) ليست عند ابن النجار .

⁽٥) أضاف ابن النجار 1 عز وجل 1 .

⁽٦) ليست عند ابن النجار .

⁽٧) أضاف ابن النجار ٥ محمد صلى الله عليه وسلم ٥ .

⁽٨) صلى الله عليه ليست في الأعلاق النفيسة .

⁽٩) أضاف ابن النجار ٥ مبحانه ٥ .

⁽١٠) ليست في الأعلاق النفيسة .

⁽١١) أضاف ابن النجار ٥ سبحانه ٥ .

⁽١٢) أضاف ابن النجار ٥ سبحانه ٥ .

⁽١٣) استبدل ابن النجار طاعة الله بـ ١ طاعته ٤ .

ندعو^(۱) إلى كتاب الله^(۲) وسنة نبيه صلى الله عليه^(۱) وإلى العدل في أحكام المسلمين ، والقسم بالسوية في فيثهم ، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله^(٤) بها ، لذوى القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل ، (٥)

وذكر ابن إسحاق الحربي أن الحرورية (١) نقضت هذا النص ، و ثم أعاده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى حين ولي المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ثم نقضه داود بن على حين قدم واليًا لأبي العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأعانه (٧) على إصلاح ذلك صالح بن كيسان فتوفي داود قبل أن يتمه (٨) ، فتمه زياد بن عبد الله الحارثي (٩) ، فدعي له مولى من موالي أهل المدينة يقال له ابن غزالة فكان هو الذي غيره وأتمه ه (١٠) وقد حلل سوفاجيه مخليلا دقيقا هذا النص الذي أورده ابن رستة وابن قتيبة وابن النجار (١١) ، وانتهى سوفاجيه إلى أن هذا النص ليس هو النص الذي

⁽١) في الأعلاق وعند ابن النجار (يدعو ١ .

⁽٢) أضاف ابن النجار 1 مبحانه 1 .

⁽٣) أضاف ابن النجار ٥ وسلم ٥ .

⁽٤) أضاف ابن النجار ٥ مبحانه ٥ .

⁽٥) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٢٨٦ _ ٣٨٧ .

⁽٦) هم طائفة د من الخوارج تنسب إلى حرواء بقرب الكوفة ، لأنه كان بها أول اجتماعهم ويخكيمهم حين خالفوا عليا . وكان عندهم تشدد في الدين حتى مرقوا منه د انظر المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ، جـ ١ ص ١٦٦ ، وبترتب على النص السابق أحد احتمالين إما أن يكون تحريف الحرورية له كان من أصله الأموى إلى مؤيديهم أو من النص العباسي المحرف إلى أتصارهم ثم أن داود بن على أرجع ألفاظه لتؤيد العباسيين منة ١٣٧هـ .

⁽٧) أعلن داود بن على .

⁽٨) كانت وفاته كما يذكر السخارى في التحفة اللطيفة جـ٢ ص ٣٤ في ربيع الأول سنة ١٣٣هـ.

 ⁽٩) ذكر السخاوى في المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٩ في أول ترجمته له أنه ولى أمرة الموسم للسفاح
 في ٥ مئة ثلاث وثلاثين ومائة ، ثم أمرة الحرمين لأخى السفاح المنصور ، وكان على ولايته زمنا،
 مجمعة ومتفردة ، ثم حزل في منة أربعين ومائة ،

⁽٢٠) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .

⁽٢٤) لم يكن كتاب ابن إسحاق الحربي من المصادر التي اعتمد عليها سوفاجيه ومع ذلك فقد ورد به النص المذكور .

كان منقوشا في عهد الوليد ، وأنه حرّف في العصر العباسي(١). وأن بداية النص الأصلى يجب ردها بما يتفق والتأريخ والتقاليد هكذا :

أمر عبد الله الوليد أمير المؤمنين ببنيان هذا المسجد وتزيينه

بدل من :

أمر عبد الله عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه

وذكر أن الذى سهل التغيير أن الكتابة بمكعبات الفسيفساء ، مما سهل نزع كلمة الوليد واستبدالها بكلمة عبد الله ونزع كلمة ببنيان واستبدالها بكلمة بزينة . واستشهد على ذلك بما حدث في كتابات بيت المقدس حيث أمكن الاهتداء إلى النص الأول لتأسيس قبة الصخرة المشرفة وسط سلسلة طويلة من النقوش والآيات القرآنية (٢).

ثانيا : مكعبات الفسيفساء :

استخدمت الفسيفساء في زخرفة جدران المسجد النبوى الشريف في عمارة

⁽۱) ذكر المقريزى في الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ٤٦ ، الخبر التالى ، وسوف أذكره هنا بنصه كما له من فائدة في بيان تخريف النصوص الأموية في العصر العباسي وحكى محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه، قال : رأيت فيما يرى النائم . في آخر صلطان بني أمية .. كأني دخلت مسجد رسول الله يخد فرفعت رأسي ، فرأيت الكتاب الذي في المسجد بالفسيفساء ، فإذا فيه : مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وإذا قائل يقول : يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بني هاشم يقال له محمد ، قلت فأنا من بني هاشم واسمى محمد فأبن من ؟ قال ابن عبد الله فلت فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، فابن عبد الله ، فابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، فلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال : ابن عباس ، فلو لم يبلغ العباس ما شككت أني صاحب الأمر ، فتحدث بها ذلك الزمان ، ونحن لا نعرف المهدى ، حتى ولى المهدى ، فدخل مسجد رسول الله كل فرأى اسم الوليد إلى اليوم » ؟ و فدعا بكرسى فألقى في صحن المسجد ، وقال : النا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمى مكانه » ففعل ذلك وهو جالس » .

⁽٢) انظر المسجّد الأموى في المدينة ، لسوفاجيه ص ٦٥ _ ٦٦ .

الوليد كما هو الحال في المساجد التي عمرت في عهده (١)، ومن المسلم به أن هذه الفصوص الزجاجية (٢)، مجلوبة من بلاد الشام، أرسلها الوليد إلى المدينة (٣) مع عمال مختصين في تركيبها، وقد أكدت مارجريت فان برشم استقلال صناعة الفسيفساء في الشام وأن أهل الشام كانوا أصحاب مدرسة خاصة تتميز عن المدارس البيزنطية والرومانية السابقة والمعاصرة، وأكد فريد شافعي عروبة العمال الذين أرسلهم الوليد من الشام (٤). وقيل أن الفسيفساء المجلوبة كانت أربعين حملا وكانت النورة تخمر سنة كاملة لتعمل بها (٢) الفسيفساء في الحيطان قصورا

⁽١) كالجامع الأموى ومسجد قبة الصخرة والمسجد الحرام .

⁽٢) عرف أبى فضل الله العمرى فى كتاب مسالك الأبصار ، جـ ا ص ١٩٣ ، الفسيفساء فقال : ٤ أنها قطع زجاجية من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق ، ومن هذا النوع المسحور ، وأما الملون فمعجون وقد عمل منه فى هذا الزمان شىء كثير برسم الجامع الأموى . وحصل منه عدة صناديق وفسدت فى الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة . غير أنه لا يجىء تماما مثل المعمول القديم فى صفاء اللون وبهجة المنظر والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعة متناسقة (عملت بمقدار) واحد والجديد قطعة مختلفة وبهذا يعرف الجديد والقديم ؟ .

⁽٣) ذكر الطبرى في تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩٤ ، أن ملك الروم و أصر أن يتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها إلى الوليد فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز . وذكر الدكتور إبراهيم أحمد العدوى في كتابه و الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٧١ . طريقة حصول الوليد على فسيفساء الجامع الأموى في دمشق ، فقال : وكان الوليد يفرض على الجيوش الإسلامية من أهل الشام ومصر والعراق أن يحمل كل جندى منها يغير على أرض البيزنطيين قسما من الفسيفساء وذراعا في ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ويستأجرون من يحمله إلى دمشق ، ويحمله أهل حمص إلى حمص ومنه إلى دمشق ، ويحمله أهل دمشق يحملونه إلى دمشق ، ويحمله أهل حمص إلى حمص ومنه إلى دمشق ، والمناع والمنام الذي كان سائداً في العالم القديم والمعروف باسم و الليتورجيا التعاون بأنه مشابه للنظام الذي كان سائداً في العالم الإسلامي بتقديم الصناع والفنيين ومواد الصناعة إلى الحكومة المركزية للقيام بما تريده من الأعمال الفنية البجليلة »

⁽٤) العمارة العربية ، ص ٥٩٣ وما بعدها .

⁽٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جــ٨ ص ١١٩٤ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جــ٢ ص ٢٨٤.

 ⁽٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص ٨٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٨١.
 ولا أدرى هل لتخمير النورة سنة كاملة أثر كبير في زيادة تماسكها وجودتها ؟ أم أن هذا من قبيل المبالغة ؟

وأشجارا . وقال العمال في ذلك إنما عملناه على ما وجدناه من صور الجنة وقصرها(۱). وكان عمر بن عبد العزيز يراقبهم ويستحسن عملهم ، ويكافيء المتقنين منهم(۲). وهذه المراقبة الدقيقة من عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مجمل من الصعب عليهم الغش في صنعتهم ، وبالتالي تبطل الروايات التي قيلت عن مخالفتهم وعقاب بعضهم بقطع رأسه عند تصويره لبعض الحيوانات (۲).

وذكر السمهودى نقلا عن الواقدى أن القبط عملوا « مقدم المسجد وكانت الروم تعمل ما خرج من السقف جوانبه ومؤخره » وأن سعيد بن المسيب كان يقول: « عمل هؤلاء أحكم يعنى القبط » (٤) ولفظة القبط والروم ظلت تطلق على أهل مصر وأهل الشام حتى بعد إسلامهم ، ويزكى ذلك اسم أم المؤمنين مارية القبطية والصحابي الجليل صهيب الرومي ويذكر فريد شافعي « أن الروم هنا هم أهل الشام الذين أسلموا ولكنهم مع ذلك بقوا يسمون بالروم وإذن فقد ظل ذلك اللفظ يطلقه المؤرخون العرب في العصر الإسلامي على كل من النصارى اللفظ يطلقه المؤرخون العرب في العصر الإسلامي على كل من النصارى والمسلمين على السواء من أهل الشام وعلى المسيحيين وأهل آسيا الصغرى التي تقلصت داخل حدودها الدولة البيزنطية التي كان يسميها المؤرخون العرب أيضا دولة الروم » (٥).

⁽١) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٥ ، السمهودي : وفاء الوقا جـ٢ ص ٥١٩ .

 ⁽۲) قبل أن عمر بن عبد العزيز كان يعطى العامل إذا عمل شجرة كبيرة وأتقنها بمكعبات الفسيفساء ثلاثين درهما غير أجره اليومى وفي هذا ما يدل على أنه كان يراقب أعمال الزخوفة بدقة فائقة .

⁽٣) قيل أن أحد العمال صور خنزيرا فوق خمس بوائك مما يلى الصحن ، فأمر به فقطع رأسه ، وخنزيرا بهذا الشكل الكبير يجعل من السهل اكتشافه بمجرد الشروع في رسم أحد أجزائه وبالتالي يمكن ايقافه قبل استكمال بقية أجزاء الصورة . وتما يزيد في غرابة هذه الرواية أن المسجد كان يستخدم للصلاة ، وأنه كان بمقدور أي من المصلين ملاحظة ما يصور فور الشروع في تصويره . وهذا يؤدى بنا إلى القول أن ما كان يصور في المسجد كان يعرض أولا على عمر بن عبد العزيز لأخط رأيه فيه .

⁽٤) وفاء الوفا ، جــ٣ ص ٥٢٤ .

⁽٥) العمارة العربية ، ص ٢٩٥ .

وكان من الخطاطين الذين عملوا في المسجد النبوى في ولاية عمر بن عبد العزيز خالد بن أبي الهياج الذي عده ابن النديم نقلا عن ابن إسحاق و أول من كتب المصاحف في الصدر الأول (() وقال ابن إسحاق الحربي نقلا عن يحيى أن أحد موالي و آل حويطب بن عبد العزى يقال له سعد حطبة (() هو الذي كتب ما في جدار القبلة في عمارة الوليد ، وساعد ابن غزالة ، وهو مولى من مؤالي أهل المدينة زياد بن عبد الله الحارثي في إنمام النص الذي نقضه داود بن على سنة المدينة زياد من جدار صحن المسجد (()).

وهؤلاء وغيرهم ممن عُدوا من الروم أو القبط أو الفرس أسلموا وبرعوا في إتقان الخط العربي حتى عدوا من الأعلام البارزين فيه .

وإذا كان المرمر (الرحام) قد استخدم في تزيين جدران المسجد كما في خبر لابن زبالة نقله السمهودي (٤). فإنه يحسن إيراد الوصف الدقيق الذي أورده ابن عبد ربه عن جدار القبلة في عهده ، على اعتبار أن جدار القبلة لم تمتد إليه يد التغيير في العصر العباسي ، فقال : إن وجه السور القبلي من داخل المسجد قد كسى بإزار من الرحام ه من أساسه إلى قدر القامة منه ، ولف على الأزار بطوق رحام في غلظ الأصبع ، ثم من فوقه ازار دونه في العرض مخلق بالخلوق ، ثم فوقه إزار مثل الأول فيه أربعة عشر بابا في صف من الشرق إلى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة (٥)، منقشة مذهبة ، ثم فوقه إزار رخام أيضا ، فيه صنيفة سماوية (١) فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب تخين غلظه قدر إصبع، من

⁽١) ، (٢) ، (٣) مبق ذكر هذه المصادر في ص ١٣٦ عند الحديث عن نقوش المسجد وزخرفته .

⁽٤) وقاء الوقا ، جـ ٢ ص ٥١٩ ، ابن حجر الهيشمى : هخفة الزوار ، ص ٩٠ ، حـــن الباشا :. المدخل ، ص ١٧٤ .

 ⁽٥) قبال أبن منظور في لسبان العبرب ، جـ ١٥ ص ٢٣٦ أن الكوى جسمع كـوة وهي الخبرق في الحائط والثقب في البيث .

⁽٦) لم أجد لها معنى فى القواميس العربية ولا فى المعجم المضاف على القواميس العربية لدوزى بينما تبدو فى الرسم الذى أعده سوفاجيه بناء على هذا الوصف شكل (٤٢) أنها مساحة مستطيلة تمتد على امتداد جدار القبلة بالقرب من صقف المسجد بها خمسة أسطر من الكتابة التى كانت يخلى جدار القبلة .

سور قصار المفصل ثم فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل ، فيه ترسة (١) من ذهب منقشة ، وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب، ثم فوقه إزار فسيفساء عريض ، ثم السماوات عليه (٢) ، والمحراب في موسطه (٣) السور القبلي، على قوسه قصة (٤) من ذهب ناتئة غليظة ، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضى الله عنها

وقبو المحراب مقدر جدا ، وفيه دارات (٥) ، بعضها مذهبة وبعضها حمر وسود ، ويحت القبو صنيفة ذهب منقشة ، نختها صفائح ذهب مثمنة ، فيها جزعة مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة ، ثم مختها إلى الأرض إزار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذي كان النبي على يتوكأ عليه في المحراب الأول عند قيامه من السجود فيما ذكر (٦).

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج ، وعن يساره باب صبغير مشطرنج .. (٧) وقد قام سوفاجيه بإعادة ترسم جدار القبلة على ضوء المعلومات الواردة في النصوص السابقة وحاول كما يظهر في الشكل رقم (٤٢). توضيح موضع كل نقش ولا نملك . أمام هذه المحاولة الجريئة إلا الإعجاب بدقة سوفاجيه

 ⁽۱) قال ابن منظور فی لسان العرب جـ ۳ ص ۳۲ أنها من أدوات السلاح وهی جمع ترس ، و بخمع علی أتراس وتیراس وترسة وتروس .

 ⁽۲) قال ابن منظور في المصدر السابق جـ١٤ ص ٢٩٨ أنها جمع سماء وسماء كل شيء أعلاه ،
 والسماء سقف كل شيء وكل بيت . ويقصد أن سقف المسجد متصل بازار الفسيفساء .

⁽٣) الوسط اسم لما بين طرفي الشيء . انظر المصدر السابق جـ٧ ص : ٤٢٨ .

⁽٤) القُصة ما أقبل من الناصية على الوجه ، والقصة شعر الناصية ، انظر المصدر السابق جـ٧ ص ٧٣ و ويقصد يها أنها في وسط عقد الحراب بارزة .

 ⁽٥) الدارات جمع دائرة ودارة وكلاهما ما أحاط بالشيء ، وكل موضع يدار به شيء يحجره فاسمه
 دارة ، انظر المصدر السابق جـ٤ ص ٢٩٦ .

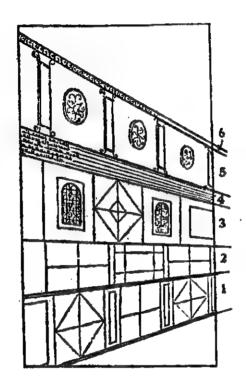
⁽٦) انظر ما ذكره ابن إسحاق بخصوص هذا العود في حاشية رقم ٥ من ص ٦٩ من الرسالة .

 ⁽٧) أى على شاكلة رقعة الشطرنج ويبدو أنه مطعم بمربعات سود وبيض.

⁽٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٧ ص ٢٥٢ .

⁽٩) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٩ .

فى تتبع النصوص المختلفة وتلمس العذر له فيما يمكن أن يكون قد وقع فيه من أخطاء .



شكل رقم (٤٢)

ومهما يكن من أمر فقد ورد أن الوليد بن عبد الملك عندما ورد المدينة سنة الم ومهما يكن من أمر فقد ورد أن الوليد بن عبد الملك عندما ورد المدينة سنة وجاء السجد ، وكشف عن الفسيفساء فجعل ينظر إلى حسنه وجاء الناس يهتقونه من كل ناحية .. ٤(١) ويشبه الكشف عن فسيفساء الجداران عند حضور الخليفة في عصرنا الحاضر من كشف الستار عن الموحات التأسيسية للأعمال المعمارية الكبيرة .

⁽۱) ابن إسحاق الحربي : كتاب المناسك ، س ٣٦٩ . وعن دخول الوليد إلى المسجد ، انظر ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص ٧١ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ص ١٢٣٢ وما بعدها .

ثالثا ؛ تذهيب السقف ؛

كان الاهتمام بسقف المسجد النبوى الشريف في هذه العمارة ، التي قام بها الوليد ، كبيرا وكذلك الرغبة في أن يأتي متناسقا مع جمال الجدران الداخلية التي تزينها الفسيفساء وألواح الرخام . لذلك استخدم في السقف خشب الساج المذهب(١) ، وكان كما يقول ياقوت الحموى سقفا دون سقف(٢) ، إلا أنه كان بالتأكيد يقل روعة عن سقف المقصورة ، التي رغب الوليد أن يكون سقف المسجد مثل سقفها .

وكان السقف الذى بلغ ارتفاعه حوالى ٢٥ ذراعا(٢) محمولا على عوارض خشبية تصل ما بين الإسطوانات وذلك لأن العقود لم تستخدم إلا فى البوائك المطلة على الصحن (٤). وكانت بمثابة علامة للدور التى دخلت فى توسعه المسجد بجعل ومنابر(٥) سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد (٦)، وكانت رؤوس إسطوانات مقدم المسجد و مذهبة عليها مجف منقشة و لم السحاوات على النجف (٧)، وهى أيضا منقشة مذهبة : وقبالة المحراب موسطة البلاطات ، بلاط مذهب ، كله شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه ، وفى البلاط الذى يلى المحراب تذهيب كثير ، البلاط الذى بلى المحراب تذهيب كثير ، وفى وسطه سماء كالترس المقدر مجوف كالحار (٨)، مذهب و(٩) وفيما ذكره ابن

 ⁽١) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٥ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٩ ، السمهودى :
 وفاء الوفا جــ ٢ ص ١٩٥ .

⁽٢) معجم البلدان جــه ص ٨٧ .

⁽۳) انظر ص ۱۱۶ .

⁽٤) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٧ ب .

⁽٥) يقصد بالمنابر هنا تيجان الأعمدة .

⁽٦) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٧ ، ابن الضياء : تاريخ مكة والمدينة ورقة ١٤٢ ب .

 ⁽٧) قال ابن منظور في لسان العرب جـ٩ ص ٣٢٣ ، أن النجاف هو ما يستقبل الباب من أعلى
 الأسكفة والنجاف العتبة وهي أسكفة الباب يعنى أعلاه .

 ⁽٨) يبدو أن هذا هو مستند سوفاجيه في تحديده لموضع القبة التي ظهرت في مخططه شكل (٤٣)
 في نهاية البلاطة الممتدة من المحراب العثماني إلى صحن المسجد .

⁽٩) ابن عبد ربه : العقد القريد ، جــ٧ ص ٢٥٢ .

عبد ربه من تذهيب بلاط المحراب الممتد من الصحن إلى المحراب ما يشير إلى استحداث المجاز القاطع (۱) المستخدم في الجامع الأموى ، وهو ما أكده سوفاجيه (۲) غير أن مجاز المحراب لم يكن أعرض من بقية البلاطات الأخرى ، وذلك لحرص حمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على الإقتداء بالبعد التقليدي للإسطوانات القديمة ، وهو تسعة أذرع أى حوالى أربعة أمتار ونصف كما يتبين من قياس البتنوني للروضة الشريفة (۲). انظر مخطط سوفاجيه شكل (٤٣).

ومما يستحق الذكر أن المجنبتين الشرقية والغربية لم تخدثا إلا في هذه العمارة ، وكان بالشرقية ثلاث بلاطات وبالغربية أربع وبظلة القبلة كما يذكر ابن عبد ربه خمس بلاطات و معترضة من الشرق إلى الغرب ، في كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عمودا ، (3) ، وليس لدى نص صريح يبين عدد بلاطات ظلة مؤخرة المسجد ، إلا أن ما توصل إليه الدكتور أحمد فكرى يفيد بأنها أربع بلاطات (صى الله عنهما ، ولم يكن بلاطات (منى الله عنهما ، ولم يكن

⁽١) فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية . ص ١٨٤ وهو عبارة عن بلاطة عريضة تمتد عمودية على جدار القبلة حيث المنبر والمحراب ويكون سقفها أعلى بقية سقوف المسجد .

⁽٢) انظر المسجد الأموى في المدينة ، ص ٨٢ .

 ⁽٣) ذكر البتنوني في الرحلة الحجازية ص ٢٤٠ أن طول الروضة الشريفة ٢٢ مترا وعرضها ١٥ مترا وأيده في ذلك إيراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين جد١ ص ٤٥١ .

⁽٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٧ ص ٢٥٢ .

⁽٥) ذكر أحمد فكرى في الحاشية رقم ٣ من ص ١٧٧ من المدخل أن السمهودى ذكر ٥ في صفحة ٢٨٠ من الجزء الأول من ٥ وفاء الوفا ٤ عن ابن النجار أن الطاقات الحميطة بصحن المسجد، أى البوائك أو العقود ، كانت جملتها ستين طاقة ، منها إحدى عشرة في القبلة ، ومثلها في المؤخر ، وتسع عشرة في كل من المشرق والمغرب . وكان قد ذكر في صفحة ٢٨١ ، أن زيادة المهدى تقدر بست أساطين منها خمس في السقائف الشامية ، أى في مؤخر المسجد ومعنى ذلك أن ٥ الطاقات ٤ التي كانت محيطة بالصحن في كل من المشرق والمغرب كانت أربع عشرة في عهد الوليد وهو ما رجحه السمهودى في تلك الصفحة ، وفي صفحة ٢٦٩ التي أكد فيها أن الوليد جعل ٥ جدار المسجد من جهة الشام بعد ١٨٨ إسطوانة من مربعة القبر ٤ ، منها ٤ أساطين للسقايف الشامية ٤ ومن هذا الاستنتاج يتبين أن عدد البلاطات في الرواق الشمالي خمس بلاطات في الرواق الشمالي

الجدار الشرقي للمسجد عموديا على جدار القبلة الجنوبي ، وذلك لأن مؤخرة المسجد كانت أقل عرضا من مقدمته بعشرين فراعا(١).

وبتطبيق هذه المعلومات على المخطط الذى أعده أحمد فكرى ، شكل (٤٤) والذى خالف فيه مخطط سوفاجيه عن المسجد النبوى في عهد الوليد ، ببعض النقاط التى حالفه التوفيق في إثبات صحتها (٢)، يجب التسليم بما جاء فيه بعد

(۱) ذكر ابن النجار في الدرة الثمينة ص ۱۰۰ أن عرض المسجد في زمن الوليد و في مقدمة ماكتي ذراع وفي مؤخره ماكة وثمانين ، إلا أنه عاد وقال في ص ۱۰۸ أنه فرع المسجد بنفسه فكان طوله و من قبلته إلى الشام ماكتا فراع وأربعة وخمسون فرعا وأربع أصابع ، ومن شرقية إلى غربية ماكة فراع وسبعون فراعاً .. ، ومن المعروف أن مقدم المسجد لم يتعرض لأى زيادة منذ بناه الوليد حتى زمن ابن النجار وجزء من زمن السمهودى .

وكان هذا الذرع لمقدم المسجد قريبا من ذرع السمهودى الذى قال أنه ١٦٧٥ ذراعا . ويبدو أن الإختلاف الواضح فيما رواه ابن النجار وما فرعه بنفسه والذى يقدر بعشرين ذراعا على حسب ما رواه يمكن انتقاصها من ذرع السمهودى لمقدم المسجد . لأنه يبدو أنه فرع المسجد من داخله وابن النجار فرع المسجد من خارجه فكان الفرق بين الذرعين هو عرض الجدارين الشرقى والغربي، وبللك يصبح طول مقدم المسجد ٥ (١٦٧ فراعا وطول جدار مؤخرته ٥ (١٤٧ فراعا .

(٢) ذكر أحمد فكرى في المدخل ص ١٩١ وما بعدها عدة اعتراضات على مخطط سوفاجيه فيما يلى ملخص لها ، وابداء رألي حول بعضها :

أ ـ ذكر أن سوفاجيه اعتبر بلاطات المحراب هي المقصورة ، والحقيقة أنه فرق بين المقصورة والمجاز . انظر ص ٨٢ من المسجد الأموى في المدينة . كما أنه عد الباب الذي فتحه سوفاجيه في الجدار الشمالي من الأخطاء المتعمدة .

ب - احتبر جعل سوفاجيه طول الجدار الغربي مائة وتسمين ذراعا أول الأخطاء التي لم يتعمدها بينما طوله مائتي ذراع .

جـــ أنه جعل طول جدار المؤخر مساو لطول جدار القبلة وهو مائة وخمسة وستين ذراعا .

د ـ انتقد وضعه للحجرة الشريفة شمال موضعها الحقيقى بعشرة أذرع وهو خطأ جسيم لا أدرى
 كيف وقع فيه سوفاجيه .

و ... أنه حدد الجدار الشامى بعد أربع عشرة اسطوانة من مربعة القبر . بينما الصواب أنه بعد ثمان عشرة اسطوانة ، كما أنه جعل عدد بلاطات مؤخر المسجد خمس بلاطات معترضة بينما عددها كما توصل إليه أحمد فكرى أربع بلاطات . كما أن عدد الاسطوانات المطلة على جانبى الصحن من الجهة الشرقية والغربية قد نقص أربع اسطوانات إذ أن عددها كما أثبته أحمد فكرى ثلاث عشرة اسطوانة .

توضيح بعض النقاط المهمة فيما يلي :

١ ... أن البعد الحقيقى للإسطوانات عن بعضها هو تسعة أذرع أى حوالى أربعة أمتار ونصف .

٢ ـ لم يتغير طول مقدم المسجد منذ ذرعه ابن النجار وقال أنه مائة وسبعون ذراعا وكذلك السمهودى الذى ذكر أنه ١٦٧٥ ذراعا . وهو ذرع موحد إذ يبدو أن ابن النجار ذرع مقدم المسجد من خارجه بينما ذرعه السمهودى من داخله، أو أن الاختلاف كان فى نوع الذراع .

٣ _ لم يكن طول مؤخر المسجد في عمارة الوليد مائة وأربعين ذراعا كما افترضه الدكتور أحمد فكرى ، وإنما طوله النسبي كما توصلت إليه هو حوالي مائة وسبعة وأربعين فراعا(١).

ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات البسيطة حول مخطط المسجد النبوى في عمارة الوليد ، فإن الاختلاف بين المؤرخين حول هذه العمارة ، وإهمال الروايات لبعض الجوانب المهمة هي التي أوجبت هذا الاختلاف بين الباحثين المحدثين عند محاولتهم استعادة ترسم وضع المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك وقد حاولت تطبيق ما توصلت إليه من نتائج فيما سبق ، على الشكل رقم (٤٥) . بعد أن تفاديت فيه ما اقتنعت بصحته عما وجه إلى المخططات السابقة من نقد ، لا سيما مخطط سوفاجيه .

وكان لابد لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، بعد انتهاء العمارة ، من فرش المسجد بالرمل كما هو المتبع بعد كل عمارة . ولم أجد أحدا من مؤرخى المدينة القدامى قد ذكر مصدر هذا الرمل . ويغلب على الظن أن الرمل الأحمر الذي كان يجلب عادة من وادى العقيق المبارك هو ما فرش به المسجد النبوى ، إلا أن ابن فرحون يصف ما وجد سنة ٢٠٧هـ من رمل عند حفر كافور المظفرى لأساس المشدنة الجنوبية الغربية عند بنائها لأول مرة ، فيقول أنهم وجدوا باب مروان بن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامة ، وأنهم و وجدوا مخصيب المسجد في أيام

⁽١) انظر أعلاه الحاشية رقم ١ ، ٢ من صفحة ١٤٠ .

مروان بالرمل الأسود يشبه أن يكون من جبل سلع وذلك التحصيب عام في سائر مسجدهم القديم ، لأنهم لما أسسوا الرواقين (البلاطتين) اللذين زادهما الملك الناصر بشمالي الروضة المقدسة في سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وجدوا ذلك التحصيب فوقفت عليه فوجدته يشبه ما وجد في أساس المأذنة ، (١).

وذكر المؤرخون اهتمام عمر بعمل الميازيب من الرصاص ، وذكروا أن أحدهما كان يصب في موضع الجنائز ، وأن الآخر كان على باب عائكة (٢). ولم يغفل المشولون عن عمارة المسجد النبوى من تزويده بماء للشوب والوضوء ، فقد جاء أن الوليد كتب ة إلى عمر بن عبد العزيز أن يعمل القوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم (في زمن الطيرى) فعملها وأجرى ماءها قلما حج الوليد وقف عليها فنظر إلى بيت الماء والقوارة فأعجبته وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى أهل المسجد منها ، فقعل ذلك (٢). وجاء أيضا أن الوليد حضر معه إلى المدينة بطيبه (٤) مسجد رسول الله تك ومجمرة وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على المينة حمره الوليد ، لم يحدث فيه أحد من بني أمية شيئا ، إلا ما نقله السمهودي عن عمره الوليد ، لم يحدث فيه أحد من بني أمية شيئا ، إلا ما نقله السمهودي عن ابن زبالة عن ابن عجلان من أن عمر بن عبد العزيز و كتب إلى عامله على المدينة أن لا يخلق إلا القبلة ، وأن يغسل الأساطين ، فقال : فلم تكن الأساطين تخلق في ملطانه و(٢).

* * *

⁽۱) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ص ٣٣ ، خير أن تأكيد ابن فرحون الذى شاهد الرمل سنة ٧٠٦هـ بأنه ومل المسجد قد بأنه ومل المسجد قد بأنه ومل المسجد في المسجد قد فرشت مراوا عديدة بالرمل ، وطرأت على المسجد عمائر أهمها عمارة المهدى وعمارة ما بعد الحريق الأول منة ١٥٤هـ .

⁽٢) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٨٥ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٥ .

⁽٣) الطيرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـــ ص ١١٩٦ .

⁽٤) ا هو الأفسط من كل شيء ، وكل ما يتطيب به من عطر وتحوه ، انظر : المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين جـ ٢ ص ٥٧٩ .

⁽٥) الطبرى : المصدر السابق جـ٨ ص ١٢٣٣ .

المبحث الرابع عمارة المسجد النبوى فى عهد الدولة العباسية

المبحث الرابع عمارة المسجد النبوى في عهد الدولة العباسية

ا_المسجد النبوس في أوائل الدولة العباسية :

كانت حاجة المسجد النبوى الشريف إلى التوسعة قائمة منذ بداية الدولة العباسية ، وبالتحديد في عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ) ، الذى فكر في أمر الزيادة وشاور الناس فيها ، غير أنه صرف عزمه عنها آخر الأمر ، وإن كان ما ذكره بعض المؤرخين عن ذلك يبدو غير مقنع (١) . فقد كان بإمكانه وضع الزيادة في مؤخر المسجد دون التعرض لدار عشمان كما فعل المهدى . وقد يظن أن هناك علاقة بين إحجام المنصور وما عرف عنه من حرص على نفقة الأموال ، وتقتيره فيها حتى عرف بالدوانيقى . إلا أن عمارته الكبيرة في المسجد الحرام سنة ١٣٧ هـ، التى ضاعفت من مساحة المسجد آنذاك ، وتزيينه له بالفسيفساء والرخام وأنواع النقوش (٢) ، مما يزكى أيضا اهتمامه بأمر المسجد النبوى، ومع ذلك يبدو أنه وجد أن تظليل صحن المسجد النبوى بالستور أيام الجمع والمواسم يفي بالغرض فاكتفى بذلك .

فقد روى ابن إسحاق الحربى عن يحيى بن حسن الطالبى عن محمد بن إسماعيل أنه قال : 3 أدركت المسجد صغيرا يعجز عن الناس يوم الجمعة حتى يصلى في دار القضاء(٢) وهي يومشذ مبنية ، وفي دار ابن مكمل ، وفي دار

⁽۱) ذكر السمهودى في الوفا جـ ۲ ص ٥٣٦ نقلا عن ابن زبالة أن أبا جعفر المنصور شاور الناس في أمر الزيادة و فكتب إليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز ، ويقول أن زيد في ناحيته المشرقية توسط قبر النبي ﷺ ، فكتب إليه أبو جعفر أنى قد عرفت الذي أردت ، فأكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه ... ، وانظر : ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٢ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٣ .

⁽٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٧٣ ، حسين باسلامة : عمارة المسجد الحرام ص ٥١ .

 ⁽٣) قال المراغى : تخقيق النصرة ص ٩٩ ، أن دار القضاء (كانت غربى المسجد الشريف ، قريباً من باب السلام (وذكر بأن سبب تسميتها بدار القضاء هو بيعها فى قضاء دين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موته .

النجامين ، وفي دار عاتكة (١) ، قال : وكنت وبما صليت في بعض تلك الدور وأنا غلام ، قال : فقدم أبو جعفر المدينة سنة أربعين ومائة فأمر بستور يستر بها صحن المسجد ، على عمد لها رؤوس كهيئات الفساطيط ، وجعلت في الطيقان فكانت الريح تدخل تحتها فلا يزال العمود يسقط على الإنسان فغيرها ، وأمر بستور أكثف من تلك الستور ، وبحبال فأتى بها من جدة ، من حبال السفن .. فكانت تعمل على الناس كل جمعة فلم تزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد الله ابن حسن في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فأمر بها فقطعت دواريع (٢) لمن كان يقاتل معه ... و (٢).

وبعد هذا لم يحاول المنصور استبدال الستور مرة ثانية ، بل وجد الحل هذه المرة في هدم دار القضاء سنة ١٥١ هـ ، وأضافها رحبة للمسجد يصلى فيها ، وفتح للمسجد بابا ينفذ إليها سمى باب زياد (٤). وكتب عليه في لوح من ساج مضروب بمسامير من خارج المسجد ومن داخله كتاب هذا نصه :

٤ يسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الآية محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببناء مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعمارة هذه الرحبة وتوسعة مسجد رسول الله(٥) ، ولمن حضره من المسلمين في سنة إحدى وخمسين ومائة ، ابتغاء

 ⁽١) ذكر المراغى فى المصدر السابق ص ٧٩ أن دار عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تقع فى
 جهة الغرب من المسجد ونسب إليها باب عاتكة ، وهو المعروف حاليا بباب الرحمة .

 ⁽۲) صحة جمع كلمة درع كما يقول ابن منظور في لسان العرب ، جـ٨ ص ٨٠ أدرع وأدراع وفي الكثير دروع .

⁽٣) كتاب المناسك ، ص ٣٧١ وما بعدها ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٥ وما يعدها .

⁽٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٣ ص ٧٠٠ وقد ذكر فى ص ٣٩٦ نقلا عن ابن زبالة أن زياد بن عبيد الله و هدم إذ كان واليا لأبى العباس على المدينة فى سنة ثمان وثلاثين ومائة دار القضاء وكانت تكرى من تجار أهل المدينة فهدمها وجعلها رحبة للمسجد وفتح الباب الذى إلى جنب الخوخة ١ . فى الجانب الغربى من المسجد النبوى ، انظر شكل (٤٦) .

 ⁽٥) ذكر محقق كتاب المناسك أن هناك نقص وأنا أعتقد ذلك أيضًا ، لأن المعنى مختل ولا يستقيم
 مع هذه الصيغة .

وجه الله والدار الآخرة . وكان أمير المؤمنين أكرمه الله أولى بالنظر فى ذلك لقرابته من رسول الله وما اختصه به من خلافته ، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين وأحسن ثوابه ه(١).

ويدل تغيير بعض نصوص المسجد على ما كان من عداء سياسى بين بنى أمية وبنى العباس ، وقد يشير إليه أن نصا للمهدى نقش فى أحد جدران صحن المسجد، مكان نقش قديم (٢) ويؤيده أن داود بن على نقض النص المكتوب فى جدار صحن المسجد النبوى حين قدم واليا لأبى العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ولكنه توفى دون أن يتمه ، فأتمه زياد بن عبد الله الحارثي (٢) ، الذى استبدل اسم الوليد بن عبد الملك باسم عبد الله (٤) الذى يطلق على كل من السفاح والمنصور ، وهما الخليفتان العباسيان اللذان يحملان فقط اسم عبد الله (٥).

* * *

⁽١) اين إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٤٩٣ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٣ ص ٧٠٠ .

⁽۲) انظر ص ۳۱، ۲۲.

⁽۲) ، (٤) انظر ص ۲۱ ، ۳۲ .

⁽٥) سوفاجيه : المسجد الأموى في المدينة ، ص ٥٨ وانظر ص ١٦١ .

٢ - زيادة المهدى واسبابها

أتت زيادة المهدى للمسجد النبوى الشريف ، كما هى العادة فى الزيادات السابقة استجابة لتطور المجتمع الإسلامى . فقد أدرك المهدى حاجة الناس إلى توسعة المسجد عند زيارته للمدينة سنة ١٦٠هـ عقب انصرافه من الحج ، وكان قد لسر هذا الضيق فى سنة ١٥٣هـ عندما أمّره والده على الحج (١) ، خاصة وأن والده لم يعاود تظليل صحن المسجد بعد سنة ١٤٥هـ . وعندما استعمل على المدينة جعفر بن سليمان بن على سنة إحدى وستين ومائة ، أمره بالزيادة فى مسجد رسول جعفر بن سليمان بن على سنة إحدى وستين ومائة ، أمره بالزيادة فى مسجد رسول الله كله ، وولى بناءه عمر بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وعبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام) (١).

وبعد أن تدارس معهم أمر الزيادة وموضعها و أمر أن يشترى ما حول المسجد من المنازل والدور فيوسع به المسجد ع^(۲). وقال وهو في المدينة للإمام مالك و إني أريد أن أعيد منبر النبي على على حاله ، فقال له مالك : إنما هو من طرفاء ، وقد سمر إلى هذه العيدان وشد ، فمتى نزعته خفت أن يتهافت ويهلك ، فلا أرى أن تغيره وقد كانت مرتفعة عن تغيره أمر بخفض المقصورة إلى مستوى الأرض ، وقد كانت مرتفعة عن أرض المسجد قدر ذراعين (٥) وجاء أنه أراد مساواة المساجد الإسلامية جميعا بالمسجد النبوى فقد ذكر الأزدى المتوفى سنة ٤٣٣هـ أن المهدى في سنة ١٦١هـ المسجد النبوى فقد ذكر الأزدى المتوفى سنة ٤٣٣هـ أن المهدى في سنة ١٦١هـ أخرج و المقاصير من مساجد الجماعات ، وأمر بتقصيرها على مقدار منبر رسول الله على ، وكتب بذلك إلى الأمصار ع^(۲). إلا أنه قد عاد وسمح بإعادة المقصورة

⁽١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جــ٩ ص ٢٧٦ ، ٢٧٨ .

⁽٢) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٧٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤ ، وقد ذكر ابن رستة في الأعلاق النفيسة ص ٧٢ أن عبد الله بن مومى النخطى تولى بناء المسجد مع عبد الملك النساني بعد موت عمر بن عاصم .

⁽٣) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٦ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٤ .

⁽٤) ابن النجار : نفس المصدر ص ٨٢ ، السمهودى : وقاء الوقا جــ٢ ص ٣٩٩ .

⁽٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤ ، ابن النجار : المدوة الشمينة ، ص ١٠٤ .

⁽٦) تاريخ الموصل ، ص ٣٤٠ .

فى المسجد النبوى إلى ما كانت عليه ، وإقامتها على امتداد البلاط الأول من مقدم المسجد (١). ويؤيد ذلك ما نقله الدينورى فى حوادث سنة ١٥٨هـ من أن المهدى أمر (باتخاذ المقاصير فى جميع مساجد الجماعات ، (٢).

ويذكر ابن إسحاق الحربي نصا من النصوص المكتوبة في المسجد جاء فيه و وكان مبتدأ ما أمر به الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله بالزيادة في مسجد رسول الله "، عمله في سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة حمس وستين ومائة ... ، (٣)، مما يدل على أن الزيادة تمت في سنة ١٦٥ هـ. ويبـدو أنهـا لم تقتصر على نقل الجدار الشمالي إلى شمال الموضع الذي تحددت إضافته إلى مؤخرة المسجد ثم وصل الجدارين الشرقي والغربي به ، ووصل ظلتيهما بالظلة الشمالية ، بيد أن التسليم بذلك دون سند تاريخي أمر يعتريه الشك . فلنحاول إذن تلمس الدليل من خلال عمارة الوليد السابقة التي استخدمت فيها القطع الحجرية المدورة والمحشية بعمد الحديد والرصاص ، في تكوين إسطوانات المسجد كله ويقصر ابن عبد ربه الموفى سنة ٣٢٨هـ وجود هذه الأعمدة على رواق القبلة فقط ، حيث يقول : والعمد التي في البلاط (الرواق ، الظلة) القبلية بيض مجصصة شاطة (٢) جدا ، وسائر عمد المسجد رخام . والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها مجف منقشة مذهبة ، (٥) ومن هذا يتضح أن إسطوانات الرخام التي في الظلات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية هي ما أضيف إلى المسجد في هذه العمارة . كما أن اليعقوبي المتوفي سنة ٢٩٢هـ، قد ذكر استخدام إسطوانات الرخام في عمارة المهدى هذه فقال : ﴿ أَنه حمل إليه عمد الرخام والفسيفساء والذهب ٤(٦)، والواقع أن إستخدام إسطوانات الرخام يتفق والطابع المميز لعمارة

⁽١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جــ٧ ص ٢٥٣ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧١ .

⁽٢) الأخبار العلوال ، ص ٢٨٦ .

⁽٣) كتاب المناسك ، ص ٣٨٨ .

⁽٤) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ٧ ص ٣٣٩ أن من معانى شاط الاستواء والنضوج ، ويقصد بها في هذا النص مستوية البياض أو ناصعة البيياض .

⁽٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٧ ص ٢٥٢ .

⁽٦) تاريخ اليعقوبي : جــ ٢ ص ٣٩٦ .

المهدى فى المسجد الحرام ، التى استخدمت فيها إسطوانات الرخام التى جاء عنها أنها و نقلت فى السبفن من الشام حتى أنزلت بجدة على عجل من جدة إلى مكة (١٠).

هذا ويبدو أن تلبيس إسطوانات القبلة بالبص أو الجيار (٢)، كما يسميه ابن جبير ، كان في عمارة المهدى هذه ، وقد بولغ في صقله حتى أشكل الأمر على ابن جبير ، فاعتبر إسطوانات المسجد كلها مؤلفة من قطع و ململمة مثقبة توضع أنثى في ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن تتصل عمودا قائما ، وتكسى بفلالة جيار ، ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض (٣). ويظهر من طريقة توزيع الشرافات على جدران المسجد ما يدل على بقاء جدار رواق القبلة المطل على الصبحن ، على ما كان عليه في عهد الوليد ، إذ اقتصر الهدم على سقوف الظلات الجانبية . ويؤيد ذلك ما يذكره ابن رسته من أن و عدد شرفات المسجد مما يلى الشام ثمان وعشرون شرفة ، مما للسجد عما يلى الشام ثمان وعشرون شرفة ، مما يلى المشرق ثمان وأربعون شرفة ، ومما يلى المغرب خمس وأربعون شرفة ، مما فاقتصار ضلع الصحن الجنوبي على اثنتين وعشرين شرفة ، بينما أنه يزيد في الطول على الخملع الشمالي المبنى في عهد المهدى والذي به ثمان وعشرون شرفة ، دليل على اختلاف بناء الجدارين بالرغم من أن عدد العقود في كل منهما أحد عشر على اختلاف بناء الجدارين بالرغم من أن عدد العقود في كل منهما أحد عشر عقدا (٥). وقد وصف كاتب مراكشي من القرن السادس هذه العقود بأنها و أقواس عقدا (٥).

⁽١) الأزرقي : أخبار مكة جــ ٢ ص ٧٦ .

 ⁽۲) ذكر ابن منظور في المصدر السابق جـ ۲ ص ١٥٦ أن الرماد إذا اختلط بالنورة والجص كان الجيار .

⁽٣) رحلة ابن جبير ص ١٧١ ، وانظر كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمجهول ، ص ٣٧ .

⁽٤) الأعلاق النفيسة ، ص ٧٦ .

⁽٥) انظر رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، لمجهول ص ٣٥٠ ، الهروى : الإرشادات إلى معرفة الزيارات ، ص ٩١ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ، ص ١٠٨ ، وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمجهول ، ص ٣٧ ، على أن ابن رستة : في الأعلاق النفيسة ص ٧٦ يذكر أن عدد العقود هو إننا عشر قوسا ، ويبدو أنه خلط بين عدد الأعمدة وعدد الأقواس .

- ٢ _ أن مربع أسفل الإسطوانة التي شاهدها السمهودى ، يرجع إلى عمارة المسجد النبوى بعد الحريق الأول سنة ٢٥٤هـ. وقد ربعت من أسفلها آنذاك بناءا على إحدى الروايات المذكورة في حدود المسجد النبوى .
- " _ أن الخلاف بين المؤرخين في تحديد زيادة المهدى ينحصر فيما ذكره المؤرخان الأولان للمدينة وهما: ابن زبالة المتوفى سنة ١٩٩هـ، ويحيى بن حسين المتوفى سنة ٢٧٧هـ، اللذان أوردا روايات مختلفة عن مقدار زيادة الوليد ومقدار زيادة المهدى(١).
- ٤ _ أن مكتب التوسعة السعودية قدر هذه الزيادة بـ ٢٤٥٠م٢ أى أنها تزيد بعض
 الشيء عن زيادة الوليد التي قدرت هي الأخرى بـ ٢٣٦٩م٢ .
- و _ أن ما اعتمد عليه السمهودى من نقش كان على الباب المقابل لدار خالد بن الوليد ، وهو الباب الشالث في الجدار الشرقي مما يلى الشمال ، يمكن الاعتراض عليه في أن جدران المسجد ، التي أعيد بناؤها في عهد المهدى ، إتصلت ببناء الجدران القديمة عند فتح هذا الباب والذى يليه ، لأن من المعروف أن هدم جدار مبنى بالحجارة بارتفاع عشرين أو خمسة وعشرين ذراعا ، لا يمكن أن يحدث بشكل عمودى دون تعدى الحد المطلوب هدمه بأذرع عديدة . وعلى ذلك فإن زيادة المهدى التي حددها ابن النجار ، الذى كتب تاريخه في المدينة المنورة معتمدا على ذاكرته (٢) ، وعلى ما وجده من نقوش في جدران المسجد النبوى ، بمائة ذراع يعارضها كما يقول المطرى : ما وافق فيه رزين (٢) من أن طول المسجد بعد عمارة عمر رضى الله عنه مائة وأربعين ذراعا ، ومائة وستين ذراعا في عهد عثمان رضى الله عنه (٤).

⁽١) انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٧ الفصل السادس عشر ، الثامن عشر .

⁽٢) الدر الثمينة ، ص ١٠ .

 ⁽٣) قال السخاوى في التحقة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٦٢ وما بعدها . أن رزين بن معاوية العبدرى السرقطى توفى سنة ٥٣٥هـ جاور بمكة والمدينة وألف فيهما كتابان آخرهما يعرف ٥ بأخبار المدينة ٤ .

⁽٤) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٢ .

كما أن ابن النجار قد صرح في موضع آخر بأن طول المسجد بعد عمارة الوليد من الشمال إلى الجنوب ماتتي ذراع^(۱) وكان طوله في عهده كما ذرعه بنفسه ۱۷۰ ذراع^(۱)، فإذا استبعدنا ويادة الوليد بماتتين ، فإن الثلاثة والخمسين الباقية هي زيادة المهدي .

وكما ذرع السمهودى طول المسجد ، فقد ذرع عرضه أيضا من مقدمه ومؤخره ، « فكان عرضه من مقدمه في القبلة مائة ذراع وسبعة وستين ذراعا ونصفا، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ذراعين ونصفا ، وذلك لاختلاف الأذرعة أو لرخاوة الحبل الذي وقع القياس به ، ونحو ذلك ، وكان عرضه من مؤخره في الشام مائة وخمسة وثلاثين ذراعا ، فيزيد على ما ذكره خمسة أذرع » (٤٠) انظر الجدول المرفق شكل (٤٧).

وإذا كان مقدم المسجد قد احتفظ ببلاطاته الخمس كما هي في عمارة الوليد فإن عدد الإسطوانات التي كانت به غير التي في الطيقان و ثمان وستون إسطوانة منها في القبر صلى الله على ساكنه وسلم أربع وفي الشام مثلها ه (٥). وكانت كما ذكر ابن عبد ربه من حجر ملبسة بالجص بخلاف إسطوانات الرخام المنتشرة في بقية المسجد (٦) وكانت تشرف على الصحن بأحد عشر عقدا . ويقدم لنا ابن جبير وصفا شاملا لأروقة المسجد وبلاطاته ، إذ يقول : المسجد المبارك مستطيل ويخفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى ، فالجهة القبلية منها لها خمسة بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق ، والحهة الجوفية الغربية لها أربعة (هكذا) بلاطات » (٧) وقد أعيدت عقود الجدار والجهة الجوفية الغربية لها أربعة (هكذا) بلاطات » (٧)

⁽١) الدرة الثمينة ، ص ١٠٠ .

⁽٢) نفس المصدر ، ص ١٠٨ .

⁽٤) وفاء الوقا ، جــ ٢ ص ٥٨٩ ، ٦٨٤ .

⁽٥) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٨ ، القرطبي : بهجة النغوس والأسرار ، ص ١٣٧ .

⁽٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد جــ٧ ص ٢٥٢ .

⁽٧) رحلة ابن جبير ، ص ١٦٨ ، وانظر كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، لمجهول ، ص ٣٧ .

الشمالى المطل على الصحن مساوية لعقود الجدار الجنوبى الذى كان به أحد عشر عقدا ، أما الجداران الشرقى والغربى فكان بكل منهما (تسع عشر طاقة)(1) ويذكر ابن النجار أن إسطوانات الظلة الشمالية ٦٨ إسطوانة كما هى فى رواق القبلة ، وفى الشرق (أربعون منها اثنتان فى الحجرة وفى الغرب ستون إسطوانا ، وبين كل إسطوانين تسعة أذرع)(٢) وبإضافة إسطوانات العقود المطلة على الصحن من جوانبه الأربعة ، إلى ما ورد فى رواية ابن النجار السابقة لا تضع أن عدد إسطوانات المسجد ٢٩٦ إسطوانة (٣) وتوزيعها على أروقة المسجد موافق لما ذكره عفيف الدين القرطبى الذى قال : (وأما الأساطين غيسر التى فى الطيقان فى القبلة ثمانية وستون ، منها فى القبر المقدس أربعة (هكذا) ، وفى الشام مثون) (فى المسون) المشرق أربعون ، منها النتان فى الحجرة المعظمة وفى الغرب ستون) (٤).

هذا عن إسطوانات المسجد وأروقته وبلاطاته وبوائكه ، انظر شكل (٤٦) أما

⁽۱) ابن النجار: المدرة الثمينة ، ص ۱۰۸ ، كتاب الاستبصار ، ص ۲۷ ، وقد اختلف المؤرخون في عدد العقود عدد العقود المطلة على الصحن من جهاته الأربع . فخالف ابن رستة غيره في عدد العقود المشرفة على الصحن من الجهة الشمالية والجنوبية وقال أنها ۱۲ عقدا بينما اتفق مع ابن النجار والهروى في أن عدد العقود الشرقية ۱۹ عقدا . وخالفهما صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، إذ اعتبر عقود الجدار الشرقي والغربي ۱۸ عقدا . وقد أحس صاحب كتاب الاستبصار بهذا الاختلاف فلم يتعرض له . ويبدو أن هذا الاختلاف يرجع إلى اللبس بين عدد الاسطوانات وعدد العقود . فإن الاسطوانات تزيد على العقود باسطوانة واحدة في كل جانب .

⁽٢) ابن النجار ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

⁽٣) اختلف في عدد اسطوانات المسجد ، فابن إسحاق في كتاب المناسك ص ٣٨٣ يعدها ٢٩٧ اسطوانة وبابن رسته في الأعلاق النفيسة ص ٧٦ يعدها ٢٩٦ اسطوانة ، وصاحب رسالة وصف مكة والمدينة ص ٢٥١ يعدها ٢٧٦ عمودا ، وتبعه صاحب كتاب الاستبصار الذي نقل في ص٧٣ الرقم المغلوط ، ومع أن صحة العدد هو ٢٩٦ اسطوانة . واهمال عشرين اسطوانة غير معقول اطلاقا . أما ابن جبير فعدها ٢٩٠ إسطوانة . ويبدو أنه هو أيضاً قد أهمل عدد الاسطوانات التي كانت داخل الحسجسرة الشريفة آنذاك وهن ست ، ولذلك فإن عده لما هو ظاهر من الاسطوانات يعتبر صحيحاً .

⁽٤) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣٧ .

مناراته ، فلم يبق مما كان في عهد الوليد من المنارات التي وصفها ابن زبالة بأنها تتراوح في الإرتفاع بين و ثلاثة وخمسين ذراعا ، وخمسة وخمسين ذراعا ، وعرضها ثمانية أذرع في مثلها والله المنارة التي في الركن الشرقي المتصل بالقبلة والتي لم تمتد إليها توسعة المهدى . وقد استبدلت المنارتان الشاميتان بمنارتين صغيرتين و على هيئة برجين والله المنارة التي في مقدم المسجد فهي كما يقول ابن جبير و على هيئة الصوامع والله وهي المنارة الوحيدة التي ثبت وجودها في مقدم المسجد في عمارة الوليد والله والمنارة الوحيدة التي ثبت وحمسون ذراعا .

* * *

⁽١) ابن إسحاق ، كتاب المناسك ص ٣٨٣ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٦ ، ابن النجار : الدرة الشمينة ، ص ١٠٨ .

⁽٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٣ .

⁽٣) نفس المصدر ، من ١٧٣ .

⁽٤) انظر أدناه ، منارات المسجد النبوى في عمارة الوليد ، ص ١٢١ وما بعدها .

٤ ـ نقوش المسجد النبوى وزخرفته

استخدمت الفسيفساء في زخرفة المسجد النبوى في هذه العمارة (١) وكانت على و جدران المسجد وأقواسه (٢)، ويذكر السمهودى أنه و يؤخذ بما ذكره ابن زبالة من الكتابة على أبواب المسجد في زمن المهدى ، أنه زخرفه بالفسيفساء كما فعل الوليد ، ويشهد لذلك بقية من الفسيفساء كانت فيما زاده من مؤخر المسجد عند المنارة الغربية الشامية وفيما يقرب منها من الحائط الغربي (٢٠). ولم يقتصر في زخرفة المسجد الشريف على الفسيفساء وإنما استخدمت فيه أيضا ألواح الرخام (٤) التي أبدع في وضعها وإن لم تأت مشابهة لجدار القبلة ، التي يقول عنها ابن جبير أن و الصنعة في جدار القبلة أحفل (٥). ويذكر أيضا أن الجدار الشمالي المطل على الصحن من جهة القبلة على الصحن من جهة القبلة على الصحن من جهة القبلة كذلك (١).

أما الجداران الشرقى والغربى فهما و مجردان أبيضان ومقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة ع (٧)، ويبدو أن خلوهما من الفسيفساء في عهد ابن جبير كان نتيجة ترميمات وتجديدات لهذين الجدارين ، بدليل وجود نقش للمعتضد العباسى على أحدهما (٨). وكما أبقى على سقف مقدم المسجد من الساج في عهد الوليد ، الذي يبدو من وصف ابن عبد ربه له أنه كان على هيئة جميلة ، فقد كانت بقية الأسقف في عمارة المهدى و بالخشب الرفيعة

⁽۱) تاریخ الیعقوبی ، ص ۳۹٦ .

⁽٢) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٧ ب .

⁽٣) وقاء الوقا جـ ٢ ص ٥٤٠ .

⁽٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٣٩٦ .

⁽٥) ، (٦) ، (٧) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٢ .

 ⁽A) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٤ .

المدهونة) (١)، التي روعي فيها أن تكون مشابهة لأسقف المسجد النبوى في عهد الوليد ، والتي كانت مؤلفة من سقفين (٢).

ولقد بقيت زحارف مقدم المسجد ونقوشه الكتابية التي تخلو من اسم الوليد ابن عبد الملك على حالها في عمارة المهدى للمسجد النبوى سنة ١٦٠هـ، ولذلك فإن الوصف الذى أورده ابن عبد ربه لمقدم المسجد ، وما به من أنواع الرخام وأشرطة كتابية وزخرفية ، يعتبر في الحقيقة وصفا لحالة المسجد في عمارة الوليد (٢) يبد أن العداء السياسي امتد أيضا إلى بعض نقوش المسجد الكتابية بالتبديل والتغيير من أول خلافة بني العباس ، إذ من النقوش ما أقحم فيه اسم السفاح والمنصور بدلا من اسم الوليد بن عبد الملك .

وكان المهدى يسؤه جدا أن يرى بقية لاسم الوليد في المسجد النبوى كما ذكر المقريزى (٤) ومن النقوش ما صرح بتاريخ عمارة المهدى ويقع في الجزء الذى لم تمتد إليه هذه العمارة ، فقد ذكر ابن إسحاق الحربي أن على الباب الذي عند دار مروان (المعروف بباب السلام) من الداخل منقوش .

بسم الله الرحمن الرحيم ان الله وملائكته يصلون على النبي ، ...

أمر بعمل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، سنة ستين ومائة ، كرامة من الله ، أكرم بها خليفته ، وذخيرة أذخرها

⁽١) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٧ ب .

⁽۲) ذكر الأزرقى فى أخبار مكة ، جـ ۲ ص ۹۷ صفة سقوف المسجد الحرام بعد عمارة المهدى له فقال : ٥ وللمسجد الحرام سقفان أحدهما فوق الآخر ، فأما الأعلى منهما فسقف بالدوم اليمانى ، وأما الأسفل فسقف بالساج والسيلح الجيد وبين السقفين فرجة قدر ذراعين ونصف ، والسقف الساج مزخرف بالذهب ، مكتوب فى دوارات من خشب ، فيه قوارع القرآن وغير ذلك من الصلاة على النبى عجه والدعاء للمهدى ، ولا شك أن سقوف المسجد النبوى كانت كذلك أيضاً . أما خشب السيلح المذكور فى نص الأزرقى فلم أجد من عرفه أو أشار إلى الموضع الذى ينمو فيه .

⁽٣) العقد الفريد ، جـ٧ ص ٢٥٢ .

⁽٤) انظر أعلاه الحاشية رقم ٢ من ص ١٣٩ .

له، من كان قبله ، ونافلة نفله إياها على من بعده ، فالحمد لله الذي ولى أمير المؤمنين بعد غيره ، وأكرمه بنصر ملته ونشر سننه وتطهيره ، وأعظم الله لأمير المؤمنين أجره وكثر حسناته (١).

وعلى الرغم من أن هذا النص يسجل التاريخ الذى بدأت فيه عمارة المهدى وهو سنة ١٦٠هـ، إلا أنه لم يصرح باسم المهدى ، وإنما اكتفى بذكر عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، وهو اسم لم يتسم به كما يقول سوفاجيه إلا السفاح والمنصور (٢). وعلى هذا فإن النص المذكور قد حرف على ما يبدو مرتين : مرة فى عهد السفاح أو المنصور ، وأخرى فى عهد المهدى ، وقد اكتفى فى هذه المرة بتغيير السنة فقط ، والإبقاء على عبد الله عبد الله الذى لا يمكن أن يكون المقصود به المهدى الذى يدعى محمد بن عبد الله ونما سهل التغيير ، كتابة النصوص بمكعبات الفسيفساء التى يمكن بسهولة نزع الاسم المراد استبداله بآخر مساوى له فى الحجم (٢) ومن المهم ونحن نتحدث عن نقوش المسجد وزخرفته أن نذكر ما كان فى المسجد من نصوص كتابية نقلها لنا بعض المؤرخين القدامى . بيد أنه يلاحظ أن السمهودى الذى يعتبر فى الحقيقة مؤرخ المدينة حساً ومعنى ، كما يقول السخاوى (٤) قد أهمل نقلها لأنها أزيلت من المسجد فى عهده بسبب الحريق الأول سنة ١٤٥٤هـ، فلم ير ضرورة لنقلها (٥) ، ويرجع بعض هذه النصوص المي الوليد بن عبد الملك مع بعض تغيير وتبديل فى اسمه وهى كما يلى :

ا _ نقوش صحن المسجد :

تختل الكتابات التي حول الصحن على ما ذكره ابن رستة الجزء الضيق الذي

⁽١) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٤ .

⁽٢) المسجد الأموى في المدينة ، ص ٥٨ .

⁽٣) سوفاجيه ، نفس المرجع ، ص ٦٥ .

⁽٤) التحفة اللطيفة ، جــ ١ ص ٢١ .

⁽٥) وفاء الوفا ،جـ٢ ص ٥٢٣ .

ينحصر فوق الطاقات ودون الشرفات^(۱). ويبدو من ضيق المساحة التي تشغلها وكثرة هذه النصوص أنها كانت على شكل أشرطة كتابية تدور حول صحن المسجد^(۲)، وقد رأى سوفاجيه أنها خمسة نصوص رمز إليها بالحروف أ ، ب ، ج ، د ، ه شكل (٤٨) . ويذكر أن النص الذي يحتل واجهة الصحن الشرقي قد رمز إليه بحرف أ ، هو نص أموى محرف^(۱) وقد أورده ابن إسحاق الحربي نقلا عن يحيى بن حسين كما ذكرت من قبل⁽¹⁾.

ويلى هذا النص في الجدار الشرقي للصحن نقش للمهدى بتاريخ سنة ١٦٢هـ. رمز إليه سوفاجيه بحرف (ب) ونصه كما أورده ابن إسحاق الحربي كما يلي :

د أمر عبد الله المهدى أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة في مسجد رسول الله على وإحكام عمله ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، فأحسن الله ثوابه بأحسن الثواب ، والتوسعة لمن صلى فيه (٥) أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسن نية في ذلك وأحسن ثوابه (١).

ويلى هذا النص بالقرب من مؤخر المسجد نص متأخر عن عمارة المهدى يعود إلى أيام المعتضد بالله العباسى ، وقد رمز إليه سوفاجيه بحرف (جــ) ونصه :

⁽١) الأعلاق النفيسة ، ص ٧٣ .

⁽۲) ذكر إبراهيم جمعة في نطور الكتابات الكوفية ، ص ۷۷ ، أنواع الخط التذكارى فقال : أنها للسمل أولا : النقوش الكبيرة على العمائر ، وهي أفاريز خطية أو أشرطة شخلي الحيطان أو بواطن العقود ، أو رقاب القباب ، أو تدور حول المحاريب والمشاهد وأبدان المآذن ، محفورة في مواد صلبة أهمها الحجر والجعر والخشب وغالبها آيات قرآنية وعبارات دعائية أو تأسيسية . ثانيا : النقوش التأسيسية التي تؤرخ لاقامة أثر أو تشير إلى مجميده . وكلها عادة منقورة في الحجر أو الرخام ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الكتابات ظلت حتى أواخر العصر الأيوبي تكتب بالخط الكوفي هو جدير بالملاحظة أن هذه الكتابات ظلت حتى أواخر العصر الأيوبي تكتب بالخط الكوفي

⁽٤) انظر نقوش المسجد النبوى في عهد الوليد ص ١٣٨ وما بعدها .

⁽٥) يبدو أن هذا نقص بالنص يمكن أن يكون (من) .

 ⁽٦) كتاب المناسك ، ص ٣٨٧ ، وانظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٣ وسوفاجيه : المسجد الأموى في المدينة ص ٥٦ .

« أمر أبو العباس الإمام المعتضد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بتجديد عمارته في سنة ٢٨٢ هـ ١٠٠٠.

وموضعه في المسجد « يدعو إلى الاعتقاد بأنه حل مكان جزء من نقش أقدم بسبب أحد التجديدات »(٢).

وفى مؤخر المسجد على الجدار الذى يقابل مُقدمه نقش رمز إليه سوفاجيه بحرف (د) ، وهو يعتقد أنه يحتل كل الجدار الشمالي وجزءا من الجدار الغربي (۲) ، ونصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم - ثم أم القرآن كلها ، ثم على أثرها - إنما يعمر مساجد الله - الآية بكاملها ، ثم ، وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله بالزيادة في مسجد رسول الله كله ، عمله في سنة اثنتين وستين ومائة ، وأمير المؤمنين - أصلحه الله ، يحمد الله على ما أذن له ، وما اختصه به من عمارة مسجد رسول الله كله ، وتوسعته ، حمدا كثيرا ونحمد الله رب العالمين على كل حال (٤).

وعلى أثر هذا النص فى آخر الجدار الغربى مما يلى القبلة نص رمز إليه سوفاجيه بحرف (هـ) وذكر أن تاريخه يعود إلى سنة ١٦٢هـ معتمدا فى ذلك على ابن رسته . وقد ناقش الخلاف بين تاريخ النص الذى يوافق عمارة المهدى وبين اسم

⁽١) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ ، سوفاجيه : المرجع السابق ص ٥٧ .

⁽۲) سوفاجیه : نفس المرجع ، ص ۵۸ ، ویذکر فی نفس الصفحة ۵ أن این النجار - الذی نقل هو أیضاً نقوش الصحن کما قراها علی الجدار ، أهمل هذه الوثیقة التی باسم المعتضد ، وبما أن هذا النص یقطع التتابع المنطقی للنصوص ، قانه یظن أنه لم یتبع (ب) مباشرة علی البناء وإنما فوق النص أو مخته علی نفس الجدار الذی یسجل إعادة بنائه والذی جعله ابن رستة بین (ب) ،

⁽٣) انظر خارطة توزيع النقوش على جدار الصحن ، شكل (٤٨) .

 ⁽٤) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٨٨ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ ، سوفاجيه :
 المسجد الأموى في المدينة ، ص ٥٨ .

عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين الذي أورده ابن رسته ، والذي 3 لا يمكن بأية حال أن يختلط باسم المهدى الأ⁽¹⁾. على أن صحة التاريخ الذي أخطأ في نقله ابن رستة هو سنة ١٣٢هـ كما أورده ابن إسحاق الحربي إذ يقول 3 ثم إلى جنب هذا الكتاب كتاب كتب في ولاية أبي العباس ، وصل هذا الكتاب إليه (٢) ، وهو :

أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين يزينة هذا المسجد وترتيبه وتوسعة مسجد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وثلاثين ومائة ابتخاء رضوان الله وثواب الله ، وأن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة . وكان الله سميعا بصيرا (٣).

وبهذا النص تكون نقوش الصحن قد اتضحت وتخددت أماكنها .

ب ـ نقوش مقدم المسجد :

بقيت نقوش جدار القبلة على حالها الأول مخلى جدار القبلة من حذاء يمين الداخل إلى المسجد من الباب الذى يلى دار مروان حتى ينتهى إلى باب على (٤) وكانت تبدأ:

بأم القرآن حتى ختمها ، والشمس وضحاها إلى خاتمة قل أعوذ برب الناس، (٥).

وقد خلا هذا الجدار من الكتابات التذكارية الأموية ، فترك بنو العباس النقوش القرآنية على حالها .

⁽١) سوفاجيه : نفس المرجع ص ٥٨ .

⁽٢) يقصد أن آخر النقش المذكور قد اتصل بأول النقش الأول الذي يعود إلى السفاح .

⁽٣) كتاب المناسك لابن اسحاق ، ص ٣٨٨ ، وانظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ ، السمهودى : وفاء الوقا جـ٢ ص ٥٣٦ .

⁽٤) ، (٥) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٨٥ ، وانظر رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، لمجمهول من القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٥١ . وانظر أيضًا كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، لمجهول من القرن السادس الهجرى ، ص ٤٠ .

بــ نقوش الجدار الشرقى من المسجد :

كانت على هذا الجدار النقوش من أوله مما يلى الحجرة الشريفة ، ولا غنى عن الاعتماد فيها على ابن إسحاق الحربى ، وابن رستة . فقد ذكر ابن إسحاق الحربى أول هذه النصوص إذ يقول ، : • وفى الزواية الشرقية فى جوف المسجد مكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إن عبدك وخليفتك عبد الله بن أمير المؤمنين يحمدك على ما أذنت له في عمارة هذا المسجد وتزيينه ، أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه ، وتوسعة مسجد رسول الله كلف سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ابتغاء رضوان الله وثوابه ، وكرامة الله فإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعا بصيرا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، تبارك الله تعالى ، ثم تبارك الله وتعالى عما يقول الكافرون علوا كبيرا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم و(١).

وبين باب النبى وباب عثمان نقش يعود إلى هارون الرشيد الذى أصلح المسجد عند ميله من هذه الناحية في ولاية محمد بن عبد الله بن سليمان الربعى للمدينة سنة ١٧٣هـ(٢)، وهو و مكتوب في صفحة الجدار بالفسيفساء ، ونصه :

« مما أمر به عبد الله ، عبد الله هارون أمير المؤمنين أطال الله بقاه على يدى إبراهيم بن محمد أصلحه الله ، عمل أهل بيت المقدس »(٢).

وعلى يسار طاقة باب النبي 🛎 :

⁽۱) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ۳۸۹ . وهذا النص مما لم يطلع عليه سوفاجيه ، ذلك لأن ابن إسحاق الذى انفرد بذكره ، ليس من مصادره . ويبدو أنه نص أموى محرف . لأن التاريخ الذى يشيد به النص وهو سنة ۱۳۳ه هـ يقع فى خلافة السفاح الذى لم يتعرض ـ بناءً على ما اطلعت عليه من مصادر لعمارة المسجد النبوى بأى حال من الأحوال .

⁽٢) ابن إسحاق : المصدر السابق ص ٣٧٢ ، السمهودي : وفاء الوفا ص ٦٨٤ .

⁽٣) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٨٩ ، وانظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ .

- « هذا ما انتهى (١) عمل أهل بيت المقدس (^(٢).
- وفى القبلة من خارج ، فى موضع الجنائز ، حيث يصلى على الموتى عند
 باب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، منقوش :
- بسم الله الرحمن الرحيم ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صلى على محمد صلى الله عليه ورحمة الله وبركاته (٣).

وعن يمين باب عثمان منقوش :

- د عمل أهل حمص ۽^(٤).
- و وعن يساره منقوش أيضا :
 - و عمل أهل حمض و^(٥).

وعلى باب عثمان من الخارج منقوش :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. إلى آخر السورة) (٦).

وعلى الباب المستقبل لباب دار ريطة (٧)، من الداخل منقوش :

د يسم الله الرحمن الرحيم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم _ إلى _ سميع عليم ، (٨).

وعلى الباب المستقبل لباب دار ربطة (٩) ، من الخارج منقوش : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله له الآية ﴾ . وعلى الباب المستقبل باب أسماء بنت الحسن من الداخل منقوش :

الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما ... إلى آخر السورة و(١٠).

⁽١) يبدر أن هنا نقص لعله (إليه) .

⁽٢) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .

⁽٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ابن إسحاق : المصدر السابق ص ٣٩٠ .

⁽٧) هي ربطة بنت أبي العباس السفاح ، انظر السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٩١ .

⁽٨) ، (٩) ، (١٠) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٢٩٠ .

وعليه من الخارج منقوش:

د بسم الله الرحمن الرحميم ، ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا

وعلى الباب المقابل لدار خالد بن الوليد(٢) من الداخل منقوش :

بسم الله الرحمن الرحيم . والهكم إله واحد ـ الآيتان ٤ (٣).

وعلى أثرها :

(وإذا سألك عبادي عني ، الآية) (٤).

وعليه من خارج منقوش:

وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . الآية ، (٥).

وفي حاف الياب منقوش من الداخل:

* اللهم صلى على محمد النبي صلى الله عليه ، مما أمر به المهدى محمد أمير المؤمنين مما عمل البصريون سنة اثنتين وستين ومائة (٦).

ومنقوش أيضا :

« مبتدى زيادة المهدى في المسجد ، (٧).

وعلى الباب المستقبل زقاق المناصع من الداخل منقوش:

الله الرحمن الرحيم ، إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض _ الآيتان ، (٨).

وعليه من خارج : منقوش :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ألهاكم التكاثر ـ إلى آخر السورة »(٩).

⁽١) نفس المصدر ص ٣٩١ .

⁽۲) ، (۳) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٧٣٠ .

⁽٤) ، (٥) ، (٦) ابن إسحاق : المصدر السابق ص ٢٩١ .

⁽٧) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩١ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٨٤ .

⁽٨) ، (٩) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

وعلى الباب مما يلي الصوافي من الداخل منقوش :

الله الرحمن الرحيم ، أول آل عمران إلى قوله : كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم اللهم صلى على محمد عبدك ونبيث) (١).

وعليه من الخارج منقوش :

السموات الله الرحمن الرحيم ، ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض _ الآيتان (٢).

د ـ نقوش جدار مؤخر الهسجد :

كان على هذا الجدار نقوش عديدة غالبها آيات قرآنية كريمة ، وأولها ما كان على الباب الأول مما يلي المشرق من الداخل .

الله الرحمن الرحيم ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا
 إلى آخر السورة (٣) .

ومن خارج الباب منقوش :

الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة _ الآية _ اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك ، إمام المتقين وخاتم النبيين (٤)

وفي الباب الثاني مكتوب عليه من الداخل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، في بيوت أذن الله أن ترفع ، إلى منتهى ثلاث آمات (٥٠).

وعليه من خارج :

« يسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وأجزه

⁽١) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

⁽٢) ، (٣) تقس المصدر ص ٣٩١ .

⁽٤) اين إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩١ .

⁽٥) ابن إسحاق : نفس المصدر ص ٣٩٢ .

خير ما بجزى النبيين ، وأفضل ما تعطى المرسلين ، أمر بعمارة هذا المسجد وأن يبنيه ويوسعه عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ، (١).

وفي الباب الثالث من الداخل منقوش:

بسم الله الرحمن الرحيم ، قد أفلح المؤمنون _ إلى _ هم الوارثون (۲).
 وعليه من خارج :

لا إله إلا هو الحى الذى لا يموت وسبحان الله وتعالى عما يشركون علوا
 كبيرا ، هو الذى لم يتخذ ولدا وهو العلى الكبير (٣)

وفي الباب الرابع من الداخل:

البسم الله الرحمن الرحيم ، لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ـ إلى _ وتعالى عما يشركون *(٤).

وعليه من الخارج:

الله العزيز الحكيم ، أذن بنعمته وفضله لعبد الله وخليفته المهدى محمد أمير المؤمنين ، بالزيادة في مسجد رسول الله علله ، وتوسيعه وتزيينه ، فأعظم الله أجره وأتم عليه نعمته ، وهناه كرامته وأعز نصره) (٥).

هــنقوش الجدار الغربس من المسجد :

كانت مخلى هذا الجدار من الداخل نقوش عدة ، وأولها ما كان على الباب الأول مما يلى مؤخر المسجد وعليه من الداخل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن في خلق السموات والأرض _ إلى - لا يخلف المعاد ، (٦).

وفي نجاف الباب من داخل المسجد :

⁽١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ابن إسحاق : نفس المصدر ص ٣٩٢ .

⁽٥) ، (٦) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٢ .

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ، عمل أهل البصرة » (١).

وعليه من الخارج :

القارعة إلى آخرها ٤^(٢).

وعلى الباب الثاني الذي يستقبل دار منيرة (٣) منقوش :

ه بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول الله _ إلى خاتمة السورة » (٤).
 وعليه من خارج الجدار :

« يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، (٥).

وعلى الباب الثالث الذي يستقبل دار نصير صاحب الموصل من الداخل:

الله الرحمن الرحيم ، قال : كم لبثتم في الأرض عدد سنين _ إلى خاتمة السورة _ اللهم صل على محمد عبدك ونبيك (٦٠).

وعليه من الخارج :

الحمد لله الذي صدقنا وعده _ الآيتان (٧).

وعلى الباب الرابع من أبواب هذا الجانب الذي يستقبل دار جعفر بن يحيى من داخل المسجد :

الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ـ الآية ـ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من أنبيائك ورسلك ، اللهم أبعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه عليه الأولون والآخرون ، كما بلغ رسالاتك ، ونصح لعبادك ، وتلا آياتك ، (^^).

⁽١) ، (٢) ابن إسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٢ .

⁽٣) قال السمهودي في الوفا ، جـ ٣ ص ٧٣٦ أنها منيرة مولاة أم موسى .

⁽٤) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

⁽٥) ابن إسحاق : كتاب المنامك ص ٣٩٣ ، بيد أن هذا جزء من الآية رقم ٥٣ من سورة الزمر ويبدو أنها كانت مكتربة كلها نظرا لما ذكر من أنها منقوشة فوق الباب من الخارج ونصها • قل يا عبادى الذين أمرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم • .

⁽٦) ، (٧) ، (٨) ابن إسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

وفي أسفل الطاق(١) منقوش:

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن ربكم الذى _ إلى _ رب العالمين صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته (٢).

وعليه من الخارج :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ألم نشرح لك صدرك إلى آخرها »(٣).

وعلى باب عاتكة من الداخل :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، آمن الرسول .. إلى حاتمة السورة ا (٤).

وعلى الطاق الذي على باب عاتكة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم _ الآيتان _ وقل هو الله أحد إلى آخرها _ وصلى الله على محمد النبى ، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته) (٥).

وعليه من خارج :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربي _ الآية _ أمر عبد الله ، عبد الله ، أمير المؤمنين بعمل هذا المسجد ، (٦).

وفوق باب زياد في لوح من ساج مثبت بمسامير نقش من خارج المسجد وداخله ، سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن عمارة المسجد النبوى في أواثل الدولة العباسية (٧).

⁽١) عن الطاق ، انظر أدناه ص ٥٢ الحاشية رقم ٣ .

⁽٢) ، (٣) ، (٤) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٣ .

⁽٥) نفس المصدر ، ص ٣٩٤ .

⁽٦) نفس المصدر ، ص ٣٩٤ ، بما أن هذا النقش على الأجزاء التى لم تمتد إليها عمارة المهدى فإن الظن يذهب إلى أنه أموى محرف ، استبدل فيه اسم الوليد ، باسم عبد الله الذى يمكن أن يكون المقصود به المنصور لأنه اهتم بعمارة رحبة القضاء وفتح لها باب من هذا الجانب .

⁽۷) انظر ص ۱٤٦

أما خوخة الصديق رضى الله عنه ، فليس عليها « كتاب لا من داخل ولا من خارج » (١). أما الباب الذي عند دار مروان فعليه من الداخل :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على محمد النبى وسلم عليه ، وبيض وجهه ، وأعل درجته ، وشرف بنيانه ، وأكرم نزله ، وأجزه خير ما جزيت نبيا عن أمته ، فإنه قد بلغ رسالاتك ، وجاهد على أمرك حتى عز دينك ، وظهر سلطانك وتمت كلمتك ، واستحل حلالك ، وحرم حرامك وأمر بعدلك وحدك لا شريك لك ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، أمر بعمل مسجد رسول الله صلى الله عليه عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين ، سنة ستين ومائة ، كرامة من الله، أكرم بها خليفته وذخيرة اذخرها له ، من كان قبله ، وناقلة نقله إياها على من بعده ، فالحمد لله الذي ولى أمير المؤمنين بعد غيره ، وأكرمه بنصر ملته ونشر من بعده ، قالحمد لله الذي ولى أمير المؤمنين بعد غيره ، وأكرمه بنصر ملته ونشر من بعده ، وتطهيره وأعظم الله لأمير المؤمنين أجره وكثر حسناته ، (٢).

وعلى الباب نفسه من خارج المسجد :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق – الآية – اللهم اغفر لأنبيائك وخلفاء المؤمنين حيهم وميتهم ، اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ، أنت وملائكتك والمؤمنون جميعا ، أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين بعمل مسجد رسول الله ، وإصلاح ما أفسد منه ، وعمارته في

⁽١) ابن إسحاق : كتاب المناسك : ص ٣٩٤ .

⁽۲) نفس المصدر ص ٣٩٤ بما أن هذا النفش يقع على باب السلام من الداخل وهو ما لم تمتد إليه عمارة المهدى فإن الشكوك تخيط بنسبتها إلى المهدى العباسى . ويزيد من قوة هذا الاحتمال أن ما ورد فى النص المؤرخ بستين ومائة ، مخالف لما ذكر من النص الذى أورده ابن إسحاق فى كتاب المناسك ، ص ٣٨٨ ، والذى يصرح ببدء عمارة المهدى سنة ١٦٢هـ وانتهت سنة ١٦٥هـ . وبما أن الموضع الذى يحتله رقم السنة التى عمر فيها المسجد النبوى فى عهد الوليد ، وهو ما بين ٨٨ أو ٩١ من الهجرة ، لا يسمح بحلول الرقم الذى بدئ فيه بعمارة المهدى وهو سنة ١٦٢هـ ، فقد اكتفى بوضع عبد الله سنة ١٦٢هـ كما أنه استبدل اسم الوليد بوضع عبد الله مكانه مما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذا النص قد حرف فى العصر العباسى مرتين .

سنة النتين وخمسين ومائة ، (١).

هذا عن أهم نقوش المسجد النبوى التى اعتمدت فى نقلها على كتاب المناسك لابن إسحاق الحربى ، وبعضها يعود إلى السفاح ومن بعده المنصور ثم المهدى والرشيد والمعتضد العباسى ، وذلك خلاف ما بقى من نقوش المسجد فى العصر الأموى . ويخلوا من اسم خليفة أو وال أموى وأغلب النقوش آيات قرآنية وعبارات دعائية .

* * *

⁽۱) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٥ . ومما لا شك فيه أن هذا النص أموى محرف لأن أبا جعفر المنصور الذي يقع تاريخ النص المحرف في عهده ، لم يعمر إلا رحبة القضاء وباب زياد ، انظر أعلاه ص ١٤٦ .

٥- المسجد في أواخر الدولة العباسية

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارة المهدى له حتى نهاية الدولة العباسية ، ما عدا بعض ترميمات وتجديدات لم تغير من جوهر عمارته شيئا . وكان أول هذه الأعمال ما تم فى خلافة هارون الرشيد ، عندما مال بعض جدار والمسجد من ناحية المشرق مما يلى موضع الجنائز ﴾ (١) . فى ولاية محمد بن عبد الله بن سليمان الربعى للمدينة سنة ١٧٣هـ، فأمر به فبنى ، وقد دل على عمل هارون الرشيد نص كتابى بين باب النبى كلة ، وباب عشمان رضى الله عنه ، فى عرض الجدار ، منقوش بالفسيفساء من داخل ، وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن نقوش المسجد النبوى فى عمارة المهدى (٢).

وربما كان لميل الجدار الشرقى فى هذه الناحية أثر على ما تكسر فيما بعد من خشب المسجد فى ولاية أبى البحترى وهب بن منبه للمدينة فى عهد هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ. وقد تمكن آنذاك أحد علماء المدينة المعروف بأبى غسان^(٢)، من معاينة الحظار⁽¹⁾، الذى يحيط بالحجرة الشريفة و وذلك حين انكسر حشب مقف المسجد فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته ، وأبو البحترى بن وهب بن رشيد يومئذ على المدينة ، وذلك فى جمادى الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائة

⁽١) ابن إسحاق : كتاب المناسك ص ٣٧٣ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٤ .

⁽٢) انظر أعلاه من ١٦٥ .

⁽٣) قال حمد الجاسر في مقدمته للجزء المحقق من المغانم المعللة ، أن عمر بن شبه النميرى (١٧١ ــ ٢١٢هـ) قد استقى جل معلوماته من عالم مدنى مشهور هو أبو غسان محمد بن أحمد بن يحيى الكتابي . انظر ص (ز) .

⁽٤) قال ابن منظور في لسان العرب جــ ٤ ص ٣٠٣ ، الحظار كل ما حال بينك وبين الشيء وكل شيء حجز بين شيئين فهو حظار . ويقصد به هنا الفراغ الذي يقع بين جدران الحجرة وحائز عمر بن عبد العزيز .

⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٦٠ ، وذكر ابن إسحاق الحربي في كتاب المناسك ص ٣٨٤ نقلا عن يحيى بن حسين و أن عدد الخشب التالف الذى وجد بسقف المسجد سبعون خشبة ٥ وتبعه في ذلك ابن النجار في الدرة الثمينة ص ١٠٥ ، ولكنه زاد عدد الخشب التالف ثلاثا . وذكر ابن إسحاق الحربي في المصدر أن ذلك كان فوق المنبر وما يليه .

وأعيد السقف على ما كان عليه بعد إصلاح ما فسد منه . وفي ولاية أبي البحترى أيضا حجز ماء الصحن بحجارة مربعة بما يلى القبلة (١) ، فمنع ماء الصحن ومنع حصباء القبلة أن يصل إلى الصحن (٢) . وكان عمل أبي البحترى هذا سببا في ارتفاع أرض المسقف القبلي فيما بعد ، مما أدى إلى خفض مصلى النبي كله ، وكذلك موضع المنبر (٣) وقد دعا ذلك إلى إستحداث بالوعات عديدة في صحن المسجد لتصريف مياه الصحن إلى خارج المسجد ، عدها ابن زبالة ويحيى أربعة وستين بالوعة أ، وأدرك السمهودي بالوعة واحدة لها فوهتان غير أنه يعتقد أن هذه البالوعة مما أحدث في عمارة المسجد الشريف بعد الحريق الأول .

وبدأ عهد المأمون بشورة للعلويين ، قادها محمد بن جعفر الصادق سنة وبدأ عهد المأمون بشورة للعلويين ، قادها محمد بن جعفر الصادق سنة وسم ٢٠٠ هـ (٥) ، وتعرضت بعض نقوش المسجد من جراء هذه الثورة لبعض التغيير والتبديل . فقد أورد ابن إسحاق الحربي نقلا عن يحيى بن حسين الطالبي نصا جاء فيه أنه لما (قام آل أبي طالب في سنة مائتين ، وكان في آخر أمرهم حكوا اسم فيه أنه لما (قام آل أبي طالب في سنة مائتين ، وكان في آخر أمرهم محمد بن المهدى من المسجد ، وقلعوا الفسيفساء الذي كان مكتوبا فيه (٢) ، اسم محمد بن جعفر بن محمد حين دعا إلى نفسه ، فأقام ثلاثة أيام مكتوبا ، ثم قدم

⁽۱) ابن إسحاق : المصدر السابق ص ٣٨٤ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٥ ، السمهودى : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٦٧٦ ــ ٦٧٧ .

⁽٢) ابن النجار: المصدر السابق ص١٠٥ ، ويقصد بماء الصحن المذكور ماء المطر الذي يتجمع في صحن المسجد.

⁽٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٧ ص ٢٥٢ ، ابن جبير في رحلته ، ص ١٧٠ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٧٦ . كان سبب خفض مصلى النبى عليه السلام وكذلك المنبر الشريف، هو أن هناك من يرى أنه لا يجوز تغيير موضع مصلى النبى عليه السلام أو وضع الخشب عليها حتى تستوى بأرض المسجد فعارضه أهل المدينة وأدى الأمر إلى عزله عن القضاء . انظر أدناه ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

 ⁽٤) ابن إسحاق : المصدر السابق ص ٣٨٤ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٥ ، السمهودى :
 المصدر السابق جـ٢ ص ٦٧٧ .

⁽٥) انظر ترجمته عند السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ٣ ص ٥٥٣ .

⁽٦) يبدو من سياق المعنى أن هناك نقص صحته و وقلعوا الفسيفساء الذي كان مكتوبا فيه اسم المهدى ، ووضعوا مكانه اسم محمد بن جعفر

المسودة (١) المدينة فحكوا ذلك الكتاب من ساعته (٢) وذكر ابن قتيبة أن المأمون زاد في المسجد زيادة المأمون النالي :

• أمر عبد الله ، عبد الله بعمارة مسجد رسول الله سنة اثنين ومائتين طلب أواب الله وطلب جزاء الله وطلب كرامة الله فإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعا بصيرا ، (٢).

ونقل عنه ذلك كل من ياقوت الحموى (٤) والمراغى (٤)، والسهيلى (٤)، ولكن رزين ينكر كسما يقول السسمهودى أن يكون للمأمون أى عمل فى المسجد النبوى (٥)، وكذلك ابن المحجوب الذى قال : ٥ وذكر السهيلى أن المأمون زاد فى هذا المسجد المبارك فى عام اثنين ومائتين ، وقد أنكر حذاق العلماء هذا النقل ووهموا السهيلى فيه لاتفاق أوائلهم على أنه لم يزل على ما تركه عليه المهدى، (١).

ویذکر السمهودی أنه لم یر و فی کلام أحد من مؤرخی المدینة أن المسجد الشریف زید فیه بعد المهدی و (۷) علی أن سوفاجیه استطاع من خلال دراسته لنقوش صحن المسجد التی أوردها ابن رستة وابن النجار وغیرهما أن یبین الخطأ الذی وقع فیه ابن قتیبة وذلك بدراسته للنص الذی أورده ومقارنته بما ذكره غیره من المؤرخین . وقد خلص من ذلك إلی القول أن و أبا قتیبة وجد نفسه ، كما نجد أنفسنا نحن ، أمام نقش لا یبرز فیه اسم ولا تاریخ ، ونسی أن اسم عبد الله یمكن

⁽١) نسبة إلى السواد الذي اتخذه العباسيون شعار لهم .

⁽٢) كتاب المناسك ص ٣٧٢ .

 ⁽٣) كتاب المعارف ، ص ٢٤٥ ، وقد أعقبه بالنص الذى قال عنه سوفاجيه أنه أموى محرف ، انظر
 نصه فى ص ١٣٦ من الرسالة ، الحاشية رقم ٥ .

⁽٤) معجم البلدان ، جــ٥ ص ٨٧ ، څخيق النصرة ، ص ٥٤ ، ووفاء الوفا ، جــ٣ ص ٥٤٠ .

⁽٦) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ أ .

⁽٧) المصدر السابق جـ٧ ص ٥٤٠ .

أن يعنى أول العباسيين (المعروف أكثر بكنيته أبى العباس وبلقبه السفاح) ، فعمد ببساطة إلى تصحيح الرقمين الأولين من التاريخ ليجعله فى مدة حكم الخليفة المسمى عبد الله المعروف له ، وهو المأمون . وقد فاته أنه ما من مصدر تاريخى ينسب إليه أعمالا قام بها فى مسجد المدينة الله.

وفى خلافة المتوكل على الله العباسى ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ تم تأزير وفرش الحجرة الشريفة بالرخام على يد إسحاق بن سلمة (٢). غير أن أعمال المتوكل لم تكن كما يبدو قاصرة على ترخيم الحجرة الشريفة ، فقد ذكر البلاذرى أنه أمر فى سنة ٢٤٦هـ و بمرمة مسجد المدينة فحمل إليه فسيفساء كثير وفرغ منه فى سنة ٢٤٧هـ و (٣).

وذكر ابن رستة نقشا للمعتضد العباسي (۲۷۹ ـ ۲۸۹ هـ) في الجدار الشرقي للصحن سبق ذكر نصه عند الحديث عن نقوش صحن المسجد (٤) . وهذا النقش وأمثاله من النقوش المتأخرة كانت تنقش عادة في الجزء الذي أعيد بجديده وترميمه . وفي خلافة المقتدر بالله العباسي (۲۹۰ ـ ۳۲۰ هـ) أمر سنة ۳۱هـ بتركيب و أبواب الساج على مسجد رسول الله كله (٥) . ويبدو أن معظم أبواب المسجد ، التي يقول عنها ابن جبير أنها و لم يبق منها مفتوحا سوى أربعة و آله الساج على الأبواب الساج على الأبواب الساج على الأبواب التي كانت في عهد المهدى كلها .

وفي أوائل القرن الخامس توالت على المسجد الشريف عدة أحداث أحدثت به بعض الأضرار البسيطة ، ومنها ما ذكره ابن كثير في سنة ٤٠٧هـ من سقوط

⁽١) المسجد الأموى في المدينة ص ٦١ .

⁽٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٣٨ ، السمهودي : المصدر السابق جــ ٢ ص ٥٧٣ .

⁽٣) فتوح البلدان ص ١٤ .

⁽٤) انظر أعلاه ص ص١٦٢٠.

⁽٥) أبو عبيد البكرى : جزيرة العرب ، ص ٨٦ .

⁽٦) رحلة ابن جبير ، ص ٢٧٢

وجدار بين يدى قبر الرسول على بالمدينة (١). يبد أنه لا تعرف الصفة التي أعيد عليها بناء هذا الجدار ، كما لا يعرف اسم من قام على بنائه ، ولكن مثل هذه الأعمال البسيطة كانت بما يقوم به شاد (٢) عمائر الحرمين الذى كان يبعث به الخليفة العباسي كل عام (٦) وقد كثرت في أواخر الدولة العباسية الترميمات البسيطة التي كان يقوم بها الشادى ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى أنه في سنة البسيطة التي كان يقوم بها الشادى ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى أنه في سنة و٦٥ هـ حدث أيضا وهدمت شرافتين (٤) من مسجد رسول الله على وفي سنة و١٥ هـ حدث أيضا ولزلة عظيمة بالحجاز فتضعضع بسببها الركن اليماني ، وتهدم بعضه وتهدم شيء من مسجد رسول الله على المنابه من المسجد غير معروف على وجه التحديد ، كما لا يعرف مقدار ما أصابه من الأضرار ولا الصفة التي بني عليها ، غير أن هذه الأعمال البسيطة هي مما اهتم بإصلاحه بعض الخلفاء علياسيين كما يذكر ابن النجار (٢).

وفى سنة ٥٤٨هـ من خلافة المقتفى (٥٣٠ ــ ٥٥٥هـ) إحتاج رخام الحجرة الشريفة إلى التجديد ، فقام به و جمال الدين وزير بنى زنكى ، وجعل الحجرة الشريفة إلى التجديد ، فقام به و كان ذلك كما يصفه ابن جبير برخام و بديع الرخام حولها قامة وبسطة ، (٧) وكان ذلك كما يصفه ابن جبير برخام و بديع السحت رائع النعت ، ثم يقول بعد ذلك : و وينتهى الأزار منها إلى نحو الثلث أو السحت رائع النعت ، ثم يقول بعد ذلك : و وينتهى الأزار منها إلى نحو الثلث أو يسيرا وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر ، قد علاه تمضيخ المسك والطيب

⁽١) البداية والنهاية ، جـ١٢ ص ٥ .

⁽٣) ابن النجار : الدرة الشمينة ، ص ١٠٩ _ ١١٠ .

⁽٤) وردت عند ابن الجوزى شرافتين ونقل عنه ابن كثير شراريف .

⁽٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جــ م ص ٣٤٨ ، وابن كشير : الكامل في التاريخ ، جــ ١ ، ص ٩٦ ، ص ٩٦ . وإني أشك في أن المقصود بذلك هو مسجد المدينة ولعل ذلك يعني المسجد الأقصى بالقدس .

⁽٦) المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠٠ .

⁽٧) السمهودي : وقاء الوفا جــ ٣ ص ٥٧٣ .

بمقدار نصف شبر مسود مشققا (١) ، متراكما مع طول الأزمنة والأيام » (٢) ثم جعل لها شباكا من خشب الصندل والأبنوس وأحاطها (٣) بالحجرة الشريفة مما يلى السقف فوق حائز عمر بن عبد العزيز وقيل (أن أبا الغنائم النجار البغدادى عمله اروانكا (٤) وفي دورانه مكتوب على اقطاع الخشب الأروانك سورة الإخلاص في صنعة بديعة (٥).

وتعاقبت على الحجرة الشريفة في أواخر الدولة العباسية أحداث عدة ، أهمها ما وقع في سنة 0.50 هـ حين أمر أحد الشيوخ المجاورين بالمدينة ويدعى عمر النساى بالنزول و إلى الحظير الذى بناه عمر بن عبد العزيز ودخل منه إلى الحجرة ، ومعه شمعة يستضىء بها ، فرأى شيئا من طين السقف قد وقع على القبور فأزاله 0.00 وفي شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة نزل و أحد خدام الحجرة الشريفة ومعه الصغى الموصلى متولى عمارة المسجد (0.00) ، ونزل معهما هارون الشادى بعد أن سأل الأمير في ذلك (0.00) ، وبذل له جملة من المال 0.00) ، للبحث عن مصدر

⁽١) يقصد بذلك أن الطيب المدهون به جدران الحجرة قد تشقق من كثرته .

⁽۲) رحلة ابن جبير ، ص ۱۳۹ .

⁽٣) صوابها واحاطه كما يقتضي سياق المعني .

⁽٤) بحثت عن هذه الكلمة فى القواميس العربية فلم أجد لها معنى وكذلك فى المعجم المضاف على القواميس العربية لدوزى . وكذلك فى الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير الكلداتى ويبدو أنه اصطلاح فنى لبعض أنواع الخشب الخروط .

⁽٥) ابن النجار : الدرة الشمينة ص ١٣٩ ، وانظر السبكى : تنزيل السكينة على قناديل المدينة جـ ١ ص ٢٩٣ .

⁽٦) ابن النجار: المصدر السابق ص ١٤٢ ، وذكر الغاسى فى العقد الشمين جـ ٦ ص ٢٩١ أن اسمه عمر بن الحسين النسوى وأنه وجد اسمه مكتوبا فى حجر قبره بالمعلاه ، وأنه توفى فى الحرم سنة ٢٩١هـ .

⁽٧) يستدل مما ذكر ابن النجار عن الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد النبوى أن اقامته في مكة والمدينة كانت بصفة دائمة .

 ⁽٨) ذكر السخاوى في التحفة اللطيفة جـ٣ ص ٤٠٤ ، أن أمير المدينة في ذلك الوقت هو قاسم بن
 مهنا الحسيني .

⁽٩) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٤٢ .

رائحة كريهة كانت تنبعث من الحجرة الشريفة . وقد تبين لهم أن مصدر هذه الرائحة هرة سقطت بين الحائز وبين الحجرة الشريفة ، فأخرجت وطيب مكانها . ونقل السمهودى عن الأقشهرى (۱) أن بدرا الضعيف وهو أحد فتيان بنى العباس وأحد خدام المسجد أختير في حدود سنة سبعين وخمسمائة للنزول إلى الحجرة الشريفة حين سمعت هدة داخلها فوجد جدار الحجرة الغربي قد سقط فأعاده بلبن من طين المسجد (۲).

هذا عن أهم أحداث الحجرة الشريفة التي ثبت صحتها . أما ما ذكر عن قدوم نور الدين زنكي إلى المدينة بسبب رؤى رآها فإنني أرجى الحديث عنها إلى الفصل الخاص بعمارة السلطان المملوكي ، الملك الناصر محمد بن قلاوون لوجود قصة في زمنه مشابهة لهذه القصة .

أما صحن المسجد فقد أحدث به في سنة ٥٧٦ هـ قبة كبيرة عمرها الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) . وقد شاهدها ابن جبير بعد عمارتها بأربعة أعوام عندما زار المدينة سنة ٥٨٠هـ، وقال عنها و أنها قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت ، هي مخزن لجميع آلات (٢) المسجد المبارك وما يحتاج إليه فيه (٤)، وقد سد الباب الرابع الواقع في الجدار الشرقي إلى الشمال من باب النساء) وذلك عند مجديد الحابط الشرقي من المنارة الشرقية الشمالية إلى هذا الباب في أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة) (٥).

وكان العباسيون يولون المسجد النبوى اهتمامهم باستمرار ويقول ابن النجار :

⁽۱) قال السخاوى : في المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٤٦٠ أن اسمه محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى وقد توفى منة ٧٣٩هـ وله كتاب أسماه ، الروضة الفردوسية في أسماء من دفن في البقيم ، .

⁽٢) وفاء الوفاء جـ٣ ص ٥٦٩ وما بعدها ، السخاوى : المصدر السابق جــ١ ص ٣٦٤ .

⁽٣) كالقناديل والزيوت وأنواع الطيب والمجامر والشموع وغير ذلك .

⁽٤) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٢ وانظر المطرى : التعريف بما أنست الهجري ص ٣٥ .

⁽٥) الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ٨٣ أ .

ولم تزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الأمراء على المدينة ويمدونهم بالأموال لتجديد ما يتهدم من المسجد . ولم يزل ذلك متصلا إلى أيام الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، فإنه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الأمامي ألف دينار لأجل عمارة المسجد وينفذ عدة من النجارين والبنائين والنقاشين والجصناصين والحراقين (1) ، والحدادين والدوجانة (٢) ، والحمالين ، ويكون مادتهم ما يأخذونه من الديوان من غير هذه الألف المذكورة . وينفذ من الحديد والرصاص والأصباغ والحبال والآلات شيئا كثيرا) .

وظلت العمارة متصلة في المسجد ليلا ونهارا(٢)، على أنه ليس به أصبع إلا عامر وينفذ من القناديل والثيرج (١)، والشمع عدة أحمال لأجل المسجد، وينفذ من الند والغالية المركبة والعود لأجل مجمير المسجد شيئا كثيرا ،(٥).

وهكذا بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارة المهدى له مع مداومة الخلفاء بعده على الترميم والتجديد حتى حلت به كارثة الحريق الأول سنة ١٥٤هـ.

* * *

⁽١) لعل المقصود بهم الذين يحرقون الجص والجير .

⁽۲) وردت في النسخة المنشورة وفي آخر الجزء الثاني من شفاء الغرام للفاسي و الدوجارية ، وقد حاولت أن أجد معنى لها في القواميس المذكورة في ص ١٩٢ الحاشية رقم ، فلم أوفق وقد سألت بعض العارفين باللغة الفارسية فذكروا أن دوز تعنى الخياطة فلعل الكلمة المذكورة تعنى العمال الذين يصنعون كسوة الحجرة الشريفة وكسوة المنبر وستأثر الأبواب .

⁽٣) هذا يدل على أن ابن النجار أدرك في المسجد بعض الترميمات والتجديدات إلا أنه لم يشر إليها -

 ⁽٤) هو نوع من الزيت ويسمى باللغة العامية (السيرج) . انظر نسخة الدرة الثمينة لابن النجار ،
 الملحقة بالجزء الثاني من شفاء الغرام للفاسى ، حاشية رقم ٢ من صفحة ٣٧٨ .

⁽٥) ابن النجار :الدرة الثمينة ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ . وانظر السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٧ .

الفصل الثانى عمارة المسجد النبوى فى عهد المماليك البحرية -٧٨٤ ـ ٦٤٨

الفصل الثانى عمارة المسجد النبوى فى عهد المماليك البحرية ٦٤٨ ـ ٧٧٨ هـ

مقدمة : نار الحجاز وما قيل عن علاقتها بحريق المسجد النبوى الأول سنة ٢٥٤هـ :

تعرضت المدينة المنورة سنة ٢٥٤هـ الأحداث لم يسبق لها مثيل من قبل ، كان أولها وأعظمها خروج نار الحجاز التي أخبر عنها الرسول كلة بقوله : (لا تقوم الساعة حتى تظهر نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى ١٠٠٠، وكان خروجها بوادى شطا(٢) شرقى المدينة (٢) بعد زلازل وهزات أرضية في ثالث جمادى الآخرة سنة ٢٥٤هـ، (رجفت منها المدينة ، والحيطان والسقوف ، والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبا من قريضة ٤(٤).

⁽١) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٠ .

 ⁽۲) نفس المصدر ، ص ۱۹۱ ، انظر ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ۱ القـــم الأول ص ۲۹۸ .

⁽٣) قبل أن اسم الوادى ٥ حبس سيل ٥ كما جاء في الحديث الذي أورده : الطبراني فقال أن عاصم بن عدى الأنصارى قال : سألنا رسول الله علله حدثان ما قدم فقال : ٥ أين حبس سيل ؟ قلنا لا ندرى ، فعر بي رجل من بني سليم فقلت : من أين جثت ؟ فقال : من حبس سيل فقلنا: فدعوت بنعلى ، فانحدرت إلى رسول الله علله ، فقلت يا رسول الله سألتنا عن حبس سيل فقلنا: لا علم لنا به ، وأنه مر بي هذا الرجل فسألته فزعم أن به أهله ، فسأله رسول الله علله فقال : ٥ أين أهلك ؟ ٥ فقال : بحبس سيل ، فقال ٥ أخرج أهلك منها فإنه يوشك أن تخرج منه نار تضيء أعناق الإبل بيصرى ٤ .

انظر السمهودي : وقاء الوقا ، جـ ١ ص ١٤٠ .

وذكر ابن منظور في لسان العرب جـ٦ ص ٤٥ أن حُبس سيل ٩ هو فلوق في الحرة يجتمع فيها ماء لو رردت عايد أمة لوسعهم . وحبس سيل اسم موضع بحرة بني سليم بينها وبين السوارقية (قرية من قرى المدينة) مسيرة يوم .

⁽¹⁾ أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

وكان منبعها من واد يقال له (أحيلين) (١) في الحرة الشرقية ، وسارت من مخرجها إلى جهة الشمال مدة ثلاثة أشهر تدب دبيب النمل تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر(٢) كعادة الحمم البركانية المنصهرة . وتصديقا لكلام الرسول عليه من جبل وحجر(٢) كعادة الحمم البركانية المنصهرة . وتصديقا لكلام الرسول على الذي لا ينطق عن الهوى فقد رؤيت هذه النار من يصرى كما أخبر به (صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار ممن كان يحاضره ببلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار ه (٢). وقال القطب القسطلاني وهو ممن أدرك نار الحجاز (إن جاء من أخبر برؤيتها ببصرى فلا كلام وإلا فيحتمل أن يكون ذكر ذلك في الحديث على وجه المبالغة في ظهورها ، وأنما بحيث ترى ، وقد جاء من أخبر أنه الحديث على وجه المبالغة في ظهورها ، وأنما بحيث ترى ، وقد جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى منها مثل ما هي من المدينة في البعد ه (٤) وقال أيضا (أن الحرم ضوءها استوى على ما بطن من القيعان ، وظهر من القلاع ، حتى كأن الحرم النبوى عليه الشمس مشرقة ، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة ، ودام على النبوى عليه الشمس مشرقة ، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة ، ودام على

⁽١) يحثت عنه في معجم البلدان للحموى فلم أجده وكذلك في المفائم المطابة للفيروزبادي .

⁽۲) المطرى: التعريف بما أنسب الهجرة ، ص ۵۷ ، المراغى ، مخقيق النصرة ص ١٩٠ ، وقال المطرى في نفس الصفحة و أخبرنى الشيخ صالح علم الدين منجر العربى من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة صاحب المدينة رحمه الله قال : أرسلنى مولاى الأمير المذكور بعد ظهور النار بأيام ومعى شخص من العرب يسمى حطيب بن منان وقال لنا ونحن فارسان : أقربا من هذه النار فانظرا هل يقدر أحد على القرب منها ، فإن الناس هابوها لعظمها . فخرجت أنا وصاحبى إلى أن قربنا منها فلم نجد لها حرا فنزلت عن فرسى وسرت إلى أن وصل النصل (هي قطعة الحديد التي توضع في رأس النهم » إليها فلم أجد لذلك ألما ولا حرا فحرق النصل ولم يحترق العود . فأدرت السهم فأدخلت فيها الريش فاحترق ولم يؤثر في العود » ويظهر أنه اقترب مما خمد العود . فأدرت السمهودى نقل عن القطب القسطلاني المعاصر لها أن أمير المدينة أرسل أحد خواصه فوقف منها على قدر « غلوتين بالحجر ولم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض » انظر وفاء الوفاء ، جدا ص ١٤٦ .

⁽٣) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٤٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ، القسم الأول ، ص ٢٩٨ .

⁽٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٨ ، ولكن تيماء أقرب إلى المدينة بكثير من بصرى التي تقع في بلاد الشام .

ذلك لهبها حتى تأثر له النيران » (١). وعلى هذا فقد كان لها شهرة كبيرة و وتواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام »(٢) بل وصل خبرها إلى ولاة الأمر فيها (٢) عاشر شعبان من سنة ٦٥٤هـ ، أى بعد وقوعها بشهر وخمسة أيام (٤).

وليست هذه النار الخبر عنها سلفا من قبل الرسول عليه السلام ، إلا نوعا بما عرف حديثا بالبراكين الثائرة ، وكانت حممها المحترقة (كالفحم لونا وخفة »(°). ولم يكن هذا أول بركان في الجزيرة العربية ، بل سبقه بركان عدن بعامين كما يقول سبط ابن الجوزى في حوادث سنة ٢٥٦هـ من أن (نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث أنه يطير شررها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي على أنها تظهر في الزمان »(١).

وكعادة البراكين في الثوران من آن لآخر فقد عادت نار الحجاز إلى الظهور سنة ٢٩٢هـ كما نقله ابن كثير من تاريخ ظهير الدين الكازروني من أن نارا ظهرت و بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخمسين على صفتها إلا أن هذه النار كان يعلوا لهيبها كثيرا ، وكانت تخرق الصخر ولا يحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام (٧).

⁽۱) السمهودى : وفاء الوفا ، جــ۱ ص ۱٤۷ ، وقال أبو شامة فى تراجم وجال القرنين السادس والسابع ، ص ۱۹۲ أنه بان عندهم ، بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورهم على الحيطان وكنا حيارى من ذلك إلى أن جاءنا الخبر عن هذه النار » .

⁽٢) السمهودي: المصدر السابق ، جدا ص ١٤٣ .

⁽٣) كانت دمشق في ذلك الوقت نخت حكم الناصر صلاح الدين يوسف ٦٤٨ _ ٦٥٨ هـ .

 ⁽٤) أبو شامة : تراجم وجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٠ ـ ١٩٢ . وابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٦ ص ١٩٢ . الذى نقل عن ابن الساعى و أن وصول الخبر إلى دمشق في يوم الجمعة المن عشر وجب » .

⁽٦) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ص ٧٩٠ ، وانظر ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ص١٨٥ .

وقد عد الفيروزبادى ما شاهده ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ فى البحر الأبيض المتوسط المعروف قديما ببحر رومة من براكين (١)، و مما يناسب هذه الواقعة ويضاهيها ٤ (٢). وقد عزا على بن حسين السليمان السبب فى حريق المسجد النبوى إلى نار سنة ٢٥٤ هـ . فقال : و وكان سبب الحريق الثورة البركانية فى أحد وديان المدينة تلقاء جبل أحد التى سبت زلازل هدمت كثيرا من الدور ونشبت النار فى الحرم النبوى ٤ (٦)، معتمدا فى ذلك على مخطوط قطب الدين قدس سره الذى تبين لى بعد مراجعة نسخة معهد المخطوطات العربية المصورة من مكتبة رضا الذى تبين لى بعد مراجعة نسخة معهد المخطوطات العربية المصورة من مكتبة رضا برامبور بالهند (٤)، أن ما ذاكره المؤلف ليس فيه ما يشير إلى ما عزى إليه (٥) ونص كلامه و واحترق مسجد رسول الله كلا ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة إحدى وحمسين وستمائة بعد خروج نار الحرة الآتى ذكرها ٤ (٢).

والحقيقة أنه ليس هناك من مأخذ فيما ذكر قطب الدين سوى تاريخ احتراق المسجد الذى جعله في عام أحد وخمسين وستمائة بدلا من أربعة وخمسين الذى يعتبر عاما مشهورا لا أظن قطب الدين يجهل ما وقع فيه ، فلعل الخطأ من الناسخ. وكان بين آخر ظهور لهذه النار وهو السابع والعشرين من رجب كما حدده أحد المعاصرين (۷) ، وبين حريق المسجد النبوى في أول يوم من شهر رمضان المبارك أكثر من شهر ولذلك فلا أظن أنه كان لها تأثير مباشر على حريق المسجد الشريف ، ولم

⁽۱) رحلة ابن جبير ص ۲۰۱.

⁽٢) المغانم المطابة ، ورقة ٩٤ ب. ، وانظر السمهودي : وقاء الوقا ، جـ ١ ص ١٤٣ .

⁽٣) العلاقات الحجازية المصرية ض ١١٥.

⁽٤) رقمها من مكتبة رضا برامبور بالهند ٣٦١٨ ، ورقم الفلم في معهد المخطوطات ٣٠٣٣ .

⁽٥) تاريخ المدينة المنورة ، ورقة ١٢٥ ويدو أن النسخة التي اعتمد عليها غير النسخة التي رجعت إليها لأنه ذكر رقمها بمعهد الخطوطات ٩٦٥ تاريخ . وقد عاد فلكر في حاشية ص ١١٦ أن النار لم تسببها زلازل البركان بل أحد الخدام في المسجد النبوى معتمدا على علي حافظ في كتاب فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ٢٩ .

⁽٦) قطب الدين قلس سره : تاريخ المدينة المنورة ، ورقة ١٢٥ .

⁽٧) السمهودى : وفاء الوفا ، جــ١ ص ١٤٥ .

يقل بذلك أحد من المؤرخين الذين أرخوا لهذا الحدث سوى ما ذكره على بن حسين السليمان عن إحدى المخطوطات التي يبدو أنه تسرب إليها الخطأ .

ويؤيد هذا ما اجمعت عليه كتب التاريخ التي تعرضت لهذا الحادث من وقوف السيل المحرق من حمى البراكين عند وادى الشظاة المعروف حاليا بوادى قناة الذى و يبعد عن المدينة نحو ٤ كم شمالا ٤(١)، مكونة بذلك سدا منيعا لحجز المياه شاهده المطرى سنة ٧٧٧هـ وقال أنها قطعت و في وسط وادى الشظاة المذكور إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادى المذكور بسد بالحجر المسبوك بالناره(٢) ومع أنه لم يكن للبركان أثر في حريق المسجد إلا أنه لا بد أن تكون الزلازل والهزات العنيفة قد أحدثت بجدران المسجد وصوامعه بعض الأثر، فقاضى والهزات العنيفة قد أحدثت بحدران المسجد وصوامعه بعض الأثر، فقاضل المدينة آنذاك يقول: و لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله على فاضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا منه صوتا للحديد الذي فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف النبوى ٤(٦) واضطرب أيضا و منار المسجد بعضه ببعض وسمع لسقف المسجد صرير عظيم) في وقد تكون هناك آثار أخرى لم تذكر بسبب قصر الوقت بين هذه الزلازل التي أصابت المدينة وبين حريق المسجد النبوى الذي أتي بعدها بين هذه الزلازل التي أصابت المدينة وبين حريق المسجد النبوى الذي أتي بعدها

⁽١) عمر الفاروق رجب : المدينة المتورة ، ص ٦٠ .

⁽۲) التعریف بما أنست الهجرة ، ص ٥٨ . وقال الفیروزبادی عن وادی قناة و أنه واد بالمدینة وهو أحد أودیتها الثلاثة ، علیه حرث ومال ، بین أحد والمدینة . وقال المداتنی ، وقناة واد یأتی من الطائف وبصب فی الأرضیة وقرقرة الكدر ، ثم یأتی بثر معاویة ، ثم یمر علی طرف القدوم ، فی أصل قبور الشهداء بأحد .. ، المغانم المطابة قسم المواضع ، ص ٢٥١ . وقال عمر الفاروق رجب فی الملدینة المنورة ، ص ١٠٠ . أما وادی قناة فالمرجع أن مصدره من و وج الطائف ، وبعرف معلیا باسم سیدنا حمزة ، وبعد عن المدینة نحو ٤ كم شمالا ، یفصل بینها وبین جبل أحد الذی یقع شمال الوادی بنحو ١٥٥ كم ، وبتجمع فی وادی قناة مایسیل من الأودیة النجلیة أو یدخل منطقة المدینة منحدرا من جبل تیم ثم یملاً حوض العاقول ، وبتجه شمالا فی موازاة الحرة حتی یرجع إلی اتجاهه الغربی وتتصل به أودیة و نقمی ، التعمان ، القدوم ، الضیقة ، والاخیر بنتهی وادی العقیق أیف .

⁽٣) أبو شامة : ٥ تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٥ ص ١٩٢ .

⁽٤) نفس المصدر : ص ١٩١ .

بقليل وبسبب خلو المذينة آنذاك من مؤرخ أو مهتم بتسجيل ما حدث سوى القطب القسطلاني الذي سجل الأخبار التي كانت تصله في مكة المكرمة(١).

ومهما يكن من أمر فقد كان لهذا الحادث أثره الكبير في نفوس أهل المدينة الذين بجمعوا داخل الجرم النبوى ، وكفوا عن المعاصى ورد عليهم أميرهم مظالمهم، واعتبروا هذه المعجزة التي أكرم الله بها نبيه آية من آيات الله الكبرى وظنوا أنها القيامة ، وضجوا إلى الله بالدعاء (٢) ، ونظموا الشعر في هذا المعنى (٣) وازدادت علاقتهم بالله قوة فكفوا عن المعاصى وقال قاضى المدينة آنذاك وهو يصف حال أهلها لأحد أصدقائه في دمشق : أن « المدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقى تسمع فيها رباب ، ولا دف ولا شرب » (٤) . وحق لهم أن يعتبسروا وأن يصدقوا

(١) ذكر السمهودى في وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٨ أن القطب القسطلاني صنف في هذه النار وفي حريق المسجد كتابا سماه ٥ عروة التوليق في النار والحريق ٤ .

(٢) الذهبي ، العبر في عبر من غير ، جـه ص ٢١٥ .

(٣) ومن ذلك قول قاتلهم كما ينقله السمهودي في وفاء الوفا ، جــ ، ص ١٤٩ :

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يارب بأسساء نشكو إليك خطوب لا نطيـق لهــا حملا ونحن بهما حقما أحقمساء زلازل تخشع المبم الصلاب لهسا وكيف تقوى على الزلزال شمماء أقام سبعا يرج الأرض فانصدهـــت عن منظر منه عين الشمس عشواء بحر من السنار جمري فوقه مفس من الهضاب لها في الأرض إرساء تری لها شررا کالقصبر طائشسة كأنها ديمسة تنصب هطسلاء تنشق منها يبوت الصخوان زفيوت رعبا وترعد مثل السعسف أضبواء منها تكاثف في الجو الدخان إلى أن عادت الشمس منه وهي دهماء قد أثرت معفة في البدر لفحتهما فليلة التسم بعبد النسور عميساء

ونقل ابن الوردى في تاريخه ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ من نظم سيف الدين عمر بن قزل :
ولما نفى عنى الكرا خيسر التسى أضات بأحد ثم رضوى ويذبل
ولح سناها من حيال قريظة لمكان تيماء فاللوى فالعقيقال
وأخبرت عنها في زمانك منذرا يسوم عبوس قمطريسر مطول
ستظهر نار بالحجاز مضيئة لاعناق عيسب نحو بصرى لجمتلي
فكانت كما قد قلت حقا بلا مرا

(٤) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩١ .

بأن الله تعالى قال : (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)(١). وقال أيضا : (أفأمن الذين مكروا السيفات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم على تخوف ، فإن يشعرون ، أو يأخذهم على تخوف ، فإن ربكم لرؤوف رحيم)(٢).

* * *

⁽١) سورة الإسراء : الآية ٥٩ .

⁽٢) سورة النحل : الآية ١٥ ــ ٤٧ .

المبحث الأول الحريق الأول للمسجد النبوى سنة ٦٥٤ هـ

المبحث الاثول

الحريق الأول للمسجد النبوى سنة ٦٥٤ هــ

ا _ اسباب الحريق :

كانت الزلازل والبراكين التي روعت سكان المدينة المنورة سنة ٢٥٤هـ قـد تركت في نفوس أهلها أثرا قويا بضرورة الصلة بالله تعالى في كل زمان ومكان ،. وكان هذا حالهم حتى إذا كان شهر رمضان المبارك من العام نفسه ، اهتم القوم بتنظيف قناديل المسجد وصب الزيت فيها استعدادا لإحياء ليالي الشهر الكريم بالصلاة وتلاوة القرآن في مسجد رسول الله كله كعادتهم في كل عام ، بل قد يكون لقرب العهد من ظهور النار في جمادي الآخرة من ذلك العام ، أثر في زيادة الاهتمام وكثرة المتعبدين ، ولحكمة ارتآها الله تعالى . فقد حدث حريق المسجد الشريف في ليلة الجمعة أول ليلة من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة (١)، نتيجة إهمال أحد القائمين على خدمة المسجد النبوى الشريف كما ذكر القطب القسطلاني ، أحد المعاصرين لذلك الحريق إذ قال : ٥ وكتب إلى الصادق في الخبر ، وشافهني من شاهد الأثر ، أن السبب في حريق المسجد الشريف دخول أحد قومة المسجد في المخزن الذي في الجانب الغربي من آخر باب لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، فاستخرج منها ما احتاج إليه ، ثم ترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مشاق(٢) فاشتعل فيه ، وبادر لأن يطفئه فغلبه وعلق بحصر وبسط وأقفاص وقصب في المخزن ثم تزايد الالتهاب وتضاعف إلى أن علا إلى سقف المسجد ا (٣).

⁽١) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٤.

 ⁽۲) قال دروزى فى المعجم المصناف على القواميس العربية ، جــ ا ص ٥٩٥ ، أنها خيوط من
 الكتان أو الصوف تستخدم لاشعال القناديل .

⁽٣) السمهودي : وقاء الوقا ، جــ ٢ ص ٥٩٨ ــ ٥٩٩ .

ولم يكن لذلك المخزن وجود في زمن ابن جبير الذي زار المدينة سنة ٥٨٠هـ.، ولعله استحدث بعده ، وكان بالقرب من الخزن الذي انبثق الحريق منه منجنيق (سلم) لتنظيف سقوف المسجد وجدرانه ، حدد موضعه ابن إسحاق الحربي بين آخر بابين من أبواب الجدار الغربي مما يلى الشمال(١) ويبدو أن ما كان يحتويه ذلك الخزن من أثاث المسجد وأدواته كان كثيرا ، عما ساعد النار على التغلب على محاولات القيم داخل الخزن في إطفائها ولكنها أودت بحياته (٢).

وانتقلت النار إلى سقف المسجد مباشرة بعد التهامها لمحتويات المخزن ويستنتج من ذلك أن المخزن كان من داخل المسجد وربما كان مبنيا من الخشب مما أعجز القيم عن إطفاء النار ، ويذكر السمهودي نقلا عن الذهبي والسبكي أن حريق المسجد كان ليلة الجمعة قبل أن ينام الناس (٣) كما يذكر ابن العماد الحنبلي أنه كان بعد صلاة التراويع (4).

ومهما يكن من أمر فقد إلتهمت النار هذا الخزن وما يليه من سقوف المسجد متجهة إلى جدار القبلة ، فعجز أمير المدينة ومن معه عن إطفاء النار أو حصرها ولعل ارتفاع السقف الذي جاء أنه كان في عمارة المهدى حوالي خمسة وعشرين ذراعا (٥)، أي ما يعادل اثني عشر مترا(٦)، عما ساعد النار على التنقل بين سقوف المسجد الشريف بسهولة ويسر . وكان لكبر مساحة الجزء المسقوف في المسجد أثر في إبقاء النار ملتهبة في محتوبات المسجد من أول الليل حتى ساعة متأخرة منه (٧)، بحيث لم تبق على خشبة كاملة (٨) مما أذهل أهل المدينة جميما

⁽١) كتاب المناسك ، ص ٣٩٢ .

⁽٢) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ، ص ٢٢ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٨ .

⁽٣) وقاء الوقا ، جــ ٢ ص ٥٩٨ ، ٢٠٠ .

⁽٤) شفرات الذهب ، حــ٥ ص ٢٦٣ .

⁽٥) انظر أعلاه ص ١٥١ الحاشية رقم ٥ .

⁽٦) انظر أعلاه ص ١٥١ حاشية رقم ٥ .

⁽٧) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٤ .

⁽٨) علق السمهودي في الوفا جــ ٢ ص ٥٩٩ ، على ما ذكره المؤرخون من أن المسجد ، احترق =

حتى أنهم عدوا هذا الحربق عقابا لتسلط الإمامية (١) على المدينة . وقال شاعرهم في ذلك :

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه ولا دهاه العار لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجناب فطهرت النار

Γ _ آثار الحريق :

لعل من المهم عند الحديث عن الخسارة الجسيمة التى سببها هذا الحريق للمسجد النبوى الشريف ومحتوياته أن نستحضر حال المسجد قبل الحريق من خلال ما ذكره الرحالة والمؤرخون (٢)، لندرك مدى الخسارة العظيمة التى لحقت بانجازات الفن الإسلامي خلال خمسة قرون ونصف (٩١ ــ ٢٥٤ هـ) . أى منذ بناه الوليد إلى أن عفت النار خلال ساعات على تلك الروائع الإسلامية المختلفة ، فأصبحت أثرا بعد عين .

⁼ جميعه حتى لم تبق خشبة واحدة ٤ بأن مرادهم لم تبق خشبة كاملة وذلك لأنه شاهد ٩ بقايا خشب كثير عند اخراج الهدم الذى كان بالحجرة ويناسب ذلك مشاهدة البلوى الذى زار المدينة سنة ٧٣٧هـ الار خشب المقصورة التى كانت تمتد محيطة بالبلاط الأول الذى به الحراب العثمانى ٩ مفروز فى رواق القبلة (بلاط القبلة) ، وكذلك العود الذى كان فى مصلى النبى عليه السلام ٤ .

⁽۱) الإمامية طأتفة تنسب إلى على بن أبى طالب وهى إحدى فرق الشيعة الذين يرون أن الإمامة يجب أن تكون لعلى ثم لبنيه من بعده . ومنهم الغلاة الذين يتبرؤن من الشيخين ، أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . قد افترقت الإمامية إلى فرقتين هما الإسماعيلية والاثنا عشرية . انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ١٧٩ . وحسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جدا ص ١٩٢ وما بعدها .

⁽٢) انظر الوصف الجميل الـذى وصف به ابن عبد ربه جدران مقدم المسجد وسقوقه فى الجزء السابع من العقد الفريد ص ٢٥٢ وما بعدها ، وكذلك ابن جبير فى رحلته ، ص ١٦٨ وما بعدها . وانظر الجزء الذى خصصته لزخرفة المسجد ونقوشه بعد عمارة المهدى ، ص ١٥٩ وما بعدها .

فمن أهم ما أتلفته النار ، منبر المسجد النبوى الشريف (۱) الذى كان بسيط الصفة ، إلا أن ما يتمثل فيه من ذكريات جليلة لما يثير لدى المسلمين مشاعر الحزن والأسى على فقدان هذا الأثر المجليل (۲) . مضاف إلى ذلك تلف سقف المسجد ، وما كان يشتمل عليه من خشب مزخرف (۲) ، كان من أروع ما أنتجته يد الفنان المسلم ، وكان يتدلى من سقوف المسجد قناديل كان حكام العالم الإسلامي خلال عدة قرون يتنافسون في إهداء أجمل وأثمن ما يصنعه الصناع فيها للمسجد النبوى الشريف ، وكان عددها كما ذكر ابن رستة مائتين وتسعين قنديلا موزعة على أجزاء المسجد النبوى الشريف (۲).

وكانت الزخارف المتنوعة على كوشات العقود المطلة على صحن المسجد وتزين جدراته الداخلية والخارجية وقد أتلفها الحريق حتى أنه لم يبق من فسيفساء المسجد إلا شيء قليل شاهده السمهودي وقال عنه أنه 3 شيء يسير في مؤخر السقف الغربي بجدار المسجد عما يلى الدكاك (٤)، وشيء يسير بالمأذنة الغربية

⁽۱) ذكر المطرى في التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٣ ـ ٢٤ أن منبر النبي عليه السلام و الذي زاده معاوية ورفع منبر النبي على تهافت على طول الزمان وأن بعض خلفاء بني العباس جدده والخذ من يقايا أعواد منبر النبي على أمشاطا للتبرك بها وعمل المنبر الذي ذكره ابن النجار أولا ، ومعنى هذا أن منبر النبي عليه السلام قد فقد قبل حريق المسجد الأول منة ١٥٤هـ .

⁽٢) قال صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ٥ وسماء المسجد منقوش مداهن محقورة ، ومذهب كله على عتب منقوشة على أعمدة من خرز أسود بعضه على بعض ، ملبسة بالجيار ١ انظر مجلة المبرب ، السنة الشامنة ، جـ٥ ، ٣ ، ١٩٧٣/١٣٩٣م ص ٣٥٠ . انظر اعلام ص

⁽٣) ذكر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٦ أن توزيعها في المسجد كالتالى : ثمانية ولمانون قنديلا مع ثريا القبلة وعدد قناديله مما يلى الشام خمسة وثمانون قنديلا ، وممايلى المشرق خمس واربعون قنديلا ، ومما يلى للفرب اثنان وسبعون قنديلا فذلك مائنان وتسعون قنديلا ، وذكر أبو عبيد البكرى : في جزيرة العرب ، ص ٨٩ أن حددها ٣٧٠ قنديلا وذكر ابن النجار في المدرة الشمينة ص ١٤٠ أن و في سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلا كبارا وصغار من الفضة المنقوشة والساذجة وفيها النان بلور وواحد ذهب ٤ .

⁽٤) قال ابن منظور في لسان العرب ، جدا ص ٤٢٥ أن ، الدكة بناء يسطح أعلاه ، والدك والدكة (ما استوى من الرمل وسهل وجمعها دكاك) ويقصد بها هنا الأجزاء المرتفعة من مؤخر المسجد الشريف في عهد السمهودي .

الشمالية عما يلى بابها فيه شيء من الفسيفساء . وأما جدار القبلة فليس به اليوم إلا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف وهو من الآثار القديمة، وكان يقابله في جهة يسار المستقبل لوح خشبي مثله سقط قريبا ، ثم زال ذلك كله في الحريق الثاني ٤(١) أما المقصورة التي كانت مختل البلاط الأول من رواق القبلة ممتدة و من السور الغربي لاصقة بالباب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقي ٤(١) فقد راحت هي الأخرى ضحية الحريق ولم يبق منها إلا بعض قطع خشبية كانت مغروزة في ركن المسجد الشريف ، أدركها ابن فرحون وقال : و أن منها بقية أثر إلى الآن ٤(١).

وتلفت أيضا أبواب المسجد التي كانت تغلق و بمصاريع مشرجبة ا⁽¹⁾ من خشب الساج وكذلك الفواصل الخشبية المعمولة من الخشب المخروط ، التي كانت تملاً فتحات العقود المحيطة بالصحن من جوانبه الأربعة⁽⁰⁾. وكانت إسطوانات الرخام التي ثبت استخدامها في عمارة المهدى للمسجد النبوى في الرواق الشرقي والغربي والشمالي⁽¹⁾، والتي يسرع تأثرها بالنار^(۷)، عا تلف في هذا الحريق .

واحترقت خزائن الكتب والمصاحف التي ذكر ابن النجار أنها ٥ عدة مصاحف موقوفة ، بخطوط ملاح مخزونة في خزائن من ساج بين يدى المقصورة خلف مقام

⁽١) وفاء الوفاء جـ٢ ص ٦٧٣ .

⁽۲) انظر أدناه ص ۱۲۵ .

⁽٣) نصيحة الشاور وتعزية المجاور ، ص ١٣ .

⁽٤) كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، لجهول ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

⁽٥) نفس المصدر ، لمجهول ، ص ٣٧ ، ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٦ أ .

⁽٦) انظر أدناه ص ١٤٩ .

⁽٧) قبل أن ابن طولون قال عندما أراد بناء جامعة في القاهرة ٥ أريد أن ابني بناءا إن إحترقت مصر بقى وإن غرقت بقى ٥ فقيل له . ٥ يبني بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام ، فإنه لا صبر لها على النار ٥ . انظر بحث جامع ابن طولون لحسن الباشا المنشور في كتاب القاهرة تاريخها وفتونها وآثارها ص ٤٣٨ .

النبى على ، وهناك كرسى كبير فيه مصحف مقفل عليه أنفذ به من مصر وهو عند الإسطوانة التى فى صف مقام النبى على محاذى الحجرة الشريفة وإلى جانبه مصحفان على كرسى يقرأ الناس فيهما ه(١). ولم يسلم من هذه الكنوز الثمينة إلا ما كان فى قبة صحن المسجد الشريف التى عمرها الخليفة العباسى الناصر لدين الله و لحفظ حواصل الحرم والمصحف الكريم العثمانى وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت بعد الثلاثمائة وكانت عمارتها سنة ٥٧٦هـ وجميع ما فيها سالم اليوم ه(١).

ولم تسلم كذلك الحجرة الشريفة من الحريق ، فتلفت كسوتها المتراكمة عليها (٢) ومشبكها الذي كان يحيط بها فوق حائز عمر بن عبد العزيز المعمول من خسب الصندل والأبنوس منة ٤٥هـ في خلافة المقتفى العباسي (٤). وعلى هذا فإنه ما من جانب من جوانب المسجد إلا وقد امتدت إليه النار وشملته بالدمار ، الأمر الذي يحزن عشاق الفن الإسلامي لفقدان ذلك المتحف الكامل لأنواع عديدة من الصناعات الإسلامية في من الصناعات الإسلامية في العصور التي ترجع إليها تلك الصناعات الفنية . ويمكن تقدير فداحة الخسارة البالغة من خلال تلخيص القطب القسطلاني بقوله أن النار دمرت و جميع ما البالغة من خلال تلخيص القطب القسطلاني بقوله أن النار دمرت و جميع ما احتوى المسجد الشريف من المنبر ، والأبواب ، والخزائن ، والشبابيك والمقاصير والصناعات ، وما اشتمل عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها إحدى عشرة والصناعات ، وما اشتمل عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها إحدى عشرة ستارة ٤ (٥). وهذه ولا شك خسارة كبيرة جدا ذهبت نتيجة إهمال غير مقصود .

⁽١) الدرة الشمينة ص ١٠٧ .

 ⁽۲) ابن فرحون : نصيحة المشاور وتعزية المجاور ص ٩٣ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٢٠٠ ،
 والمقصود بكلمة اليوم فى النص زمن ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩هـ .

⁽٣) ذكر السمهودي في : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٩ ، أن عددها كان أحدي عشرة ستارة .

⁽٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٣٩ .

⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٩٩ .

٣_ موقف أهل المدينة من حريق المسجد النبوي الأول :

اختلفت وجهات نظر أهل المدينة بخصوص هذا الحريق ، ففئة ترى أن ذلك كان انتقاما من غلو حكام المدينة المنورة آنذاك ، وذلك لأن أمرها كان بأيدى الشيعة الإمامية (فالقاضى والخطيب منهم)(١) وكانت سلطتهم المدعومة من حكام المدينة الروافض أيضا ، قوية على أهل السنة حتى أن أحدا منهم لم يكن يجرؤ على التظاهر (بقراءة كتب أهل السنة)(٢) مما جعل أحد الشعراء يسند سبب الحريق إلى عملهم فقال :

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه ولا دهاه العمار لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار (٣)

وقال معين الدين بن تولوا المغربي :

قل للروافض بالمدينة ما لكم يقتادكم للذم كل سفيه ما أصبح الحرم الشريف محرقا إلا لسبكم الصحابة فيه (٤)

⁽١) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٢٠٠٠ .

⁽٢) السمهودي : وقاء الوقا ، جــ ٢ ص ٢٠٠ .

⁽٣) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٤ ، قطب الدين اليونيني : ذيل مراة الزمان ، جـ١ ص ١٠ ، ابن حبيب : درة الإسلاك في دولة الاتراك ، جـ١ ورقة ٩ ب . وذكر السمهودي نقلا عن الاقشهري المترفي ٧٩٦هـ قوله ٥ وانشدني الحافظ الصالح الشيخ إبراهيم ابن محمد الكناني رئيس المؤذنين هو وأبوه قال : وجد بعد الحريق في بعض جدران المسجد بيتان هما :

لم يحترق حرم النبي لريسة يخشى عليه وما يه من عار لكنه أيدى الروافض لامست تلك الرسوم فطهرت بالنار ٤

انظر وفاء الوفا ، جـ ٣ ص ٣٠٠ . وقد قال أبو شامة في المصدر السابق ص ١٩٤ و ونظمت في حريق مسجد رسول الله كله وذكر البيتين ، ولكن ابن يهادر في فتوح النصر جـ ١ ص ٨٢ ينسبهما إلى سبط بن الجوزى ونسبهما السخاوى في الضوء اللامع ، جـ ٤ ص ٢٦٨ إلى عبد القادر بن شعبان المغربي .

٣٤) قطب الدين اليونيني : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،
 جـ١ ص ٣٦ .

أما الفئة الثانية وهى التى تمثل وجهة النظر الإسلامية التقليدية فترى أن الحريق كان انتقاما عما زين به المسجد من زخارف ونقوش ، وهم يرون وجودها فى المسجد النبوى أو غيره من المساجد بدعة منكرة (۱) ، ويمثلها بعض علماء الحجاز وكبار المجاورين ، ويتمثل هذا الموقف فيما قاله قطب الدين القسطلاني الذي عاصر هذا الحريق كما ذكر السمهودي وقال أن له حكما وأسرارا (لكون تلك الزخارف لم ترضه على (۲) ونظم ابن الوردي في هذا المعنى الأبيات التالية :

والنار أيضا من جنود نبينا لم تأت إلا بالذى يختسار متغلبون يزخرفون بسحتهم حرم النبى فطهرته النار(٣).

ونظم الاقشهرى المتوفى سنة ٧٩٦هـ أبياتا فى هذا المعنى « مضمونها أن تسليط النار كان على تلك الزخارف المنهى عنها ، وأن ما كان حقا فيبقى ، وما كان زورا فبالنار يحرق ، (٤). وجاء آخر من القرن التاسع ليؤكد وجهة النظر هذه فيقول : « إن الله سبحانه وتعالى اختار لمسجد رسوله ما هو الأليق به من السذاجة والتواضع الذى كان مذكورا فى طبعه كله لا سيما فى البعد عن زينة الدنيا والفرار

⁽۱) عارض ابن فرحون في كتابه نصيحة المشاور وتعزية الجاور ص ٢٣ ـ ٢٤ ، ذلك أذ يقول : ٥ قال أبو الحسن اللخمي في التبصرة ، قال مالك رحمة الله عليه : كره الناس ما قمل في قبلة المسجد بالمدينة من التزويق لأنه يشغل الناس في صلاتهم وأرى أن يزال كلما يشغل الناس عن صلاتهم وإن عظم ما كان انفق فيه : قلت وإنما زخرف المساجد من زخرفها لمعنى قصده لا للزخرقة لأن الوقت كان من الكفر والجاهلية قريبا فما كان يقوم للمسجد من التعظيم والتفخيم قبل ما صنع فيه ما يقوم بعد ذلك فأراد ذلك المعنى . وبما يدل عليه إن جامع بني أمية لما بني على هيئته اليوم بالفسيفساء وولى عمر بن عبد العزيز كره أن يكون المسجد على هيئة يشغل على هيئته اليوم بالقسيفساء وولى عمر بن عبد العزيز كره أن يكون المسجد على هيئة يشغل المصلى فأمر أن تستر القبلة بالقباطي ثم قلم الشام راهبان فسألوا عن الكشف حتى ينظروا إليه فارسلوا إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يسألونه ذلك فأذن لهم فلما وأوه استعظموا ذلك وحصل عندهم من ملك الإسلام رهبة وعظمة فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال أرى ما هنالك ينبظهم ويكبتهم ارفعوا القباطي فرفعوها .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ.٢ ص ٢٠٠ .

⁽٣) ابن الوردى : تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) جــ ٢ ص ١٩٥.

⁽٤) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٠٠ .

من زخر**فها^(۱).**

ومهما يكن من أمر اختلاف وجهتى النظر هاتين إلا أن الإجماع منعقد على التألم لما أصاب المسجد النبوى بما حوى من آثار نبوية غالية على كل مسلم . وفي مقدمتها المنبر الشريف والحجرة النبوية المقدسة الحاوية للقبور الشريفة ، لذلك اجتمع أهل المدينة عند مطلع فجر يوم الجمعة و فعزلوا مواضع للصلاة ع (٢) من الأروقة المحروقة واستخدموها مع صحن المسجد في أداء فروضهم وكتبوا و بذلك إلى الخليفة المعتصم بالله (٢) أبي أحمد عبد الله بن الإمام المستنصر من المدينة في شهر رمضان ع (٤) الذي وقع فيه الحريق .

* * *

⁽١) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٦ب .

⁽٢) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٤ .

⁽٣) بعض المصادر تذكر أن اسمه المستعصم بالله والبعض الآخر يذكر أن اسمه المعتصم بالله .

⁽٤) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٤ .

المبحث الثانى غمارة المسجد النبوى بعد الحريق الا'ول

المبحث الثاني

« عمارة المسجد النبوى بعد الحريق الأول »

أولاً : أعمال الخليفة العباسي المستعصم بالله في سنة 700 هـ :

لم تكن الظروف التي كانت تعيشها بغداد في ذلك الوقت مؤاتية لأن يهتم الخليفة العباسي المستعصم بالله (١٤٠ – ١٥٦هـ) بعمارة المسجد النبوى الشريف على النحو الذي قام به المهدى سنة ١٦٠هـ وذلك بسبب الأخطار التي كانت تخيط بدار الخلافة العباسية في بغداد (١) فضلا عن الضعف المادى الذي كان يعاني منه بلاط الخليفة في ذلك الوقت (٢). ولكن الخليفة استطاع أن يتدبر للمسجد الشريف من الآلات والعمال ما يتفق وإمكانيات الدولة العباسية المحتضرة . فوصل الصناع والآلات صحبة حجاج العراق وابتدئ فيه بالعمارة من أول سنة خمس وخمسين وستمائه ه (٢٥).

وكان لا بد لهم قبل الشروع في العمارة من تنظيف المسجد من آثار الحريق الذي أتى على كل شيء وهو عمل كبير لا يمكن إنجازه في وقت قصير ، الأمر الذي يجعل ما أنجز من عمارة المسجد الشريف سنة ٦٥٥ هـ قاصرا على تسقيف الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي وإلى الحائط الشرقي إلى باب

⁽۱) كانت معظم البلاد التابعة للخلافة العباسية قد استقلت عن بغداد ، بالإضافة إلى خمكم بنو بوية ومن بعدهم السلاجقة في البلاط العباسي وما تبقى له من يلاد ، كما قام النزاع بين القواد داخل بغداد بسبب مطالبتهم بزيادة أرزاقهم بالإضافة إلى تفاقم العداوة بين الشيعة وأهل السنة . انظر حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي جدة ص ١٣٤ وما بعدها .

⁽۲) فقد البلاط العباسي ما كان يرد عليه من الأقاليم التابعة له بسبب استقلالها بالإضافة إلى اشتداد فييضان نهر دجله وأثره السيء على أراضي العراق كما أن نظام الرى في العراق قد أهمل منذ بداية العصر العباسي الثاني ٢٣٢هـ حتى تخولت أجزاء كثيرة من جنوبي العراق إلى مستنقعات، انظر حسن إبراهيم المرجع السابق جدة ص ١٣٥ وما بعدها .

⁽٣) القرطبي بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣٢ ، الاسفرائيني : زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال ورقة ١٨٦ أ ، السمهودي وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٠١ .

جبريل عليه السلام .. ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف، (۱) . ويبدو من اقتصار الأمر آنذاك على التسقيف فقط ، أنهم ، ولا شك، إستفادوا من إسطوانات المسجد المحترق في دعم السقف وذلك بعد إصلاح ما سقط منها نتيجة ذوبان الرصاص من بعضها (۱) وتأثير سقوط السطح على البعض الآخر . وقد كانت جميع إسطوانات مقدم المسجد مؤلفة من قطع حجرية مستديرة مركب بعضها فوق بعض تربطها أعمدة الحديد والرصاص ولم يذكر جمال الدين المطرى أو غيره ممن تعرضوا لذكر هذه العمارة نوع الخشب المستخدم في تسقيف المسجد ومصدره . إلا أن المطرى ذكر أنهم عندما ابتدأوا بالعمارة (قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور المقدسة فلم يجسروا على ذلك واتفق رأى صاحب المدينة يومئذ وهو الأمير منيف بن شيحة بن هاشم بن القاسم بن المهنا ، ورأى أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين والخدام أن يطالع الإمام المستعصم بذلك ويفصل فيه ما الحرم الشريف من المجاورين والخدام أن يطالع الإمام المستعصم بذلك ويفصل فيه ما وحصل للخليفة شغل ولأرباب الدولة بإزعاج التتار لهم واستيلائهم على البلاد وحصل للخليفة شغل ولأرباب الدولة بإزعاج التتار لهم واستيلائهم على البلاد وحصل للخليفة فوقه على رؤوس السوارى التي حول الحجرة الشريفة ه (۱).

(۱) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، الاسفرائيين : زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال،
 ورقة ١٨٦ أ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٣ .

⁽٢) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٤ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٤٠ ، الذهبى : العبر في خبر من غبر ، جده ص ٢١٦ ، السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٢٠٠ .

⁽٣) ذكر السمهودى : فى نفس المصدر جـ٢ ص ٢٠١ أنه شاهد هذا الهدم عند انكشاف سطح الحجرة بعد الحريق الثانى وأنه خلف الحجرة الشريفة بين الجدارين (جدار الحجرة وحائز عمر بن عبد العزيز) ثم ذكر أنه نحو القامة وأن ٥ معظمه ردم سقف المسجد الأعلى وما بين السقفين من البناء الذى على رؤوس السوارى وغير ذلك ٥ .

⁽٤) المطرى: التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٤ ، وذكر أن الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله حول بيت النبى كله بين هذه السوارى التى حول بيت النبى كله لم يبلغ به السقف الأعلى يل جعلوا فوق الحائط وبين السوارى شباكا من خشب من الحائط إلى السقف الأعلى . وانظر الفيروزبادى: المغانم المطابة في معالم طابة ورقة ٨٨ ب .

وعلى الرغم من تأييد المؤرخين الذين أتوا بعد المطرى لما ذكره فإن ما شاهده السمهودي في العمارة التي أدركها في المسجد النبوي سنة ٨٨١هـ يخالف ما ذكره المطرى ومن تبعه وذلك أن العمال ٥ وجدوا عليها سقفا مربعا على جدارها الداخل ، ويتصل بالخارج من المشرق والمغرب ، دوين(١) رأس الجدار الخارج بنحو شبر ، ثم تبين عند كشفه آثار السقف المنهدم ، وأن أخشابه كانت في الجدار الداخل ولم يعيدوا هذا السقف الجدد موضع الأول لأنه لا يتأتى إلا بهدم سترته وإصلاح أماكن لرؤوس الخشب ، فتركوا ذلك تأدبا واحتراما ، ووضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار ، وبنوا فوقه سترة لطيفة وجعلوا على ذلك السقف ستارة من المحابس(٢) اليمنية المبطنة يقماش أزرق مربوط بمقط في الشباك الذي بأعلى الحائز الظاهر ، وليس ذلك السقف مطينا ، وهو سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى وسمروا بعضها إلى بعض تكليبا(٣) محكما ، وجعلوا يخته ثلاث جزم (٤) من الساج الهندى عمله وأوصلوا أطراف تلك الألواح بالجدار الظاهر كما تقدم ، ولم يجعلوا في تلك الألواح دهانا ولا نقوشا ولا كتابة ، غير أن النجار الذي صنع السقف المذكور كتب اسمه على طرفه نقرا ، وكذلك سقف المسجد المحاذى للحجرة الشريفة بما يلى هذا السقف جميعه من الساج النقى ليس عليه دهان ولا نقوش وفي وسطه طابق عليه قفل فوقه أنطاع (٥) ومشمع ، ولم يزل موجودا إلى أن عملت القبة الثانية بعد الحريق الثاني ، وجعلوا على جدار

⁽١) تصغير كلمة دون

 ⁽۲) قال ابن منظور في لسان العرب جـ٣ ص ٤٤ أن المحابس نوع من البسط التي توضع على وجه الفراش للنوم وتعرف أيضاً بالمقرمة .

⁽٣) أى شد بعضها إلى بعض بمسامير معطوقة لأن الكلاب و حديدة معطوقة كالخطاف وكلاليب الباز مخالبه كل ذلك على التثبه بمخالب الكلاب والسباع وكلاليب الشجر شوكه كذلك و انظر ابن منظور المصدر السابق جـ١ ص ٧٢٥

 ⁽٤) هي قطعة من خشب الساج وقد اخدت من الجزم بمعنى القطع كما يذكر ابن منظور في
 المصدر السابق جـ١٢ ص ٩٧

⁽٥) النطع بساط من الأديم جمعه انطاع ونطوع انظر ابن منظور في لسال العرب جـ ٨ ص ٣٥٧ والقيروزيادي في القاموس المحيط جـ٣ ص ٩٢

الحجرة الداخلة من جهة الشام ألواحا من رأس الجدار إلى سقف المسجد ، (١٠).

وكان المشرف على عمارة المسجد الشريف قاضي المدينة آنذاك(٢) ويبدو أن الدور المنوط به من قبلَ الخليفة العباسي هو تولي أمر الصرف على هذه العمارة. بالإضافة إلى الإشراف عليها . ولكن ذلك لم يدم طويلا لأن ما كان يصل إلى المدينة من دعم مادى لهذه العمارة انقطع قبل سقوط عاصمة الخلافة العباسية في المحرم من سنة ٢٥٦هـ في يد التتار . فأدى ذلك بالمشرفين على العمارة التي تمونها دار الخلافة في بغداد ، أن يستعيضوا عن كسوة الحجرة التي لم يتمكن الخليفة من إرسالها في موسم عام ٦٥٥ هـ بأن اشتروا (من بني شيبة ستارة الكعبة وعلقوها على الضريح الشريف ، (٣). وهذه أول مرة يلجأ فيها إلى استخدام الكسوة القديمة للكعبة المعظمة في تغطية الحجرة الشريفة بدل الكسوة التي كانت تصلها من الخلفاء والتي أدرك ابن النجار منها ثلاث ستائر بعضها فوق بعض (٢) . ثم زاد عدد هذه الستائر حتى بلغت قبل حريق عام ٢٥٤هـ إحدى عشرة ستارة (٥). ولم تكن كسوة الحجرة الشريفة والكعبة المعظمة هي ما افتقده أهل الحجاز من عاصمة الخلافة العباسية بل 1 إن الحاج انقطع من العراق عن مكة في سنة خمس وخمسين وستمائة إلى سنة ست وستين ، فلم يرد من هناك حاج في هذه المدة ، (٦) لأن ما حصل ببغداد كان أعظم كارثة في تاريخ الإسلام وحضارته وفي ذلك يقول الشاعر :

یا عصبة الإسلام نوحی واندیی حزنا علی ما تم للمستعصم در المستعصم در الفرات فصار لابن العلقمی (۷)

* * *

⁽۱) السمهودي : وفاء الوفا : جـ ۲ ص ۲۰۳ .

⁽٢) الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، ص ٢٣٠ .

⁽٣) الخزرجي : نفس المصدر ص ٢٣٠ .

⁽٤) الدرة الشمينة ، ص ١٤٠ .

⁽٦) المقريزى : الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ص ٤٨ .

⁽٧) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٥ ، ص ٢٧١ .

ثانيا : عمارة المسجد النبوى بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ

(في عهد الملك نور الدين بن عز الدين أيبك ، ويوسف بن رسول ، وسيف الدين قطر) .

كان النزاع من أجل السيطرة على الحجاز قائما على أشده بين الأيوبيين في مصر والرسوليين في اليمن منذ وفاة الملك الكامل سنة ٦٢٥هـ. وظل الأمر مذبذبا بينهما فيدعى و لهذا حينا ولذلك حينا آخر الحرم منابر الحرمين الشريفين ، وهو مكسب سياسي عظيم طالما حرص الولاة والحكام المتنافسون على الفوز به ، حتى عد لقب خادم الحرمين الشريفين من أهم الألقاب في الدولة المملوكية الأولى (٢)، التي ورثت السلطة على الحجاز من الأيوبيين بعد مقتل الملك المعظم توران شاه سنة ١٤٨هـ.

والحقيقة أن الفترة الى صاحبت قيام الدولة المملوكية الناشئة كانت مليئة بالأحداث الداخلية والخارجية (٢) ، هذا فضلا عن الضعف الكبير في الموارد الرئيسية لهذه الدولة الحديثة نتيجة الأحداث التي صاحبت قيامها . ولذلك فإن الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك (٦٥٥_ ٦٥٦ هـ) بارك التعاون مع الدولة الرسولية في إنمام عمارة الحرم النبوى الشريف التي بدأها الخليفة العباسي رحمه الله .

وإذا كانت المؤلفات التى اطلعت عليها لم تمكننى من معرفة كيفية ذلك التعاون وأول من أقره ، إلا أنه يمكن القول بأن الظروف التى كان يمر بها العالم الإسلامي آنذاك ، وما للحرم النبوى الشريف من قدسية يعظمها الطرفان ويحترمانها، أملت عليهما ذلك التعاون المشترك وأنستهما أطماعهما وأحقادهما

⁽١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٢ .

 ⁽٢) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وقد ذكر أن صلاح الدين الأبوبي قد
 لقب بهذا اللقب كما ورد في نص تعمير بتاريخ ٥٨٧هـ في قبة يوسف في بيت المقدس .

 ⁽٣) كان التنافس بين الأمراء المماليك يهدد الدولة الناشئة من الداخل وهمرك التشار نحو البلاد
 الإسلامية يهددها من الخارج

كشأن المسلمين عندما يحسون بخطر يتهدد أمنهم وكيانهم

لذلك فقد وصلت في سنة ٦٥٦ هـ بعد موت الخليفة العباسي ، الآلات من مصر وكان المتولى تلك السنة الملك المنصور نور الدين على بن أيبك المعز عز الدين أيبك الصالحي ، ووصل أيضا من صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول آلات وأخشاب (١١) وبدئ في إتمام العمارة المشتركة ، بيد أن الكثير من تفاصيلها غير معروف لنا ، إذ لا يعرف على وجه أكيد مصير العمال الذين أنجزوا ما تم من عمارة المسجد الشريف في عهد الخليفة العباسي ، وهل أسند إليهم العمل في تسقيف المسجد هذه المرة أيضا أم أن صناعا وعمالاً أتوا من الدولتين المتعاونتين قاموا بذلك ؟ . بيد أنه يبدو من الأعمال التي أنجزت نتيجة هذا التعاون خلال سنة ٦٥٦ هـ والتي حددها المطرى بأنها إكمال سقف المسجد ﴿ إلى باب السلام المعروف قديما بباب مروان بن الحكم ، (٢) أن العمارة قد أسندت إليهم أيضا ، وذلك لحرص المستولين على أن تكون الصفة في مقدم المسجد واحدة . وقد حرص الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول من أول يوم بدأ فيه هذا التعاون على عمل منبر يحل مكان المنبر المحترق فعمل منبرا رمانتاه من الصندل وأرسله ، في سنة ست وخمسين ونصب في موضع منبر النبي ﷺ ، (٣). ورغم الاهتمام الكبير الذي بذله ملك اليمن في إنجاز عمارة المسجد النبوى بالاشتراك مع الملك المنصور نور الدين على بن أيبك ، إلا أنه ليس لدى من المعلومات ما يبين الإنجازات اليمنية في تلك العمارة التي شملت تسقيف المسجد الشريف في تلك السنة ﴿ إِلَى بَابِ السَّلَامِ الْمُعْرُوفِ قَدْيُمَا بباب مروان بن الحكم (٤). ولم يذكر المطرى أو من تبعث من المؤرخين

⁽١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، السبكي : تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، جــ ۱ ص ۲۹۳ ، من فتاوى السبكى ، الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ۸۹ آ .

⁽٢) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٥ ، الفيروزبادى : المصدر السابق ، ورقة ١٨٩ .

⁽٣) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، وانظر وجيه الدين الوصابي : الاعتبار في التواريخ والآثار (المعروف بتاريخ وصاب) ص ١١٧ ، الفيروزبادى : المفانم المطابة ، ورقة ١٠١أ، السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٢٠٧ .

⁽٤) المطرى : المصدر السابق ص ٢٥ .

المتأخرين (١) شيئا عن الإسهام اليمنى فى الجزء اليسير الذى أنجز من عمارة المسجد النبوى ، وكل ما ذكروه هو فى الحقيقة تكرار لما أوجزه المطرى الذى لم يعاصر العمارة وإنما كان يكتب معتمدا على ما يسمعه من شيوخ المدينة فى عصره ، وقد خلا ذلك الزمن مع الأسف من مؤرخ معاصر أو رحالة يصف لنا المراحل الدقيقة لهذه العمارة .

وترتب على ما حل بمصر في أواخر سنة ١٥٦هـ من أحداث جسام أتت بالملك المظفر سيف الدين قطز (١٥٧ - ١٥٨ هـ) على رأس السلطة فيها ، أن توقف التعاون المصرى اليمنى ، وانفرد سيف الدين قطز بإكمال عمارة المسجد النبوى الشريف رغم الجهود المكثفة التي كان يقوم بها في إعداد الجيوش المصرية لصد الزحف المدمر من قبل التتار على شرق العالم الإسلامي وما أنجز من عمارة المسجد في عهده ، فهو إكمال تسقيف المسجد الشريف ، من باب السلام إلى باب النساء ، (٢) باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة ومن باب جبريل إلى باب النساء ، (٢) سبقه . ومن المؤكد أن معظم احتياجات المسجد الشريف من أخشاب الساج ، وهي سبقه . ومن المؤكد أن معظم احتياجات المسجد الشريف من أخشاب الساج ، وهي المادة الأساسية في تلك العمارة قد تكفل بها بعد سقوط الخلافة سنة ١٥٦ هـ ملكا اليمن ومصر (٣) ، وأن ما قام به السلطان قطز لا يعدو تأمين الأجور البسيطة للقائمين بعمارة المسجد ، وبعض المواد اللازمة للعمارة ومهما يكن من أمر فإن ما

⁽۱) أمثال الاسفراتيني في زيدة الأعمال ، والفيروزبادى : المصدر السابق ، والخوارزمي في اثاره الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة ، والمراغي في تخقيق النصرة ، بيد أن الخزرجي ذكر في مخطوط العسجد المسبوك ، ص ٢٣٤ في حوادث سنة ٢٥٧هـ أن الملك المظفر يوسف بن رسول تولى و أمر الحرم وعمارته واقامة منايره وخدمته وجوامك خدامه ، وقد يكون المقصود بذلك الحرم المكى لا المدنى .

⁽٢) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ص ٢٥ .

⁽٣) كانت النية عند ملكا مصر واليمن معقودة على إنمام صمارة المسجد النبوى بعد سقوط الخلافة العباسية ولذلك فظنى أن تأمين الأخشاب اللازمة لإكمال هذه العمارة قد سبق بدء العمل المشترك الذى قاما به أو خلال قيام أعمال العمارة لأنهما بالطبع لم يكونا يتوقعا ما يخفيه لهما الدهر من زوال ملك قطز وانفراد بيبرس بعمارة المسجد بعده .

انجز من هذه العمارة في عهد المستعصم بالله العباسي ٦٥٥ _ ٦٥٦ هـ ونور الدين على بن أيبك . ويوسف بن رسول ٢٥٦ _ ٦٥٧هـ وسيف الدين قطز ٢٥٧ _ ١٥٨ هـ _ وكان مقتصرا على تجديد سقف المسجد بطبقتيه (١)، على صفة لا تعرف تفاصيلها .

لم ترجعه (إلى الصفة التي كان عليها ولا إلى قريب منها بل صار إلى السذاجة وصفات مساجد الإسلام (٢) المجرد من النقوش والزخارف انظر شكل (٤٩) .

ومع طول المدة التى استغرقتها هذه العمارة فى ظل أربعة حكام لفترات مختلفة من تاريخ العالم الإسلامى فإنها تنبئ عما كان للتمزق السياسى والضعف المادى من آثار سيئة فى حياة المسلمين على نقيض ما تدل عليه العمارات السابقة للحرمين فى العصور الذهبية للإسلام ، وبصفة خاصة فى عهد الوليد بن عبد الملك والمهدى العباسى من ازدهار وقوة سلطان .

* * *

⁽١) أعيد سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفان يعلوا أحدهما الآخر ، وأعلاهما ذو صفة بتاثية وعليه العمدة في تحمل السطح وهو في العادة يتكون من قطع حشبية كبيرة . أما السقف الأسفل قهو ذو صفة جمالية وهو من ألواح الخشب المنتظمة الجميلة .

⁽٢) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٦ ب .

ثالثاً : عمارة الظاهر بيبرس :

ا _ أعمال السلطان الهلك الظاهر بيبرس في الهسجد النبوس :

إعتلى الملك الظاهر بيبرس عرش مصر في أواخر سنة ٢٥٨هـ بعد مقتل سيف الدين قطز وهو على مشارف مصر عائدا بالنصر من أكبر لقاء بين المسلمين والتتار في عين جالوت . وإذا كان قطز قد جوزى جزاء سنمار فإن بيبرس استفاد سياسيا من انتصار قطز في دعم سلطانه . وما كاد يستتب له الأمر سنة ٢٥٩هـ حتى أخذ يتطلع إلى السيطرة على الحجاز وبسط سيادته على الحرمين ، ليقوى بذلك نقله الخلافة العباسية إلى مصر (١) ، التي كان قد أقامها فيها منذ عهد قريب ليدعم أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من كان صاحب الحرمين (٢) وقد شهدت مصر في عهده استقرارا سياسيا صاحبه ازدهار مالي بسبب النشاط التجارى عبر البحر الأحمر بعد استقرارا سياسيا صاحبه ازدهار مالي بسبب النشاط التجارى عبر البحر الأحمر بعد العرب الطريق التجارى البرى عبر وسط آسيا (٣) ، على أثر غزوات المغول لغرب آسيا في القرن السابع الهجرى (٤).

ورغبة فى إضفاء الشرعية على الخلافة العباسية التى أحياها الظاهر بيبرس مخت كنفه فى مصر ، فقد اهتم بإكمال ما تبقى من عمارة الحرم النبوى الشريف ، فأرسل فى سنة ٦٥٩هـ • الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين اليغمورى لعمارة الحرم النبوى بالمدينة ، (٥) ويدو أن مهمة الأمير اليغمورى كانت استطلاعا لأحوال المسجد وما يحتاج إليه فإن المواد اللازمة لهذه العمارة لم ترسل من القاهرة إلا فى رمضان سنة ٦٥٩هـ إلى سنة

⁽١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٨ .

 ⁽۲) الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ ۲ ص ۲۳۸ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ۲۲۷ وما بعدها .

⁽٣) على بن حسين السليمان : المرجع السابق ص ١٥٧ .

⁽٤) نفس المرجع ص ١٥٧ .

⁽٥) المقريزي : كتاب السلوك ، جــ١ ، القسم الثاني ص ٤٤٥

⁽٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ص ٢٣٨ ، المقريزي . كتاب السلوك ، جـ ١ القسم الثاني ص ٥٠٢

- ٦٦١هـ دون إكمال لسقوفه يثير إفتراضات عدة منها :
- ١ أن شدة الاهتمام بأمر المسجد النبوى الشريف قد خف نوعا ما بعد إكمال سقف ظلة القبلة التي تختوى على المسجد الأول لرسول الله ﷺ .
- ٢ ـ أن ما أعده الظاهر بيبرس لهذه العمارة من مواد وآلات ، يختلف عما أعد للمسجد النبوى في المراحل السابقة بدليل اختلاف سقف مؤخر المسجد الذي عمر في عهده عن بقية سقوف المساجد التي عمرت من قبل ، فقد جعل مؤخر المسجد الشريف سقف واحد (۱) بالإضافة إلى أن تلف ما كان بالأروقة التي عمرها بيبرس من إسطوانات الرخام (٢) ، قد أخذ وقتا وجهدا كبيرين عند استبدالها بقطع حجرية منحوتة ، ولعل هذه إحدى مهام الأمير اليغمورى الذي قدم المدينة سنة ٢٥٩هـ .
 - ٣ ـ أن ما أعد من أخشاب المسجد وأدوات بنائه من عام ٦٥٥ إلى ٦٥٨هـ (في عهد المستعصم بالله ونور الدين على بن أيبك ، والملك المظفر يوسف بن رسول ، وسيف الدين قطز) لم يعد كافيا وربما غير صالح لإتمام هذه العمارة .
 - ٤ _ أن بعض أجزاء (أو ملحقات) المسجد كالمنارات مثلاً (٣) عمرت في الدولة

⁽١) انظر أعلاه ص ٢٢١ ـ

⁽٢) كان مقدم المسجد محتفظاً بعمارته من عهد الوليد حتى الحريق الأول وكانت اسطواناته مؤلفة من قطع حجرية مستديرة كما سبق ذكره في عمارة الوليد والمهدى . ولا بد أن اغلبها قد ملم من التلف في هذا الحريق . مما ساعد القائمين بعمارة مقدم المسجد على الاستفادة منها ، أما الرواق الشرقي والغربي والشمالي فكان المهدى قد استبدلها باسطوانات الرخام ويبدو أنها قد تلفت كلها في الحريق الأول مما جعل بيسرس يستبدلها باسطوانات مشابهة لما كان في مقدم المسجد .

⁽٣) ذكر ابن المحجوب في مخطوط قرة العين في اوصاف الحرمين ، ورقة ٦٨ أ . أنه شاهد صوامع المسجد النبوى ، على صفة صوامع مصر ، ثم ذكر أنها من تجديد ملوك الترك وأن و طول هذه المسجد النبوى ، على صفة صوامع مصر ، ثم ذكر أنها من تجديد ملوك الترك وأن و طول هذه المنارات الصوامع الموجودة الآن هناك في هذه المائة التاسعة يقرب من مائة ذراع ، ولم تكن هذه المنارات مما عمر في عهد السلطان قايتباى لأن المؤلف لم يذكر في مخطوطه أي شيء من أعمال قايتباى في عمد النبوى ، وذلك لأن زيارته للمدينة كانت قبل الحريق الثاني . كما أن ابن فرحون المنوفي سنة ٧٦٨هـ أشار إلى بعض التغييرات الحادثة بهذه المناثر في زمنه . انظر أدناه ص ٧٢٧.

المملوكية الأولى ، ولم تذكر كتب التاريخ التى رجعت إليها اسم من عمرها، لذلك أظن أنها عمرت في زمن الظاهر بيبرس استنتاجا من طول المدة التي استغرقتها هذه العمارة التي بدأت من سنة ٦٦١هـ وانتهت سنة ٦٦٨هـ

ومهما يكن من أمر ، فما كادت تتوفر لدى الظاهر ييبرس الأخشاب والأدوات اللازمة لبناء المسجد الشريف ، حتى عمد إلى أن يتخذ من ذلك ذريعة لتأليف القلوب حوله ، وظهوره بمظهر الحاكم الحريص على خدمة الحرمين الشريفين ، فطافوا في شهر رمضان من سنة ٦٦١هـ و بتلك الأخشاب والآلات بمصر فرحة وتعظيما لشأنها ، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية » (١). وفي نفس السنة كما يقول المقريزى احتفل بيبرس بإرسال كسوة الكعبة المعظمة ، وقد حملت و على البغال وطيف بها في القاهرة ومصر ، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقنضاة والفقهاء والقراء والصوفية والخطباء والأئمة ، وسفرت إلى مكة في العشر الأوسط من شوال ، وفوضت عمارة الحرم لزين الدين بن البورى » (٢) وفي شهر رمضان من سنة ٢٦٦هـ جهزت كسوة قبر النبي على ، وتعين سفرها مع الطواشي جمال الدين محسن الصالحي ومعها الشمع والبخور والزيت والطيب (٣).

وهذه الطريقة التى اتبعها بيبرس فى الإحتفال بإرسال الأدوات اللازمة للمسجد النبوى (٤)، وكذلك الاحتفال بإرسال كسوة الكعبة ، اتبعها أيضا سلاطين المماليك الذين أتوا بعده ، وخاصة عند إرسالهم كسوة الكعبة التى كانت تخرج من القاهرة كل عام (٥).

⁽١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٣٨ .

 ⁽۲) المقریزی : کتاب السلوك ، جدا ، القسم الثانی ، ص ۵۰۲ ، این بهادر : فتوح النصر فی
تاریخ ملوك مصر ، جدا ص ۱۰۵ .

⁽٣) المقريزي : المصدر السابق ، جــ١ ، القـــم الثاني ، ص ٥١٢ .

⁽٤) لم تذكر المصادر أن ييبرس احتفل بارسال الأدوات اللازمة للعمارة القائمة في المسجد النبوى إلا مرة واحدة وتفسير ذلك أن الأدوات المذكورة ، والحرفيين قد أرسلوا من مصر إلى المدينة بعد الاحتفال المذكور ، أما الأخشاب فكان مصدرها الهند ، ولذلك فلم يتمكن بيبرس من الاحتفال بوصولها .

⁽٥) على بن حسين السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٧ .

ويبدولى أن اهتمام الظاهر بيبرس بعمارة المسجد النبوى منذ أن تولى عرش مصر فى أواخر سنة ١٥٨هـ حتى عام ١٦٣هـ كان يتركز على إصلاح مقدم المسجد وإزالة آثار الحريق من الجدران والإسطوانات ، وذلك بالتبييض والدهان ، وغير ذلك من الأعمال ، وهي أعمال لم يتمكن المسئولون عن العمائر السابقة من إنجازها بسبب ضيق الوقت ، ولأنهم كانوا يعتزمون بجهيزه للمصلين والزائرين حتى تمكنوا من إكمال عمارة مؤخر المسجد وجوانبه ، وبذلك يتسنى لهم إخلاء مقدم المسجد حتى يتم تبييضه ودهنه .

ويعتبر الذهبي سنة ٦٦٣هـ هي السنة التي بدىء فيها و بعمارة مسجد الرسول على ١٦٠ ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير من أن الظاهر بيبرس بعث سنة ٦٦٣هـ وبأخشاب ورصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله على ١٦٠ . وزاد ابن حبيب الأمر تفصيلا فقال في حوادث السنة المذكورة أن السلطان المذكور عزم على وعمارة الحرم النبوى ، وجهز إليه البنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وأهل الأعمال على اختلافها ، والآلات مع تباين أنواعها وأصنافها ، وأرسل معهم أميرين وناظرا وطبيبا ومباشرين وسائر ما يحتاجون إليه من المؤن والكلف والأشربة والأدوية (٦) وقد جرت العادة بإرسال شخص أو أكثر من أصحاب المراكز الممتازة ليكون لهم الإشراف الأعلى على العمل . ومن أجل ذلك فقد أرسل الأميران وجمال الدين محسن الصالحي وشهاب الدين غازى اليعمورى (١٤)، مع الناظر حمانها عن عمارة الحرم الشريف الذي كان يصحبه من الصناع و ثلاثة وخمسين السائعا عن عمارة الحرم الشريف الذي كان يصحبه من الصناع و ثلاثة وخمسين المناعا » (٥) وهم الذين شيدوا بقية سقف المسجد بعد أن توفرت لهم الأخشاب اللازمة خلال المدة المذكورة . وقد ظل العمل في المسجد النبوى مستمرا حتى اللازمة خلال المدة المذكورة . وقد ظل العمل في المسجد النبوى مستمرا حتى

⁽۱) العير في خير من ذهب بده ص ۲۷۳ .

⁽٢) البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٤٥ .

⁽٣) ابن حبيب : درة الاسلاك في دورة الأتراك ، جــ ا ورقة ٢٨ ب .

⁽٤) الفيروزبادى : المغانم المطابة في معالم طابة ، ورقة ٨٩ أ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص

⁽٥) الفيروزبادى : المصدر السابق ورفة ٨٩ أ .

كملت عمارة السقف المتبقى وذلك لمدة أربعة أعوام على ما صرح به الإمام الذهبى (١)، وكان الظاهر بيبرس يمدهم خلالها بالأموال والآلات اللازمة (٢). ومن ذلك ما ذكره المقريزى من أن الظاهر بيبرس أرسل فى سنة ٦٦٤هـ مع الأمير جمال الدين نائب دار العدل و مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله على وسير الغلال لجرايات الصناع (٣) ولم تتم عمارة المسجد النبوى الشريف إلا فى سنة ٦٦٨هـ وليس فى سنة ٦٦٦ هـ كسما ذهب إليه على بن حسسين السليمان (٤).

* * *

⁽۱) العبر في خبر من دهب ، جـ٥ ص ٢٧٣ ، ابن حبيب : درة الأسلاك في دولة الأتراك جـ١ ورقة ٢٨ ب .

 ⁽٢) دكر الفيروزبادى فى المغام ورقة ٧٩ أ ، بعد كلامه عن ارسال بيبرس للأميرين وناظر الحرم أنه
 كلما عارضهم شىء من الآلات والنفقات جهزها إليهم لعمل ما تبقى من المسجد .

⁽٣) كتاب السلوك ، جدا ، القسم الثاني ، ص ٥٤٤ .

⁽٤) العلاقات الحجازية المصرية ، من ٢٠

٢ ـ صفة العمارة التي القما الظاهر بيبرس:

ا ـ سقوف المسجد وجدرانه :

وجد المشرفون على عمارة المسجد النبوى الشريف أنفسهم أمام خيارات صعبة بشأن صفة السقوف التي ينوون إكمال عمارتها ، فإما أن يتموها على هيئة سقف مقدم المسجد الذي عمر من قبل في عهد الخليفة العباسي وعلى ابن أيبك ويوسف بن سول بسقفين يعلو أحدهما الآخر ، وإما أن يتموها بسقف واحد بجتمع فيه ميزات السقفين معا . ويدو أن الرغبة كانت كبيرة لدى المشرفين على هده العمارة في عمل سقف المسجد كله أو على الأقل سقفى المجنبتين (الشرقية والغربية) وسقف مؤخر المسجد بسقف واحد ، وهي الصفة التي ترجحت لدى المشرفين على العمارة لأسباب غير معروفة ، إلا أنهم وجدوا أنفسم مضطربن لإكمال عمارة ما تبقى من سقفي المجنبتين على الصفة التي عمر بها السلطان سيف الدين قطز تبقى من سقفي المجنبتين على الصفة التي عمر بها السلطان سيف الدين قطز الأجزاء التي تلي رواق القبلة ، انظر شكل (٤٩) . وقد وصفهما المطرى بأنهما عادا كما كانا « قبل الحريق سقفا فوق سقف » (١) وينهما مسافة تسمح أن يمر الشخص بينهما قايما » (٢).

وقد كان السقف المزدوج مستخدما في المسجد النبوى قبل الحريق^(۱) وإعادته في العمارة المملوكية في العمارة المملوكية في المسجد النبوى يشير إلى انتشاره في العمار المملوكية ، وتتكون السقوف المزدوجة من مستويين و أحدهما يعلو الآخر ، والعلوى ، وهو ذو الصفة البنائية في مخمل ضغط البناء ، ويتكون من كتل خشبية ضخمة ، أما السفلي وهو الذي نراه فقد اهتم به المعمار من الناحية الفنية الجمالية)(٤). وقد قلل هذا النوع من السقوف ما نميزت به جدران المسجد النبوى من إرتفاع بلغ في

⁽١) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ .

⁽۲) این حمجر الهیشمی : عملهٔ الزوار إلی قمر النبی المختار ، ص ۹۱ .

⁽٣) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٥ ٪

⁽٤) محمد مصطفى الجيب : العمارة في هصر المماليك ، ص ٢٣٦ .

عمارة المهدى خمسة وعشرين ذراع (۱)، وقد احتفظ أيضا بنفس هذا الارتفاع في عمارة بيبرس للرواقين الشرقي والغربي ، أما الرواق الشمالي فقد انخفض مستوى السطح فيه بسبب استخدام السقف الواحد في عمارته وبذلك لأنه استقر الرأى على أن يكون سقف الرواق الشمالي على صفة تخالف بقية سقوف المسجد ، الأمر الذي أدى بالمشرفين على عمارة المسجد إلى إعداد الأحشاب اللازمة لهذا السقف، وكانت تلك الأخشاب تختلف من حيث القوة والسمك عن الأخشاب المستخدمة في بقية سقوف المسجد . وذلك لأنها صنعت لتؤدى الوظيفتين اللتين يقوم بهما السقف المروح . وهما : تحمل ضغط البناء الذي كان يقوم به السقف العلوى ثم إيفاء الناحية الجمالية حقها التي كان يؤديها السقف السفلي . فقد كانت تمتاز اليفاء الناحية الجمالية حقها التي كان يؤديها السقف الأسفل وتقسيمه و إلى متوف العمائر المملوكية بإهتمام الفنانين بزخرفة السقف الأسفل وتقسيمه و إلى مناطق مستطيلة تخيط بها مربعات صغيرة أو قصع مقعرة مستديرة ، وكل هذه مناطق مستطيلة تخيط بها مربعات صغيرة (أرابسك) مجوهة بالذهب واللازورده (۲).

وفى الغالب قد روعى ذلك أيضا فى سقوف المسجد النبوى وإن لم يشر إليه أحد من المؤرخين . ومن حيث ارتفاع هذا السقف فإن الأمر لا يخلو من احتمالين : إما أن يكون السقف المفرد فى مستوى السقف الأسفل فى كل من المجنبتين ، وفى هذه الحالة يكون البناء قد استخدم إسطوانات بطول الإسطوانات المستخدمة فى مقدم المسجد ومجنبته ، ويكون سطح المسجد على مستويين المستخدمة فى مقدم المسجد ومجنبته ، ويكون سطح المسجد على مستويين مختلفين كما يبدو فى الشكل (٥٠) نموذج (أ) والاحتمال الثانى أن يكون البناء قد جعل السقف المفرد فى مستوى السقف العلوى للسقف المزدوج فى مقدم المسجد والمجنبتين ، وفى هذه الحالة يقتضى الأمر زيادة ارتفاع الإسطوانات ويكون

⁽١) انظر أعلاه ص ١٥١ .

⁽۲) محمد مصطفى بخيب : المرجع السابق ص ۲۳۷ . وقال البيروني في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ١٩٥ ، أن اللازورد نوع من الجواهر ، يبرد ويجلى ويطحن ويستعمل في الأصباغ وما دام صحيحا فإنه يضرب إلى لون النيل وربما مال إلى السواد ... وإذا سحق وهو برخاوته مؤاتي للطاحن أشرق لونه وجاء عنه صبغ مؤنق لا يدانيه شيء من أشباهه ، .

سطح المسجد على مستوى واحد بينما يكون سقف الرواق الشمالي أعلى بقامة رجل من سقفي المجنبتين شكل (٥٠) نموذج ب ، مما يترتب عليه أثر فني غير جميل ، خاصة إذا كان قد روعي زخرفة كل من هذه السقوف ، فضلا عما ينجم عن زيادة ارتفاع الإسطوانات من نفقة ووقت وجهد . وقد كان ارتفاع جدران المسجد خمسة وعشرين ذراعا(١). ويؤيد الإحتمال الأول ما يذكره السمهودي من أنه شاهد قبل الحريق الثاني سقفي الظلتين الشرقية والغربية ، أي سقفي المجنبتين ، على مستوى سقف الظلة الشمالية وأنها جميعا كانت على مستوى سقف مقدم المسجد(٢).

أما عدد البلاطات التي يتكون منها مؤخر المسجد الذي عمر في عهد الملك الظاهر بيبرس على صفة تخالف بقية سقوف المسجد ، فقد انتقص منها بلاطة واحدة فأصبح عددها أربع بلاطات بدلا من الخمس التي كان يتألف منها قبل الحريق الأول . ويذكر السمهودي أن انتقاص البلاطة المذكورة كان في عهد الملك الناصر محمد بن قالاوون عندما زاد في مقدم المسجد بالاطتين في سنة ٧٢٩هـ(٢)، أما العبدري الذي زار المسجد النبوي الشريف سنة ٦٨٩هـ، فيذكر أن في مؤخر المسجد النبوي الشريف أي في ناحية الشمال أربعة صفوف⁽¹⁾.

وكان اهتمام الظاهر بيبرس بجمال السقف الأسفل كبيرا إذ جاء أنه طلاه بماء الذهب(٥)، ومن البديهي ألا تقتصر الزخرفة على ما أنجز من عمارة المسجد في عهده وإنما شملت جميع سقوفه(٦)، كما جددت بعض الإسطوانات وأصلح

⁽١) احتفظ المسجد النبوى الشريف في هذه العمارة بالارتفاع الذي كان عليه في عمارة المهدى وهو خمسة وعشرون ذراعا أي يعادل ١٢ مترا . انظر الفصل الخاص بعمارة المهدى ، ص ١٥١ .

⁽۲) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ.٢ ص ٦٧١ .

⁽٤) رحلة العبدري (الرحلة المغربية) ورقة ١٠٦ أ .

⁽٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جــ١٣ ص ٢٧٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جــ٧ ص

⁽٦) ابن تغری بردی : نفس المصدر جـ٧ ص ١٩٤ .

البعض الآخر من آثار الحريق⁽¹⁾ وبيضت حيطان المسجد^(۲) وإسطواناته بالفضة^(۳)، وقد إستغرقت هذه الأعمال الكثيرة جزءا من المدة التي استغرقتها عمارة الظاهر بيبرس للمسجد النبوى من سنة ٢٥٩ – ٦٦٨ هـ . وهي فترة لم تستغرقها أية عمارة سابقة . ومع هذا كله لم يعد المسجد النبوى الشريف إلى ما كان عليه ولا إلى قريب منه ، ولم تدخل الفسيفساء هذه المرة في عناصر زخرفته إلا أنه قد حوفظ على ما بقى منها سالما من الحريق . وكانت أجزاء صغيرة موزعة في بعض أنحاء المسجد الشريف ، وقد بقيت حتى شاهدها السمهودى في القرن التاسع وقال عنها و أنها شيء يسير في مؤخر السقف الغربي بجدار المسجد مما يلى الدكاك⁽³⁾، وشيء يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلي بابها فيه شيء من الفسيفساء، وأما جدار وشيء يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلي بابها فيه شيء من الفسيفساء، وأما جدار المستقبل المحراب الشريف ، وهو من الآثار القديمة ، وكان يقابله في جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبا ، ثم زال ذلك كله في الحريق الثاني وه).

وإذا كانت القناديل التي كانت مخلى سقوف المسجد النبوى ، قد تلفت في

 ⁽١) عن اسطوانات الرخام التي قام ييبرس باستبدالها نظرا لتلفها باسطوانات الحجر المنحوتة . انظر
 اعلاه ص ٢١٦ وما بعدها .

⁽٢) ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص ١٩٤ .

⁽٣) ذكر العبدرى الذى زار المدينة بعد انتهاء عمارة الظاهر بيبرس بواحد وعشرين عاما فى ورقة ١٠٦ أ من رحلته و أن أساطينه مبيضة بالفضة ، ولا يعقل أن يكون التبييض الذى أشار إليه ابن تغرى بردى فى جدران المسجد بالفضة أيضاً فلعل التبييض فى جدران المسجد بالقصة وفى أساطينه بالفضة .

⁽٤) انظر أدناه ص ۱۹۸ وما يعدها .

⁽٥) وضاء الوضا ، جــ ٣ ص ٣٧٣ ـ ٢٧٣ . ذكر البلوى الذي زار المدينة المنورة منة ٣٧٣هـ في رحلته الموسومة بتاج المفرق ، جـ ١ ص ٣٨٧ ، وصفا لجدار القبلة يظن لأول مرة أنه تجسيد لواقع المسجد أثناء زيارته للمدينة ، غير أنه يتبين من مقارنة ما يذكر بما أورده ابن جبير في وحلته ص ١٧٧ ، أنه استقاه منه إذ يقول : ٥ ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع إزار على إزار محتلف الصنعة مجزع أبدع تجزيم والنصف الأعلى من الجدار منزل كله بالذهب قد انتج فيه نتائج غريبة من الصنعة فيها تصاوير أشجار مختلفات الصنعة ماثلات الأغصان فيه بشمرها . والمسجد المكرم كله على تلك الصفة ، لكن الصنعة في جدار القبلة أحفل ٥

الحريق المذكور ، فإن ما كان يختزن في قبة صحن المسجد الشريف من أمثالها قد قلل من حجم الخسارة ، وقد أستعين بهذه القناديل في إنارة جزء من المسجد الشريف بالإضافة إلى ما ورد من مصر من شماعد ومشكوات زجاجية ، وقناديل كانت تصل دائما للمسجد الشريف عند الانتهاء من كل عمارة (١١).

ب ـ منبر المسجد النبوس الشريف :

أتلف الحريق الأول سنة ٢٥٤هـ المنبر الشريف الذي كان يزين المسجد النبوى الشريف^(۲). وبقى المسجد بعده دون منبر يخطب عليه حتى أخذ الملك المظفر يوسف بن حمر بن رسول على عاتقه عمل منبر جميل الصنعة طيب العود وصفت رمانتاه بأنهما من الصندل ، ونصب في موضع المنبر الأول سنة ٢٥٦هـ (٢٠). وظل يخطب عليه عشرة أعوام حتى استبدله الظاهر بيبرس سنة ٢٦٦هـ بمنبر جميل امتاز بدقة الصنعة التي ميزت المنابر المملوكية المصنوعة من الخشب آنذاك (٤)، ويصفه البلوى الذي زار المدينة في موسم ٧٣٧هـ وشاهده أنه و في أدق نمنمة (٥) وأرضحها رقم (٢) من رفيع الأبنوس ونفيس الصندل الأحمر والأصفر والبقس

⁽١) تعرضت هذه القناديل المصنوعة من الذهب والقضة لسرقات عديدة من أمراء المدينة بما سأشير إليه عند الكلام عن أثاث المسجد الشريف .

⁽۲) انظر ما نقلته عن المطرى بخصوص تشككه في يقاء منهر الرسول عليه السلام حتى زمن الحريق في حاشية ص ١٩٨ :

⁽٣) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ .

⁽٤) اعتبر زكى محمد حسن فى فنون الإسلام ص ٤٩٧ ، المناير المملوكية من التحف الدقيقة وذلك لأن النجارين امتطاعوا 1 أن يبدعوا فى زعرفة الحشوات بالرسوم الدقيقة واصبح العنصر الزخرفى السائد فى ترتيب الحثوات عجميعها بحيث تؤلف أطباقا عجمية وأجزاء من أطباق .

⁽٥) يعنى أدق صنعة . والنمنمة كما يقول ابن منظور في لسان العرب ، جـ١٦ ص ٥٩٣ و خطوط متقاربة قصار شبه ما تنمنم الربح دقاق التراب ، ولكل شيء نمنمة : وكتاب منمنم منقش ونمنم الشيء نمنمة أي نقشه وزخرفه . وثوب مرقوم موشى .

⁽٦) يعني طعم .

واللبع والبقم والشوحط والقيعب^(۱) بأحكم تصنيف وأبدع تركيب ^(۲). ورخم جدوى هذا الوصف الذى أورده البلوى عن أنواع الخشب التى طعم بها هذا المنبر، إلا أنه لا يغنى عما أورده الفيروزبادى المتوفى سنة ^(۲) هم من معلومات مفيدة عن حال هذا المنبر الذى قال عنه أن و طوله أربعة أذرع فى السماء ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلا . وعدد درجاته سبع بالمقعد وفى جانبه الشرقي يجاه الحجرة الشريفة طاقة صغيرة مفتوحة مثمنة دورها (۲) يزيد على ذراع ويقال أنه مثال الطاقة التى كانت فى المنبر الذى كان خشيا⁽³⁾ لمنبر النبى تكل ، وكان الزايرون يدخلون أيديهم من تلك الطاقة فيتمسحون بالمنبر الشريف من داخله^(٥) .. وللمنبر باب بمصراعين فى كل مضراع رمانة من فضة وتاريخ المنبر مكتوب فى عتبة ألباب بنقر فى الخشب صورته فى سنة ست وستين ومتمالة ، وكتب على جانبه اسم صانعه أبو بكر بن يوسف النجار) (١).

⁽۱) البقس واللبع أو النبع والبقم والشوحط والقبقب ، أنواع من الأشجار معروفة يصبغ بطبخها ، والبقس شجر معروف كالاس ورقا وحيا ، صلب تتخذ منه المغالق والأبواب والمعالق والأوانى ، والبقم شجر يصبغ به قبل هو العندم (دخيل معرب) ورقه كاللوز وساقه أحمر والشوحط ضرب من النبع تتخذ منه القس وهو ما ينبت في الحضيض والنبع ما ينبت في الأعالى ٤ . انظر البلوى : تاج المفرق جدا حاشية ص ٢٨٦ .

⁽٢) نفس المصدر: جدا ص ٢٨٦.

⁽٣) يقصد طول ضلعها .

⁽٤) يعنى خطأء لمقعد رسول الله علله . وهو المنبر الذي صنعه معاوية رضى الله عنه ، ووضعه قوق منبر الرسول عليه السلام لكى يخطب عليه ويصان منبر رسول الله من الجلوس عليه . انظر شكل (٤١) .

⁽a) هذه من البدح التي شاح العمل بها في زمن المؤلف .

⁽٦) الفيروزبادى : المغانم المطابة في معالم طابة ، ورقم ١٠١ أ ، وقد ذكر ابن فرحون المتوفى صنة ٢٧٩هـ في نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ١٦٠ . أنه أدرك هذا النجار فقال : ٥ وكان جمن أدركناه من الأكابر الصلحاء المتقدمين في عمارة الحرم بالنجارة الشيخ أبو بكر بن يوسف الممروف بالمحجوب النجار . قدم المدينة بعد حريق الحرم بالمنبر الشريف الموجود اليوم قصنعه فأحسن في صنعه وفي نجارته وكتب إسمه عليه وذلك في سنة ست وستين وستمائة ، إنقطع بالمدينة إلى أن توفى بها رحمه الله ٥ .

وكما اهتم الظاهر بيبرس بالمنبر الذى رأينا من وصفه مدى عنايته به ، فقد اهتم أيضا بالمحراب النبوى الشريف الذى عده الفيروزبادى والسمهودى عملا فنيا يليق بالمقام الشريف ، وقد أدركاه قبل أن يدمره الحريق الثانى ولكنهما لم يصرحا بنسبته إلى الملك الظاهر بيبرس أو غيره من ملوك المماليك الترك . بيد أننى من خلال الوصف الذى تقدم عن حال المنبر الذى أرسل به إلى المسجد النبوى وللإهتمام الكبير الذى أولاه لعمارة المسجد الشريف ، أعتقد أنه عمل فى عهده إذ لا يعقل أن يهتم بالمنبر دون المحراب ، وقد وصفه الفيروزبادى (١) فقال : إن فى موضع جدار القبلة الذى كان على عهد رسول الله على ه محراب خشبى قد أنتج الصناع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة ، وفيه حجرة صغيرة مكتوب فى داخلها بنقر فى الخشب قبل وجه الإمام بعد البسملة آية الكرسى ، وقد قنطر على بابها بالخشب المنجور البديع الصنعة المرسوم بأنواع من الأصبغة . مكتوب عليه بعد البسملة وقد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة رضاها ه (٢).

وجاء أنه مطلى بالذهب واللازورد ، ومكسى من داخله بكسوة من الحوير و من جنس كسوة الحجرة الشريفة ذات طراز منسوج ١^(٦). وبما أنه لا يرتكز على جدار كشأن المحراب العثماني فقد أدعم من ورائه و بدعامة شبه التاج العظيم ١^(٤)، ثم وضع درابزين الخشب عن يمين المحراب وشماله في موضع جدار القبلة الذي كان على عهد رسول الله عنه ، تمييزا لجدار ، القبلة الأولى عن الجدار الذي استحدث بعد زيادة عشمان رضى الله عنه ، والذي يقع بعد بلاطتين من الدرابزين المذكور و وعن يمينه وشماله الدرابزين المذكور و وعن يمينه وشماله مع امتداد الروضة مغارز لفرخات القناديل (٥) المسماء بالبزاقات تسرج في ليالي

⁽١) المغانم المطابة في معالم طابة ، ورقة ٩٥ أ ، ب .

⁽٢) سورة البقرة : الآية ١٤٤ .

⁽٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٧٧ .

⁽٤) نفس المصدر ، جدا ص ٣٧٧ .

⁽١) المقصود بها صغار القناديل . وقد ذكر ابن منظور في لسان العرب جـ٣ ص ٤٢ أن كلمة فرخ تستعمل د في كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها ، والجمع أفرخ وأفراخ وأفرخة ، .

الزيارات ؟ (١). ويبدو أن يببرس أول من أقام الحراب بشكله الجوف في موضع مصلى النبي على ، إذ أننى لم أقف من خلال المصادر التي اطلعت عليها إلى من يشير أنه عمل بشكله الجوف قبل عمارة بيرس له (٢). بل كان يكتفي للدلالة على موضع المصلى الشريف بالمحافظة على المستوى الذي كان عليه المصلى في عهد رسول الله على حتى تشكل من ذلك شبه حوض مربع مرخم طوله ستة أشبار وعرضه أقل من ذلك بنحو شبر (٣).

وعلى أية حال فإن هذا العمل وغيره من الأعمال التى قام بها الملك الظاهر بيبرس فى المسجد النبوى تكشف بوضوح عن مدى العناية التى أولاها هذا الملك لعمارة الأماكن المقدسة .

جــ منارات المسجد النبوس :

لم أجد من المؤرخين الذين تيسر لى الاطلاع على مصنفاتهم من ذكر أن أحدا من ملوك المماليك البحرية ، أو ممن سبقوهم عمر أى منارة من منائر المسجد النبوى الشريف بعد الحريق الأول ، خلا ما ذكره ابن فرحون من تعمير شيخ الحرم كافور المظفرى لمنارة باب السلام سنة ٢٠٧هـ فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية سنة ٦٩٨ ـ ٧٠٨ هـ وكان المسجد النبوى يحتفظ بثلاث منائر منذ عمارة الوليد بن عبد الملك له فى حدود سنة ٩١هـ ثم قام المهدى العباسى بتجديد المنارتين الشماليتين فقط أثناء عمارته للمسجد النبوى الشريف . وقد شاهد ابن جبير الذى زار المسجد سنة ٥٨٠ هـ هذه المنائر وقال أنها و ثلاث صوامع إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة والإثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين ، والصومعة الأولى المذكورة على هيئة

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٧٧ .

 ⁽٢) أن الروايات التى تناقلها المؤرخون العرب وغيرهم منصبة على المحراب المجوف الذى عمل فى
 عمارة الوليد بن عبد الملك فى موضع المحراب العثمانى .

 ⁽٣) رمالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس نجهول من القرن الرابع الهجرى ـ مجلة العرب ـ السنة الثانية ، العدد ٥ ، ١ منة ١٣٩٣هـ ص ٣٥٠ .

⁽٤) انظر أعلاه ص ١٥٨ .

الصوامع ، (٤) وزار العبدري المدينة سنة ٦٨٩هـ ، بيد أن وصف للمنائر التي شاهدها في المسجد النبوي قاصر لا يفي بالغرض(١). وذكر ابن فرحون المتوفي سنة ٧٦٩هـ في إشارة يسيره يستدل منها على بجديد المنارتين الشماليتين في زمن سابق وقد اعترض على ما أحدث بهما إذ يقول : إن أحق شيء بالإزالة 1 ما أحدث بالمنارتين الشماليتين قدم باباهما على بابيهما الأصليين ، وجعل ما بين البابين في كل منارة خلوة اقتطع فيهما جانب كبير من المسجد ، (٢).

ومن المعروف أن عمارة الظاهر بيبرس المجمع عليها كانت في هذا الجانب من المسجد ، ولذلك فإن المنارتين المذكورتين كانتا مما عمر أنذاك إلا أنه يؤخذ مما ذكره السمهودي من إدراكه لبعض فسيفساء المسجد في عهد المهدى بجدار «المنارة الغربية الشمالية مما يلي بابها »(٢)، أن المنارتين اللَّتين كانتا في مؤخر المسجد على شكل برجين لم تهدما إلى أساسهما ، بل زيد فيهما فقط في مستوى سطح المسجد في عهد الظاهر بيبرس ، ويزكى ذلك أن المؤرخين الذين تعرضوا لتاريخ المسجد النبوى يذكرون أن مناثر المسجد الشريف لم يحدث بها تجديد أو بناء بعد اكتمال عمارة المسجد في عهد الظاهر بيبرس إلا في سنة ٧٠٦هـ ، عندما أعاد شيخ الحرم آنذاك بناء المنارة الجنوبية الغربية (منارة باب السلام) وعندما هدمت الطاعقة المنارة الرئيسية (الجنوبية الشرقية) وسببت الحريق الثاني سنة ۲۸۸۸ مـ

ويزيد ذلك تأكيدا ما يذكره ابن المحجوب ، الذى زار المسجد النبوى في القرن التاسع (٤)، عن هذه الصوامع الأربع من أنها (على صفة صوامع مصر وهي من

⁽١) رحلة العبدرى : ورقة ١٦ ب ، حيث يذكر أن ؛ في المسجد ثلاث صوامع اثنتان على الركنين الجنوبيين (صحته الشماليين) وواحدة في مؤخر المسجد (صحته مقدم المسجد ؛ .

⁽٢) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ١٥ .

⁽٣) وفاء الوفا ، جــ٧ ص ٦٧٣ .

⁽٤) ذكر سوفاجيه في عمليله لمصادر كتابه ، المسجد الأموى في المدينة ص ٢٧ أن وصفه للمسجد كان ينبئ بأنه كان حيا في سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٦م .

بخديد ملوك الترك المراه ، وقد أضاف إلى ذلك أن ابن زبالة ذكر أن طولها في زمنه كان خمسة وخمسين ذراعا . وعنده و أن طول هذه الصوامع الموجودة الآن هنالك في هذه المائة التاسعة يقرب من مائة ذراع المراه .

وهو تقدير يختلف عما أثبته السمهودى عند ذرعه لهذه المناثر قبل الحريق الثانى ، إذ يقول معقبا على كلام ابن جبير و فكأن الشاميتين غيرقا بعد ابن جبير فإنهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسية ، لاختصاص الرئيس بها ، وكان طول المنارة الرئيسية في زماننا أولا (قبل الحريق الثانى) من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة وسبعين ذراعا .. وطول المنارة الشرقية الشامية وهي المعروفة بالسنجارية تسعة وسبعون ذراعا . وطول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية النان وسبعون ذراعا ، كل ذلك من أعلى الهلال إلى الأرض الخارجية عن المسجد وبه يعلم أن المنارات التي كانت في زمن ابن زيالة ليست هي الموجودة اليوم وسلام الله .

كما أن ما ذكره السمهودى من مشاهدته لاسم الظاهر بيبرس على خشب السقف القريب من المنارة الرئيسية في مقدم المسجد عند انكشافه في العمارة التي أدركها سنة ٨٨١هـ(٤). وهو مما عمر في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله (أي قبل عمارة الظاهر بيبرس للمسجد النبوي) ، ودليل آخر على كشف السقف مما يلي المنارة الرئيسية التي أعيد بجديدها في عهد الظاهر أيضا . إلا أن نسبة بجديد هذه المنائر إلى الظاهر بيبرس يعتمد على طول المدة التي استغرقتها عمارة المسجد في زمنه ، وعلى الاختلاف الملحوظ بين أرباب الصنائع الذين بعث بهم الظاهر بيبرس سنة ٣٦٣هـ إلى المدينة ، والذين كمان منهم بناؤون وحجارون وقطاعون ومطينون أي أصحاب حرف متخصصة في البناء لم يكن ما يدعو إلى قدومهم إلى

⁽١) ابن المحجوب : قرة المين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٨ أ .

⁽٢) نفس المصدر ، ورقة ٦٨ أ .

⁽٣) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٧ ، ويقصد بكلمة اليوم المتكررة في الكلام المنقول عنه زمن السمهودي المتوفى سنة ٩٩١١هـ .

⁽٤) نقس المصدر ، جـ٢ ص ٢٠٨ .

المدينة إذا كان الأمر قد اقتصر على تسقيف المسجد النبوى الشريف

د ـ درابزين الحجرة الشريفة :

تعتبر حجة الظاهر بيبرس منة ٦٦٧ه. ، كدليل آخر على عنايته بالحرمين الشريفين ، واهتمامه بمشاهدة العمارة القائمة في المسجد النبوى الشريف ، التي أشرفت على الانتهاء عندما زار المدينة المنورة في ذلك العام وأخذ يتفقد ما أنجزه منها مما أولاه كل اهتمامه . وكان لما اقترحه أثناء حجته من إحاطة الحجرة الشريفة يدرابزين من الخشب المخروط ردود فعل مختلفة لم تتضح آثارها إلا بعد ما نصب بدرابزين على الحجرة الشريفة في منة ٦٦٨ه. ، فحجز ٥ طائفة من الروضة الكريمة مما يلي بيت النبي على ومنع الصلاة فيها مع فضلها وفضل الصلاة فيها، (١). وبلغ من اهتمام بيبرس بإقامة الدرابزين توليه شخصيا أمر قياسه بيده فيها» (١). وبلغ من اهتمام بيبرس بإقامة الدرابزين توليه شخصيا أمر قياسه بيده

⁽١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٥ ، البلوى : تاج المفرق في تخليله علماء المشرق جداً من ٢٨٦ ، الاسفراتيني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ورقة ١٨٨ أ ، السمهودي : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٦١٣ . وذكر ابن المحجوب ما سمعه ٥ من زعم يعض الناس أن سبب ذلك حرقة حيض وجدها خدام المسجد المرفع (المقدس) عند رأس النبي 🌣 فأنكر ذلك السلطان يهبرس وأمر بجعل الشهاك ليكون حاجزاً بين الناس وبين القرب من الحجرة الكريمة ، لأن بينه وبين جدارها قريب من سبعة أذرع أو ثمانية .. ٥ قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ أ . وقد ظل هذا الدرابزين موضع جدل ونقاش بين بعض العلماء والسلاطين تارة وبين العلماء أنفسهم تارة أخرى . فقد ذكر ابن جماعة فيما ينقله عنه السمهودي أن الظاهر بيبرس حدث في أمر هذا الدرابزين وما حجز من الروضة الشريفة فلم يلتفت لشيء من ذلك وذكر أنه تخدث شخصيا مع الملك الناصر عندما زار المدينة سنة ٧٣٢هـ في غلق الدرابزين أيام المواسم فسكت ولم يجبه . وذكر السمهودي ما دار بين النجم ابن حجى قاضي الشام والوالي العراقي بخصوص إغلاق أبواب الدرايزين ، وأن اخلاقها لم يتم إلا عندما تولى النجم ابن حجى ديوان الإنشاء فتسبب في بروز المراسيم السلطانية منة ٨٢٨هـ بالأمر بغلقها ، ثم ذكر السمهودي أنه عزم على مفائحة الأشرف قايتماى سنة ٨٨٤هـ بشأن فتح بعض أبواب الدرابزين في غير أيام المواسم . إلا أنه تراجع عندما تبين له إعراض الأشرف من دخول الحجرة الشريفة . ويستدل على وجوب فتحة بما ذكره شرف الدين المناوى : ٥ من أن ذلك المحل من المسجد فإن كان وجود القذر فيه مقتضيا لتعطيله وصيانته بالغلق فليغلق المسجد بأجمعه . فإن حكم الكل واحد من حيث وجوب صونه واختصاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه . انظر وفاء الوفا جــ ٢ ص ٦١٤ ــ ٦١٧ .

وحمل القياس معه إلى القاهرة (١)، حيث صنع الدرابزين بأيدى أمهر الصناع.

وكان من وصفه أنه كان عاليا وقد قدره بعض المؤرخين بقامتين (٢) ، وله ثلاثة أبواب ، أحدها في الجانب القبلي والثاني في الجانب الشرقي والثالث في الجانب الغربي ولهذه الأبواب مصاريع و تغلق بأقفال وثيقة ثم يفتحها خدمة وقود القناديل الغربي ولهذه الكريمة عند دخولهم لوقود القناديل المارد وعلى كل باب منها نص تذكاري يؤرخ لإقامتها أورده البلوي الذي زار المدينة سنة ٧٣٧هـ ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الداربزينة للحرم⁽¹⁾ الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبى الفتح بيبرس الصالحى ، قسيم أمير المؤمنين⁽⁰⁾، في سنة ثمان وستين وستمائة »⁽¹⁾.

ولا بد أن كان هذا الدرابزين دقيق الصنعة متناسبا مع عظمة المكان الذي جئ من أجله وجديرا باهتمام السلطان به شخصيا ، خاصة وأن فن خرط الخشب ونمنمته قد بلغ أوج عظمته في العصر المملوكي(٧)، ويؤكد ذلك المنبر الذي أرسله الظاهر بيبرس إلى المسجد النبوى سنة ٦٦٦هـ ، والذي كانت تتمثل فيه الأساليب الفنية في خرط الخشب وحشواته الدقيقة .

ولعل من المفيد وأنا بصدد الحديث عن الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل

⁽١) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ، ص ٣٥ .

⁽٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ ، المراغى : مُحقيق النصرة ص ٨٥ .

⁽٣) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ ب .

⁽٤) صحتها يزينة الحرم .

⁽٥) من الألقاب الرفيعة المضافة إلى أمير المؤمنين ومعناه مقاسم أمير المؤمنين في سلطانه . وتلقب به بنو بويه في فارس والعراق والسلاجقة في أواخر عهدهم . وفي القرن السابع الهجرى عم إطلاقه على كبار سلاطين العالم الإسلامي ، ثم تلقب به الظاهر بيبرس عندما نقل الخلافة إلى مصر ، وتابعه ملوك المماليك الترك في التلقب به انظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٢٠٤ _

⁽٦) البلوي تاج المفرق في تخلية عسماء المشرق جـ ١ ص ٣٨٦

⁽٧) ركني محمد حسن فنون الإسلاء ص ١٦٧

الصلاة والسلام أن اذكر ما ورد في سيرة الظاهر بيبرس من تعليق الكوكب الدرى على المقام الشريف عندما زار المدينة الشريفة (۱)، وكان قد غنم هذا الكوكب كما يقول مؤلف السيرة من بعض ملوك الهند، ووصفه بأن له نوراً يأخذ البصر فهو كالشمس في وضح النهار وكالقمر في سناه (۲). وقد بالغ مولف السيرة في وصف هذا الكوكب وفي سرور السلطان بيبرس بالحصول عليه، ومع ذلك لا أجد له ذكر عند العبدرى، الذي زار المدينة سنة ٦٨٩هد، ولا عند المطرى المنسوفي سنة ١٤٧هد، الذي هو أقدم من أرخ لتلك الفترة في شيء من الوضوح، وعنده أن علامة الوجه الشريف و مسمار فضة مضروب في رخامة حمراء ه (٣) ولعل هذا المسمار هو ما عناه مؤلف السيرة الذي أسرف في المبالغة والخيال فيما ذكره من حوادث وشخصيات تضمنتها السيرة الذي حاكها عن الظاهر بيبرس.

هــ فرش المسجد النبوس :

كان لابد للمسجد الشريف بعد هذه العمارة من تغيير رمل المسجد القديم بما علاه من آثار الحريق وفرش أروقته برمل جديد كما كان متبعًا بعد كل عمارة . وكان وادى العقيق هو مصدر الرمل دائما⁽³⁾، كما دعا الأمر إلى فرش المسجد وتجديده . ورغم افتقارى إلى دليل صريح عن مصدر الرمل الذى فرش به المسجد منة بعد إكمال عمارة الظاهر بيبرس ، إلا أن ما أورده العبدرى عند زيارته للمسجد منة بعد إكمال عمارة الظاهر بيبرس ، من أنه و مفروش برمل أحمر »(٥). قد يشير إلى أن مصدره كان من وادى العقيق المشهور بحمرة رمله ، بيد أنه يحتمل أن يكون الرمل قد جدد بعد

 ⁽١) لم يحج الظاهر بيبرس إلا مرة واحدة كانت في سنة ٦٦٧هـ . انظر على ابن حسين السليمان:
 العلاقات الحجازية المصرية ص ١٢٩ .

 ⁽٣) المطرى التعريف بما انست الهجرة ، ص ٢٢ ، البلوى : تاج المفرق فى تخلية علماء المشرق ،
 جــ١ ص ٢٨٥ الاسفراتيني : زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٥٩ أ .

⁽٤) ذكر المطرى في المصدر السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٢ عدة أحاديث وردت في فضل وادى العقيق المبارك ولذلك كان الحرص الشديد على فرش المسجد برمل منه تبركا به ولأن لونه أحمر جميل. (٥) رحلة العبدرى : ورقة ١٠٦ أ .

الظاهر بيبرس ، وذلك لأنه طرأ على مقدم المسجد بعد هذه العمارة انخفاض ملحوظ في الحفرة المحيطة بالمقام النبوى الشريف مما يكون قد و تجدد بعد الحريق الأول (١) بالإضافة إلى احتمال بقاء رمل المسجد الأول وآثار سقفه المتهدم ، تحرجا من إخراجه من المسجد (٢) ، أو لأن تفاوت مراحل تعمير مقدم المسجد بعد الحريق فيما بينها (٢) ، سبب ارتفاع أرض رواق القبلة عن مستوى موضع مصلى الرسول على وقد أدرك ابن فسرحون هذا العلو في أرض رواق القبلة عن مصلى الرسول تك وقال أنه ذراع وأنه كان يرى دائما و الشيوخ من أهل الخير ينفضون الرمل من الروضة (٤) ، فينسفونها نسفا بالمساحى حتى يعلو ما حول المحراب من الرخام محافظة على قرب المأموم من الإمام في العلو) (٥).

وقد حاول قاضى المدينة محمد بن سليمان الحكرى المتولى لقضاء المدينة فى حدود سنة ٧٦٠هـ (إزالة الحفرة التى فى انحراب إما بسدها بحصى أو تطبيقها بأحشاب فعارضه الخدام ، فلم يكترث بهم وصنع لها لوحا يقف عليه الإمام ، (٦).

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٣٧٦ .

⁽۲) نقل السمهودى فى وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٥٦ ما رواه الأقشهرى عن شيخ الخدام ظهير الدين ابن عبد الله الأشرفي قال أتانى عام خمسة عشر وسبعمائة رجل من الشام فى موسم الحاج وقال: كنت حججت عام أول ، وحملت شيئا من تراب المسجد وحصبائه فلم أول أراه فى المنام يقول لى : ردنى إلى موضعى عذبتنى عذبك الله ، فها أنا أتيت به . قال : فأخرج صرة فيها ما ذكره فصببناه فى المسجد . وقد أورد السمهودى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٢٠٥ أحاديث تمنع إخراج رمل المسجد منه ، إلا أنه نقل أيضًا عن الإمام مالك ما يفيد بجواز إخراج رمل المسجد منه ، إلا أنه نقل أيضًا عن الإمام مالك ما يفيد بجواز إخراج رمل المسجد منه . كما ذكر فى ص ٢٦٤ أنهم عملوا من الردم الذى أخرجوه من الحجرة الشريفة فى عمارة، قايتباى الأولى دكة بارزة فى مؤخرة المسجد النبوى .

⁽٣) لم يعمر مقدم المسجد في عهد ملك واحد ، وإنما عمر المستعصم العباسي الحجرة الشريفة وها حولها وعمر نور الدين أيبك ويوسف بن وسول من الروضة إلى باب السلام . وعمر قطز إلى باب الرحمة وإلى باب جبريل انظر أعلاه الشكل (٤٩) .

⁽٤) يقصد تقليل ارتفاع رمل مقدم المسجد وذلك يقطع جزء منه .

⁽٥) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ص ٢٠ ، وقد زاد ابن المحجوب في قرة العين في أوصاف الحرمين ورقة ٧٨ ب و أن الحصباء تعوض في كل عام عند انقضاء موسم الزيارة لأجل تلويثه بأوساخ الجهلاء وعدم تعظيم العوام ٥ .

⁽٦) الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ١٦١ ب .

ولكن ذلك لم يدم لعزل القاضي المذكور عن قضاء المدينة بعد ذلك بقليل(١). . وبقى هذا الانخفاض في موضع المصلى حتى قطعت أرض المسجد بعد الحريق الثاني (٢) فاستوى مع بلاط المصلى الشريف .

وفى صحن المسجد احتفظ بالقبة التي عملها الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٧٦هـ والتي سلمت من الحريق لخلوها من الأخشاب وبعدها عن سقوف المسجد ، ويعتقد أن الستائر التي كان يستر بها صحن المسجد أيام الجمع والمواسم ، والتي كان أبو جعفر المنصور أول من استحدثها ثم جددها الرشيد في خلافته (٢)، قد احترقت داخل الخزانة التي شبت فيها النار أول الأمر . ويرجح أن الظاهر بيبرس قد استحدثها من جديد إعتمادا على ما يذكره القرطبي من أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لم يستخدمها عندما جدد البلاطتين اللتين في مقدم المسجد مما يلي صحنه سنة ٧٢٩هـ(٤)، مما يشير إلى أنها كانت مما استحدث بعد الحريق الأول.

واحتفظ المسجد الشريف في عمارة بيبرس بأبوابه الأربعة التي كانت قبل الحريق وهي : باب السلام وباب الرحمة من ناحية المغرب ، وباب جبريل وباب النساء من ناحية الشرق ، (٥)، وكان ذلك مما أدركه المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ .

ومن المفيد أن أختم الحديث عن العمارة التي أتمها الظاهر بيبرس للمسجد النبوى الشريف بما ذكره أحد الرحالة الذين زاروا المسجد بعد انتهاء عمارته بواحد وعشرين عاما فقد وصفه بأنه ١ عالى السمك مبيض مدور بالسقايف(٦)، عجيب المنظر ، ووسطه فضاء مفروش برمل أحمر ، وأساطينه بالفضة عالية متسع ما بينها

⁽١) ذكر الغيروزبادى في نفس المصدر أن الخدام عارضوه فلم يكترث بهم ، فوافق ذلك قدوم ابن جماعة إلى المدينة فانكر عليه ذلك وكتب إلى السلطان يطلب عزله . انظر ورقة ١٦١ ب .

⁽۲) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ص ۳۷٦ .

⁽٣) انظر اعلاه ، ص ١٤٦ .

⁽٤) القرطبي : يهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣١ ، وانظر ابن الضياء : تاريخ مكة المشرقة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ورقة ١٤٤ م. .

 ⁽٥) رحلة العبدرى : ورقة ١٠٦ ب ، الا فرئينى : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ورقة ١٨٦ ب .

⁽٦) يقصد الأروقة المحيطة بالصحن ، أو ما يسميه البعض الظلات

وأوسع سقايفه ناحية الجنوب ، وفيها المحراب وهي خمسة صفوف ، وفي مؤخر المسجد وهي ناحية الشمال أربعة صفوف (١) ، وفي ناحية الشرق ثلاثة صفوف وفي الغرب أربعة صفوف ، وفي الناحية الشمالية في فضاء المسجد بيت مربع مليح هو مخزن المسجد (٢) ، وبالقرب منه نخلات صغار (٣) ، فاخرات (٤) . انظر شكل (٤٩) .

ولم يغفل الظاهر بيبرس بعد هذه العمارة عن الاهتمام بأمر سكان الحرمين الشريفين فجدد بيمارستان المدينة المنورة و الذى أنشأه أبو جعفر المنتصر بالله سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقد اهتم به كثيرا بأن نقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية ، (٦).

وأجرى على أهل الحرمين من الخدام والمجاورين بصفة خاصة وسكان الحجاز من أهل بدر وغيرها بصفة عامة (ما كان انقطع في أيام غيره من الملوك () من جرايات . وظل يهتم بأمر شيوخ المسجد وخدامه ، ومن ذلك أنه عندما قدم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي شيخ خدام الحجرة النبوية الشريفة إلى القاهرة سنة ٦٦٧هـ ، فإنه أكسرمه وقربه ودفع له (زيادة على مائتي ألف درهم) () .

⁽١) هـذا دليل قرى على مخالفة ما ذكر من أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو الذى انقص الظلة الشمالية إلى أربعة صفوف بعد زيادته للبلاطتين اللتين في مقدم المسجد مما يلى الصحن .

⁽٢) أن ما يقصده المؤلف بالمخزن هي القبة التي بناها الخليفة العباسي سنة ٥٧٦هـ . انظر شكل (٢١) .

⁽٣) يقصد حديثة الغرس لم تكبر بعد .

⁽٤) رحلة العبدري (الرحلة المغربية) ، ورقة ١٠٦ أ ، ب .

 ⁽٦) ابن تغری بردی : التجوم الزاهرة ، جـ٧ ص ١٩٤ ، ابن بهادر : فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، جـ٧ ص ١٣٦ .

⁽۷) ابن تغری بردی : النجوم الزاهرة ، جــ۷ س ۱۸۰ .

⁽٨) المقريزي : كتاب السلوك ، جـ١ القسم الثاني ، ص ٥٨٠ .

بهذه الأعمال التي أداها الملك الظاهرة بيبرس للحرمين الشريفين ، وبما كان له من دهاء وحنكة سياسية ، إستطاع أن يفرض زعامة الدولة المملوكية في مصر على العالم الإسلامي آنذاك وكان أول من أقر بذلك خصمه الأول يوسف بن عمر بن رسول الذي أبي في حج منة ١٥٩ هـ أن تظهر أعلامه إلى قرن عرفه قبل أعلام ملك مصر وقد قال لمن أشار عليه بذلك و أتراني أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس وأقدم أعلامي لأجل حضوري ومغيبه ؟ لا أفعل هذا أبدا ، (۱) و ثم قام بكسوة الكعبة وبعض لوازم الحرم المكي (۱) ، بيد أنه يبدو أن ما قام به الملك المظفر في سنتي ١٥٩ ، ١٦١ هـ من إرسال كسوة و البيت المعظم وكسوة الحجرة أنبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، (۱) ، وكان بإذن من الظاهر بيبرس ، وذلك لأنه قد تابع هذا الولاء بإرسال الهدايا في منة ١٦٦هـ، وطلب من الظاهر معاضدته له وشرط له أن يخطب له بيلاده (١) .

* * *

⁽۱) الخزرجى: العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، ص ٢٣٨ . وقد كانت الأوثوبة في ظهور أعلام المحمل إلى رأس جيل حرفة في يوم الوقفة ـ التاسع من شهر ذى الحجة ـ محصصة لمن كانت له السلطة على الحرمين الشريفين ، كما أن ذكر اسم السلطان في الخطبة بالحرمين كان دليلا على الولاء والتبعية لذلك الملك .

⁽۲) القاسي : شفاء الغرام ، جـ. ٢ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

⁽٣) الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن تولي اليمن من الملوك ، ص ٢٣٩ .

رابعاً: اعمال الملك المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الناصر محمد

ا ـ أعمال الملك المنصور قلاوون :

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارته التى أتمها الملك الظاهر بيبرس حتى تولى عرش مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى (7٧٨ _ 7٨٩ هـ) الذى أبقى المسجد النبوى على حالته فيما عدا إقامة قبة على الحجرة الشريفة سنة 7٧٨ هـ وقد صاحبت ظروف غريبة بناءه لهذه القبة التى عرفت بالزرقاء تمييزا لها عن القبة الخضراء التى اتخذت فيما بعد ، إذ جاء أن ناظر قوص ورئيسها كمال الدين أحمد بن عبد القوى الربعى (هو الذى بنى على الضريح النبوى هذه القبة الموجودة الآن (١) على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقصد خيرا وتحصيل ثواب، (٢) . وإقدام شخص على عمل مثل هذا لا بد وأن يكون مسبوقا بموافقة المسئولين في القاهرة أو المدينة على الأقل . غير أن ما ذكره المؤلف من وقوع خصام بينه وبين بعض الولاة في تلك السنة أدى في النهاية إلى وصول (مرسوم بضرب الكمال (٢) أحمد بن عبد القوى الربعي ، واتهام البعض له بأنه أساء بضرب الكمال (٢) أحمد بن عبد القوى الربعي ، واتهام البعض له بأنه أساء الأدب ، بعلو النجارين فوق القبور الشريفة . ومن هذا يستنتج أن منشأ معارضيهم له كان لأسباب منها :

- ا -- حسده بعض المقربين للسلطان ، فأثاروا عليه حفيظته مما دعاه إلى أن يعهد إلى
 الأمير علم الدين الشجاعي بمصادرته وتخريب داره وأخذ رخامها وخزائنها
 لاستخدامها في بناء المدرسة المنصورية بالقاهرة (٤).
- ٢ ـ قد يكون منشأ غضب السلطان عليه هو اقتصاره على أخذ موافقة حكام المدينة
 دون الرجوع إلى السلطان ، وذلك بعد بذل الأموال لهم إذ كثيرًا ما كان ذلك يكفل موافقتهم .

⁽١) زمن المؤلف المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

⁽٢) كمال الدين الأدفوري : الطالع السعيد الجامع أسماء غباء الصعيد ، ص ٨٥ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

⁽٤) نفس المصدر ص ٨٥ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٢٠٩ .

" موقد تكون صراحته في مجابهة المعارضين له بحرمة علو النجارين فوق القبور الشريفة قد أثار غضب الخدام وكبار المجاورين ، فأبلغوا السلطان بأمره ، بما أدى إلى مصادرته وعقابه . وقد رأينا من قبل ما حصل لقاضى المدينة محمد بن سليمان الحكرى في حدود سنة ٢٠٥هـ من عزل وانتصار للخدام الذين عارضوه في محاولته ردم حفرة المصلى الشريف (١) وقبل ذلك بقليل أخذ الخدام وعلى رأسهم شيخ الحرم الشريف يزيدون من ضغطهم على أشراف المدينة وبعض المجاورين (٢) . بسبب علو مكانتهم عند السلاطين ، ومن ذلك مثلا ما قوبل به أحد شيوخ الحرم من اهتمام وعناية عند زيارته للظاهر بيبرس سنة ٢٦٧هـ في القاهرة . ولقد نسب جميع مؤرخي المسجد النبوى هذه القبة إلى المنصور سيف الدين قلاوون (٢) ، وإن كان ذلك قبل انتهاء ناظر التحديد متى بدأ اهتمام السلطان بهذه القبة ، وهل كان ذلك قبل انتهاء ناظر قوص من عمارتها أو أثناء العمارة المذكورة ؟ بيد أنه يبدو من الإعتراض على اعتلاء النجارين فوق القبور الشريفة أن السلطان قلاوون قد أوقفه قبل إنمامها وبذلك وجد نفسنه ملزما بانمام القبة التي صنعت من و أخشاب أقيمت ،

⁽١) انظر أدناه ص ٢٣٣ .

⁽۲) ذكر الغيروزبادى في المغانم المطابة ، ورقة ٢٥٤ أ أن شيخ الحرم النبوى كافور المظفرى الذي ولى مشيخة الحرم من منة ٧٠٠ إلى منة ٧١١هـ قام في وجه الشريف منصور بن جماز عندما أواد إخراج جميع المجاورين من المدينة وذكر السخاوى في التحفة اللطيفة ، جـ١ ص ٢٥٧ ، أن اينال شيخ الذى ولى مشيخة الحرم النبوى منة ٨٨٠هـ ٥ كان شديدا مسريع المبادرة بالتسرب فضللا عن غيره حتى للفقهاء ، وللسلطان إليه ميل تام ، ومبالغة في الثناء على دينه وسيرته ، وذكر في المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٢١ أن شفيع الطواشي أحد الخدام في المسجد النبوى في القرن الثامن كان ٥ من أقدرهم على مخالطة الناس وله صولة عظيمة في المسجد على من يرى منه أدنى مخالفة ، خصوصا من يراه بخالط أهل الشر ... ويعلش باسه من خالط أحدا من المبتدعة وآلفه ٤ .

كما ذكر ابن إياس في بدائع الزهور جـ٣ ص ٢١ أن مثقال الحبشى كان قبل أن يتولى مشيخة الحرم النبوى سنة ٨٧٣هـ (عشير الناس ، كثير الانهماك على شرب الراح ، فمقته السلطان وألب مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب ،

⁽٣) أمثال المطرى ، القرطبي ، الخوارزمي ، الاستمرائيني ، الفيروزبادي ، المراغي ، السمهودي .

وسمررعلى الألواح الخشب بألواح الرصاص الاسفرائيني (٢) وجاء أنها كانت مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها كما وصفها الاسفرائيني (٢) غير أن وصفه مقتصر على الشكل الخارجي للقبة دون أن يذكر شيئا عن طول أضلاع ما ربع منها. وقد وجدت السمهودي يحدد طول أضلاع حايز عمر بن عبد العزيز كما قاسه بنفسه عند بناء الحجرة الشريفة في عمارة قايتباى الأولى سنة ١٨٨ه، ومن المؤكد أن القبة قد أقيمت فوق هذه الجدران مرتكزة على الإسطوانات التي كانت بأركان الحجرة التي كانت أضلاعها كالتالى : الضلع الجنوبي ١٨ ذراعا والشمالي كذلك ، والغربي في حدود ١٩ ذراعا والشرقي ١٨ ذراعا والشرق من القبة دراعا (٣). ومعني هذا أن الأذرع المذكورة هي أبعاد الجزء الأسفل من القبة وهو المعروف بالرقبة ويليها الجزء المثمن الذي به يبدأ تكوين سطح القبة .

وكانت هذه القبة خالية من النقوش والزخرفة كشأن قباب العصر المملوكي الأول⁽³⁾ وقد شاهدها الرحالة المغربي أبو عبد الله العبدوى سنة ٦٨٩هـ أى بعد إنشائها بأحد عشر عاما ، وقال إنها ٥ قبة بيضاء^(٥) إلى الركبة^(٢) مصمتة أيضا ، مليحة عجيبة » ^(٧). وقد استبدل السور (الحظير) الذى كان فوق سطح المسجد بعد الحريق الأول تمييزاً للحجرة الشريفة وصيانة لها ، بدرابزين من الخشب يحيط بالقبة ، ٥ ومخته بين السقفين أيضا شباك خشب يحكيم » (٨) وجاء في نص اخر أن ٥ حول هذه القبة على سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة فيما يقرب

⁽١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٣ .

⁽٢) زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٧ أ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٣ ص ٥٦٦ وما بعدها .

⁽٤) محمد مصطفى غيب : العمارة في عصر المماليك ص ١٩ ، وانظر كمال الدين سامح : تطور القبة في العمارة الإملامية ص ١٩ وما بعدها .

 ⁽٥) يبدو من هذا الوصف أنها لم تطل باللون الأزرق الذي عرفت به إلا فيما بعد .

^{· (}٦) أي مقدار ارتفاع رقبتها عن مطح المسجد .

⁽۷) رحلة العبدري ، ورقة ۱۰۷ أ

 ⁽٨) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٣ ، الخوارزمي : اثاره الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٤.
 السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٢٠٨.

منها ٤⁽¹⁾، وكان القصد من ذلك حماية الحجرة الشريفة بما يصيبها من تسرب مياه الأمطار إليها كما حدث للمدينة سنة ٦٨٦هـ عندما أصابتها الأمطار بأضرار جسيمة ورد ذكرها في الكتاب الذي وصل منها إلى مصر عقب ذلك وفيه أنه و لما كان ليلة الرابع من المحرم سنة ست وثمانين وستمائة أصاب المدينة مطر عظيم وسيول كثيرة ولحق الحرم الشريف لذلك ضرر عظيم ووكف أكثر سطوحاته وأشدها السقف الشمالي وتصرف المطر جميعه إلى وسط الحرم والحجرة الشريفة ، ووكف الماء إلى باطنها من جوانب القبة من شخت الرصاص وليس شخت الرصاص إلا الخشب ويتسلط الماء إلا الحشب لا جبس ولا غيره ، فيخرج الماء من الرصاص إلى الخشب ويتسلط الماء إلى باطن الحجرة والقبة على هودين (٢) متى لحقهما الماء خيف عليهما من الأرضة تأكلهما و (٣).

وكانت الأمطار سببا في استحداث المنصور قلاوون للميضاة التي كانت عند باب السلام وذلك لأن و الأعين قد أتلفها السيل ، وخرب عين الأزرق حتى عادت ملحا أجاجا فكتب بذلك إلى السلطان ٤(٤)، الذى بادر في نفس السنة إلى تأمين الماء لرواد المسجد وزائريه إذ أمر ببناء دار للوضوء في الجانب الغربي من المسجد عند باب السلام وقد شاهدها العبدرى الذى زار المدينة سنة ٦٨٩ هـ أى بعد إنشائها بعامين ، وقال عنها أنها دار متسعة متقنة مزودة بالماء بها عدة مرافق للوضوء ، ثم ذكر أن الناس وجدوا فيها كثيرا من الرفق والراحة (٥٠). وكان المتولى لعمارتها الأمير علاء الدين الأعمى (٢) الذى قدم المدينة لهذا الغرض .

⁽۱) نفس المبدر ، جدم ص ۲۰۸ .

⁽٢) ذكر المطرى في التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٧ وصفا لسقف الحجرة الشريفة فقال إن بين السقفين و الواح قد سمر بعضها إلى بعض وسمر عليها ثوب مشمع وفيه طابق يقفل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي على وبين الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله وما ذكره النص من أن القبة على عودين يشير إلى أنه قد وضع عتبتين كبيرتين فوق رؤوس الاسطوانات التي بأركان الحجرة لم عقد عليهما القبة .

⁽٣) تاريخ ابن الفرات ، جمل ص ٥٢ ، المقريزي : كتاب السلوك جـ١ القسم الثاني ص ٧٣٧ .

⁽٤) نفس المصدر جدا القسم الثاني ص ٧٣٧ .

⁽٥) رحلة العبدري ، ورقة ١٩٤ أ .

٢ ـ أعمال الهلك الناصر محمد ب قلاوون :

لم يتمكن الملك الناصر خلال سلطنته الأولى ٦٩٣ _ ٦٩٤ هـ من القيام بأى عمل يذكر في المسجد النبوى ، وذلك لأن المسجد الشريف كان لا يزال في حالة جيدة ، ولأن الفشرة التي قضاها في السلطنة كانت قصيرة جدا ، لم يتمكن خلالها من الحج أو تقصى أخبار الحجاز ومطالب الحرمين الشريفين ، فضلا عن صغر سنه آنذاك . بيد أن الفرصة قد واتت الملك العادل زين الدين كتبغا ٦٩٢ _ ١٩٢ هـ الذى استولى على السلطنة بعد خلع الملك الناصر محمد ، إذ بدأ في أول سنة تولى فيها ملك مضر في زيادة ارتفاع الدرابزين الذى أحدثه الظاهر بيبرس على الحجرة الشريفة ، وكان ، كما تذكر كتب التاريخ ، نحو القامتين فزاد عليه والملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه ورفعه حتى وصله بسقف الحجرة الشريفة ، وكان قدوم هذا المشبك الخشبي إلى المدينة في موسم سنة ١٩٤ هـ صحبة ولده الذي حج على رأس ركب محمل تلك السنة

ورغم ندرة المعلومات التي بين أيدينا عن الأسباب التي حدت به إلى هذا العمل ، إلا أنه لا يخلو من مغزى مياسى ، أراد به تأليف القلوب حوله ، فقد جاء أنه اهتم بأمر الحجاز وبذل العطاء السخى لأهله رغبة منه في كسب مشاعر الناس وولائهم ، فضلا عما كان يراوده من رغبة في جعل ابنه ، الذي حمل المشبك إلى المدينة ومعه الكثير من الهبات والصدقات ، وليا للعهد من بعده (٢٠). بيد أن الأمور لم تسر في صالحه ووفق تقديره ، فسرعان ما خلعه لاجين عن العرش سنة لم تسر في صالحه ووفق تقديره ، فسرعان ما خلعه لاجين عن العرش سنة ٦٩٦هـ ، ثم عاد السلطان الملك الناصر محمد مرة ثانية إلى عرش مصر ١٩٨٠ سيما الحرم النبوى الشريف ، الذي حظى منه بالكثير من أعمال العمارة والترميم وهو ما أعرضه فيما يلى حسب ترتيبه الزمنى :

⁽۱) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٥ ، الاسفرائينى : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٨ ب ، الخوارزمى : إثارة الترغيب والتشويق ص ٣٣٥ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦١٢ .

⁽٢) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصربة ص ١٣٥.

أ ـ تسقيف الروضة الشريفة سنة ٧٠١ هـ :

كان أول عمل للسلطان الناصر محمد بن قلاوون في الحرم النبوى الشريف في سلطنته الثانية ٢٩٨ ـ ٧٠٨ هـ مجديده في سنة ٢٠١ هـ د لسقف الرواق (البلاط) الذي فوق الروضة الشريفة ٤(١). ولعل السبب في مجديد هذا البلاط وحده دون بقية المسجد الشريف ، إصابة بعض خشبه بتلف من جراء المطر الذي تسرب من قبة الحجرة الشريفة وما يليها في سنة ٦٨٦ هـ(٢).

ويبدو أنه لصغر المساحة التي جددت ، ولما للروضة الشريفة من قدسية على بقية أنحاء المسجد النبوى (٣) ، فقد أولاها السلطان مزيدا من العناية والاهتمام ، فظهرت فيها الصنعة مختلفة عن بقية أنحاء المسجد الشريف ، رغم صغر الفترة التي استغرقتها عمارتها . فقد كان ابتداء العمل كما ذكر في النص التذكاري المحفور في السقف و في شهر ربيع الأول ، وانتهاؤه في جمادي مستهل الأخير سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية ٤ (٤) ، وذلك حرصا على عدم تعطيل الصلاة في الروضة الشريفة فترة طويلة ، واستخدمت في تزيينها النقوش الكتابية المنقورة في الروضة الشريفة فترة طويلة ، واستخدمت في تزيينها النقوش الكتابية المنقورة في عيسي البلوي سنة ٧٣٧هـ وانفرد دون بقية المؤرخين بذكر ما بها من كتابات إذ يذكر أن من أبدع ما رآه وأبرعه و قصيدة فريدة كتبت بالخط المذهب الرائق البديع يذكر أن من أبدع ما رآه وأبرعه و قصيدة فريدة كتبت بالخط المذهب الرائق البديع وأثبتت في ألوان الأزهار (٥) التي تخجل زهر الربيع ، ورفعت أمام المقدسة (٣) في سقف المسجد الشريف الرفيع فنحلت القراطيس لؤلؤها ، ونقلت كل ما كان قبلها وبعدها ، وها هي تسفر عن غرتها الواضحة ، وتعبق عن نسمتها النافحة وتشهد وبعدها ، وها هي تسفر عن غرتها الواضحة ، وتعبق عن نسمتها النافحة وتشهد

⁽١) الاسفرائيني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٦ ب.

⁽۲) انظر أعلاه ص ۲٤٠ .

⁽٣) اختصها رسول الله على بالتعظيم فقال فيها حديثه المشهور 1 ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة 1 .

⁽٤) البلوى : تاج المفرق في تخلية علماء المشرق ، جـــ١ ص ٢٨٥ .

⁽٥) وردت في النسخة المحققة الأذهان ، وهي كلمة لا يستقيم معها المعني .

⁽٦) يقصد بها الحجرة الشريفة .

لناظمها بالقريحة الراجحة والعقيدة الصالحة ١٠١٠).

ثم أورد نص القصيدة مسبوقة بالبسملة والصلاة على النبي 📽 على النحو التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . عليك رسول الله يا منزل الهدى بنفسي وإن كانت أقل من الفدا ويا بيت حيا ومشواه ميتا لك الفخر في حاليك بيتا ومشهدا مهادا من الفردوس فيسك ممهدا سقى الله منك الترب أفضل ما سقى وصلى على من حل فيــك موســـدا فيا منزل الأبرار جييت منزلا ويا مسجد الأبرار شرفت مسجدا كأنى أرى صحب النبي محمد بأرجائك انبشوا ركوعها سجدا تطوف يها الأملاك مثنى ومفيردا أخبص به خيسر الأنبام محمسدا . سلام ورضوان وروح ورحمه على روحه ما راح ساع وما غدا وأشرف خلق الله نفسسا ومحتسدا وأطيبهم خيما(٢) وأطيب مولدا ويا صفوة الرحمن من خير خلقه وأطولهم حولا وأعظهم سوددا وأن رسول الله حقا(٤) محمدا إلى خلقه واختارك اللمه سيسمدا

سلام كنشر الورد من مسقط الندا ويا مهبط الأملاك والوحى لم تزل ويا تربــة المختــار أفديـــك تربـــة تضمنت أعضاء الرسول مبوءا ففيك بدت من جنة الخلد روضة سلام من الرحمن يذكو أريجــه فيا خير أهل الأرض بيتا وعنصرا وأوسعهم خلقا وأزكى خلائقا شهدت بأن الله لا رب غيره وأشهد أن الله أهسداك رجمسة

⁽١) البلوى : تاج المفرق في تخلية علماء المشرق جـ١ ص ٢٨٣ .

⁽٢) يقصد بها الحجرة الشريفة التي عرفت بالزوراء بعد تحريف عمر بن عبد العزيز أجانب الحائز الشمالي خوفا من الصلاة إليها تشبيها بالكعبة الشريقة ، انظر أعلاه ص ١١٢.

⁽٣) الخبم الطبعة والسجية .

⁽٤) صحتها حقاً وقد وردت خلقاً .

ويا خير من بالمعجسزات تفسيردا وما ناح طير في الغصون مغيردا وصلى على الأبسرار أهلك أنهم بنورهم يأتم من قد تزهدا هم القوم عنهم أذهب الرجس كله وركب فيهم كل خير وأرجدا وصلى على أصحابـك الغر إنهـــم بجوم بها ينجو غدا من بها اهتـــدى على المصطفى المختار ما اتصل المدى(١)

فصلى عليك الله يا خيسر مرسل وصلى عليـك الله ما لاح بــارق صلاة الا همى والسلام مضاعف

وقد ذكر أنه بعد هذه القصيدة الجيدة النظم والمعنى مكتوب بالسقف نفسه نص دعائي وتأسيسي هذا نصه :

 اللهم أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين لعبدك المسكين الذي أوليته أمور المسلمين واخترته على كثير من العالمين السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، وأبو المعالى محمد قسيم أمير المؤمنين(٢) سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، قاهر الفجرة والمتمردين ، حامي حوزة الدين سلطان الديار المصرية والعراقية ، والبلاد الشامية مالك البحرين (٢) خادم الحرمين الشريفين(١) ولد السلطان المرحوم الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي أدام الله أيامه، ونشر في الخافقين رايته وأعلامه ، وجعل السعد والإقبال حيثما توجه أمامه ، وكان ابتداء العمل في شهر ربيع وانتهاؤه في جمادي مستهل الأخير سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية ، (٥).

⁽١) البلوى : تاج الفرق في تخلية علماء المشرق جــ ١ ص ٢٨٣ _ ٢٨٤ .

⁽٢) انظر ص ٢٣١ الحاشية رقم ٥.

⁽٣) يقصد بالبحرين البحر الأبيض والأحمر . وهو لقب كان يرادفه ملك البرين في معظم الأحيان ، وقد تلقب به مجم الدين أيوب منة ٦٤٧هـ وكذلك قلاوون الصالحي وابنه الناصر محمد في هذا النص . انظر حسن الباشا : الألقاب الإصلامية ، ص ٢٠٤ وما يعدها .

⁽٤) هو لقب تسمى به صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ . ثم بيبرس عندما سيطر على مكة والمدينة حيث يقع الحرمان الشريقان . ثم احتفظ بقية السلاطين الماليك بهذا اللقب الذي أصبح من مميزات السيادة عندهم . انظر حسن الباشا : للرجع السابق ص ٢٦٧ .

⁽٥) البلوى : تاج المفرق في تخلية علماء المشرق جــ آ ص ٢٨٣ _ ٢٨٥ .

ومع احتفاظ البلوى بهذا النص التاريخي فإن نوع الخط وزخرفة الخشب ونفقات العمارة لم يتوفر لى معرفته من أى مصدر آخر ومع ذلك لابد من الافتراض أن الخط لم يخرج على أية حال عما نقشت به النصوص التذكارية في العصر المملوكي ، الذي كانت فيه (للخط التذكاري اللين السيادة المطلقة ٤(١)، بعد أن تقلصت مكانة الخط الكوفي التذكاري في أواخر العصر الأيوبي .

وأما زخرفة الخشب فيبدو أن الغلبة فيها كانت للسمة التي ميزت سقوف العمائر المملوكية وهي تقسيم السقف (إلى مناطق مستطيلة تخيط بها مربعات صغيرة ، أو قصع مقعرة مستديرة ... عموهة بالذهب واللازورد (٢٠).

ب _ زُجِديد سقفي الرواقين الشرقي والغربي سنة ٧٠٥ _ ٧٠٦ هـ :

بقى سقفا المجنبتين الشرقية والغربية محتفظين بتجديد الملك الظاهر بيبرس لهما، وكل منهما سقف فوق سقف على صفة سقف مقدم المسجد كله ، وما أنجز منهما في عهد الملك المظفر سيف الدين قطز . ولم يطرأ عليهما أى تغيير حتى كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، وبتحديد أدق حتى سنة خمس وسبعمائة (٢)، عندما عزم هذا الملك لأسباب مجهلها على إعادة سقفى هاتين الظلتين على هيئة السقف الشمالي للمسجد النبوى ، الذي جعله الظاهر بيبرس كما عرفنا من قبل سقفا واحدا .

ومع غموض الدوافع التي حدت بهذا السلطان إلى مجديد السقفين المذكورين دون غيرهما ، فإننا نستطيع من خلال استقراء الأحداث التي عاشتها مصر في تلك الفترة أن نضع أيدينا على بعض هذه الأسباب وفي مقدمتها السببان التاليان :

١ _ رغبة السلطان في كسب ود الرأى العام والظهور أمام العامة _ اللذين سروا

⁽١) إبراهيم جمعة ، دراسة في تعلور الكتابات الكوفية ، ص ٧٧ .

⁽٢) محمد مصطفى بخيب : العمارة في عصر المماليك ، ص ٢٣٧ .

 ⁽٣) الأسفراتيني : زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٦ ب . الفيروزبادي : المغانم المطابة ،
 ورقة ٨٩ ب ، السمهودي : وفاء الوفا جــ١ ص ٦٠٥ .

لعودته إلى الحكم مرة ثانية _ بالمظهر التقليدى الذى يلجأ إليه السلاطين عادة عندما تهتز عروشهم ، وهو حماية الحرمين الشريفين والاهتمام بشئونهما (١) ، وقد رأينا كتبغا بلجأ إلى هذه الوسيلة في أول سنة من سلطنته عندما كان يمهد الأمور بجعل ولاية العهد لابنه .

٢ - ظهور بعض الخلل في بعض هذين السقفين من جراء المطر الذي أصاب المدينة المنورة سنة ٦٨٦هـ، والذي يقول عنه ابن الفرات أنه « لحق الحرم الشريف لذلك ضرر عظيم ووكف أكثر سطوحاته ه(٢).

ومن المعروف أن الأرضة تصيب الأجزاء التي يصلها الماء من السقف وأن أثرها لا يظهر إلا بعد فترة ، الأمر الذي يؤكد ظهور بعض هذه الأضرار في زمن الملك الناصر الذي بادر إلى استغلالها في تدعيم الأهداف المذكورة أولا.

⁽١) على بن حسين السليماني : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١١٥ . وبما يناسب هذا ، حرص السلاطين على اختيار أصلح الأمراء وأفضلهم لقيادة ركب المحمل المتوجة إلى الحجاز وحثه على الرفق بالناس ومساعدتهم وملاحظة ذلك من سيرته مع الحجاج عند عودتهم ومن هذا ما حدث في سنة ٧٠١هـ عندما قابل السلطان الملك الناصر أمير الحج المصرى عند بركة الحاج خارج القاهرة ، ٥ وهو الأمير سيف الدين يكتمر الجوكندار فنزل عنده ثم طلع إلى القلعة ودخل المحمل إلى القاهرة ، وشكروا الحجاج من الجوكندار (هكذا) ودعوا له على ما فعله وذكروا من إحسانه وبره وصدقته على جميع الناس ، وأنه أنعم على أبو نمى (هكذا) وعلى أولاده بمائة ألف درهم وأنه أعطا (هكذا) جمعيع الجاورين بمكة ولما وصل إلى مدينة الرصول على خلع على صاحبها وعلى أولاده وأعطاه شيء كثير وحكا (هكذا) الشيخ الإمام سيف الدين على الأملى بالقاهرة وكان الجوكندار قد أخذه معه . أن الأمير سيف الدين الجوكندار لما دخل إلى الحرم النبوى أخلاه وأحد أولاده وعياله وماله وجميع ما كان معه وأتا (هكذا) إلى الحجرة النبوية وقدم الجميع بين يدى الرسول على وسأل الرسول قبول ذلك وحاهده على أشياء من فعل الخير والمعروف بقية عمره . وذكروا أن جملة ما أنفقه خمسة وثمانين ألف دينار مصرية وأنه عندما ينزل في المنزلة يحضر الوازنين ويزن من الزاد ويعطى لكل إنسان ما يكفيه هو وجماعته من أهل المركب من المحتاجين وغيرهم وكل ذلك يباشره ينفسه ولا يتكير ولا يكرهه يل هو مقبل على فعل الخير مستبشرا بذلك ١ أ. انظر : تاريخ سلاطين المماليك ، لجهول ، ص ١٠٤ . (٢) تاريخ اين الفرات ، جـــ مل ٥٢ .

وكعادة المصادر في إجمال الكلام عن معظم الأعمال التي تمت في المسجد النبوى الشريف في عهد المماليك البحرية ، فإنها أجملت كذلك فيما ذكرته عن عمارة هذين السقفين إذ لم تزد في وصفهما على أن كلا منهما جعل اسقفا واحدا شبه السقف الشمالي فإنه جعل في أيام الملك الظاهر كذلك (١) ويغلب على الظن أن يكون على شاكلته في نوع الخشب والطلاء المستخدم في عهد الظاهر بيبرس ، وهو كما سبق وصفه حشب الزان المدهون بالذهب واللازورد .

وعلى أية حال فإن الأعمال التى صاحبت بجديد هاتين الظلتين كانت كثيرة وهامة وقد تطلبت من الملك الناصر محمد بن قلاوون إعداد الأموال الكثيرة للصرف عليها وعلى القائمين بها ، وذلك لأن مجديدهما اقتضى نزع الأخشاب القديمة ، واستبدالها بأخشاب جديدة مجمع بين الصفتين اللتين كانت تتميز بهما الأخشاب القديمة ، وهما القدرة على مخمل ضغط البناء وجمال المنظر مما يلى الأخشاب القديمة ، وهما القدرة على مخمل ضغط البناء وجمال المنظر مما يلى أرض المسجد . وتسقيف هذا الجزء من المسجد في المدة الزمنية التي حددها بعض المؤرخين بسنتي خمس وست وسبعمائة (٢) ، وهو في الحقيقة زمن يتناسب مع المؤرخين بسنتي خمس وست وسبعمائة (١٠) ، وهو في الحقيقة زمن يتناسب مع كبر المساحة التي تغطيها هذه السقوف والتي تقدر بـ ١٠٧٧٣ ذراعا مربعا على رأى من قال أن المسافة عشرة أذرع ، وبـ ١٣٣٠٠ ذراعا مربعا على رأى من قال أن المسافة عشرة أذرع (٢).

جــ بناء منارة باب السلام سنة ٧٠٦ هـ :

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بمناثره الثلاث منذ تأسيس عمر بن عبد الملك العزيز لها أول مرة فيما بين ٨٨ ـ ٩١ هـ عندما كان واليا للوليد بن عبد الملك على المدينة المنورة . وقد جاء بناء منارة باب السلام في بداية القرن الشامن ليضع

⁽۱) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ٨٩ ب ، السمهودى : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٢٠٥ .

⁽٢) المطرى : المصدر السابق ص ٢٥ .

⁽٣) عن الذراع ومقداره من المتر انظر حاشية ٤ ص ٣٤ من الرسالة .

نهاية لما تناقله المؤرخون من أن سليمان بن عبد الملك هدم المنارة الرابعة المطلة على دار الإمارة أثناء حجه سنة ٩٧هـ . وفي حديثي عن العمارة الأموية أبديت تشككي في صحة ذلك ، مستعينا بما ذكره ابن فرحون ، الذي عاصر حفر أساس هذه المنارة سنة ٧٠٦هـ، من عسدم وجود أي دليل على أثر هذه المنارة في الموقع المذكور (١).

والحديث عن بناء هذه المنارة أتناء الكلام عن أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون لا يعنى بالضرورة أنه هو الذى فكر فى إنشائها وقام بالنفقة عليها ، وإنما يرجع ذلك إلى شيخ الخدام (٢) آنذاك كافور المظفرى (٣) ، الذى أخذ مصاريف عمارتها من حواصل الحرم النبوى الشريف وبيع بعض قناديله . وسبب الحديث عنها ضمن أعمال الملك الناصر هو وقوع تاريخ عمارتها فى سلطنته الثانية ، ثم لوصول المراسيم من قبله بالإذن لكافور فى بنائها خاصة وأن الحجاز كله كان يدين بالولاء منذ زمن طويل للدولة المملوكية التركية التى كان على رأسها فى ذلك الزمن الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وكان بين التفكير في إنساء هذه المنارة وبين إقامتها وقت كبير فابن فرحون يقول أن كافور المظفرى استغل وصول الأميرين بيبرس وسلار إلى المدينة لأداء فريضة الحج وكان له عليهما فضل في صغرهما « فكلمهما في بناء المنارة التي بباب السلام اليوم فأنعما » (٤) وحجة الأمير سلار المشار إليها كانت سنة

⁽۱) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣ . وقد رد عليه السمهودى باحتمال وجودها فوق مطح المسجد دون عمل أساس لها في الأرض . ولكن سوفاجيه يعارض السمهودى بأدلة قوية . انظر أعلاه ص ١٢٣ .

 ⁽۲) وجدت بعض المصادر تذكر شيخ الخدام وأخرى تذكر شيخ الحرم المدنى ولا أعرف هل هما اسمان لوظيفة واحدة أم هما وظيفتان مختلفتان .

⁽٣) ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة ، جـ٣ ص ٣٤٧ فقال أنه : ٥ ولى مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة منة سبعمائة فأتر أثارا حسنة منها المتارة التي على باب السلام في منة ٢٠٧هـ وكانوا يأخذون سعف الجريد كل ليلة بعد العشاء في المسجد ، ويخرجون بها ، فجعل بدل ذلك الفوانيس ، ومات سنة ١٧١هـ ٥ .

⁽٤) نصّيحة المُشاور وتعزية الجماور ، ص ٣٣ ويقصد بكلمة اليوم ، زمن ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩هـ .

٧٠٣هـ(١) ويبدو أن الأمر بقى معلقا حتى اضطر شيخ الخدام إلى أن يكتب إلى السلطان سنة ٧٠٥ هـ يستأذنه كما يقول ابن كثير و في بيع طائفة من قناديل الصرم النبوى لينفق ذلك ببناء مأذنه عند باب السلام عند المطهرة فرسم له بذلك، (٢) وعند ذاك شرع شيخ الخدام فور موافقة السلطان في إعداد المواد اللازمة لبناء المنارة ، ومنها الأحجار المنحوتة وهي المادة الأساسية فيها (٣). وبدأ أيضا في بيع بعض القناديل ، التي قيل أن من جملتها و قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار، (٤) وصرف من قيمتها على حفر أساس المنارة وجهيز مؤنتها . وعندما تأخر قدوم العمال الذين وعده بهم السلطان شرع في وضع الأساس بمن و كان بالمدينة قدوم العمال الذين وعده بهم السلطان شرع في وضع الأساس بمن و كان بالمدينة يتعانا (هكذا) البناية) (٥) ، وقد دعاهم للاستعانة بخبرتهم وتجربتهم ، ولكن

⁽١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٣٦ ، وسبب سؤال شيخ الخدام لهما دون السلطان هو أنها كانا مسيطران على أمور الملك الناصر في ذلك الوقت . انظر أدناه ص٢٥٩ الحاشية رقم ٢ .

⁽۲) البداية والنهاية ، جدة ١ ص ٣٨ . وانظر العينى : عقد الجمان ، جد٢٥ ص ٢٤ . ويدو أن التفكير في أمر يبع قناديل الحجرة الشريفة قد أثار جدلا كبيرا بين العلماء في مصر الأمر الذي أخر السماح لشيخ الحرم في المشروع في يبع القناديل وبناء منارة باب السلام في منة ٣٧٠هـ إلى سنة ٥٠٧هـ وهو ما يشير إليه السبكي المتوفي ٢٥٦هـ عندما يقول في تنزيل السكينة على قناديل المدينة ص ٢٧٥ و أنه بلغني أنه وقع كلام في يبع القناديل الذهب التي هي بحجرته المقدسة التي هي على الخير والتقوى مؤسسة ليصرف ثمنها على عمارة الحرم ، فحصل لي من ذلك هم وغم فأردت أن أكتب ما عندى من ذلك فأقدم حديثا صحيحا يكون في الاستدلال من أوضح المسائك ، ثم قال بعد ذلك : و وسبب كلامي في ذلك أنني سئلت عن يبع القناديل الذهب التي بالحجرة الشريفة المعظمة ، وأن بعض الناس قصد بيعها لعمارة الحرم الشريف المنبوى على ساكنه أفضل الصلاة والمسلام والرحمة . فأنكرته واستبحته ، ويدو أن السؤال قد وجه إليه من قبل السلطان الملك الناصر أو من يبرس وسلار .

⁽٣) يقول توفيق أحمد عبد الجواد في تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، ص ٥٥ ، أن ١ استعمال المواد في بناء المآذن يتوقف على مادة البناء المستعملة في الأقاليم ، ففي أسبانيا مثلا استعمل الحجر ، وفي المغرب الطوب ، وفي مصر الحجر ، وكذلك في الشام وآسيا الصغرى واستعمل الطوب في إيران وأفغانستان ١ .

⁽٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٤ ص ٣٨ ، العيني : عقد الجمان ، جـ ٢٥ ، ص ٢٤.

⁽٥) ابن فرحون : نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣ .

رئيس العمال ، الذين بعث بهم السلطان من مصر لمباشرة البناء ، رأى عدم بقاء هذا الأساس لأنه لا يأمن عاقبته وأن واجب الصنعة يقتضى هدمه ، (١) بيد أن إصرار كل منهما على موقفه ، اضطر الأخير إلى العودة إلى مصر تاركا بقية العمال تخت تصرف شيخ الخدام ، الذى ثاير على الإشراف عليهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه فجاء العمل و وثيق المبنى رشيق الصورة والمعنى يفاخر القرائن من المآذن حسنا ، (٢).

وكانت أطوال منارات المسجد آنذاك ، وقال عنها السمهودي و وقد ذرعتها من أعلى هلالها إلى الأرض ، فكان ذلك خمسة وتسعين ذراعا ، (٣).

ومن المسلم به أن يكون هؤلاء العمال الذين قدموا من مصر قد اتبعوا قيها الطراز الفنى السائد في مخلية المنائر المملوكية في مصر ، التي تمتاز (برشاقتها وتناسب أجزائها (٤) ويؤيد ذلك ما يذكره ابن المحجوب الذي شاهد منائر المسجد النبوى في أوائل القرن التاسع إذ يذكر أنها (على صفة منائر مصر)(٥) انظر موقعها من الشكل (٥١).

ومما يدل على ما كان لهذه المنارة من أهمية آنذاك في إبلاغ نداء الحق إلى

⁽١) نفس المصدر ، ص ٣٤ .

⁽٢) الغيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ٢٥٣ ب .

⁽٤) محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ، ص ٢٣٨ .

⁽٥) ابن المحجوب: قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٢٦٨ ، وقد ذكر محمد مصطفى بخيب في المرجع السابق ص ٢٣٨ . أن المناثر المملوكية ٩ تتكون من قاعدة مربعة مرتفعة ٩ وضرب لذلك مثلا من المناثر القائمة الآن في القاهرة كمثذنة المنصورة قلاوون بالنحاسين ومثذنة قوصون بالقرافة الصغرى ثم قال : ٩ أما الأدوار التي تعلو القاعدة فهي على شكل مثمن فتحت فيه شرفات (بلكونات) ثم يلي هذا بدن مستدير تخيط به دورة تعتمد على حطات من المقرنصات ، ثم يعلو هذا جوسق يرتكز على أعمدة حجرية أو رخامية يحمل الخوذة العلوية للمثدنة ، وهي ذات أشكال مختلفة إما على شكل مبخرة أو قلة وهو النظام السائد ٤ . وانظر ما ذكره أحمد توفيق عبد الجواد في تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ص ٥٥ وما بعدها .

إحياء المدينة وخاصة في الغرب منها ما يذكره ابن فرحون من أن (العمل اليوم (في زمنه) عليها لأنها متوسطة المدينة ((). وقد شرح قول رئيس المؤذنين حينذاك من أنه لو تركت له هذه المأذنة لكفي بها المدينة بأن (المدينة من جهة الشمال قليلة العرض وإنما امتدادها وقوة عمارتها وكثرة أبياتها من جهة الغرب (٢).

ولم يقتصر عمل شيخ الخدام كافور المظفرى على ذلك وإنما ينسب إليه كذلك أنه استحدث طريقة جديدة في إخراج الناس من المسجد بعد صلاة العشاء حلت محل الطريقة القديمة التي قال عنها البعض أنها كانت بدعة سيئة ، ووذلك أنهم كانوا قبل الحريرى وصدرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام وبعض الفراشين شعلا من سعف فيطوفون بها عوض الفوانيس يجرون بها كأشد ما يكون من الجرى فإذا وصلوا باب النساء خرجوا بها وخبطوا بما تبقى معهم منها فكانت تسود المسجد وتسود بابه أيضا وفيها من البشاعة ما لا يخفى فأمر بالفوانيس عوضها ه (٣) وينم عمل شيخ الخدام عن ذوق وحرص على خدمة المسجد وحسن إدارته على أحسن وجه ، وقد ظل يؤدى ذلك طوال خدمته التي استمرت من سنة ٥٧هـ إلى سنة

د ـ زيادة بلاطتى رواق القبلة سنة ٧٢٩ هـ:

روعى في جميع عمائر المسجد النبوى الشريف التي تلك عمارة سيدنا عثمان رضى الله عنه ، المحافظة على عدد البلاطات التي تتكون منها ظلة القبلة (مقدم

⁽١) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٤ .

⁽٢) نفس المصدر ص ٣٤ .

⁽٣) ابن فرحون : المصدر السابق ص ٣٥ . وقد زاد الفيروزبادى في المغانم المطابة ، ورقة ٢٥٣ ب في وصف الطريقة الجديدة فقال : ٥ وأمر كافور أن تبدل بالشموع الزواهر أحسن إبدال ويحملها فتيان من الصقالبة الحاكين في الانتظام سلك الآلي ، ومن سمتهم أنهم إذا وصلوا حذاء باب كافور وضعوا الفوانيس لحظة ثم رفعوها ايذانا بهذا الحال ٤ .

⁽٤) ابن حجر المسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ٣ ص ٣٤٧ .

المسجد ، رواق القبلة) فلم يجرؤ الوليد بن عبد الملك أو المهدى العباسى على زيادة عدد هذه البلاطات التى تتكون منها ظلة القبلة فى المسجد الشريف . وقد وجدا السبيل لتوسعة المسجد بزيادة عرضه إلى الشرق والغرب وبذلك زاد بهذا الامتداد الجزء المسقوف من المسجد ، هذا بالإضافة إلى زيادة المسجد فى مؤخره ، وهو ما تم فى العمارة التى قام بها الوليد والمهدى .

وبقى هذا التقليد محافظا عليه حتى أمر الملك الناصر فى سنة ٢٩هـ بزيادة بلاطتين معترضتين فى مؤخرة مقدم المسجد مما يلى الصحن (فاتسع ظل السقف القبلى بهما وعم نفعهما ٤(١) (انظر شكل ٤٩) ، وكان فى ينائهما غنى عن الستور التى كانت تنصب على صحن المسجد أيام الجمع والمواسم منذ جددها هارون الرشيد فى خلافته بعد أن تركها المنصور سنة ١٤٥هـ(٢) حتى أقام الناصر محمد بن قلاوون هاتين البلاطتين فتركت هذه الستور (١٥).

ويذكر السمهودى أنه أدرك مؤخر المسجد وبه أربع بلاطات فقط ثم يقول :

« فكأنه لما زيد بعد الحريق الأول الرواقان (البلاطتان) في مسقف القبلة ،
اختصروا رواقا (بلاطة) من السقف الشامي فأدخلوه في صحن المسجد ه (٤) ثم يضيف إلى ذلك « ولم أر من نبه على ذلك من المؤرخين ه (٥). بيد أن ما يذهب إليه السمهودي لا يتعمد على أساس صحيح ، وذلك لأن الرحالة المغربي أبو عبد الله العبدرى ، الذي زار المدينة المنورة سنة ٦٨٩هـ ، ولم يكن ما كتبه من المصادر التي اعتمد عليها السمهودي ، يقول عند وصفه للمسجد الشريف ، وأوسع التي اعتمد عليها السمهودي ، يقول عند وصفه للمسجد الشريف ، وأوسع

⁽١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٥ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٠٥ .

⁽٢) كان أبو جعفر المنصور أول من استحدثها منة ١٤٠هـ بيد أن محمد بن عبد الله العلوى قطعها حين خرج على العباسيين منة ١٤٥هـ . ثم جددها الرشيد وظلت تستخدم إلى أن أبطلها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

⁽٣) القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣١ ، ابن الضياء : تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف ، ورقة ١٤٤ ب .

⁽٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٧١ .

⁽٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٧١ .

سقايفه ناحية الجنوب وفيها المحراب وهي خمسة صفوف ، وفي ناحية الشمال أربعة صفوف^(١).

ويدل هذا الوصف لبلاطات مؤخر المسجد في وقت قريب من إتمام عمارة الظاهر بيبرس له سنة ٦٦٨هـ على أن انتقاص البلاطة الخامسة من السقف الشامي أي مؤخر المسجد ، كان في العمارة التي قام بها الظاهر بيبرس لهذا الجزء من المسجد ، وينفي أيضا ما ذهب إليه السمهودي من إسناد انتقاص الرواق إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون إذ أنه لو كان الأمر كذلك لما خفي على أحد من الناصر محمد أنهم ذكروا في شيء من التفصيل عمارة الناصر للبلاطتين المتين كان انجاه بوائك العقود فيهما عموديا على جدار القبلة ، كما تقتضى القواعد الهندسية .

وقد يذهب الظن إلى أن انتقاص البلاطة المذكورة من السقف الشامى كان بعد عمارة الظاهر بيبرس للمسجد النبوى الشريف ، وذلك بسبب المطر الذى أصاب المدينة المنورة سنة ٦٨٦ هـ بأضرار جسيمة ، وكان منها إصابة سقوف المسجد بوكف شديد وأشدها ما أصاب (السقف الشمالي)(٢) كما يقول ابن الفرات . بيد أن أحدا من المؤرخين لم يذكر أدنى إشارة إلى ذلك ، فضلا عن أن انتقاص البلاطة المذكورة يقتضى القيام ببعض الأعمال المعمارية الضرورية ومنها إصلاح السقف والواجهة المطلة على صحن المسجد بحيث يتسقا مع بقية عمارة المسجد الشريف ، وهي أعمال تقتضى وقتا ومالا ولا يظن أن تسجيل ذلك يفوت على أحد من المؤرخين .

ومهما يكن من أمر فإن أحدا من المؤرخين لم يشر إلى ارتفاع سقفى البلاطتين اللتين زادهما الناصر محمد ، سوى ما أشار إليه السمهودى عند ذكره بجديد الأشرف برسباى سنة ٨٣١هـ لهاتين البلاطتين من أنه ٥ سقف واحد في موازاة سقف المسجد الأسفل ٥(٣) لذلك يبدو أن سقفى البلاطتين المذكورتين كانا

⁽۱) رحلة العبدري ، ورقة ١٠٦ أ .

⁽٢) انظر أعلاه ص ٢٤٠ .

⁽٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٣ ص ٣٠٥ ، ويقصد بسقف المسجد الأسفل ، السقف السفلى الذي يلى أرض المسجد الشريف .

فى سنة ٢٩٩هـ أى فى عمارة الناصر محمد ، على مستوى سقف ما جدده برسباى (١) بيد أن هذا المستوى ينخفض قليلا عن مستوى سقفى الجنبتين ، اللتين جعل كل منهما فى سنة ٢٠٦ هـ سقفا واحدا بارتفاع سقف مؤخرة المسجد (٢) . وبذلك لم تكن سقوف المسجد النبوى على مستوى واحد أما إذا كانت سقوف المجنبتين ومؤخر المسجد فى مستوى السقف الأسفل لمقدم المسجد ، الذى جعل على مستواه سقفا البلاطتين اللتين استحدثهما الناصر محمد سنة ٢٧٩هـ فتكون على مستوى واحد ، وتكون سطوحه من قبل السماء بذلك جميع سقوف المسجد على مستوى واحد ، وتكون سطوحه من قبل السماء متباينة المستوى ، بحيث كان سطح مقدم المسجد ببلاطاته الخمس يعلو على مستوى بقية السطوح (٣) . انظر شكل (٥٢) .

ولم يلبث أن استغل بعض أهل السنة من سكان المدينة بناء الناصر محمد للبلاطتين المذكورتين ، فعمدوا إلى هدم المقصورة التى شيدها كبار الشيعة مما يلى الجهة الشمالية للحجرة الشريفة لأنها تعوق امتداد الصفوف ولأن البلاطتين تغنيان عنها عنها فى حماية الحجرة الشريفة من الشمس إذ غربت (٥). وكانت على شكل مقصورة كبيرة استحدثها الشيعة (٢). وقاموا بالصلاة والتدريس فيها (٧) وجاء أن

⁽١) انظر أعلاه ص ٢٧٨ وما يعدها .

⁽٢) انظر أعلاه ص ٥٤٥ .

⁽٣) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص٦٠٥ حيث ذكر أن سقف مقدم المسجد أصبح بعد عجديد الأشرف برصباى للبلاطتين اللتين استحدثهما الملك الناصر ، مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين (البلاطتين) وغيرهما من بقية المسجد ،

⁽٤) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٥ .

⁽٥) ابن فرحون ، نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ١٥ ، السمهودى ؛ وفاء الوفا ، جــ ٢ ص٦١٦.

⁽٦) كان الهدف الظاهر عند بناء الشيعة لهذه المقصورة حماية العجرة من حرارة الشمس .

⁽٧) ابن فرحون : المصدر السابق ، ص ١٥ . حيث يقول : و ولقد كنت أسمع الشريف اعزاز يقف على بابها ويؤذن بأعلى صوته من غير خوف ولا خجل حي على خير العمل . وكانت مواطن تدريسهم وخلوة علمائهم حتى قيض الله لها من سعى فيها فأصبحت ليلة مخلعة أبوابها معوجة أخشابها متصلة صغوفها ، وأدخل بعضها في الحجرة الشريفة وجعل فيها الباب الشامى . وكان مع زيادة الرواقين (البلاطتين) اللذين زادهما المالك الناصر ٤ . وحدد السمهودى في الوفا ، حـ٢ ص ٢١٢ . موضمها فقال : و وذكر لى بعض مشايخ المدينة نقلا عمن أدركه من المشايخ أن هذه المقصورة كانت في شامى اسطوان الوفود إلى جهة باب الحجرة الشامى ٤ .

المحرض على هدمها إمام المسجد النبوى الشيخ شرف الدين الأسيوطى وذلك فى أواخر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (١) أى بعد أن حد الملك المنصور قلاوون من تحكم قضاة الشيعة فى المدينة المنورة . عندما أسند الخطابة والقضاء سنة ٦٨٢هـ إلى الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد بن الخضر بن طراد المصرى(٢) ، فارتفع بذلك أمر أهل السنة واقتصرت أحكام قضاة الشيعة على اتباع المذهب من أهل المدينة .

هـ ـ نحصين الحجرة الشريفة بالرصاص :

اختلف المؤرخون الذين تعرضوا لتأريخ المسجد النبوى الشريف في شأن ما تعرضت له الحجرة الشريفة من محاولة بعض الأعداء ، ممن تظاهروا بالإسلام ، للوصول إلى القبور الشريفة من رباط قريب من المسجد النبوى الشريف (٣) ، ونسب المطرى ومن تبعه من المؤرخين (٤) ، ذلك إلى زمن الشهيد نور الدين محمود زنكى سنة ٧٥٥هـ ، بيد أن ابن المحجوب نسبه إلى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون دون أن يحدد السنة التى وقع فيها ، ولما لروايته من أهمية فإنى أوردها كما رواها ، قال : و أعلم أن هذه الحكاية أوثى من نقلها الفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله

⁽١) قطب الدين قدسي سره : تاريخ المدينة المنورة ، ص ٢٢٥ .

⁽٢) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ٣ ص ٣١٣ وما يعدها . وقد ذكر أنه قدم سنة ١٨٦هـ متوليا للخطابة وكانت بأيدى آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الشريف الحسنى . بالإضافة إلى منصب القضاء . ثم ذكر أنه عندما ﴿ امتقر في الخطابة عمل معه الإمامية من الأذى ما لا يصبر عليه غيره . فصير واحتسب ، حتى أنهم كانوا يرجمونه بالحصباء وهو يخطب على المنبر . فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام ، وجلسوا بين يديه فذلك هو السبب في اقامة صف الخدام يوم الجمعة قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم وعبيدهم خدمة وحماية للقضاء وتكثيرا للقلة ، ونصرا للشريعة ٤ . ثم ذكر أنه أضيف له القضاء فيما بعد .

⁽٣) حدد جمال الدين الاستوى فيما ينقله عنه السمهودى في الوفا ، جــ ٢ ص ٦٥ هذا الموضع بأنه • في الناحية التي قبلة حجرة النبي كله من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التي تعرف باليوم (في زمنه) بدار العشرة .

⁽٤) أمثال المراغى ، والفيروزبادى ، وابن الضياء ، والسمهودى ، وقطب الدين قدسى سره ، وعبد الحميد العباسى وغيرهم من المتأخرين .

محمد بن مرزوق التلمساني (۱) في شرحه للبردة » (۲) ثم ذكر قول ابن مرزوق أنه سمع ذلك من (الإمام المحمدث أبي الحسن على النويري (۱۳) إمام مقام المالكية بمسجد مكة الحرام ومن غير واحد من أهل العلم والخير قالوا أن يهوديا جاور بمدينة الرسول على الخرام ومن غير واحد من الرباط بعض زواياه يلى قبر المصطفى الكريم مسجد الرسول على أونزل في بيت من الرباط بعض زواياه يلى قبر المصطفى الكريم ثم قصد لعنه الله بالحفر محت الأرض نحو القبر وجعل يحفر قليلا قليلا ويخرج كل يوم زفة (٤) تراب محت ثيابه ، فيرميها خارج المدينة حتى بقى لوصوله إلى الجسد الكريم مقدار ما يحفر ثلاثة أيام (٥) فرأى صاحب مصر يومئذ وهو المعروف بالملك الناصر في منامه رسول الله على وأخبره بالقصة وبصفة اليهودي وقال له أدركني فالهمه الله إلى السفر إلى المدينة من حينه فركب نجب الخيل الفارهة في أدركني فالهمه الله إلى السفر إلى المدينة من حينه فركب نجب الخيل الفارهة في جماعة من خواص دولته ومعهم أخراج بالمال والذهب ثم بلغوا المدينة في مدة قريبة فجلس الملك الناصر بالمسجد الكريم وأمر بإعطاء الصدقة لجميع سكان المدينة قريبة فجلس الملك الناصر بالمسجد الكريم وأمر بإعطاء الصدقة لجميع سكان المدينة

⁽۱) قال بدر الدين العينى في عقد الجمان جـ ٢٦ ص ٢٥٤ في ترجمة ابن مرزوق أنه و كان من ظرفاء دهره ونادرة عصره ترقى عند السلطان حسن إلى أن صار صاحب سره وإمام جمعته ومنبره وفي منة النتين وخمسين وسبعمائة توجه إلى الأندلس خوفا من النكبة فأقبل عليه سلطانها وتولى الخطابة وتدريس المدرسة ، وفي عام أربعة وخمسين انتهز الفرصة وانصرف عزيز الرحلة ، واستقر بباب أمير المؤمنين بن عنان ، وأقام عنده مقبول القول ومسكه بنو يغمر أسن وجعلوه في مطبق حديد مقفل ثم خلصه الله تعالى وقدم إلى الديار المصرية وتولى درس المنصورية في الحديث ، ودرس الفقه بالشيخونية ودرس الحديث بالصرغتشمية وغير ذلك . وتوفى بالقاهرة يوم الجمعة النصف الأول من ربيع الأول من هذه السنة (؟) رحمة الله عليه» .

⁽٢) ابن المحجوب : قرة العين في إوصاف الحرمين ، ورقة ٧٠ أ .

⁽٣) انظر ترجمته عند الفاسى فى العقد الثمين ، جــــ م ١٣٢ ـــ ١٣٤ ، حيث يذكر أنه عاش فى الفـــــ ١٣٤ م ٧٢ م ٧٢٠ م ١٩٤٠ ، وولى تدريس الحــديث بالمنصورية ودرس الفقه للأشرف شعبان .

⁽٤) زفة أى مجموعة من التراب وهي مأخوذة من زفا كما يقول ابن منظور في لسان العرب جـ ١٤ ص ٣٥٧ أن معنى أزفى إذا نقل الشيء من مكان إلى مكان . ومنه أزفيت العروس إذا نقلت من بيت أبوها إلى بيت زوجها .

 ⁽٥) هذه المدة لا تكفى لسفر السلطان من مصر إلى المدينة فى ذلك الوقت فلعلها وضعت بقصد المبالغة .

فجاءه جميع أهلها وهو يتأملهم فلا يرى للصفة التى رآها فى منامه حتى قيل له لم يبق أحد من سكان المدينة لم يأخذ من هذه الصدقة إلا رجل ناسك زاهد وأثنوا عليه وقال لابد من حضوره فأحضروه فإذا هو بالصفة التى رآها فى نومه فأخذه وتهدده فأقر فى حينه بأنه يهودى وأطلعهم على المكان والحفر فقتلوه شر قتلة واحتاطوا بعد ذلك على جوانب الروضة الكريمة (۱)، وحفروا أساسها إلى أبعد ما أمكنهم ثم رفعوه بالبناء المرصص الحكم (حتى) لا يطمع أحد فى مثل تلك الفعلة التى فعلها اليهودى لعنه الله ، ومن ذلك الوقت لا يمكن من سكنا ذلك البيت ، إلا من يعرف نسبه فى الإسلام ويوثق بدينه وأمانته ه (۲).

وأخذ ابن المحجوب يذكر رواية أخرى غير رواية ابن مرزوق التلمسانى إذ يقول:

و وذكر غيره أن الملك الناصر محمد بن قلاوون رأى النبى على ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يؤكد عليه بقوله أدركنى فقد أذانى هذا ويطلعه على شخص اليهودى حتى ارتسمت صورته فى ذهنه (۱۳). ثم ذكر بقية القصة على النحو الذى ذكره ابن مرزوق وزاد ، أن هذا السلطان رحمه الله ما برح من المدينة حتى أمر بنقض جميع جدران الحجرة الكريمة وأمر بحفر أساسها إلى الماء ثم رفعه بعد الركن المتيسر مبنيا بالحجارة العظيمة مثبتة فى الرصاص حتى بلغ وجه الأرض فبنى فوق الأساس بالرخام البديع الجنس والصفة حتى بلغ به سقف المسجد الكريم ، فنقض السقف هنالك وأكب على (الحجرة) قبة رصاص كبيرة رفيعة ، (١٤) ولم يذكر المراغى شيئا عن اليهودى المذكور فى القصة التى ذكرها ابن المحجوب بيد أنه على على ذلك بقوله : « وأنا أظن أن المراغى لم يدرك قصة اليهودى مع كونه على ذلك بقوله : « وأنا أظن أن المراغى لم يدرك قصة اليهودى مع كونه

⁽١) يقصد بها الحجرة الشريقة كما أن البعض يسميها المقدسة .

⁽٢) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٠ ب .

⁽٣) نفس المصدر ، ورقة ٧٠ ب .

⁽٤) ابن المحجوب: قرة العين ، ورقة ٧١ أ. والقبة التي ذكرها المؤلف لم يستحدثها الملك الناصر وإنما هي تجديد للقبة التي كان الملك المنصور قلاوون قد بناها سنة ٦٧٨هـ كما أشار إلى ذلك ابن المحجوب نفسه .

متأخرا(١) وإنما قصة تشبهها عن السلطان نور الدين بن زنكى صاحب ملك الشام في أواسط المائة السادسة(٢).

وبمقارنة القصتين يتضح أنهما صياغتان لحادثين مختلفين ، مما يقوى الاعتقاد بتكرر وقوع محاولة الاعتدء على الحجرة الشريفة في عهد كل من السلطان نور الدين بن زنكي والملك الناصر محمد بن قلاوون للأسباب التالية :

١ ـ أن ما يذكره المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ عن (علم الدين يعقوب بن أبى
 بكر المحترق ليلة حريق المسجد سنة ٢٥٤هـ عمن حدثه من أكابر من أدرك أن

 ⁽١) عاش المراغى فى الفترة الواقعة بين سنة ٧٢٧ ـ ٨١٦هـ وقد ألف كتابه تحقيق النصرة سنة
 ٧٦٦هـ .

⁽٢) ابن المحجوب : المصدر السابق ، ورقة ٧١ أ . وانظر لأهمية القصة التي ذكرها المراغي ومن قبله المطرى الذي يبدر أنه نقلها عنه فإنتي سوف أنقلها بنصها لأهميتها فقد ذكر المطرى في التعريف بما أنست الهجرة ص ٧١ وما بعدها أن السلطان نور الدين محمود زنكي قدم إلى المدينة في سنة ٥٥٧هـ و بسبب رؤيا رآها ذكرها يعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان محمود المذكور رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل واحدة منها يا محمود أنقذني من هذين الشخصين ، أشقرين بجماهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك ، فقال له هذا آمر حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحله وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها ... فطلب الناس عامة للصدقة وفرق عليهم ذهبا كثيرا وفضة وقال لا يبقين أحد بالمدينة إلا جاء فلم يبق إلا رجلين مجاورين من أهل الأندلس نازلين في الناحية التي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه التي تعرف اليوم بدار العشرة فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا نحن على كفاية ما نقبل شيئا فجد في طلبهما فجيء بهما فلما رآها قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما وما جاء بهما فقالا لمجاورة النبي على فقال أصدقاني وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما فأقر أنهما من النصاري وأنهما وصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة المقدسة بانفاق من ملوكهم ووجدهما قد حفرا نقبا من تحت الأرض من خت حاتط المسجد القبلي وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بثر عندهما في البيت الذي هما فيه هكذا حدثني عمن حدثه فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة رسول الله على خارج المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب متوجها إلى الشام ، وانظر المراغي في مخقيق النصرة مر١٤٦.

السلطان محمود المذكور رأى النبى على ثلاث مرات فى ليلة واحدة ... اله (٢) يدل على أن هذه القصة وقعت فى عهد نور الدى محمود زنكى ، وذلك لأن معرفة شيوخ المدينة ومنهم علم الدين يعقوب بن أبى بكر بها أقدم بكثير من تولى السلطان الملك الناصر حكم مصر (٢).

٢ _ يبدو أن الأمر في عهد نور الدين بن محمود زنكى اقتصر فقط على اكتشاف أمر الرجلين اللذين قدما من الأندلس^(٦) وعقابهما دون ذكر شيء عن صب الرصاص في الخندق^(३). ولم يذكر أحد من المؤرخين الذين عاصروا نور الدين وأرخوا لسيرته شيئا عن هذه الحادثة العظيمة التي قيل أنه قدم إلى المدينة من أجلها^(٥)، ومن هؤلاء المؤرخين ابن النجار (٥٧٣ _ ٦٤٣ هـ) ، الذي ألم بالكثير من أخبار المدينة المنورة وأحداثها ومع ذلك لم يتكلم في كثير أو قليل عن الحادث

⁽١) التعريف بما أنست الهجزة ص ٧٢ .

⁽٢) ذكر السخاوى في التحقة اللطيقة جـ٣ ص ٧١٥ وما بعدها أن الملك الناصر و بويع بالسلطنة بعد قتل أخيه الأشرف خليل ، في المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهو ابن تسع سنين ، ولم يلبث أن خلع في المحرم التي تليها بنائب السلطنة العادل كتبغا المنصورى مملوك أبيه وبعث بالناصر إلى الكرك ليتعلم به القرآن والخط . فدام حتى قتل المنصور حسام الدين لاجين المنصورى المنتزع المملكة من كتبغا . فبويع للناصر ، وخطب له بالديار المصرية مع كونه بالكرك في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين . ثم أحضر و،استمر حتى أظهر التخلي عن الملك آنفا ، من كثرة حجر نائبه سلار واستاداره بيبرس الجاشنكير ... في آخر سنة ثمان وسبعين ... واستمر بالكرك إلى أثناء سنة تسع ، فتوجه إلى دمشق وجاء العود ، وتقوى بمن وافقه من النواب وغيرهم الكرك إلى أثناء سنة تسع ، فتوجه إلى دمشق وجاء العود ، وتقوى بمن وافقه من النواب وغيرهم ... وثمهد له الأمر حتى مات في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بقلعة الجبل عن ثمان وخمسين ... بعد أن حج في سنة النتي عشرة ، ثم سنة تسع عشرة ، ثم سنة النين وثلاثين و

⁽٣) انظر رواية المطرى والمراغى المتقدمة .

⁽٤) إن إحاطة الحجرة الشريفة بخندق مملوء بالرصاص أمر مبالغ فيه نظراً لثقل الرصاص وصعوبة نقل ما يكفى منه إلى المدينة لملء الخندق ، الذي قيل أنه حفر بعمق كبير . كماذكره ابن المحجوب.

⁽٥) قال السمهودي في وفاء الوفا جـ ٢ ص ٢٥٢ : و والعجب أنى لم أقف على هذه القصة في كلام من ترجم بور الدين الشهيد مع عظمها .

٣ - أن ما حدث في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون من عمارة في المسجد النبوى الشريف بصفة عامة والحجرة الشريفة بصفة خاصة يدعو إلى الاعتقاد بصحة القصة في عهده ، أو خوفه من تكرار حدوثها مستقبلا ، خاصة وأن تفوق الناصر محمد على سلاطين المماليك في عدد الحجات التي قام بها(١) يساعد على قبول القصة . كما أن النويرى وهو أهم مصدر للحدث المذكور قد عاش فترة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون ، إذ عاش من سنة ٧٢٤ _ إلى ٧٩٨هـ(٢).

٤ - أن إغفال المصادر التى أرخت للعصر المملوكى لهذه الحادثة لا ينفى وقوعها وذلك لأن من المراسيم التى أصدرها السلاطين فى مناسبات عديدة من تاريخ المسجد وأحداثه ما ليس له ذكر فى هذه المصادر المتخصصة ، وهو عيب يضاف إلى ما تتسم به هذه المصادر من اعتماد على النقل من غيرها دون بحث أو تمحيص .

وقد اختلفت الروايات في عدد المعتدين على الحجرة الشريفة وفي ديانتهم ونوع عقابهم ، فمن الروايات أنهما نصرانيان أشقران وأنهما قتلا ثم حرقا بالنار ، وهو أمر لم يأمر به الإسلام ولا أظن نور الدين الذي وصف بالملك العادل^(٣) يقدم عليه وهو يعرف حرمته . وهما عند الأسنوى الذي نقل عنه السمهودي كذلك إلا أن عذابهما اقتصر على القتل دون التحريق بالنار . وفي القصة المنسوبة إلى الملك الناصر هو يهودي واحد اقتصر عقابه على القتل فقط .

وكمان مما قمام به السلطان الملك الناصر محمد من تجديد الدرابزين الذي

⁽۱) كان قد حج سنة ۷۱۲هـ وسنة ۷۱۹هـ ، وسنة ۷۳۲هـ . انظر : السخارى : التحفة اللطيفة ، جـ٣ ص ٧١٥ ، وعلى بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٠ ، وما بعدها .

⁽٢) انظر ترجمة النويري عند الفاسي : العقد الثمين ، جــ٦ ص ١٣٢ .

⁽٣) قال السمهودى : فى الوفا ، جـ٢ ص ٢٥٢ نقلا عن ابن الأثير ٥ طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا ،. فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا ، أحين سيرة من الملك العادل نور الدين .

استحدثه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨هـ ، على أنه جعله يقل فى ارتفاعه عن سابقه بحيث اقتصر ارتفاعه هذه المرة على ستة أذرع أو سبعة وقد نقش اسمه فى أعلاه وبقى حتى شاهده ابن المحجوب فى القرن التاسع وذكر أنه • قصد بقصر الشباك (الدرابزين) أن يظهر شامخ بناء جدران الحجرة وبراعة رخامها وبهجة منظرها ه(١) وزاد عدد أبواب الدرازين بابا رابعا ، وذلك بعد إزالة المقصورة التى كانت تظلل الحجرة الشريفة من الشمال سنة ٧٢٩ هـ .

ولم يلق الناصر محمد بالا إلى ما طلبه منه بعض العلماء المعاصرين من إزالة هذا الدرابزين الذى حجز جزءا من الروضة الشريفة (٢)، وكانت هذه الأعمال مزامنة لبناء البلاطتين اللتين استحدثهما الملك الناصر . ويغلب على الظن أن لهذه الأعمال علاقة كبيرة بحادثة اليهودى التي نسبها ابن المحجوب إلى الملك الناصر محمد بن قلارون (٣) وقد يزكى ذلك أيضا أنه حدث في زمن الناصر محمد بعد تلك الحادثة عول واضح فيما كان يحظى به اليهود والنصارى من معاملة (٤).

وتتسم الأعمال التى قام بها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى المسجد النبوى الشريف بسمات لا تشاركها فيها أعمال ملك سابق ، فهى لا ترتبط بزمن واحد ولا تتصف فى البلاطات المجددة من

⁽١) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ .

⁽۲) ذكر السمهودى في الوفا جـ ۲ ص ٢٠٤ نقلا عن ابن فرحون في ترجمة الشيخ على الواسطى أنه بعث إلى الملك الناصر يقول له : و أنا أضمن لك على الله تعالى قضاء ثلاث حوائج إن قضيت لي حاجة واحدة ، وهي ازالة هذا الشباك (الدرابزين) الذي على الحجرة الشريفة يعنى هذه المقصورة ، فبلغه ذلك ، فتوقف ولم يفعل » ثم ذكر السمهودى في ص ١٥٥ من المصدر السابق أن ابن جماعة قال : و وقد مخدثت مع الملك الناصر رحمه الله لما حج وزار سنة اثنتين ونبعمائة في غلق الدرابزين أيام المواسم ، فسكت لما ذكرته ، ولم يجبني بشيء » . ثم ذكر السمهودى أن أبواب الدرابزين المذكورة أغلقت بعد ذلك . ولا يدخلها إلا بعض الخدام والفراشين . ومن هذا يتبين أن أمر الملك الناصر باغلاقها في أوقات السنة كلها كان بعد سنة والفراشين . ومن هذا يتبين أن أمر الملك الناصر باغلاقها في أوقات السنة كلها كان بعد سنة

⁽٣) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٠ أ .

⁽٤) وليم مومير : تاريخ دولة المماليك في مصر ، ص ٨٤ وما بعدها

الروضة أحفل منها في سقوف الظلتين الشرقية والغربية ، والعقود المستخدمة في البلاطتين المضافتين إلى مقدم المسجد هي في الحقيقة حدث جديد وهام في عمارة المسجد النبوى الشريف ، وذلك بالإضافة إلى منارة باب السلام التي كانت أطول منارات المسجد آنذاك .

خامسا : عمارة المسجد النبوس في أواخر عصر المماليك البحرية:

لم يكن للسلاطين الذين تولوا بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون كبير أثر في عمارة المسجد النبوى الشريف ، وذلك لأن ما تم في عهدهم من أعمال اقتصر على تجديد جوانب يسيرة من بعض العناصر المعمارية .

وكان أول هذه الأعمال ما قام به السلطان حسن بن قلاوون (٧٤٨ _ ٧٥٥هـ ، ٧٥٥ ـ ٧٦٢هـ) من تجديد القبة الزرقاء التي بناها جده المنصور قلاوون سنة ١٥٧هـ (١٠ على أن المصادر التي بين يدى لم تشر إلى أسباب بجدد هذه القبة التي لم يمض على عمارتها وقت طويل ، خاصة وأن ابن المحجوب قد أشار إلى تجديد الملك الناصر محمد بن قلاوون لها عند ذكره لحادثة اليهودي المشهورة . وسواء صح ما ذكره ابن المحجوب أم لم يصح فإن الوقت الذي مر على بناء هذه القبة في سنة ١٧٨هـ في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون كفيل بتعرضها لآثار المطر ومضاعقاته . وندرة الأخبار عن هذا التجديد لا تمكن من معرفة حجمه وموضوعه . ومع ذلك فإن إعادة بجديدها سنة ٧٦٥هـ في عهد الأشرف شعبان يفيد بأن مجديد السلطان حسن بن قلاوون لها كان

⁽۱) الاسفرائيني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ۱۸۷ أ، الخوارزمي : إثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٤ ، السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٣٠٩ . وقد ذكر المراغي في يخقيق النصرة ص ١٤٧ و تخديد سور المدينة المنورة سنة ٧٥١هـ في أيام السلطان الشهيد الملك الناصر حسن بن قلاوون ٤ . ومع أنه لا يعرف أن السلطان حسن قد قام بعمل في المدينة المنورة في وقت آخر ، فإنه لا يعد استنتاجا أن يكون مجديد القبة الزرقاء قد صاحب عجديد سور المدينة .

بالخشب والرصاص أيضا على نسق عمارتها في عهد جده المنصور قلاوون أو والده الملك الناصر(١) مع الاستفادة بما جد من أساليب فنية في عمارة القباب المملوكية آنذاك(٢).

وقد عرفت هذه القبة بالقبة الزرقاء في ذلك الوقت أو قبله بقليل ، وذلك لأن العبدري الذي شاهدها بعد إنشائها بقليل في عهد الملك المنصور قلاوون وبالتحديد في سنة ٦٨٩هـ ، قال أنها قبة مليحة بيضاء (٣) وفي هذا إشارة إلى أنها لم تعرف بالزرقاء إلا فيما بعد ومع حرصي الشديد في البحث في المصادر المختلفة من كتب ومخطوطات عن السلطان حسن فإنني لم أجد من ذكر له عملا آخر في المسجد النبوي

ويبدو أن تجديد السلطان حسن لهذه القبة لم يكن محكما مما دعا إلى تجديدها بعد أربعة عشر عاما في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ) عندما تبين خروج ألواح الرصاص عن مواضعها بسبب الأمطار وتسرب مياهها إلى أخشاب القبة (٤) وقد حرص المسئولون عن عمارتها هذه المرة على أن يكون بجديدها قويا ومحكما ، كما أشار إل ذلك من ذكرها من المؤرخين ، حتى أنها بقيت سليمة مدى ١١٦ سنة عندما دب إليها شيء من الخلل في سنة بها هده).

وإلى جانب اعتناء الأشرف شعبان بإحكام تجديد هذه القبة ، فقد اهتم بعد ذلك بعامين بتجديد شرافات المسجد الشريف التي أتلفها حريق سنة ٢٥٤هـ إذ لم

⁽١) ليس لدى من النصوص ما يذكر تجديد الملك الناصر لهذه القبة سوى ما ذكره ابن المحجوب في قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧١ أ .

⁽٢) يذكر الدكتور كمال الدين سامح في بحثه و تطور القبة في العمارة الإسلامية ، ص ١٩ و أن كبر القباب وخلوها من الزخارف في عصر المماليك البحرية هو من أهم مميزاتها ، ثم يذكر ، أنها قبة كبيرة من الخشب تغطى حوالي ثلاث بلاطات مربعة ،

⁽٣) انظر أدناه ص ٢٣٩.

⁽٤) الاسفرائيني : زيدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٧ أ ، المراغى : مخقيق النصرة ص ١٨ .

⁽٥) السمهودي: وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٦١٠ .

يكن (للمسجد شرافات منذ حريقه »(١). ولم يفكر أحد من الملوك الذين اهتموا بالعمائر السابقة بإعادة هذه الشرافات التي كانت تزين المسجد النبوى فجددها السلطان شعبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة(٢)، على هيئة الشرافات التي كانت تزين العمائر المملوكية في ذلك الوقت ، وكانت قطعا حجرية منحوتة على شكل الورقة النباتية الثلالية ، أو المركبة أو المسننة (٦).

وقد اختتم الأشرف شعبان أعماله هذه بما قام به مدير مملكته الأمير يلبغا الخاصكي من إلغاء للمكوس التي كانت بخبي و بمكة والمدينة المشرفتين ورتب على بيت المال المعمور في كل سنة ماتتي ألف وستين ألفا (¹²⁾.

⁽١) المراغى : مخقيق النصرة ، ص ٢٤ ، السمهودى : وفاء الوفا جــ٧ ص ٥٧٥ .

⁽٢) المراغى : المصدر السابق ص ٢٤ .

⁽٣) مصطفى نجيب : بحث العمارة في عصر المماليك ص ٢٣٨ .

⁽٤) بدر الدین العینی : عقد الجمان جـ ٢٦ ص ١٤٨ . ولکن ابن تغری بردی فی النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢٤ قد جعلها فی منة ٢٦٤هـ فی حین أن المؤلفین لم یذکرا ما المقصود بالعدد الملاکور فی النص هل هو دراهم ودنائیر . أم دنائیر وحبوب ؟ إلا أنه یبدو من مقارنة ما ذکره العینی وابن تغری بردی أن الأخیر قد نقل عن العینی خلاصة النص المذکور أعلاه . أما الفامی المتوفی منة ٢٦٨هـ فقد ذکر أن الأشرف شعبان قد ألنی مکوس مکة دون أن یشیر إلی المدینة . ولکن ابن فهد المتوفی منة ٨٩هـ قد ذکر فی ایجاف الوری حوادث منة ٢٦٧هـ أنه اتفق مع الشریف حجلان علی أن یوئب له من المال فی کل سنة مائة وسبعون (وفی نسخة أخری متون) الشریف حجلان علی أن یوئب له من المال فی کل سنة مائة وسبعون (وفی نسخة أخری متون) الفریف من مصر وکتب علیه بذلك محاضر آلبت منها بمکة واحد وفی المدینة النبویة واحد وعند صاحب مصر فی القلعة واحد ۹ . وفی المبالغ التی ذکرها ابن فهد مخالفة كما ذکره الفارسی فی شفاء الفرام ، ح۲۰ س ۲۶۹ وما بعدها إذ أنه یجمل الدراهم ۲۷۰۰۰ درهم بدلا من ۲۸۰۰ درهم . أما القمح فمقداره ألف أردب عند المؤلفین .

الفصل الثالث المسجد النبوى فى عصر المماليك الجراكسة ٩٢٣_٧٨٤ هـ

المبحث الا'ول الا'عمال المعمارية فى المسجد النبوى قبل السلطان الا'شرف قايتباى

المبحث الاول الاعمال المعمارية في المسجد النبوي قبل الاشرف قايتباي

اكتفى سلاطين المماليك الجراكسة بالمحافظة على عمارة المسجد النبوى الشريف التى تمت بعد حريقه الأول منة ١٥٤ هـ . وأخذوا يتعهذونه بالترميم والتجديد كلما دعت إلى ذلك ضرورة ملحة ، مدفرعين إلى هذه المحافظة التقليدية بأمور كثيرة لعل أهمها ، التمسك بما جرت عليه العادة فى جميع عمائر المسجد النبوى من عدم إحداث مالا ضرورة له ، وأخذ الحذر والحيطة عند إدخال عنصر معمارى جديد لم يألفه الناس بعد . يضاف إلى ذلك انعكاس الفتن والأحداث التى صاحبت قيام دولة المماليك الجراكسة على اهتمام سلاطينها بالحرمين الشريفين ، قلم يتكفلوا بعمارتها إلا عند الضرورة ، كما ذكرت آنفا(۱) وعلى ذلك فإن غالب الأعمال التى نمت في المسجد الشريف قبل سنة ٢٧٨هـ ، هي ذلك فإن غالب الأعمال التي نمت في المسجد الشريف قبل سنة ٢٧٨هـ ، هي قايتهاى .

ويغلب على الأعمال التى نمت قبل عمارة هذا السلطان ، كثرة المنابر المرسلة من مصر إلى الحرم النبوى الشريف . وأولها منبر الظاهر برقوق (٧٨٤ ـ ٧٩١هـ) الذى أرسل به فى سنة ٧٩٨هـ ليحل محل منبر الظاهر بيبرس الذى ظل يخطب عليه فى المسجد النبوى مائة واثنين وثلاثين سنة ١ حتى أن الأرضة كانت قد أثرت فيه كثيرا فنقل ذلك للسلطان ، فأمر بعمل منبر جديد وجهزه فى هذه السنة ٢٠٠٠،

⁽۱) ذكر على بن حسين السليمان في العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٤٢ ، أن المظهر التجارى كان قد تغلب في الظهور على المظهر الديني في دولة المماليك الجراكسة الذين اهتموا باحتكار السلم وإيجاد الأسواق لها .

⁽۲) ابن حجر العسقلاني : أنباء العمر بابناء الغمر ، جـ ا ص ۷۹۷ ، وانظر السمهودى : وفاء الوفا جـ ۲ ص ٤٠٧ ، وانظر السمهودى : وفاء الوفا جـ ۲ ص ٤٠٧ ، حيث نقل عن المراغى خبر وصول هذا المنبر من قبل الظاهر برقوق إلى المدينة سنة ٧٩٨هـ . وقد بحث في النسخة المحققة من كتاب المراغى المسمى تحقيق النصرة عما أسنده إليه السمهودى فلم أجد لذلك ذكرا ، فلعل ذلك أضيف إلى إحدى النسخ التي وقعت للسمهودى لأن تأليف الكتاب كما نص عليه المؤلف في ص ١٤٦ من النسخة المحققة هو سنة ١٤٨هـ . وانظر السخاوى : التحقة اللطيفة جـ ١ ص٣٦٧.

أى سنة ٧٩٨ هـ صحبه أمير الحج المصرى الأمير أيتمش (١)، فاهتم بوضعه فى موضع منبر الظاهر بيبرس الذى نقل إلى حاصل الحرم الشريف (٢) كما فعل من قبل بمنبر ملك اليمن فى عهد الظاهر ييبرس.

ومن المسلم به أن يكون هذا المنبر مضاهيا في الصنعة والمنظر للمنبر الذي كان قبله (٣) وأنه كان يتحلى بالدقة والجمال اللذين اتسمت بهما عموم المنابر المملوكية في ذلك الوقت (٤) مدفوعين إلى ذلك بسبب قداسة المكان الذي سوف يتبوأه المنبر من المسجد النبوى ، وتبنى السلطان شخصيا لفكرة إهدائه . ولكن لسوء الحظ لم يتيسر لى من المعلومات ما يكفى للإلمام ببعض التفاصيل الهامة من حيث ارتفاعه وطوله ونوع الخشب المصنوع منه ، وغير ذلك من الصفات التي تعتبر ضرورية في مثل هذه الحالة ، ومع ذلك يمكن الاستتاج من خلال ما ذكر عن إبلاغ السلطان عن آثار الأرضة المنتشرة في أجزاء المنبر السابق ، ومن واقع الحرص المتناهي على المحافظة على الشكل التقليدي الذي اتخذته المنابر السابقة ، أن هذا المنبر كان مساويا في الطول والعرض والارتفاع للمنبر الذي كان قبله أو قريبا المنبر كان مساويا في الطول والعرض والارتفاع للمنبر الذي كان قبله أو قريبا

وكما لم يصلنا الكثير عن تفاصيل هذا المنبر فإن المصادر التي أمكنني

 ⁽١) قال السخاوى فى نفس المصدر جـ١ ص ٣٥١ فى ترجمته له أنه و صاحب المدرسة يباب الوزير
 له درس للحنفية بالمدينة ٤ .

⁽٢) ابن حجر العسقلاني : أبناء العمر بأنباء الغمر ، جــ ١ ص ٧٩٧ .

 ⁽٣) يتبين من الوصف الذى أورده البلوى فى رحلته جـ ١ ٢٨٦ ، والفيرزبادى فى المغانم المطابة ورقة
 ١٠١ أ. أن منهر الظاهر بيبرس كان على درجة كبيرة من الدقة والجمال شأته فى ذلك شأن المنابر للمتلوكية عموما .

⁽٤) عن صناعة المنابر في العصر المملوكي ، انظر زكى محمد حسن ؛ فنون الإسلام ص ٤٦٨ ، 8٦٩ - ٤٦٩ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ . ٣٦٨ .

⁽٥) قال الفيروزبادى فى وصفه لمنبر الظاهر يبرس ورقة ١٠١ أن و طوله أربع أذرع فى السماء ومن رأسه إلى عتبته سبعة أفرع يزيد قليلا ، وعدد درجاته سبع بالمقعد ... وللمنبر باب بمصراعين فى كل مصراع رمانة من فضة .. ، . .

الاطلاع عليها لم تنسب على كثرتها إلى السلطان برقوق أعمالا أخرى في المسجد النبوى الشريف أو المدينة المنورة (١). ومن الجدير بالذكر أن مدة الخطابة على هذا المنبر كانت قصيرة نسبيا فلم يكتب له البقاء في المسجد النبوى كثيرا ، كما تم لمنبر الظاهر بيبرس ، وذلك لأن السلطان المؤيد شيخ المحمودى (٨١٥ ـ ٨٢٤هـ) كان قد أمر بعض النجارين من أهل الشام (٢) بعمل منبر لمدرسته التي بناها في القاهرة ، والمعروفة بالمؤيدية ، فوجدوا أهل مصر قد صنعوا لها منبرا ، فجهز المؤيد منبر أهل الشام إلى المدينة الشريفة (٩٠) . وينقل السمهودي عن ابن حجر « أن المنبر الموجود اليوم (في زمن ابن حجر) أرسله المؤيد سنة عشرين وثمان مائة ،(٤) خلافا للقول الشائع بأنه أرسله سنة النتين وعشرين وثمانمائة (٥٠)، وعلى هذا فمدة بقاء منبر الظاهر برقوق في الحرم النبوي الشريف تكون من سنة ٧٩٨هـ إلى • ٨٢ه ، أي اثنان وعشرون عاماً ولذلك يبدو أن استبداله لم يكن لسبب من الأسباب سوى أن المؤيد شيخ وجد نفسه أمام تخفة فنية نادرة تفنن فيها أمهر النجارين من أهل الشام فأشار هو أو ربما أحد خواصه بوضعه في المسجد النبوى الشريف ، فأرسل به إلى المدينة سنة ٨٢٠ هـ ليحل مكان منبـر الظاهر برقبوق . وظل يخطب عليه في المسجد الشريف قرابة (سبع وستين سنة ١ (٦) حتى دمره الحريق المروع الذي حل بالمسجد النبوي الشريف في شهر رمضان من عام سته وثمانين وثمان ماثة (٧).

وعلى أية حال فإن بعض التفاصيل الهامة عن هذا المنبر قد أتتنا لحسن الحظ هذه المرة من مؤرخ معاصر له شغف كبير في تتبع آثار المسجد النبوى وتدوين

⁽١) ذكر الصيرفى في نزهة النفوس والأبدان ، جـ١ ص ٢١٢ ، أن هذا السلطام 1 بنى بحيرة برأس وادى بنى سالم قريبا من المدينة الشريفة ٤ ويبدو أن ذلك كان بقصد خدمة الحجاج والأعراب .

⁽٢) يذكر غرس الدين بن خليل بن شاهين الظاهرى في زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١٤ أن هذا المنبر هو من بعلبكى ، ولعل مقصده أنه من خشب بعلبك الواقعة حاليا في لبنان، التى تعد جزء من بلاد الشام التى كانت تضم لبنان وفلسطين وسوريا قديما .

⁽٣) ، (٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جد٢ ص ٤٠٨ .

⁽٥) السمهودي : المصدر السابق جا ص ٤٠٨ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢٢٧ .

⁽٦) السمهودي : المصدر السابق جد٢ ص ٤١٠ .

⁽V) نفس الصدر جــ ٢ ص ١٠٠ .

تفاصيلها ، وهو مؤرخ المدينة المشهور على بن أحمد السمهودى المتوفى ١٩١١ هـ. فقد ذكر أن و طول هذا المنبر في السماء سوى قبته وقوائمها ، بل من الأرض إلى محل الجلوس ، ستة أذرع وثلث ، وارتفاع الحافتين اللتين يمين المجلس وشماله ذراع وثلث ، وامتداد المنبر في الأرض من جهة بابه إلى مؤخره ثمانية أذرع ونصف راجحة ، وعدد درجه ثمانية ، وبعدها مجلس ارتفاعه نحو ذراع ونصف (١)، وقبته مرتفعة ، ولها هلال قائم مرتفع أيضا ه (٢)، وأضاف إلى ذلك مشيرا إلى ارتفاعه الكبير ، وما أظن منبرا وضع مثله في موضعه أرفع منه ، وله باب بصرعتين المتفاعة الكبير ، وما أظن منبرا وضع مثله في موضعه أرفع منه ، وله باب بصرعتين المتفاعة عن نوع الخشب وطريقة الزخرفة التي اتبعت في حشوات المنبر المذكور أخرى هامة عن نوع الخشب وطريقة الزخرفة التي اتبعت في حشوات المنبر المذكور ، ومع ذلك فإن ما ذكره عن قبة المنبر يعتبر في الحقيقة أول إشارة إلى صفة القبة في المنابر السابقة .

ويتبين لنا من مقارنة هذا المنبر بالمنابر السابقة له(٤) أن السبب في اختلافه في

⁽٤) جدول مقارنة بين منبر المؤيد شيخ والمنابر السابقة له :

منبر المؤيد شيخ سنة ٨٢٠هـ	منبر الظاهر برقوق عام ۱۹۸۸هـ	منبر الظاهر الظاهر ييرس مئة 177هـ	منبر یوسف بن رسول عام ۱٦٦هــ	المنبر الذي ادركه ابن النجار في القرن السابع الهجري	المنبر الذي ادركه ابن جبير سنة ٥٨٠هـ	
سئة أذرع	Ŷ	اربعة أذرع	9	ثلاثة أفرع وشير وثلاثة أصابع	قامة أو يزيد	ارتفاع المنبر
	P	_	۴	ذراع راجح	حمسة أشبار	سعته
حانية أذرع ونصف	٩	سبعة أفرع وشيء	٩	خمسة أذرع وشبر	خمس خطوات	طوله
تسعة بالمقعد		سبع بالمقعد		تسع درجات	ثمان درجات	عدد
				بالمقمد	•	درجه
اب بصرعتين	9	له پاپ رماتاه	9	باب	على هيئة الشباك طوله	مبغة
		من الفضة			٤ أشبار	بابه

⁽١) يقصد بالمجلس هنا موضع جلوس الإمام بين خطبتي الجمعة .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤١٠ ، ابن حجر الهيثمي : مخمَّة الزوار ص ٨٦ .

⁽٣) السمهودى: المصدر السابق جـ ٢ ص ٤١٠ .

الطول والعرض والارتفاع هو أنه لم تراع في صنعته الأبعاد التقليدية التي حافظت عليها المنابر التي كانت قبله في المسجد النبوى الشريف فلقد أعد كما عرفنا من قبل للمدرسة المؤيدية ، التي تمتاز كغيرها من المدارس المملوكية بارتفاع السقف وعمق إيوان القبلة (1) ، مما جعل هذا المنبر يتقدم في موضعه و على الذي قبله من جهة القبلة بما يقرب من ذراع ، وكذا ظهرت زيادته من جهة الشام أيضا على الدكة الأصلية المتقدم وصفها بقريب من ذراع ه (٢) وفي بقاء هذا المنبر في المسجد النبوى الشريف إلى أن دمره الحريق الثاني سنة ٨٨٦هـ دون أن يتعرض له قايتباى في عمارته الأولى بالتجديد أوالتبديل ، دليل على ما امتاز به من دقة في الصنعة ومتانة في التركيب . ويظهر أن هذا المنبر هو العمل الوحيد الذي قام به المؤيد شيخ في المسجد النبوى الشريف .

أما أعمال الأشرف برسباى فتختلف فى شكلها ومضمونها عن أعمال الظاهر برقوق والمؤيد شيخ اللذين اقتصرت أعمال كل منهما على إرسال منبر إلى المسجد الشريف. وقد افتتح السلطان برسباى أعماله بإرسال القمح إلى أهل الحرمين سنة ١٨٢٩ هـ و وأمر على الصدقة الأمير أقبغا التركماني وبدا بالمدينة وفرق خمسمائة أردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والأشراف والأيتام والأرامل أردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام الأشراف والأيتام والأرامل الدرب ثم أقر فى حدود سنة ١٣١ هـ ما قام به الشيخ علاء الدين البخارى المحنفي في الحرم النبوى الشريف من تسمير لأبواب الدرابزين المحيطة بالحجرة الشريفة (٤) بقصد تعظيمها و وتنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين

⁽١)محمد مصطفى مجيب : العمارة في عصر المماليك ص ٢٤٥ وما بعدها .

⁽٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٤٠٩ ، وفي ص ٢١٢ يذكر أنه كان مفرط العلول بحيث كان قاطعا للصف الباقي من الروضة الشريفة .

 ⁽٣) ابن فهد : انتحاف الورق ، ص ٣٦٤ . وقد ذكر في نفس الصفحة أنه فرق في مكة ٤ خمسمائة أردب قمع على أهل الحرم كلهم وعلى الأربطة والمجاورين وعم بها أهل مكة ٤ .

⁽٤) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ٩ ص ٣٩٤ ، حيث ذكر في ترجمته لهذا الشيخ مدى الحظوة والجاء اللذين لقيهما عند سلطان مصر بسبب ورعه وعلمه وقال أنه قام في حجة سنة ٣٩٨ باغلاق و أبواب المسجد الحرام بمكة مدة حجه فكانت لا تفتح إلا أوقات الصلوات الخمس ومنع من نصب الخيام وإقامة الناس فيه أيام المواسم وأغلق أبواب مقصورة الحجرة الشريفة النبوية ومنع كافة الناس من الدخول إليها ٤ .

بالأيدى (١) وغير ذلك من البدع المكروهة وأصبح الجزء المحجوز من الروضة الشريفة معطلا (٢) لا يصله إلا الخدام عند إسراجهم لقناديل الحجرة الشريفة أو تنظيفها ، وبقى هذا الدرابزين مسمرا حتى احترق سنة ٦٨٦هـ (٣).

أما أكبر عمل قام به الأشرف برسباى في المسجد النبوى الشريف فقد كان مجديده للبلاطتين اللتين أحدثهما الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩هـ، وذلك في

(۱) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ٦١٦ . وذكر محمد بن محمود بن خليل الحلبي المتوفى سنة محمود على حصدة الناسك في أفعال الحج والمناسك ، ورقة ١٢ أ سا يفعله الناس عند هذا الدرابزين فقال : و ولما دخلتها مع سيدى الوالد رحمه الله حين حججت معه في سنة تسمة وعشرين وثمان ماية رأيت كثيرا من الناس يحصل منهم (اساءة) أدب عند زيارته ويعتقدون أن ذلك زيادة في محبته محلة وليس الأمر كذلك . وبعد ذلك منعوا من الدخول وخلقوا أبواب ، الحجرة النبوية لأمر اقتضى ذلك » . وعن ما ذكره ابن الهجوب في قرة العين في أوصاف الحرمين ورقة ٢٧ أ عن مبب إستحداث الظاهر بيبرس لهذه المقصورة . انظر اعلاه ص ٢٣٠٠

(۲) علق السمهودى في الوفا جـ ۲ ص ٦ ٦ على هذا العمل بأنه يجب فتح بعض تلك الأبواب وتعطيل خصوصا في غير أيام المواسم ، وليس الطريق في إزالة المفسدة المذكورة غلق تلك الأبواب وتعطيل تلك البقعة ، بل وقوف الخدام عند ذلك المحل ومنع من يتماطى فيه مالا يليق بالأدب ، على أن ذلك لم يحسم المادة لأن تلك الأمور - أعنى لمس الجهال ووضعهم الظهور - يفعل اليوم (في زمنه) بهذا الدرابزين ، ولا شك أن المجدار الذي كان يفعل به ذلك ليس هو نفس القبر ، بل ولا جدار الحجرة كما قدمناه . يل جدار آخر دائر به كما أن هذه المقصورة دائرة به ، فإن كان ذلك يقتضى تعطيل ذلك الحل ، فليعطل من أجله المسجد بأجمعه ، وتعطيل المسجد أو شيئ منه حرام فلا يرتكب لدفع مكروه مع إمكان دفعه بغيره ٤ . ثم على على ما قيل من أسباب اخلاق هذه الأبواب فقال : و وما يقال من أنه ربما وجد في بعض المواسم هناك قذر ، فقد كان شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر شرف الذين المناوى يقول في جوابه ولا شك أن ذلك المحل من المسجد ، فإن حكم الكل واحد من حيث وجوب صونه ، واختصاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل واحد من حيث وجوب صونه ، واختصاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه ٤ .

(٣) يذكر السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٧ أنه حاول مفاخحة قايتباى عندما قدم المدينة وللزيارة سنة أربع وثمانين وثمانمائة واجتمعت به بالروضة الشريفة ، أردت أن أتكلم معه فى مفاخخة بعض تلك الأبواب فى غير أيام المواسم ، فرأيته قد تعاظم دخول هذه المقصورة لما عرض عليه ذلك، ثم قال فعلمت أنه لا يوافق على ما أريده .

سنة ٨٣١ هـ عندما بعث السلطان و مع الرمحى (١) الأمير مقبل القديدى (٢) معمارا لما يحصل في الحرمين في الأماكن الضروريات فبدأ بعمارة الحرم النبوى (٣) ويبدو أن ما قام به هذا المعمار الذي عرف بجمال الدين يوسف (٤) هو إرشاد العمال والصتاع إلى الأجزاء التي تختاج إلى ترميم وبجديد ، من المسجد الشريف وذلك لأنه قد عاد إلى مكة عندما وصل الركب الشامي إليها (٥)، للاتصال بالأمير مقبل القديدي الذي كان يقيم في مكة المكرمة . ويظهر و أن ذلك كان باستدعاء منه للتشاور معه في الأعمال القائمة في المسجد النبوى في المدينة ، وأخذ رأيه في تصريف الأموال التي وصل من السلطان صحبة الركب المصرى ومقدارها كما قول ابن فهد و عشرة آلاف افلوري (٢) ، خمسة آلاف صحبة أمير الركب الأول (٧) اينال

⁽۱) نسبة إلى الرمح . وقال حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٢ ص مده من الرماح و هو المحارب بالرمح والجمع رماحه ، وكان الرماحة والرماحية يؤلفون إحدى طبقات أو فرق الجيش في عصر المماليك » .

⁽٢) ذكر قطب الدين النهراوالى ، فى اعلام الأعلام ص ٩٦ ، أن الأمير مقبل القديدى قد تولى فى أول عهد الأشرف برسباى عمارة سقف الكعبة المشرفة وبعض سقوف المسجد الحرام . ثم أسند إليه أيضاً فى سنة ٨٣٦هـ تجديد رخام جدران الكعبة وبعض الاسطوانات الموجودة داخلها ، وأنه كتب اسم السلطان على لوح من رخام ونقشه بالذهب وركبه فى جدارا الكعبة من الداخل .

⁽٣) ابن فهد : انخاف الوري ، ص ٣٦٨ .

⁽٤) قطب الدين النهروالي : أعلام الأعلام ص ٢١٢ .

⁽٥) ابن فهد : المصدر السابق ص ٣٦٨ .

⁽٦) ضربت فلورنسا نقودها الذهبية التى راجت فى الأسواق الشرقية وعرفت باسم أفلورى سنة ١٢٥٢م وقد أمتازت هى والنقود البندقية عن النقود المملوكية بدقة سكها وارتفاع عيارها. انظر عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٦ وما بعدها .

⁽۷) بحثت عن معنى هذا اللقب عند القلقشندى فى صبح الأعشى وكذلك فى الفنون الإسلامية والوظائف لحسن الباشا وكذلك فى نظم دولة سلاطين المماليك لعبد المنعم ماجد فلم أعثر على من يذكر هذه الوظيقة بهذا الاسم إلا أنهم جميعا يشيرون إلى أن أمير ميئة مقدم ألف هو أعلى لقب بين الأمراء المماليك فلعلها المقصودة هنا . انظر صبح الأعشى جـ٧ ص ١٥٨ والفنون الإسلامية والوظائف جـ١ ص ٢٤٩ ، نظم دولة ملاطين المماليك جـ١ ص ١٤٥ .

الشتمانى المحتسب ، أحد رؤوس نوبة النواب (١) ، وخمسة آلاف صحبة أمير المحمل قرا سنقر كاشف الجيزة ، ليعمر منها عين حنين بخمسة الاف ويتصدق على أهل الحرمين بخمسة آلاف ، فتسلمها مقبل وعمل لمقتضى ذلك في السنة التي تليها و (٢).

ومهما يكن من أمر فإن التفاصيل الهامة عن الأعمال التي تمت في المسجد النبوى الشريف في عهد الأشرف برسباى تنحصر فيما أمدنا به السمهودى من معلومات بسيطة جاء فيها أنه حدث في البلاطتين اللتين تقع في مقدم المسجد مما يلى الصحن و خلل فجددهما الملك الأشرف برسباى في ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين ثمانمائة على يد مقبل القديدى من مال جوالى قبرص (٣) ، على ما أخبرنى به بعض مشايخ الحرم ، ورأيته مكتوبا كذلك باللوح التي كانت بظاهر العقود من السقف القبلى مما يلى رحبة المسجد (٤).

⁽۱) كانت هذه الوظيفة من الوظائف التي استحدثها الظاهر بيبرس وهي وظيفة رئيس المماليك المكلفين بحراسة حجرة السلطان أو حراسته وقت خروجه في المواكب عددهم أكثر من خمسة وهشرين . ونظراً لمكانة هذا الرئيس فإنه كان يلقب بالأخ أو الجناب الكبير وهو السفير بين المماليك والسلطان . انظر عبد المتعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم ، جـ٢ ص ٥٣ وما بعدها .

⁽۲) ابن فهد : إنحاف الورى ص ۳٦٩ .

⁽٣) قال المقريزى فى خططه جدا ص ١٧٣ ه فأما الجزية وتعرف فى زماننا بالجوالى فإنها تستخرج سلفا وتعجيلا فى غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى . وقال القلقشندى فى صبح الأحشى ، جـ٣ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ أنها ه ما يؤخذ من أهل اللمة عن الجزية المقررة على رقابهم فى كل سنة ، وهى على قسمين ، ما فى حاضرة الديار المصرية من الفسطاط والقاهرة وما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من مائر بلدانها فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمقطع تلك البلد من أمير أو غيره مجرى مائل ذلك الاقطاع ، وأن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية كان ما يتحصل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان ، وانظر عد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ، جدا ص ٧٥ .

⁽٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٥ ، وانظر أيضًا السخاوى : التحقة اللطيفة جـ ١ مر ٣٦٦ .

وفى تخصيص السلطان برسباى للنفقة على هذه العمارة من الجزية المذكورة دليل على اهتمامه بتحرى الدقة فى نقاوة النفقة (١) على هذه العمارة وامعانا منه فى كيد النصارى والإقلال من شأنهم (٢)، كما أن هذاالعمل يعتبر تتويجا للانتصار الساحق الذى حققه الأشرف برسباى سنة ١٨٧٩هـ فى غزوه لقبرص وأسر ملكها (٢).

ومع ذلك فإننى لم أجد رغم هذا الاهتمام الواضح من قبل السلطان من دون المراسيم الخاصة بذلك أو عنى بتسجيل التفاصيل الهامة عن صفة التجديد ونوع الخشب المستخدم فيه ومقدار النفقة وغير ذلك من المعلومات المفيدة

ولا بد لنا أمام الندرة الواضحة في المعلومات الضرورية عن هذا العمل من الرجوع إلى الوراء قليلا لتذكر ما تميزت به عمارة هاتين البلاطتين حين عمرهما الملك الناصر محمد بن قلاوون منة ٢٧٩هـ دون بقية أجزاء المسجد النبوى ، فقد جاء أن العقود فيهما حلت محل الاعتاب الحشبية (٤) المربعة التي كانت تصل ما بين الإسطوانات لحمل سقوف المسجد ، بيد أمه لا يعرف ما إذا كان الخلل آنذاك بين الإسطوانات لحمل سقوف المسجد ، بيد أمه لا يعرف ما إذا كان الخلل آنذاك قد أصاب تلك العقود أم أصاب السقف المحمول عليها ؟ أم أصابهما معا ؟

وعلى أية حال فمإن السقف المجدد عاد كما كان أولا(٥) سقفا واحدا و في

⁽۱) اعتاد بعض سلاطين المماليك أن يسألوا قضاة الشرع في المورد المناسب للنفقة على عمارة الحرمين الشريفين . فقد ذكر ابن حجر العسقلاتي في أنباء الغمر بابناء العمر ، جـ٣ ص ١٠٥، أن السلطان المؤيد شيخ سأل قضاة الشرع في سنة ٢٢٨هـ ، عما أعلم به الحجاج من استهدام المسجد الحرام واحتياجه إلى العمارة ، من أي جهة يكون المصروف على ذلك ،

⁽٢) أشار السمهودى في الوقاء جـ ٣ ص ٦٣٩ إلى فرح النصارى بالحريق الثاني في المسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ حيث يذكر و ولما وصل خبر الحريق لرودس في بلاد النصارى أظهروا بذلك فرحا واستبشارا ٩ .

⁽٣) قطب الدين النهروالي : أعلام الأعلام ، ص ١٨٢ .

 ⁽٤) تعرف هذه الاعتاب بالعبارات كما يسميها السمهودى في الوفا ، جــ ٢ ص ٢٠٦ ، وتعرف أيضاً
 بالكمرات في اللغة الدارجة .

⁽٥) ذكرت عند حديثي عن هاتين البلاطتين في عهد الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩هـ احتمال حرص القائمين بالعمل آنذاك على وضع سقوفها بمستوى السقف السفلي للمسجد القديم .

موازاة سقف المسجد الأسفل ، ولذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين (۱) وغيرهما من بقية المسجد ، وله باب يدخل إليه من بين السقفين شارع في مبدأ الرواقين (۱) المذكورين بما يلي المشرق ، (۲) ولكن هذا التجديد البسيط لم يكن العمل الوحيد الذي أنجز في عهد الأشرف برسباى بل أن التجديد قد شمل أيضا و شيئا من السقف الشامي عما يلي المنارة السنجارية، (۳) الواقعة في الركن الشمالي الشرقي من المسجد الشريف . ولم يذكر المؤرخون الأسباب الحقيقة التي أدت إلى تلف هذه السقوف المجددة مما يسمح بالاعتقاد بأن طول الزمن الذي مر على عمارة هذه الأجزاء وهو نحو مائة عام ، وتعرضها للأمطار طوال هذه المدة (٤) كانت وراء هذا التلف الذي أصاب أجزاء متفرقة من سقوف المسجد . وقد بدت آثار بعض التلف في عهد الأشرف برسباى ، وتأخر ظهور بعضه حتى زمن السلطان الظاهر جقمق (٢٤٨ _ ١٨٥٧هـ) ، الذي اهتم في حدود سنة ١٨٥٣هـ بإصلاح الخلل الطارئ على و سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد » (٥) النبوى الشريف على يد المعمار (١) برد بك وغيرها من سقف المسجد » (٥) النبوى الشريف على يد المعمار (١) برد بك التاجي (٧). ويظهر أن هذا الجزء المجدد من سقف الروضة هو ما سبق للملك الناضر التاجي (٧). ويظهر أن هذا الجزء المجدد من سقف الروضة هو ما سبق للملك الناضر

⁽١) يقصد البلاطتين فقد درج على تسمية البلاطة للعترضة بالرواق في جميع النصوص المنقولة من كتابة وفاء الوفا .

⁽٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٩٠٥ ، ابن حجر الهيثمي : مخفة الزوار ص ٩١ وانظر الشكل . قـ (٥٢) .

⁽٣) السُّمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٥ ، السخاري : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٦٦ .

⁽٤) كان قد مضى على استحداث الملك الناصر محمد بن قلاوون لهاتين البلاطعين أكثر من مائة عام وعلى تجديد الظاهر بيبرس لسقف مؤخر المسجد الشريف قرابة مائة واثنين وستون عاما . انظر اعلاه ص ٢٢٢ .

 ⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٠٥ ، السخارى : التحفة اللطيفة جدا ص ٤٤٢ ، اين
 حجر الهيثمى : مخفة الزوار ص ٩٢ .

⁽٦) يقولى حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ٣ ص ١١١١ وما بعدها أن هذه الصيغة وردت و على كثير من الآثار العربية ، ويبدو أنها استخدمت بدلالتين إحداهما البنّاء ، أو المهندس ، الأخرى على من أشرف على العمارة أو تولى أمرها .. .

⁽۷) يذكر السمهودى : في المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٥ أن اسم هذا المعمار هو برد بك الناصر ولكن السخاوى في التحقة اللطفة جـ١ ص ٣٦٦ ترجم له بما يلى : ٥ برد بك التاجي _ كان معمارا أيام الظاهر جقمق لما حصل من الخلل في سقف الروضة وغيرها من اسقف المسجد في سنتى ثلاث وخمسين وما قبلها ٤ .

محمد أن جدده سنة ٢٠٦ هـ ، وقد عرفنا آنذاك مدى العناية التى أولاها السلطان لهذا السقف بحكم صلته بجزء المسجد النبوى المشبه برياض الجنة . ولا بد أن التجديد الذى قام به الظاهر جقمق لهذا الجزء من المسجد قد عاد به إلى الصغة التى كان عليها قبل التجديد أو قريبا منها وإن كنت المأسف لم أجد بين المؤرخين من دون أعمال التجديد هذه أو عنى بذكر تفاصيلها الضرورية ، خلاف ما ذكره السمهودى عن حال هذه السقوف التى شاهدها فى عمارة الأشرف ما ذكره السمهودى عن حال هذه السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبارات من خشب موضوعة على أبنية فوق رؤوس السوارى بعرض تلك السوارى ، عبارات كذلك فوق كما أن السقف الأسفل المشاهد مما يلى المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رؤوس السوارى » (١).

ويؤخذ من كلام السمهودى أن البعد الذى كان بين السقفين اللذين جددهما الظاهر جقمق مساو للفرق بين سقفى مقدم المسجد وهو أقل من القامة المعتدلة (٢)، بيد أن ذلك التجديد لم يكن محكما بما فيه الكفاية إذ أعيد بجديده بعد مضى ثمانية وعشرين سنة على الانتهاء منه ، وقد يكون لقرب هذه السقوف من القبة الزرقاء أثر في التبكير بتلفها لأنه قد وجد بالقبة المذكورة في سنة ١٨٨هـ وأحشاب قد تآكلت من طول الزمان ونداوة مياه الأمطار ٤ (٣).

وقد جاء فيما ذكره السمهودى أن الخلل الطارئ على سقوف المسجد الشريف لن يكون محصورا في سقف الروضة فقط بل جاء أنه الفي سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقوف المسجد الأخرى التي لم تكن معروفة على وجه الدقة . إلا أن فيما ذكره السخاوى عند حديثه عن فضل باب الرحمة ما يشير إلى أن الأعمال المذكورة قد امتدت إليه أيضا إذ يذكر الله في أيام مباشرة برد بك

⁽١) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٠٦ .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٧ .

⁽٣) نفس المصدر جـ٢ ص ٦١٠ ،

⁽٤) نفس المصدر جــ ٣ ص ٦٠٥ ، وانظر السخاوى : التحفة اللطفة ، جــ ١ ص ٣٦٦ ، ابن حجر الهيشمي : تحفة الزوار ص ٩٢ .

التاجى لعمارة المسجد _ أيام الظاهر جقمق _ راموا إصلاح الإسطوانة ، المقابلة لدكة بواب الرحمة ، لخلل فيها . وراموا ذوب رصاص بجانبها لسكبه فيها ، فلم تؤثر النار فيه . فصاح عليهم الشيخ الجمال عبد الله بن الشمس محمد بن أحمد الششترى .. أن النار لا تؤثر في باب الرحمة ، فبادروا وتحولوا لمحل آخر خارج المسجد . فبمجرد أن أطلقت النار ذاب بعد يأسهم أولا ، (١)

ولا يبعد أن يكون ذلك التجديد قد شمل أيضا أجزاء أخرى من سقوف المسجد النبوى لم يذكرها أحد من المؤرخين الذين أمكننى الإطلاع على مؤلفاتهم. وهكذا فإن الأخبار التي ساقها لنا السمهودى والسخاوى لا تفى برسم صورة واضحة عن هذه العمارة المجزأة ولولا غرابة القصة التي وقعت لبعض عمال البناء عند باب الرحمة ، لما عرف شيء عن عمارة هذا الجانب من المسجد .

ومن هذه الأعمال إستحداث سقف لطيف طوله نحو ستة أفرع يحيط به رفرف للباب الشمالي لدرابزين الحجرة الشريفة لحمايتها من حرارة الشمس^(۲) وقد بسطت أرضه بالرخام الملون وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ^(۳). وفي تلك السنة أيضا أمر الظاهر جقمق بإحاطة جدار القبلة بأزار من الرخام جاء في وصف ابن المحجوب له أنه عجيب ساذج^(٤). وذكر السمهودي عن هذه الوزرة أنها الصلت ببقايا الرخام الموجود بالمحراب العثماني وما حوله من بقايا الحريق الأول ،

⁽۱) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ۱ ص ٥٠ وكان يمكن عد ذلك من المبالغات التي عرف بها ذلك العصر إلا أن السخاوى يذكر بعد ذلك و وبمن شهد ذلك حسين بن محمد بن عبد المعزيز بن عبد الواحد ، إبراهيم الششترى المذكور وغيرهما . وقال لى أبو الفتح الشكيلي ـ أحد رؤوس نواب الفراشين المجاور للباب المذكور أنه شاهد ذلك ،

⁽٢) مبق أن بعض المصادر ذكرت عند الحديث عن عمارة الملك الناصر محمد للبلاطتين اللتين أضافهما إلى رواق القبلة أن بعض شيوخ أهل السنة هدم المقصورة التي وضعها بعض الشيعة على الباب الشمالي للحجرة الشريفة بقصد حمايتها من حرارة الشمس . وأن وجود البلاطيتين المذكورتين قد حمى الحجرة من الشمس فلا ضرورة لبقاء المقصورة ، انظر أدناه ص ٢٥٤ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦١١ ، ابن حجر الهيثمي : مخفة الزوار ، ص ٩٧ .

⁽٤) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٨ ب .

وأنه كان بأعلى الوزرة المذكورة طراز محمر بماء الذهب(١).

ويستدل من كلامه عن وزرة الرخام الموضوعة في جدار القبلة على أن رخام هذا الجدار لم يموض بعد تلفه في الحريق الأول إلا في عهد السلطان جقمق الذي اهتم بإعادته على الصفة التي كان عليها قبل الحريق أو قريبا منها كما يتضح من وصف ابن المحجوب والسمهودي له . ومن الأعمال التي تمهدها معمار السلطان جقمق في المسجد النبوي الشريف في السنة المذكورة استحداث رحبات (٢) فسيحة أمام أبواب المسجد لتمكين الناس من خلع نعالهم قبل الدخول إلى المسجد (٦) منعا للزحام الذي كان يحدث عند درابزين الأبواب . فقد أقام والأمير يردبك المعمار أيام عمارته للظاهر جقمق هذه الأحجار المصفوفة أفريزا عند طرف عقد باب السلام مما يلى الحصن العتيق (٤) ، وجعل ما أمام الباب مما يحاذي العقد المذكور رحبة ، وصار الناس ينزعون النعال عندها ، وعمل عند باب الرحمة مثل ذلك . ورفع ذلك الدرابزين ، وكان ما بين الدرابزين وباب الرحمة منخفضا عن أرض المسجد فسواه بأرض المسجد كما هو اليوم ، فاحتاج إلى رفع عتبته ، فزاد العتبة المتخذة فوق العتبة الأصلية ، وقصر شيئا من أسفل الباب ، وذلك ظاهر فيه اليوم ، وحصل بذلك صيانة للمسجد ، واتخذ أيضا الرحبة التي أمام باب

⁽۱) السمهودى : وفاء الوفا جـ ۲ ص ۵۷٤ .

⁽٢) قال ابن منظور في لسان العرب جـ ١ ص ٤١٤ ه أن الرحبة ما اتسع من الأرض ، وجمعها رحب ، ورحبة المسجد والدار ، ساحتهما ومتسعهما ، ويقصد بها هنا تخديد جزء واسع من الأرض التي تقع عند باب المسجد بدرايزين أو غيره لكي يخلع الناس أحليتهم عنده منعا للرحام عند باب المسجد .

 ⁽٣) نقل المراغى من كتاب يحيى بن الحسين قول النبى الله النبى الله المراغى من كتاب مساجدكم،
 انظر تحقيق النصرة ص ٨٨ .

⁽٤) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧٠٢ وما بعدها أن الحصن العتيق كان منزلا لأمراء المدينة . وقد اشتراه غياث الدين بن سلطان بنجالة وبناه مدرسة سنة ٨١٤هـ ثم حوله متولى عمارة الأشرف قايتباى الثانية إلى مدرسة ورباطا للسطان قايتباى سنة ٨٨٧هـ ويقع فى الجانب الغربي من المسجد بالقرب من باب السلام .

النساء ، ورفع الدرابزين الذي كان من داخله واتخذ لباب جبريل الرحبة التي أمامه، ولم يرفع الدرابزين لأن الناس لم يكونوا يمشون بنعالهم إليه ،(١).

ومع جدوى هذه الأعمال في المحافظة على نظافة المسجد الشريف إلا أن الإبقاء على السلسلة التي وضعها عمر بن عبد العزيز بباب السلام بعد عمارة الوليد للمسجد النبوى ، قد سببت كما يذكر السمهودى ، في سنة ٨٥٤ هلاك كثير من الناس عند ازدحامهم عندها ، الأمر الذي أوجب رفعها في أيام المواسم التالية (٢).

وإذا كنا نفتقر إلى الكثير من التفاصيل عن أحمال جقمق هذه ، فإن ما أحمله لنا ابن المحجوب فيه دلالة على اهتمام هذا السلطان بأمر المسجد النبوى الشريف فقد ذكر أنه و تفقد جميع المسجد بالرم وجدد جميع سقفه بالخشب المربعة الرفيعة والدهان المنوع بالذهب (واللازورد) . إلا أن سقف بعض مجنباته لم يتم تذهيبها لموت هذا الملك جقمق قبل نمام ذلك وقصور همم الملوك بعده عن إكماله ٤ (٣) وجاء فيما ذكره السخاوى في ترجمته لهذا السلطان و أن له في المدينة ربع (٤) ودشيشة (٥) ومصحف وغير ذلك ٤ (٢) ونفقة مثل هذه الأعمال من

⁽۱) السمهودى : وفاء الوفا جـ ۲ ص ۷۰۰ ، ويقصد بكلمة اليوم المتكررة فى الاقتباس المذكور زمن السمهودى المتوفى سنة ۱۹هـ ، ويدو أن عدم رفع درابزين باب جبريل لأن الداخلين إلى المسجد كانوا يأتون خالبا من باب السلام ، بقصد السلام على رسول الله على . كما.صرح البرزنجى فى نزهة الناظرين ، ص ۱۰۲ .

⁽٢) السمهودى : المصدر السابق جــ ٢ ص ٧٠٥ .

⁽٣) قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٨ ب .

⁽٤) الربع هو « المنزل والدار بعينها » كما ذكر ابن منظور في لسان العرب جــ م ص ١٠٢ وهو هنا دار بها غرف كثيرة كالرباط يسكن فيها الفقراء والمساكين .

⁽٥) الدشيشة فهى الجشيشة وهى ﴿ أَن تطحن الحنطة طحنا جليلا ثم تنصب به القدر ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ ٤ . ويقال أن الجشيش هو ﴿ الحب حين يدق قبل أن يطبخ فإذا طبخ فهو جشيشة ﴾ انظر ابن منظور : الصدر السابق جـ٣ ص ٢٧٣ . وانظر إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط جـ٢ ص ٢٨٣ . »

⁽٦) التحفة اللطيفة ، جــ١ ص ٤٢٢ .

أوقاف السلطان الخاصة(١).

وعلى أية حال فإن ما قام به هذا السلطان يعتبر خاتمة الأعمال الهامة التى قام بها الملوك الجراكسة فى المسجد النبوى الشريف . وبعد التجديد المذكور فقد أصبح المسجد النبوى الشريف فى مأمن من الأضرار التى كانت تهدده ، بالإضافة إلى أن السلاطين الجراكسة الذين أتوا بعد الظاهر جقمق كانوا على درجة من الضعف وعدم الاستقرار السياسى^(۱) وهو ما عبر عنه ابن المحجوب و بقصور همم الملوك بعده »^(۳). ومع ذلك فإن من المعلومات القليلة عن بعض الأعمال الفردية التى تمت فى المسجد النبوى الشريف فيما بين عهد السلطان جقمق والسلطان قايتباى ما أجد أنه من الواجب التعرض له فى حدود ما تسمح به المعلومات المتوفرة عن هذه الأعمال .

وفى مقدمة هذه الأعمال ما يذكره على بن حسين السليمان من أعمال تنسب إلى زوجة الأشرف إينال (٨٥٨ ـ ٨٦٥هـ) من أن لها بمكة والمدينة

⁽١) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، ص ١٩٨ .

⁽٢) يتبين من الجدول التالى الذى اعتمدت فيه على كتاب مخفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين للشرقاوى ومن كتاب محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ص ٢٩٠ ـ الله أغلب السلاطين الذين تولوا عرش مصر في تلك الفترة خلعوا أو قتلوا من قبل الأمراء الآخرين المنافسين لهم .

_ الظاهر جقمق ۸٤۲ _ ۸۵۷هـ

ـ عثمان بن جمق محرم سنة ٨٥٧ ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ .

ــ الأشرف إينال ٨٥٨ ــ ٨٦٥ هــ

المؤید أحمد بن إینال محرم سنة ٨٦٥ _ رمضان سنة ٨٦٥هـ

ـ الظاهر خشقدم ٥٦٥ ـ ٢٧٨هـ

_ بلبان المؤيدى ربيع الأول سنة ٧٧٢هـ _ جماد الأولى سنة ٧٧٢هـ

_ الطاهر تمريغا جمادى الأول سنة ٧٧٢هـ رجب ٨٧٢هـ

ـ الظاهر خير بك تسلطن ليلة واحد من سنة ٨٧٢هـ

الأشرف قایتبای ۸۷۲ ـ ۹۰۱ هـ

⁽٣) انظر أعلاه ص ٢٨٢ .

استعفى لمرضه .

خلعه الأمراء

استعفى لمرضه

خلجه الأمراء

توفى على عرشه

خلعه الأمراء بعد ٥٦ يوما خلعه الأمراء بعد ٥٩ يوما .

خلعه الأمراء .

توفی علی عرشه .

صدقات وميضاًة ورباطا في المدينتين (١)، ومن الضرورى أنه كان المقصود من هاتين الميضائين خدمة الحرمين الشريفين وفي عهد الأشرف إينال أيضا اجتهد الأمير طوغان شيخ الأحمدي (٢) في استحداث محراب خاص بالحنفية في المسجد النبوى. وقد تمكن على ما يبدو من أخذ موافقة السلطان إينال . إلا أنه قوبل بالممارضة الشديدة من أهل المدينة الذين تعضدوا بمساعدة و أحد أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريف (١) تغمده الله برحمته ، فلم يتم لطوغان المذكور ذلك (٤). ولكن الأمير طوغان السوء حظ أهل المدينة ، استطاع تنفيذ رغبته بعد موت ناظر الخاص الجمالي ، إذ سعى في الدولة التركية بمعونة الأمين الاقصرائي (٥) و فبرزت المراسيم به بعد الستين وثمانمائة واستمر إلى زماننا (زمن السمهودى) فيصلى أمامه الصلوات الخمس عقب انصراف إمام المحراب النبوى ، وهو إمام الشافعية ، إلا في التراويح فيصليان معا ، وهذا الأمر دب إلى المدينة الشريفة من مكة المشرفة و(١).

ويبدو مما أورده محمد بن خضر الرومي عن تجديد هذا المحراب وتقديمه في محاذاة المحراب النبوى في حدود سنة ٩٤٨هـ، أنه كان متأخرا عن المحراب النبوى

⁽١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٧ .

⁽٢) ذكر السخاوى: التحقة اللطيقة ، جـ٢ ص ٢٦٧ فى ترجمته لهذا الأمير أنه ٥ قد ولى نظر المسجد الحرام المكى مدة من الزمن وأن كلمته فى مكة كانت نافذة . ثم يذكر أنه توجه إلى المدينة المنورة أميرا على الترك بها ٤ واظهر مؤلفا اعين فيه ، عارض فيه السيد السمهودى فى امتهان البسط المكتوب عليها وهدم احترامها . كتب له عليه جماعة (ايدوه فيه) وكان يتفقه ويزاحم الفقهاء مع بلادة وهدم معرفة ٤ ويذكر أنه مات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة .

⁽٣) قال حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ٣ ص ١٢٠٧ أن وظيفة ناظر الخواص و من الوظائف الديوانية الجليلة التي كان يشغلها مدنيون ، وقد انشقت في عهد السلطان محمد بن قلاوون وذلك حين أبطل الوزارة وقسم أعمالها بين ثلاثة موظفين هم ناظر المال ، وناظر الخاص ، وكاتب السر ،

⁽٤) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٣ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢٦٧ .

⁽٥) السخاوى: نفس الممدر جـ٢ ص ٢٦٧ .

⁽٦) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٨٣ .

بقدر كبير^(۱) وقد أخذ هذا المحراب بعد هذا التجديد اسما جديدا لا يزال يعرف به إلى اليوم وهو المحراب السليماني^(۲). أما العمل الثالث فهو ما ينسب إلى القاضى زين الدين أبو الصدق المعروف بابن مزهر (۸۳۱ ــ ۸۹۳هــ) الذى ابتدأ بزيارة المدينة في موسم سنة ۸۷۱هــ و وفعل هناك من المعروف ما عم به أهل المدينة بحسب مراتبهم ، وأمر بإصلاح ما تهدم من الرخام بالحجرة الشريفة » (۳).

ويظهر أن عمل هذا القاضى اقتصر على قيامه بالنفقة في إصلاح الرخام من ماله الخاص ، وذلك لأن اكتشافه لتلف الرخام كما يبدو مما سبق كان في زيارته للمدينة . وكان الأمر يقتضى إحضار الرخام المذكور من غير المدينة ، اللهم إلا إذا كان العمل مقصورا على إعادة ما تساقط من رخام الحجرة الشريفة ، فإن عمله ميسور جدا .

ومهما يكن من أمر فإن النصر الذى حققه الأمير طوغان شيخ الأحمدى في حدود سة ٨٦١ هـ في استحداث محراب للحنفية بالمسجد النبوى الشريف اغراه في حدود سنة ٨٧٣هـ بزيادة عدد النخل المغروس بصحن المسجد ، إلا أن معارضة السمهودي له قد أحبطت ما أراد (٤).

⁽١) التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة ، ص ٩٢ .

 ⁽۲) البزرنجى : نزهة الناظرين ص ٤٩ ، إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جدا ص ٤٦٩ ،
 الأنصارى : آثار المدينة المنورة ص ٩٥ .

⁽٣) السخارى : الذيل على رقع الأصر المعروف (ببغية العلماء والرواة ص ٤٨٢ .

⁽٤) وفاة الوفا ، جـ ٢ ص ٢٨٢ . وانظر السخاوى التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢٦٧ . وعن هذا النخل يذكر السمهودى أنه لا يعلم شيئا عن أول من أحدثه سوى ما ذكره ابن جبير في رحلته عند ذكره للقبة التي بصحن المسجد من أن ٥ بازائها في الصحن خمس عشرة نخلة ٥ ثم ذكر أن ابن قرحون ، الفيروزبادى قالوا أن شيخ الحرم النبوى عزيز الدولة قد زاد من غرس هذا النخل في زمانه ، وذكر من مساوئ هذا النخل ما حدث من مقوط ٥ تلك النخيل لهبوب عاصفة عبت في أواخر مشيخة ياقوت الرسولى . ثم أعيد الغرس ووقع الإنكار من بعض الناس ولكن لم يصادف كلامه محلا من الإشارة والإفادة ٥ .

وذكر السيد محمد كبريت الحسيني في الجواهر الشمينة في محاسن المدينة ص ٥١ بقاء هذا النخل حتى زمنه سنة ١٠٤٨هـ وأن و مسألة غرسه مختلف فيها ، فمنهم من كرهه ومنهم من منع ومنهم من أباح كما ذكر البرزنجي في نزهة الناظرين ص ٩١ بقاء هذا النخل في المسجد حتى بعد عمارة السلطان عبد الجيد .

المبحث الثانى عمارة السلطان الائشرف قايتباى الاُولى فى المسجد النبوى سنة ٨٨١هـ

المبحث الثانى

عمارة الأشرف قايتباي الأولى في المسجد النبوي سنة ٨٨١هـ

ذكرت عند الحديث عن عمارة المسجد النبوى الشريف في عهد الملوك الجراكسة قبل السلطان قايتباى أنه قد أمن الأضرار التي كانت تتهدده بعد تعهد الأشرف برسباى ومن بعده الظاهر جقمق له بالترميم والتجديد في أجزاء كثيرة من أروقته وأشرت بعد ذلك إلى قصور السلاطين الذين أتوا بعدهم عن الاهتمام بهذا المسجد الشريف معتمدا في ذلك على ما ذكره ابن المحجوب من بقاء بعض مجنبات المسجد النبوى دون تذهيب بعد موت الظاهر جقمق (١).

وعندما تولى الأشرف قايتباى الحكم التزم الطريقة التى سار عليها السلاطين من قبله من حيث عدم التعرض لعمارة المسجد الشريف إلا عند الضرورة القصوى، وهو ما يتضح من عمارته الأولى والثانية ، اللتين سوف أتعرض لهما فيما يلى معتمدا فى ذلك على ما أورده مؤرخ المدينة المعاصر لهما ، وهو نور الدين على بن أحمد السمهودى ، الذى كتب عنهما بتفصيل واف مزودا ببعض الرسوم الهامة والتواريخ اليومية والشهرية لأهم الأعمال التى شاهدها . وهو يذكر أن السبب فى هذه العمارة هو مطالعة المستولين فى الحرم النبوى الشريف للأمير شاهين الجمالي (٢) الذى ورد المدينة بعد منصرفة من جده فى طريقه إلى مصر ، فأروه بعض الأجزاء التالفة من سقف المسجد ه وأروه الحائز الخمس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم يظهر إذا رفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية وانعطافها إلى الزاوية الشمالية ٤ (٢) ولأهمية الموضوع فقد اقتضى رأيه آنذاك استدعاء بعض أرباب الخبرة ممن كانوا في صحبته لأخذ رأيهم فى ذلك . إلا أنهم استدعاء بعض أرباب الخبرة ممن كانوا في صحبته لأخذ رأيهم فى ذلك . إلا أنهم

⁽١) انظر أعلاه ص ٢٨٢ .

⁽٢) ذكر السخاوى في التحقة اللطيقة جـ٢ ص ٢١٠ وما بعدها في ترجمته لهذا الأمير أنه كان مندوبا للسلطان في مكة للإشراف على عمائر مكة ونواحيها كاجراء عين عرفة وعمارة مسجدى نمرة والخيف وأنه استقر اخيرا في مشيخة الحرم النبوى سنة ١٩٩١هـ

⁽٣) السمهودى : وفاء الوقا جـ٢ ص ٦١٧ .

لم يتفقوا على رأى واحد بشأن خطورة جدار الحجرة الشريفة ، مما أدى إلى اجتماع السمهودى بالأمير شاهين لأخذ رأيه في أمر الجدار فيذكر له و أنه ليس بضرورى ، لأنه شق في طول الحائط لا في عرضه ، وهو قديم مملوء بالجص ، والحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشى عليه و(١)، ويضيف السمهودى إلى ذلك أن كلامه أعجه (٢).

ويبدو من ترجمة السخاوى لهذا الأمير أن مكانته عند الأشرف قايتباى كانت كبيرة جدا ، مما جعل المسئولين في المدينة يعرضون عليه أمر المسجد الشريف وما يحتاج إليه من ترميم وتجديد ، فنقل في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة إلى الأشرف قايتباى و إحتياج المسجد الشريف للعمارة ، وسقوط منارة مسجد قباء » (۱) فاهتم قايتباى بالأمر غاية الاهتمام ، واختار للعمارة الأمير الشمسى ابن الزمن الذى كان مغرما بمثل هذا العمل وقد و سبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية ه (٤) واختار شخص له إلمام بالمدينة المنورة وأحوالها للقيام بعمارة المسجد النبوى يعتبر في الحقيقة دليلا على شدة عناية السلطان بأمر هذه العمارة غير أن تأخر حضور مندوب قايتباى إلى المدينة و في اثنا سنة تسع وسبعين ه (٥). يدل على أن التفكير في أمر هذه العمارة قد استغرق وقتا طويلا يقارب السنة أو يدل على أن التفكير في أمر هذه العمارة قد استغرق وقتا طويلا يقارب السنة أو أكثر . ومرد ذلك كما اعتقد إلى أن العمارة المقترحة لم تكن من الخطورة بمكان يتضى من السلطان التدخل فورا ، كما اتضح للأمير شاهين من قبل (٢) ، وعلى عكس ما حدث بعد الحريق الثاني للمسجد النبوى سنة ١٨٨ه ، علاوة على عكس ما حدث بعد الحريق الثاني للمسجد النبوى سنة ١٨٨ه ، علاوة على

⁽١) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦١٨ .

⁽٢) نفس القيدر ، جـ ٢ ص ٦١٨ .

⁽٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦١٨ .

⁽٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦١٨ ، وعن هذه المدرسة فإنه لم يرد في المصادر التي اطلعت عليها ما يحدد موقعها على وجه الدقة . إلا أن السخاوى في التحقة اللطيفة ، جـ ١ ص ٦٤ قد عدها من المدارس المجاورة للمسجد النبوى الشريف .

⁽٥)السمهودي : وفاء اوفا ، جـ ٢ ص ٢٠٥ .

⁽٦) السمهودي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦١٨ .

ذلك فإن ما يذكره السمهودى عن ولع ابن الزمن بتولى العمارة فى المدينة ، وتفضيل السلطان له بحكم خبرته السابقة بالمدينة وأحوالها ، وقد يشير إلى كثرة الطامعين في هذا الأمر ، كما أن إعداد الأموال وأدوات العمارة ولوازمها قد تطلب هو الآخر بعض الوقت .

وعلى أية حال فإن بقاء ابن الزمن في المدينة لم يدم طويلا ، فقد عاد إلى مصر بعد ترتيبه لأمر العمارة (١) ومع عدم وضوح الأسباب الحقيقية التي دعته إلى العودة في نفس السنة التي قدم فيها ، إلا أن تعطيل العمارة في سنة ثمانين وثمانمائة على ما صرح به السمهودي (٢) يوحي بوجود خلاف حول المقترحات التي حملها ابن الزمن معه إلى القاهرة عن هذه العمارة ، على أن مهندس العمارة (٣) الذي بقى في المدينة أمر العمال الذين كانوا معه « فهدموا عقود المسجد التي تلى رحبته من جهة المشرق وسقف البلاط الذي كان عليها لاقتضاء نظرهم ذلك، ونقضوا بعض أساطينه فوجد بعضها لا رصاص فيه ، وبعضها فيه من الرصاص بتحديد أكثر لأن هذه المجنبة المعروفة بالرواق الشرقي قد عمر بعضها في عهد الملك المظفر سيف الدين قطز ، وأكمل الباقي في عهد الملك الظاهر بيبرس . وهذا التحديد الذي كان يرجى من السمهودي كان يلقي الضوء على نوعية العمارة في عهد كل من السلطانين المذكورين وهو ما لم استطع الوصول نوعية العمارة في عهد كل من السلطانين المذكورين وهو ما لم استطع الوصول

⁽١) نفس المصدر جـ٢ ص ٦٠٥ .

⁽٢) نفس المصدر جـ٢ ص ٦٠٦ .

⁽٣) ذكر النهروالي في الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٢٥ ، بأن المهندس الذي كان يلازم الأمير النهمس بن الزمن هو سنقر الجمالي ، بيد أن السخاوي في التحفة اللطيفة ، جـ٢ ص ١٩٧ يذكر بأن قدومه إلى المدينة كان بعد الحريق الثاني عندما أرسله النسمس بن الزمن من مكة إلى المدينة . ولم ترد ادني إشارة إلى المهندس الذي كان يتولى عمارة المسجد النبوى سنة ٢٩٨هـ عقب عودة ابن الزمن إلى القاهرة ، ومع ذلك لعله كان سنقر الجمالي وأنه فات السخاوى ذكر ذلك.

 ⁽٤) السمهودى ، وفاء الوفا ، جد ٣ ص ٢٠٦ وكانت هذه العمارة التى قام بها هذا المهندس كما يدر مما ذكره السمهودى في صفحات تالية هو في سنة ٨٧٩هـ .

إلى معرفته عند تعرضي لعمارة المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الأول .

ومهما يكن من أمر فقد أعادوا تثبيت تلك الإسطوانات بالحديد والرصاص ثم أعادوا تسقيف ذلك البلاط كما كان أولا سقفا واحدا في موازاة السطح الأسفل لمقدم المسجد ، وكان ذلك في سنتهم الأولى(١). وانتقالهم في تلك السنة إلى هدم « سور المسجد الشريف مما يلي المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية»(٢) دليل آخر على أن هذا الجانب من المسجد الشريف قد حظى بقدر كبير من الاهتمام في هذه العمارة ، وهو ما سوف يتأكد لنا في المراحل التالية . وكان الجزء المهدوم منه قد بدأ من « جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من وكان الجزء المهدوم منه قد بدأ من « جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من المسلمها ، وهو الباب الثاني جوف بابها الظاهر(٢) إلى ما يوازي حرف الدكاك من القبلة ، وذلك آخر المسقف الشامي ، ومقدار ذلك سبعة وعشرون ذراعا بذراع المده و٤٠).

وكان السبب في احتياج هذا الجدار وغيره من العقود التي تلى الصحن إلى التجديد هو أنها كانت مبنية بالجص المسكوب في المداميك من أساسها وهو مادة يسرع تأثرها بالسباخ (٥) التي تشكل معظم الأرض التي بني فيها المسجد ، مما دعا المهندس إلى استخدام مادة أخرى مؤلفة من ٥ الطين والنورة المخلوطة بناعم الحصباء) (١) عند إعادة البناء واستخدام الجص بعد انتهاء البناء في تكحيل وجوه الأحجار من داخل المسجد وخارجه . وقد اقتضى هدم الجدار المذكور بطول سبعة

⁽١) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٦ .

⁽٣) كان للمنارات كما يبدو من هذا النقل بابان أحدهما خارجى وهو الذى يشرع فى المسجد والآخر داخلى يؤدى إلى سلم المتارة وكان يمكن غلقه لمنع من لا يراد صعوده إلى أعلى المنارة . وفى هذا ما يفيد بأنهم استفادوا مما بين البابين لتخزين بعض لوازم المسجد الشريف .

⁽٤) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٦ وطول الجدار المذكور حوالي ١٣٥٥ من المتر .

 ⁽٥) انظر ما ذكره السمهودى في المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٦ عن مهندس العمارة بخصوص التأثير
 الذي تحدثه السباخ على مادة الجبس .

⁽٦) السمهودي : المصدر السابق جــ ٢ ص ٣٠٦ .

وعشرين ذراعا ، كما صرح بذلك السمهودى ، وبطبيعة الحال رفع و السقف الكائن أمام المنارة المذكورة إلى جنب ما هدموه من الجدار المذكور ((). وقد أعادوا ذلك في نفس السنة (أي سنة ٨٧٩هـ) كما أنهم قاموا بفحص دقيق للمنارة السنجارية التي و كانت تضطرب عند الهدم بحيث خشى سقوطها (()). وقد واقتضى رأيهم سد الشق الذي ظهر بجدار المنارة المذكورة بالجص الجيد ، وقد أجدت هذه المعالجة حتى أنها لم تجدد إلا في عهد السلطان العشماني سليمان القانوني في حدود سنة ٩٤٦هـ(١).

وعلى ذلك يمكن القول بأن العمارة التي تمت في سنة ٩٧٩هـ تنحصر في هدم عقود الرواق الشرقي وتجديدها ، وهدم بعض جدار هذا الرواق ، وإعادة بناء السقوف على نحو ما كانت عليه . وهي في الحقيقة أعمال قليلة استخدمت فيها الأحجار التي كانت في العمارة السابقة وربما بعض الأخشاب كذلك . ولم يذكر السمهودي أو غيره اختلافا ملحوظا في طول الجدران ، أو نوعية الخشب المستخدم هذه المرة ، بل أن ما صرح به السمهودي من أسباب قيام العمارة في هذا الجانب يشير إلى سلامة الأخشاب التي كانت في الأجزاء المجددة من هذا الرواق مما يدل على الاستفادة من أغلبها عند إعادة تسقيف ما انكشف من الرواق المذكور .

وبعد انتهاء العمارة في هذا الرواق توقف العمل في المسجد كله حولا كاملا، ولم أجد من أشار إلى الأسباب الحقيقية لهذا التوقف . ولا إلى مصير العمال الذين قاموا بعمارة المسجد سنة ٨٧٩ هـ على أنه يغلب على الظن أنهم عادوا إلى مصر صحبة المهندس الذي كان يشرف عليهم (٤). ويؤيد ما ذكرته من احتمال توقف

⁽١) نفس المصدر ، جــ ٣ ص ٦٠٦ ، ابن حجر الهيشمي : محمَّفة الزوار ص ٩٢ .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٠٦ .

⁽٣) محمد بن خضر الرومي : التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة ص ٩١ .

⁽٤) تتبعت ما تيسر لى الإطلاع عليه من مصادر مختلفة عن الحجاز فى العصر المملوكى وما بعده فلم أجد من ذكر قيام أى عمارة للسلطان قايتباى فى الحجاز مما دعانى إلى القول بعدم بقاء المهندس ومن معه من العمال فى الحجاز بعد توقف العمارة المذكورة .

هذه العمارة بسبب المقترحات التى حملها ابن الزمن معه إلى القاهرة فى أول منة ٨٧٩هـ اختلاف العمارة التى باشرها بنفسه فى أول منة ٨٨١هـ عن سابقتها والتى شملت هدم معظم جدران الحجرة الشريفة وإعادة بجديدها كما سنرى فيما يعد ، وهو فى اعتقادى منشأ الخلاف الذى توقفت بسببه العمارة طوال عام ٨٨هـ ، بدليل مخالفة ذلك لما استقر عليه رأى الأمير شاهين الجمالى كما أوضحه السمهودى من قبل (١). ثم أن تفويض السلطان أمر إكمال هذه العمارة أول الأمر إلى المقر الشرفى شرف الدين الأنصارى الذى حضر و صحبة الحاج إلى مكة وأقام بها مدة حتى يتكامل حصول الآت العمارة فتوفى بها ليلة سابع عشر صفر عام احد وثمانين وثمانمائة (٢) فيه ما يشير إلى اختلاف ابن الزمن ـ الذى اضطر السلطان قايتباى إلى إسناد إشراف العمارة إليه بعد موت شرف الدين ـ مع المسؤلين فى القاهرة .

ولكننى لم أتمكن من معرفة موقف ابن الزمن هذا على وجه الدقة ، ولكن قدومه إلى المدينة الشريفة (صحبة شاد جدة في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين (⁽⁷⁾ بعد ورود المراسيم الشريفة بتفويض العمارة إليه يدل على موافقة السلطان على إقتراحاته السابقة أو بعضها ، والتى كان منها مجديد جدران الحجرة الشريفة ، وهو الأمر الذى حرص كما يقول السمهودى على أن يكون اتمامه على

وعلى أيه حال فقــد كــان قدوم ابن الزمن إلى المدينة هذه المرة مصحوبا بعدد

انظر أعلاه ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

⁽۲) السمهودي : وفاء الوفا جــ ۲ ص ٦١٨ .

⁽٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦١٨ .

⁽٤) يذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٦١٩ أنهم عقدوا مجلسا و وطلبنى متولى العمارة للحضور فيه ، فترددت لأنه بلغنى أن بعض الناس اوغر صدره منى وقرر عنده أنى حريص على أن لا تكون هذه العمارة على يده . وكنت أرى منه محبة وميلا ثم تنكر بعض التنكر .. ، وفى ص ٢٠٠ يذكر أنه لم يحضر للمجلس الثانى الذى عقد يسبب هدم الحجرة وأنهم فسروا ذلك لابن الزمن بما يوافق ما ذكروه له من قبل ، .

و من أرباب الصنائع الم⁽¹⁾ وكانت آلات العمارة ولوازمها قد اكتملت في أوائل عام ١٨٨ه. الما مكن ابن الزمن من الشروع في العمارة فور وصوله المدينة في شهر جمادى الأولى في السنة المذكورة . وقد و أقام لمباشرة العمارة بنفسه افرفموا سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة الزرقاء .. ورفعوا أيضا شيئا مما يلى ذلك من جهة ما يوازى غربي المنبر الشريف لتكسر كثير من أخشابه (٢).

وكان هذا الجزء من الروضة مما جدد في عهد الظاهر جقمق سنة ١٨٥ه، ويبدو أن الزمن والمطركانا مما ساعدا على تلف السقوف خاصة وأنه قد وجد في السنة نفسها في القبة الزرقاء و أخشاب قد تأكلت من طول الزمان ونداوة مياه الأمطار ٤^(٦) ولطالما تسببت هذه القبة في تلف هذا الجزء من سقف الروضة منذ إنشائها في عهد المنصور قلاوون سنة ١٧٨هه وذلك بسبب مجميع ما يسقط عليها من أمطار فوق سقف الروضة ، وقد اقتضى رأى متولى العمارة عند إعادة بناء السقف الأعلى للمسجد الشريف بناء عقود من الأجر و كهيئة القناطر التي حول رحبة المسجد، ورأى أن ذلك أبقى وأحكم من الأخشاب ٤^(٥) بما يكفل حفظ السقف مما يتعرض له من أمطار لقربه من القبة المذكورة . وفي الحقيقة كانت هذه الطريقة قد اثبتت جدواها في البلاطتين اللتين أقامهما الملك الناصر سة ٢٧٩ه في مقدم المسجد مما يلي صحنه . يبد أنه لم يقدر لها البقاء طويلا في عمارة ابن الزمن وذلك بسبب الحريق الثاني ومع ذلك فقد اتبعت طريقة البناء عمارة ابن الزمن وذلك بسبب الحريق الثاني ومع ذلك فقد اتبعت طريقة البناء بالعقود في جميع سقوف مقدم المسجد بعد ذلك الحريق لجدواها .

وكان من نتيجة استخدام هذه العقود ارتفاع 3 ذلك المكان من السقف الأعلى

⁽۱) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ٦١٨ .

⁽٢) نقس المصدر جـ ٢ ص ٦٠٦ ،

⁽٣) انظر أعلاه ص ٢٧٩ .

⁽٤) جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠١هـ ثم الظاهر جقمق سنة ٨٥٣هـ وكان تجديد قايتباى لها في سنة ٨٨١هـ هو الثالث لهذا الجزء من المسجد خلال العصر المملوكي .

⁽٥) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٧ .

على بقية ما حوله منه ، وصار الماشى بين السقفين فى تلك الجهة يمشى منتصبا أو منحنيا قليلا ، وكان لا يتأتى قبل ذلك المشى هناك إلا مع انحناء كثير ه(١)، ويتضح من هذا النص أن الارتفاع لم يكن يتجاوز نصف المتر وهو الفرق بين القامة المنحنية كثيرا والقامة المعتدلة . ولم يخل ذلك بمنظر سطح المسجد من الخارج وظل السقف الأسفل للمسجد على العبارات الموضوعة على رؤوس السوارى بأصل تلك العقود ، كما أنه ما من شك فى أن هذا الارتفاع البسيط فى السقف الأعلى للمسجد قد جنب ذلك الجزء من سقف الروضة الشريفة مضار المياه المنحدرة من سطح القبة وتسربها عبر ألواح الرصاص ، التى كانت تغطيها ، إلى أخشاب سقف الروضة .

وقد حدد السمهودى ذلك الجزء المجدد من سطح المسجد فقال : أن لا تلك القناطر موضوعة على ما يحاذى صف الأساطين التي هي قبلة الروضة والمصلى الشريف من أولها من جهة الشرق إلى الإسطوانة التي تلى المنبر من جهة المغرب ، وعلى ما يحاذى الصف الثانى وهو صف إسطوان عائشة رضى الله عنها في موازاة الصف المتقدم ذكره من المشرق إلى المغرب ، وعلى ما يوازى الصف الثالث وهو صف إسطوان المحرس من المشرق إلى المغرب أيضا ، وأما ما يوازى صف إسطوان الموفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الأسفل والأعلى فيه باب الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الأسفل والأعلى فيه باب يدخل منه إلى ما بين السقفين فهدموا ذلك الحائط ، واحكموا بناءه وجعلوا الخشب عليه أيضا ، (٢).

وعلى ذلك فإن ذلك التجديد قد شمل الروضة ببلاطاتها الثلاث ابتداء من جدار الحجرة الشريفة وانتهاء بالإسطوانات التى تلى المنبر ، وصار سقف البلاطتين اللتين زادهما عمر وعشمان رضى الله عنهما فى مقدم المسجد ، مع سقف ما يحاذى الحجرة الشريفة إلى الجدار الشرقى وسقف ما كان غربى المنبر من مقدم

⁽١) السمهودي : المصدر السابق جــ ٣ ص ٢٠٧ .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٠٧ .

المسجد كله منخفض عن ذلك (١) الجزء ومع إغفال السمهودى لذكر المدة التى استغرقتها عمارة ذلك السقف ، إلا أنه يفهم مما ذكره عن الشروع فى هدم جدران الحجرة الشريفة فى الرابع عشر من شعبان سنة ٨٨١هـ(٢) أن المدة التى استغرقها بناء سقف الروضة العلوى لم تتجاوز ثلاثة أشهر (٣) وهو وقت قصير جدا لا يتناسب مع عظم العمل الذى تم وما من شك فى أنه كان يدفع القائمين بالعمل إلى مضاعفة الجهد فى إنجاز ذلك الجزء من سقف الروضة حتى أتى على صفة تخالف المألوف فى العمائر السابقة ، حرصهم الشديد على عدم تعطيل الروضة ، وحرمان الناس من الصلاة فيها بسبب الأعمال القائمة فى سقفها .

ويبدو أن انتقالهم إلى أجزاء أخرى من سقوف المسجد الشريف حدث بعد الانتهاء من سقف الروضة نظرا لأهميتها ، فقد ذكر السمهودى تتبعهم للأحشاب التالفة فى أنحاء متفرقة من المسجد إذ يذكر أنهم و وجدوا أخشابا كثيرة متفرقة نحو الأربعين من السقف الأعلى أيضا قد تكسرت فزرقوا بدلها ، ووضعوا إلى جانب بعضها أخشاب مزرقة وسمروها من غير كشف للسقف ه (٤) ونظرا لتفرقها فإن السمهودى لم يحرص على تخديد مواضعها . وقد ذكر عقب ذلك ما حدث بالسقف الأسفل الذى يغطى امتداد بلاطات الروضة مما يلى المشرق فقال إنهم وقلعوا السقف الأسفل الذى بالرواق (البلاط) الشرقى مما يلى الأرجل الشريفة ، وجانبا من سقف رواق (بلاط) باب جبريل إلى باب النساء» (٥).

وقد سبق ذكر عمارة هذه الأجزاء من السقف في فترات مختلفة ، منها ما يعود إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ٦٥٥ هـ ، ومنها ما عمر في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي جعل في سنة ٧٠٦هـ سقف المجنبتين

⁽١) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٢٠٧ .

⁽۲) نفس المصدر ، جـ ۲ ص ۱۳۱ .

⁽٣) هي الفترة التي تقع بين قدوم ابن الزمن إلى المدينة في جمادى الأولى وبين البدء في هدم الحجرة الشريفة في شعبان سنة ١٨٨هـ .

⁽٤) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٢٠٧ .

 ⁽٥) نفس المصدر ، جد٢ من ٢٠٧ ، وانظر ابن حجر الهيثمي : تخفة الزوار ص ٩٢ .

الشرقية والغربية سقفا واحدا على هيئة السقف الشمالي(١١). وعلى هذا فإن الوقت الطويل الذي مضى على بناء هذه السقوف(٢) كان له أثره في تلف أخشابها ، بالإضافة إلى احتمال تعرضها لرطوبة مياه الأمطار التي تسقط على القبة الزرقاء فتنحدر إلى السقوف المجاورة .

ويذكر السمهودى أيضا ما حدث بالرواق الشرقى من بجديد في هذه العمارة إذ يقول (أنهم سقفوا الرواق (البلاط) الأوسط الذي يلي الرواق (البلاط) الذى سبقت عمارتهم إياه في العام الماضي (٣) وأعادوا ذلك (٤) في نفس العام. ولكن السمهودى لم يشر إلى أسباب بجديد هذا السقف كما لم يذكر كعادته مقدار الخشب التالف به ، مع أن العمارة التي تمت في هذا الرواق في عام ٨٧٩هـ قد شملت جوانب كثيرة منه (٥)، ولكن يبدو أن الحرص الذي أولاه ابن الزمن لهذه العمارة قد شمل أيضا ما يمكن أن يكون مصدر خطر في المستقبل القريب وفي ذلك كله يتضح أن أغلب سقوف هذا الرواق قد جددت في العمارة الأولى التي تعهدها الأشرف قايتباي بالتجديد فيما بين سنة ٨٧٩هـ إلى سنة . __\^\\

وإذا صبح أن وصف السمهودي كان حسب مراحل العمل المختلفة التي انجزها القائمون بالعمل أثناء مجديد هذه السقوف فإن عودتهم إلى امتداد بلاطتي مقدم

⁽١) انظر أعلاه ص ٢٤٥ وما بعدها . وانظر خارطة توزيع العمائر في المسجد النبوي بعد الحريق الأول شكل (٤٩) .

⁽٢) مضى على الجزء المجدد من السقف في عهد المستعصم بالله العباسي عما يلي مقدم المسجد الشريف قراية ٢٢٣ سنة . وعلى ما جدده الملك الناصر في هذا الرواق ١٧٥ سنة .

⁽٣) أي عام ٧٩٨هـ لأن العمارة في عام لمانين ولمانمائة كانت توقفت كما عرفنا من قبل .

⁽٤) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٢٠٨ .

⁽٥) كانت هذه العمارة قد شملت تجديد جميع العقود المطلة منه على الصحن ، وتجديد جدار المسجد مما يلى المنارة الشمالية الشرقية وكذلك سقف البلاط الذي يلى جدار المسجد الشرقي ، والبلاط الذي يلى العقود المجددة . أولا انظر أعلاه ص ٢٩٢ وخارطة توزيع الأعمال في عمارة قايتبای الأولى شكل (٥٣) .

المسجد مما يلى المشرق عندما و قلعوا السقف الأسفل المحاذى لموقف الزائرين مجاه الوجه الشريف الم^(۱) دليل على أن مراحل العمل لم تكن تسير وفق خطة مسبقة، وأن الأمر كان متروكا لما يراه متولى العمارة ، الذى كان يلجأ فى المسائل الهامة إلى أخذ رأى مشايخ الحرم الشريف وكبار رجال المدينة المنورة .

ومن الجدير بالذكر ملاحظة ما ذكره السمهودى عن متانة سقف مقدم المسجد مما يلى المشرق رغم قدمه ، إذ لاحظ أنهم و تعبوا فى قلعة أكثر من غيره لاتقانه وإحكامه فإنه من عمل الأقدمين و(٢) وكان يرجى لو اتبع هذا المنهج فى وصفه لبناء جميع السقوف المجددة ، بما كان يساعد بشكل أفضل على إلقاء الضوء على نوعية التجديد فى العمائر السابقة وما ذكره السمهودى من وجود اسم الظاهر بيبرس على خشب هذا السقف أفاد فى تحقيق ما سبق أن افترضته عن تجديد المنائر فى عهد هذا السلطان(٣).

ولم يذكر السمهودى سببا لقلع السقف المذكور رغم إتقانه وإحكام صنعه ثم إعادة بنائه . ثم يعود السمهودى فيذكر أنهم انتقلوا هذه المرة إلى مؤخر المسجد الشريف فاصلحوا « شيئا فى السقف الشامى وغيره » (٤) من سقوف المسجد ، ويظهر أنها أعمال بسيطة لا تتجاوز فى أغلب الأحيان استبدال بعض الأخشاب التالفة . وبعد الانتهاء من مجديد السقوف على الصورة التى ذكرتها من قبل لا بد وأن يكون الأشرف قايتباى قد جدد دهان السقوف كلها _ أو ما مجدد منها على الأقل _ بالذهب واللازورد ، كما كانت عليه أولا .

أما القبة الزرقاء التي كانت تعلو الحجرة الشريفة ، والتي ذكرت أنها تسببت أكثر من مرة في تلف السطوح المجاورة لها ، ومنها سقفا الروضة الشريفة قبل هذه العمارة ، فإنه قد تبين بعد الكشف عنها في سنة ١٨٨١هـ وجود خلل في بعض

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٢٠٨ .

⁽٢) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٨ .

⁽٣) انظر أعلاه ص ٢٢٩ .

⁽٤) السمهودي: المصدر السابق حـ٢ ص ٦٠٨.

أخشابها و فعضدها متولى العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سمرت معها ، وقلع ما حولها من ألواح الرصاص التي على أعلى السطح (۱) بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره (۲) فوجدوا تخت ذلك أخشابا قد تأكلت من طول الزمان ونداوة مياه الأمطار » (۳) ويذكر السمهودي بعد ذلك أنهم أصلحوا ذلك الخلل وإعادة الرصاص بعد أن أضافوا إليه كثيرا من الرصاص المخزون في حاصل الحرم ومما أحضر من مصر ، كما أنهم جددوا الدرابزين الحيط بالقبة مما يلى سطح المسجد (٤).

وأظن أن عدم التحام الرصاص الذى كان يكسو سطح القبة وما يليها من مقدم المسجد مع طبقة الطمى أو الجص التى كانت فوق جميع سطوح المسجد الشريف (٥) ، وأثر المياه المنحدرة عند نزول المطر من سطح القبة ، بالإضافة إلى أثر جو المدينة الحار صيفا البارد شتاءا على ألواح الرصاص خلال المدة التى مضت على بجديد هذه القبة من سنة ٥٦٧هـ إلى سنة ١٨٨هـ ، قد ساعد ولا شك فى فتح مسام أو فتحات تصل عبرها مياه الأمطار إلى أخشاب السقف الأسفل فتح مسام أو فتحات تصل عبرها مياه الأمطار إلى أخشاب السقف الأسفل لمقدم المسجد ، وقد إمتدت هذه الآثار النامجة عن الأمطار إلى السقف الأسفل للحجرة الشريفة الذى قال عنه السمهودى أنه و سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى (١) ، فأثرت كما يقول في جزء متين من الأخشاب التى مخته من الساج الهندى (١) ، فأثرت كما يقول في جزء متين من الأخشاب التى مخته

 ⁽١) كانت ألواح الرصاص المذكورة امتدادا للألواح التي كانت تغطي سطح القبة وقصد من مدها على السطوح المجاورة للقبة حماية سقوف المسجد من نزول الأمطار إليها .

 ⁽۲) كان هذا الدرابزين قد حل محل السور الذى كان يحيط بسطح الحجرة الشريفة _ تمييزا لها عن
بقية سطوح المسجد ، وصياتة لها من المشى عليها _ بعد استحداث القبة في عهد المنصور قلاوون.
 انظر أدناه ص ٢٣٩ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦١٠ .

⁽٤) نفس المصدر : جـ٢ ض ٢١٠ .

⁽٥) لا يزال الطمى يستخدم فى سطوح كثير من منازل القرى فى جنوب المملكة وكان قبل وجود الأسمنت هو المادة الأساسية فى حماية سقوف المنازل من الأمطار بالإضافة إلى أن تحكمه فى درجة الحرارة معروف فى المناطق التى يسودها الجو الحار صيفا والبارد شتاءً\.

كما أثرت فى الشباك الذى كان بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز (1). وفى الستارة التى تخيط بسقف الحجرة الشريفة (٢) مما دعا المشرف على العمارة إلى تجديد ما تآكل من هذه الأخشاب (٣).

وبعد ذلك عمل على بجديد بعض الدرابزين المصنوع من الخشب الذي سبق للظاهر بيبرس أن أحاط به الحجرة الشريفة ، وكان ذلك كما يذكر السمهودي مما يلى الروضة (٤) وجدد دهان بعض السقف الأسفل الذي كان وحول الحجرة داخل المقصورة التي تعرف اليوم (٥) بالحجرة) (٦).

واهتم ابن الزمن كذلك بتجديد غالب الرخام الذى يلى جدار القبلة ، وكان من مجديد الظاهر جقمق سنة ٨٥٣هـ(٧) كما وابدل أيضا الطراز (٨) الأول الذى كان بأعلى الوزرة ، وكان محمرا بماء الذهب بالطراز الموجود اليوم (٩)، (١٠).

وكان أجدى لو أن السمهودى وصف شكل الطرازين بتفصيل أكثر بما كان يفيد في معرفة الزخارف التي كان يتحلى بها جدار القبلة .

* * *

⁽١) نفس المصدر جـ٢ ص ٢٠٣ .

 ⁽٢) يبدو من هذا النص أنه كان على حائز عمر بن عبد العزيز درابزينا وعلى الحجرة الشريقة درابزينا أبضاً.

⁽٣) السمهودي : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦١٠ .

⁽٤) نفس المصدر : جــ ٢ ص ٢١٢ .

⁽٥) زمن السمهودي المتوفي سنة ٩١١ هـ .

⁽٦) السمهودي : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٠٨ .

⁽۷) انظر أدناه ص ۲۸۰ .

⁽٨) ذكر ابن منظور في لسان العرب جـ٥ ص ٣٦٨ عدة معان لكلمة طراز قمنها ما ينسج للسلطان في الثياب وذكر أنها فارسي معرب . وذكر ــ أيضًا أن الطراز تأتى بمعنى الشكل . وذكر عبد العزيز مرزوق في الفنون الزخرفية الإسلامية ، ص ٦٩ ، أنها ٥ كلمة إيرانية معربة تعنى شغل الإبرة أي البروداي ثم اطلقت على الثوب الذي يزدان بشغل الإبرة إذ كانت هذه الزينة أشرطة من الكتابة ثم صارت تطلق على المصنع الذي تطرز فيه هذه الأشرطة . وهي هنا شريط مزخرف لا يعرف عرضه ولا نوع الزخارف التي كانت مخليه .

⁽٩) زمن السمهودي المتوفي سنة ٩١١هـ .

⁽۱۰) السمهودي : وفاء الوفا جد ٢ ص ٣٠٨ .

أ ـ نُجديد الحجرة الشريفة سنة ٨٨١هـ :

لعل من التوفيق الذى صاحب العمارة التى قام بها الأشرف قايتباى فى المسجد النبوى الشريف ، معاصرة مؤرخ لها ، له إلمام واسع بتاريخ المسجد الشريف خاصة ، وتاريخ المدينة المنورة عامة . ذلك لأنه حرص لحسن الحظ عند تدوينه ما شاهده من أعمال على أن يتتبع مراحلها المختلفة ويفيها حقها من الدقة والوصف . من ذلك أنه عندما استقر الرأى على هدم بعض جدران الحجرة الشريفة ، لم يتوان عن ذرع جدرانها بنفسه ، ومقارنة ما اتضح له من ذرعها بما ذكره المؤرخون عن ذرع جدرانها وفضلا عن ذلك فإن ما سجله يدل على أن الشروع فى تجديد الحجرة الشريفة كان بعد الانتهاء من تجديد بعض سقوف المسجد التى مر ذكرها .

وسبب ذلك أنهم وجدوا عند بجديدهم لحلية الصندوق الذى كان يقابل الرأس الشريف مما يلى الروضة الشريفة (١) شقوقا وآثار تلف بأسغل الإسطوانة التى يرتكز إليها الصندوق والقائم الموضوع فوقه . وقد هالهم منظر الإسطوانة التالفة كما تأكد لهم خطورة الشق الذى لوحظ فى أوائل سنة ٨٧٨هـ فى مؤخرة جدار الحائز الشرقى مما يلى الشمال . وقد عقدوا النية على استخراج الخزات التالفة من الإسطوانة المذكورة (٢) ، وهن ست قطع تقع كلها فى أسفل الإسطوانة . وقد استبعد السمهودى قدرتهم على استخراجها من الإسطوانة دون إلحاق الضرر ببقية أجزائها (٣). وقد ثبت أن توقع السمهودى كان فى محله إذ أعجزهم استخراج الخرزات التالفة ، مما أدى إلى التفكير فى إيقاء الإسطوانة على حالها ، على أنه الخرزات التالفة ، مما أدى إلى التفكير فى إيقاء الإسطوانة على حالها ، على أنه

 ⁽١) لمزيد من المعلومات عن تاريخ هذا الصندوق وصفة صنعته ومقدار ما يحليه من الذهب والفضة وكذلك القائم الموضوع فوقه انظر الفصل الرابع والعشرين من وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٧٤ .

⁽٢) ذكر السمه ودى فى نفس المصدر جـ٢ ص ٢١٩ أن أهل المدينة يسمون كل قطعة من الاسطوانة خرزة وأنهم يسمونها أيضاً فلكة . وتتألف كل اسطوانة من عدد من القطع الحجرية المتحوتة بشكل دائرى مثقوبة فى وسطها ثم تركب فوق بعضها وتخشى بعمد الحديد ثم يصب الرصاص حول الأعمدة ليمارا الغراغ ويزيد من قوة تماسك القطع حتى تصبح كأنها قطعة واحدة .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٣ ص ٦١٩ .

تيسر لهم ذلك (بعد كسر بعض الخرز وإخراجه)(١). بيد أنه لم يكن لهم بد من نزع باقى الخرز ، وهو ما أقره المجلس الذى عقده متولى العمارة لهذا الغرض ، وكان قد دعى إليه كبار شيوخ المدينة ومعهم السمهودى ، ولكنه لم يلب الدعوة (٢). ونظر المجلس إلى الأذى الناتج عن المعالجة القوية لخرزات الإسطوانة المذكورة ، ومجاورة ذلك للحجرة الشريفة التى كانت جدرانها (تهتز له لاتصالها بالإسطوان المذكور) (٣). لذلك لم يكن لهم خيار سوى التسليم بالأمر الواقع ، لأن وقت النظر ، كما ذكر السمهودى كان قد فات .

ولابد هنا من تفصيل ما اتخذ من عمل في هذا الصدد. فقد جاء على لسان السمهودي أن رأيهم اقتضى • تعميق (٤) ما على رأس الأسطوان المذكور من أخشاب السقف ، فجعلوا مرمة (٥) من الأحشاب حول الإسطوان المذكور ليكسروا الخرز المشقق من ذلك الإسطوان ، وهن ست ، ثم يعلقون ما صح من الاسطوان

⁽١) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦١٩ .

⁽۲) أوضح السمهودى في نفس المصدر جـ ٣ ص ٦١٩ السبب في عدم حضوره ذلك المجلس إذ يقول : ٥ طلبني متولى العمارة للحضور فيه فترددت لأنه بلغني أن بعض الناس اوغر صدره منى وقرر عنده أنى حريص على أن لا تكون هذه العمارة على يده _ وكنت أرى منه مجة وميلا ، ثم تنكر بعص التنكر وعلمت أن الرجوع عن اصلاح الاسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها واخوجه . فعلمت فوات وقت النظر . فاجبت الرسول بذلك ولم أحضر ه .

⁽٣) أورد السمهودى في المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٥٩ قول عمر رضى الله عنه و أن مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات ، وقال أبو بكر رضى الله عنه : و لا ينبغى رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا ، وروى ابن زبالة وبحيسى من طريقه عن غير واحد ، منهم عبد العزيز بن أبى حازم ونوفل بن عمارة قالوا : أن عائشة كانت و تسمع صوت الوند يوند والمسمار يغيرب في يعض الدور المطيفة بمسجد النبي محمد في فترسل إليهم لا يؤذوا رسول الله على ، وقالوا : وما عمل على مصراعى داره إلا بالمناصع ، توقيا لذلك ، وذكر ابن منظور في لسان العرب جلا ص ٣٥٦ أن المناصع موضع خارج المدينة . وهذا يعنى أن على نقل بابه إلى هناك ثم سمره وأعاده وهذا يعيد المناصع موضع خارج المدينة . وهذا يعنى أن على نقل بابه إلى هناك ثم سمره وأعاده وهذا بعيد جدا ، والصواب أنه رضى الله عنه قد استعاض عن المسامير بسيور من الجلد تربط بها أجزاء الباب لأن ابن منظور ذكر في نقس الصفحة أن النصع هو ما يتخذ من الأدم .

⁽٤) لعلها تحريف و تعميد و أي تدعيم العتبتين أو العارضتين الخشبيتين اللتين تلتقيان فوق هذه الأسطوانة بأعمدة من الخشب .

⁽٥) يقصد بذلك دعامات من الخشب تخيط بالجزء العلوى من الأسطوانة ، وهو الجزء السليم منها . وبذلك يبدو أنهم بدأوا علاج الاسطوانة من أسفلها بدليل تعليق الجزء السليم إلى أن يتم ادخال خرزة بدل الخرزة التالفة وهكذا على التوالى ، مع احتمال حفر مجرى آخر في أخر خرزة ركبت لسكب الرصاص منه إلى الخرزات المركبة أولا

إلى أن يدخلوا مكان ذلك بدله ،(١) وجاء أنهم ظلوا يحاولون إخراج الخرز التالف عدة أيام حتى تمكنوا من ذلك . ثم أعادوا مكان تلك الخرزات الست مثلها من خرز إسطوان نقضوه من مسجد قباء ، فكان ذلك بقدر تلك الخرز سواء(٢) وأحكموا إعادتها بالرصاص وعمد الحديد أحسن إحكام ٥(٢) وهنا بجب الإشادة بالنجاح الذي حققه العمال في استبدال الخرزات المذكورة أولا ، رغم بساطة آلاتهم المحدودة آنذاك ، مما أدهش السمهودي ، ودعاه إلى الاعتراف بحسن و معرفة المعلم المباشر لسبك الرصاص (٤)، وضضلا عن النجاح الذي اعترف به السمهودى فإنهم أعادوا بجديد حلية القائم الذي كان فوق الصندوق الموجود بلصق الإسطوانة التي كان يستند إليها القائم (٥)، ومع العناية الواضحة بهذا القائم كما يبدو من وصفه قبل وبعد العمارة ، فإن حقيقته وسبب وجوده غير معروفين

⁽۱) السمهودي : وقاء الوقا ، جـ ۲ ص ٦١٩ .

⁽٢) ذكر أبِنَ النجارَ في الدرة الثمينة ، ص ١٩٣ أن حمر بن عبد العزيز عمر مسجد قباء ووسعه عندما أشرف على عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد النبوى وقال أنه و يناه بالحجارة والجص وأقام فيه الاساطين من الحجارة داخلها عواميد الحديد والرصاص ونقشه بالفسيفساء وعمل له منارة وسقف بالساج .. ٥ ويمكن الاستنتاج من مزامنة هذه العمارة لعمارة المسجد النبوى الشرَّيفَ، زمن الوليد ، ومن تشابه الصفات المحمارية بين المسجدين ، بالإضافة إلى وقوع ذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز القصيرة نسبيا للمدينة المنورة ، أن المجر الذي قطعت منها أحجار الإسطوانات المستخدمة في المسجدين كان واحدا ، كما يبدو من تساوى الخرز الذي فك من بعض اسطوانات مسجد قباء واستخدامه في الاسطوانة التالفة في مقدم المسجد النبوي الذي لم تتغير اسطواناته منذ بناه الوليد بن عبد الملك حتى تلك العمارة الواقعة في سنة ١٨٨١هـ .

⁽٣) ، (٤) السمهودي : وفاء الوافا ، جـ ٢ ص ٦١٩ .

⁽٥) يحسن إيراد ما ذكره السمهودى، في نفس المصدر جـ ٢ ص٥٧٥ _ ٥٧٦ في وصف هذا القائم بعد بَجَديد حليته فقد جاء أن طول القائم المذكور ثلاثة أفرع ، وهو خمس صفحات ألصقت بعضها على بعض وجعلت محيطة بما ظهر في الاسطوانة آلتي الصندوق بأصلها قوقه (فوق الصندوق) فإن بعض الاسطوانة في البناء الملاصق لها من الحائز المذكور ، ولو أحاطت الصفحات بجميع الاسطوانة لكاتت أكثر من عمس . (ولكان) شكلها مشمنا ، وهو مختم بالنجشب الآسود الهندى ، معصب بصفائح الفضة المموهة طولا وعرضا بأحسن صناعة ، وصفائحه الطويلة من الفضة أربع ، والمقاطعة لها من جهة العرض خمس ، وفي رأسه من أعلاه حلية دقيقة كالزيق، وزنة ما عليه من الفضة زيادة على ألفي قفلة (أي حوالي ٢٠٠٠ درهم وازن والدرهم الوازن مَا كَان وزنه ٢,٩٨ جم) وأخذوا لأجل تمويهه من حاصل للسجد أربعين مثقالا من

أما الصندوق فقال أنه لم يغير وأنه مغشى كله بالفضة . وجاء فيما نقله عن وصف الفيروزبادى له أنه 1 صندوق أبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها 1 .

كما صرح بذلك الفيروزبادى والسمهودى (١) ، ومع ذلك فيان وجوده فوق الصندوق الذى كان يدل على موضع الرأس الشريف من الحجرة النبوية الشريفة يفيد بأن الهدف منه هو تخديد موضع الرأس للنبى على بيد أن السمهودى ينفى أن يكون موضعه الذى كان فيه فى المواجهة الحقيقية للرأس الشريف ، وذلك بسبب ما تبين له عند انكشاف الحجرة الشريفة فى العمارة التى أدركها من أنه (فى محاذاة الجدار الداخل (٢) القبلى (٣) ، وأن الرأس الشريف (متأخر عن الصندوق المذكور يسيرا (٤) ، كما يدو فى الشكل رقم (٥٤) .

وبعد الانتهاء من إعادة الإسطوانة التي كانت سببا في التوسع في عمارة الحجرة الشريفة على النحو الموضح في الصفحات التالية ، وعند بجديد رخام جدران الحجرة الشريفة و قلع رخام الصفحة الآخذة من الزاوية الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق عند منعطفها ظهر الشق المتقدم ذكره (٥) وهو انشقاق قديم سد الأقدمون خلله بكسر الأجر وأفرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فأنشق البياض من رأس وزرة الرخام إلى رأس الجدار المذكور ٤ (١) وقد أراد متولى العمارة اختبار هذا الشق فعمد إلى استخراج ما بداخله من الأجر والجص فوجد أنه شق كبير يستطيع الإنسان منه أن يرى البناء الداخل للحجرة الشريفة . وقد وجد به هو الآخر شق في محاذاة الشق الأول وذلك و عند ملتقى الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه ، وهو قديم أيضا ، وقد سده المتقدمون ، ثم اتسع قليلا

⁽۱) المنانم المطابة ، ورقة ٨٢ب ، وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٧٥ ، وبعتقد البرزنجي في نزهة الناظرين ص ٧٣٠ أن سبب حدوث هذا الصندوق أمام الرأس الشريف كان بهدف وضع ٥ ما كان يرد لتجمير المسجد الشريف من العود والند والصندل والعنبر وغيرها . وابتداء ذلك من زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم صار ذلك منة الخلفاء والملوك بعده غير أنه لما اتسعت الدوائر خصصوا الصندوق المذكور بوضع الصندل فيه ورفعوا ما يجمر به المسجد إلى أماكن أخرى ٤ .

⁽٢) يقصد جدار الحجرة الداخلي وهو أحد جدرانها الأربعة التي تقع داخل حائز عمر بن عبد العزيز.

⁽٣) ، (٤) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٧٥ .

⁽a) انظر أعلاه ص ٢٨٩ _ ٢٩٠ .

⁽٦) السمهودي: المصدر السابق جـ٢ ص ٦٢٠.

على دوام الأيام ١ (١). وكان الشق الداخلي من الخطورة بحيث أكد للقائمين بالعمل حاجة الحجرة الشريفة إلى مجديد بعض جدرانها ، وبدليل شروعهم قبل ذلك في مجديد رخام الحائز المذكور . ولو كان الأمير شاهين الجمالي قد تمكن سنة ٨٧٨هـ من رؤية الشق الداخلي في مبنى الحجرة ، وشاهد تلف الإسطوانة السالفة الذكر ، لتخلى مطلقًا عن قناعته بعدم خطورة الشق الخارجي ، ولأوصى حينذاك بوجوب المسارعة بتجديد عمارته .

ونصدق إحساس ابن الزمن وطمعه في الفوز بأن يكون بجديد الحجرة الشريفة على يديه ، فقد حرص على عقد مجلس آخر داخل المقصورة الحيطة بالحجرة الشريفة عند الجدار المتداعى للسقوط و حضره القضاة والمشايخ والخدام وشيخهم الأمير أينال ٤ (٢). وقد استطاع أن ينتزع من هذا المجلس موافقة شبه إجماعية (٢) على وجوب المسارعة في تجديد الجدران التالفة ، وأكدوا إجماعهم هذا بمحضر وقع فيه بعض أهل المدينة وأرسل إلى مصر (٤) وتمكن السمهودي لحسن الحظ من رؤية الجدار قبل هدمه وقدم وصفا مخليليا عن أسباب التلف الذي أصابه وغيره من جدران الحجرة . فقد ثبت له أن و سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميلانه نحو الجدار الظاهر ، (٥). وقد رأى احتمال ظهور الميلان بعد

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٢٠ .

⁽۲) تفس المصدر ، جـ ۲ ص ۲۲۰ .

⁽٣) إذا كان ما يذكره السمهودي في نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٢١ خاليا من التحيز فإن تهافت هؤلاء الأعضاء الذين شملهم المجلس في جلستيه الأولى والثانية على ابن الزمن دعاهم إلى الموافقة على ما كان يصبو إليه من الفوز بهذه العمارة كما صرح به أحدهم وهو القاضي الزكوى الذى اوغر صدره على السمهودي بسبب مخالفته لاجماعهم ، ومرد ذلك الاجماع من هؤلاء الأعضاء يرجع في اعتقادي إلى أنهم أصحاب وظائف يخشون زوالها ، كما أن ما يمتلكه هذا الأمير من جاه وسلطة دعاهم إلى السير في ركابه وتبني آراءه .

⁽٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٢٤ ، حيث يذكر تبنى القاضى الزكوى ـ قاضى المدينة آنذاك _ لكتابة ذلك المحضر الذي وقع فيه بعض أهل المدينة ، ولم يوقع فيه السمهودي بحجة أنه لم يسبق أن وقع على مثل ذلك المحضر من قبل .

⁽٥) السمهودي : وفاء الوفا ، حــ ٢ ص ٦٢٠ .

الحريق الأول ، ومحاولة الأقدمين دعم • الجدار الداخل بأخشاب جعلوها بين الجدار الداخل والخارج عند رأسهما في شرقي الحجرة ، فمال الجدار الظاهر من أعلاه بحيث صار أعلاه لا يوزاي أسفله ، وخرج بسبب ذلك عن الاستقامة فحدث فيه الشق المذكور ع(١). وإلى جانب إجماع المجلس السالف الذكر ، فقد استلهم ابن الزمن من الرؤيا(٢) التي رآها مساء ذلك اليوم الشجاعة على وجوب الشروع في التجديد .

وبدأ العمل في صبيحة اليوم الرابع عشر من شعبان سنة ٨٨١هـ، فهدم جزء من الضلع الشرقي من هذا المخمس، وما يليه من ضلع المثلث الشمالي (٣) وكانت د سعة ذلك خمسة أذرع بذراع اليد (٤)، وذلك من بعد نحو أربعة أذرع من الأرض إلى رأس الجدار المذكور (٥). وكان لخلو الحائز المذكور من سطح يرتكز عليه (٢) أثر فعال في سهولة هدمه. وقد تبين لهم من خلاله أن بين الحائز وجدار

⁽۱) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ۲ ص ٦٠٠ ، وقد ذكر بعد ذلك أنه اقترح إقامة بناء ثالث يدعم الجدار المائل من الحائز المخمس ، وعندما رفض متولى العمارة اقتراحه ، سأل المهندس عن رأيه في الترميم باعتباره أعرف الحاضرين ، فقال له السمهودى : و هل محققت الآن اشراف هذا الجدار على السقوط وأته لا يتأتى تأخيره ، أم يحتمل التأخير مدة إذا رم بالجص والأجر كما كان أولا فيؤخر إلى أن يصير غير محتمل للتأخير فإنه لا يفعل هنا إلا ما تدعو إليه الضرورة في الحال؟ فقال : الترميم شيء وقطع الفرط شيء آخر ٤ .

⁽٢) ذكر السمهودى : في المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٢١ إن متولى الممارة ذكر له ٥ أنه رأى رؤيا فهم منها الهدم ، فصمم عليه ٤ ثم ذكر السمهودى بعد ذلك أنه رأى ٥ عنده من شجاعة الجنان وثبات الجأش في هذا الأمر ما لا يوصف ٤ . وعن مثل هذه الرؤيا يقول علماء النفس أنها انعكاسات للاهتمامات الشخصية بالأحداث الماضية . انظر أحمد عزت راجع : أصول علم النفس، ص ٥٠٣ ، محمد عثمان مجاني : علم النفس في حياننا اليومية ، ص ٢٥١ .

⁽٣) إنظر خريطة الحجرة الشريفة التي أعدها السمهودي بعد هذه العمارة شكل (٥٤).

⁽٤) أي حوالي مترين ونصف .

⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٢١ .

⁽٦) قال المراعى في تحقيق النصرة ، ص ٥٣ و أعلم أن الحائط الذى بناه عمر لم يوصله إلى سقف المسجد بل دوين السقف بمقدار أربعة اذرع ، وادار عليه شباكا من خشب من فوق الحائط إلى السقف يراه من يتأمله من تحت الكسوة التي على الحجرة الشريفة ، وقد اعيد بعد احتراق المسجد (الحريق الأول) على ما كان عليه قبل ذلك ٥ .

الحجرة ردم كثير من مخلفات الحريق الأول تركه الأقدمون لكثرته وقدسية مكانه ، فاجتهدوا في إزالته في الخامس عشر من شهر شعبان وكان أغلبه بقايا و السقف الأعلى وجص وأجر من الجدار الذي كان بأعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها ، كما تقدم بيانه ، ومما كان على رؤوس الأساطين ، ومما احترق من أخشاب ذلك »(۱) السقف . ورغم جلال الموقف ، فإن السمهودي بحاسته الأثرية حرص على أخذ مقاس الفراغ الذي كان بين الجدارين ومقدار انخفاضه عن أرض المسجد ظنا منه أن الأمر سيقف عند ذلك الحد^(۲). إلا أن فحص المسئول عن أرض المسجد ظنا منه أن الأمر سيقف عند ذلك الحد^(۲). إلا أن فحص المسئول عن العمارة للشق الموجود بجدار الحجرة الشامي قد بين له وجود شق مماثل في جدارها و القبلي مما يلي المشرق أيضا »(۲) ، وأكدت له المحاولات القديمة لدعم هذا الجدار (٤) ضرورة تجديده ، فرفع القناديل التي كانت معلقة بسقف الحجرة الشريفة المريفة المريفة المسجد ثم أمر العمال بالبدء في رفع سقف الحجرة الشريفة "تمهيدا

⁽۱) السمهودي : المصدر السابق جـ ۲ ص ۲۲۲ .

⁽۲) يؤخذ من المعلومات التي ذكرها السمهودي في المصدر السابق جـ٢ ص ٥٦٥ _ ٦٦٢ ، ٦٥٣ أن عمق الفراغ المذكور عن الأرض المرخمة والمحصورة بين ذلك الجدار ومقصورة الظاهر يببرس فراع وثلث ذراع . وكان جدار الحجرة الغربي ملاصقا لجدار الحائز الغربي ليس ينهما ٥ فضاء أصلا ولا مقرز إبرة ٥ وكانت مساحة المثلث الشامي ثمانية أفرع . وجاء أن بين جدار الحجرة الشرقي وجدار الحائز الظاهر ٥ فضاء مختلف كالزقاق الرقيق ، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو فراع اليد يمر فيه الرجل منحرفا ، فإذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لا يمر فيه إلا الصغير منحرفا ، وصعته نحو ثلث ذراع ٥ وكان الغضاء المحصور بين الجدارين القبليين ٥ كالزقاق الرقيق ، فأوله من جهة الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر م أقل من ذلك إلى ملتقي الحائطين في جهة المغرب ٥ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٢٣ .

⁽٤) ذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٥٦٥ أن بحداء الاسطوانة التى أمام وجه عمر رضى الله عنه فيما برز منها فى الفضاء الذى يقع بين الجدارين و بناء بنحو عرضها قد سد ما بين الجدارين من الفضاء وكأنه جعل لإدعام الجدار من أجل الانشقاق ، المذكور . ثم ذكر فى ص ١٣٣ أنهم وجدوا محاولة مماثلة لدعم الجدار الشرقى بقطع الخشب الموضوعة بأعلاه .

 ⁽٥) قدم السمهودى في المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٣ وصفاً دقيقاً لنوع الخشب الذي كان بسقف الحجرة الشريفة وكيفية وضعه بعد الحريق الأول في العمارة العباسية للمسجد النبوى.

لهدم الجدران المتداعية وقد شرعوا في الحادى والعشرين من شعبان المذكور في هدم الجدار الشامي والشرقي من البناء الداخل ، وتبين لهم فور الانتهاء من هدم الجدار الشامي في اليوم الثاني والعشرين من شعبان ضخامة الردم الذي كان يعلو القبور الشريفة (۱) وقد استغرق رفع ذلك الردم منهم يوما كاملا(۲) رغم كثرة العاملين فيه . ودعى السمهودى في اليوم الخامس والعشرين لمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها ، فحضر وصحح اعتقاد الكثرة الحاضرة بوجود القبر الشريف في وسط الحجرة الشريفة (۱) مستندا إلى أصح الأقوال في ذلك (۱) . ولم يغفل عن

(٣) انظر المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٢٦ .

(٤) تمرضت أكثر المصادر التي تتحدث عن تاريخ المسجد النبوى للروايات التي تتحدث عن القبور الشريفة حسب أوضاعها المختلفة ، ولكنها في مجموعها تنقل ما تواتر من روايات دون ترجيخ رواية على أخرى وقد تبين لي من المقارنة التي عقدتها بين هذه الأوضاع ترجيح الوضع التالى للأسباب التالية :

النبي عليه السلام اله عنه الله عنه أبو بكر رضى الله عنه

- _ أن الروايات التي ذكرت هذا الوضع صحيحة كما ذكره الحاكم وأبو داود . انظر الوفا ، جـ ٢ ص ٢٥٥ .
- أن السمهودى ذكر في ص ٥٦٦ من الوفا جـ٢ أن ذرع الجدار الجنوبي من الداخل (بين الشرق والغرب) عشرة أذرع وثلثى ذراع ويتحويلها إلى أمتار على أساس أن الذراع كما حدده هنتس ٢٠٠٥ سم أى : أن مجموعها حوالى ٥٠٥ من الأمتار . واستنادا إلى ما ذكره ابن إسحاق في كتاب المناسك ص ٣٧٥ وابن النجار في الدرة الشمينة ص ١٣٨ ، والسمهودى في الوفا ، حـ٢ ص ٥٤٥ من أن عمر بن عبد العزيز وجد أقدام عمر بن الخطاب رضى الله عنه في جدار الحجرة الشرقي وهو ما يتفق مع ما ذكره عن طوله رضى الله عنه .
- _ إذا فرضت أن طول الرسول عليه السلام ٥ر١ من الأمتار استنادا إلى الروايات التي ذكرها ابن الجوزى في الوفا بأحوال المصطفى ، جـ ٢ ص ٦٦ من أنه عليـه السلام كـــان وسطا بيسن =

 ⁽١) قال السمهودى فى المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٢٢٧ أن آثار الردم بلغت فى بعض الجدران ثلاثة أذرع وفى بعضها الآخر نحو ذراعين .

 ⁽۲) ذكر السمهودى في وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ٦٢٤ ، أن ما أخرج من الردم في يوم ٢٣ شعبان قد
 وضع في مؤخرة الرواق الغربي نما يلى الرواق الشمالي حيث عملت منه دكة بارزة هناك .

ذكر ملاحظة هامة تتعلق بحدوث ارتفاع ملحوظ في أرض المسجد الشريف تضاعف مع الزمن إذ يذكر : (وقد تأملت التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة وبين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامي من الداخل ، وزاوية الجدار الخارج فوجدت أرض الحجرة أنزل منه بنحو ذراع ونصف ، وتقدم أن أرض الفضاء المذكور أخفض مما حول الحجرة من المسجد بذراع وثلث ، فيكون التفاوت بين داخل أرض الحجرة وأرض المسجد نحو ثلاثة أذرع » (١) انظر شكل (٥٥) .

وبعد تنظيف أعمال الحجرة الشريفة تتبعوا الأجزاء المتداعية من الجدار القبلى ، مما يلى الشرق فهدموا منه (نحو أربعة أذرع وشىء حتى بلغوا به أرض الحجرة (٢) وهدموا من الجدار الغربى نحو خمسة أذرع مما يلى الشمال ، ثم انتقصوا من إرتفاع المجزء المتبقى من الجدار الغربى والجنوبى مقدار خمسة أذرع . ولهذا لم يبق من بناء الحجرة الأول سوى ما بقى من هذين الجدارين ، وهو ارتفاع بسيط لا يزيد على الجزء المهدوم بشىء كثير .

ب ـ وصف القبة المحدثة فوق الحجرة الشريغة :

يبدو أن المسئول عن العمارة كان ينوى إعادة الجدار الشرقى إلى وضعه الأول ، بعد إصلاح الخلل الذى كان به . إلا أن تتابع الهدم فى جدران الحجرة الشريفة على النحو الذى سبق ذكره اقتضى بطبيعة الحال التفكير فى طريقة جديدة بجمع بين المتانة وجمال المنظر . فكان الإجماع على عقد قبة صغيرة تكون بين سقف

الرجال ، وأنه لا بد أن يقى بين رأسه الشريف وجدار الحجرة الغربى مسافة قدرها السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٠ بذراعين (أى حوالى متر) ثم قدرت طول عمر رضى الله عنه ٥٠/١ من الأمتار فإن حاصل هذا كله ١٠٥٠ + ١ + ١٠٧٠ = ٢٠٤ من الأمتار والباتى ١٣٠٠ من الأمتار هى المسافة بين موضع جثمان الرسول عليه الصلاة والسلام وعمر رضى الله عنه ، وفرق الأفرع وما يمكن أن ينتج من خطأ فى تقديرى لطول الأجساد الشريفة .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٨ .

المسجد الأعلى وجدران الحجرة الشريفة (۱) ولكن عدم تربيع جدران الحجرة ($^{(1)}$) دعا إلى التفكير في إيجاد طريقة يتم بمقتضاها إقامة القبة المذكورة . وكان الفراغ الواقع بين جدران الحجرة الشريفة وجدران الحائز المحيط بها متفاوت الأبعاد ($^{(1)}$) مما ساعد على الاستفادة منه في إقامة جدران مساندة لبعض جدران الحجرة الشريفة حتى يتيسر تربيعها وكان من ذلك أن عقدوا قبوا » على نحو ثلث الحجرة الذي يلى المشرق والأرجل الشريفة ، وجعلوا الجدار الخارج من جهة المشرق متصلا بجدار الحجرة الداخو ، فأدخلوا ما كان بينهما في جدار القبو المذكور إلى نهاية ارتفاعه $^{(2)}$. أما الفراغ الحادث في الجهة القبلية بين الحائز وجدار الحجرة فقد سدوه بالبناء (٥) . ووصلوا الجدارين الشمالي والغربي إلا أنهم زادوا في عرض الجدار الشامي مما يلي المشرق لتدعيم إسطوانة تقع قرب هذا الجدار بها آثار تلف خطيرة ، فزاد عرض الجدار المضاف مما يلي الإسطوانة المذكورة بنحو نصف ذراع (٢٠) . وكانت إعادة الجدران جميعها • بأحجار الحجرة التي نقضوها منها » (٧) وهي كما يقول السمهودي في موضع آخر • أحجار سود منحوتة لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة » (٨) وكان ارتفاع الجدران المهيأة لعقد القبة المذكورة ١١ ذراعا (١) .

⁽١) أي نخت السقف الذي أقيمت عليه القبة الزرقاء التي أقامها المنصور قلاوون سنة ٦٧٨هـ .

 ⁽۲) استخلصت من رسم السمهودى لجدران الحجرة في الجزء الثاني من الوفاء ، ص ٥٦٦ أن أضلاع الحجرة الشريفة كالتالي :

الضلع الجنوبي ١٣٨٨ من الذراع = ٦٩٥٦ من الأمتار)

الضلع الشمالي ١٦٤٢ من الذراع = ٧٤ره من الأمتار)

⁽٣) انظر الرسم الذي أعده السمهودي عن العجرة الشريفة قبل عمارتها ، شكل (٥٤) .

⁽٦) السمهودي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٣٠ .

⁽٧) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٨ .

⁽٨) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٦٣ .

⁽٩) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٢٩ .

وقد أشار السمهودى إلى عقد القبة المذكورة بالأحجار السود المنحوتة بدلا من الأجر الذى أشار به غيره ، حرصا منه على متانة بناء هذا المكان الشريف . ويظهر أن نصائح السمهودى قد بدأت تأخذ مكانها الطبيعى عند ابن الزمن ، فقد أيد ما أشار به . إلا أنه استخدم الحجر الأبيض في بناء الجزء العلوى من القبة ، وذلك لأنه أطوع من الحجر الأسود في التشكيل ، وهو ما يتطلبه عادة الجزء العلوى من القباب . وكان انتقال القبة من الشكل المربع إلى الشكل الدائرى الذى يكون القباب . وكان انتقال القبة من الشكل المربع إلى الشكل الدائرى الذى يكون رقبتها بمقرنصات متدرجة (١) وضعت بزوايا الحجرة . وقد اكتفى السمهودى عن ذكرها بخطوط رسمها على الزوايا الأربع للمخطط الذى أعده للحجرة الشريفة شكل (٥٦) دون أن يصرح باسمها الذى اشتهرت به في العمائر الإسلامية .

أما التفاصيل الهامة الأخرى عن هذه القبة فقد ذكر السمهودى أن ارتفاعها المغروز ومن داخل أرض الحجرة الشريفة إلى محدب القبة المذكورة وهو أعلاها المغروز فيه هلالها اثنا عشر ذراعا بذراع العمل ، فيكون بالذراع المتقدم وصفه (٢) ثمانية عشر ذراعا وربع ذراع وقال عن الهلال المذكور أنه قريب من سقف المسجد الأسفل وأنه من نحاس ، وذكر أن القبة مبيضة بالجص ، وأن الحجرة الشريفة نظفت ثم أدخلت الحصباء المجلوبة من وادى العقيق بعد غسلها إلى القبور الشريفة من جدار القبة الشامى (٤) . أما الدرابزين (٥) الذي كان يحيط بالحائز الخمس قبل

⁽۱) قال زكى حسن فى فنون الإسلام ص١٥٧ عن المقرنصات أو الدلايات كما يسميها البعض: أنها و حليات معمارية تشبه خلايا النحل ، وترى فى العمائر مدلاة فى طبقات مصفوفة بعضها فوق يمض وتستعمل للزخرفة المعمارية أو للتدرج من شكل إلى آخر لا سيما من السطح المربع إلى سطح دائرى تقوم عليه القباب . كما تقوم فى بعض الأحيان مقام الكوانيل حين تتخذ أسفل دورات المؤذن فى المنارات ٤ .

⁽٢) يقصد ذراع اليد وقال أنه و أربعة وعشرون إصبعا كل إصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، انظر وفاء الوفا ، جـ ١ ، ص ١٠٣ .

⁽٣) أى حوالى ١٧ ر٩ من الأمتار على اعتبار الذراع ٣ر٥٠ مسم . السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٢٩ .

⁽٤) السمهودي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٣١ .

⁽٥) بعض المصادر تسميه مشبك وبعضها تسميه درابزين .

هذه العمارة ، والذى سبق لابن الزمن بجديده قبل البدء في بجديد جدران الحجرة (١). فلم يشر السمهودى إلى إعادته على الحجرة الشريفة بعد عقد القبة المذكورة . إلا أن ما ذكره من تلف هذا الدرابزين في الحريق الذي حل بالمسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ(٢) يدل على إعادته قبل ذلك على أطراف الجدران التي انعقدت عليها القبة المذكورة . وكانت تعلق به كسوة الحجرة الشريفة التي أعيدت بعد بناء القبة ، كما يبدو من ذكر السمهودى لتلفها في الحريق الثاني سنة ٨٨٦هـ(٢) . أما الدرابزين الذي كان يحيط بالحجرة الشريفة من عهد الظاهر بيرس فقد بقي على وضعه الأول ، (٤).

وبعد الإنتهاء من العمارة المذكورة على الصفة التى تقدم ذكرها جدد العمال محراب إسطوان التهجد الذى كان داخل المقصورة التى أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ ، وزادوا من رخامه و وكتبوا فى ذلك بالرخام بروز الأمر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى _ أعز الله أنصاره _ وأن ذلك على يد الخواجا الجناب الشمس بن الزمن وتاريخ العمارة المذكورة ، كل ذلك مكتوب بالرخام فى أعلى محراب الإسطوانة المذكورة ، وقد استغرقت عمارة الحجرة الشريفة على النحو الذى سبق ذكره ثلاثة وخمسين يوما (٦) ، تضاعفت فيها الجهود المبذولة حرصا من المسئولين على ستر القبور الشريفة ، وتمكين الزائرين والمصلين من الصلاة فى المسجد الشريف والتبرك به . علاوة على ذلك قاموا بتنظيف البالوعة التى كانت بصحن المسجد الشريف والتبرك به المها من الحصباء .

⁽١) السمهودي : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦١٠ .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا جــ ٢ ص ٦٣٦ .

⁽٣) نفس المصدر: جـ٢ ص ٦٣٧.

 ⁽٤) ذكر السمهودى في نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٣٦ احتراق هذه المقصورة في الحريق الثاني سنة
 ٨٨٦هـ فدل هذا على بقائه بعد عمارة القبة المذكورة .

⁽٥) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٥٣ .

⁽٦) بدأ الهدم في الحجرة الشريفة في يوم ١٦ شعبان وتم العمل فيها في اليوم السابع من شوال من نفس سنة ١٨٨هـ . انظر السمهودي : المصدر السابق ، جــ ص ٦٣١ ، ٦٣١ .

⁽٧) كانت نستخدم البالوعة المذكورة لتصريف مياه الصحن للمسجد الشريف . وعن بالوعات المسجد انظر أعلاه ص ١٧٥ .

ومن الأعمال المزامنة لعمارة قايتباى الأولى وله علاقة مباشرة بخدمة المسجد ونظافته ما قام به متولى العمارة من تصريف المياه التى كانت تتجمع وقت الأمطار أبواب المسجد كالغدران الكبار ، خصوصا فى شرقى المسجد به (١) ، وإخراجها عبر سرب امتد من البلاليع التى عند أبواب المسجد حتى اتصل بالسرب الذى تسير فيه أوساخ العين و فحصل بذلك غاية النفع ، وصار الماء لا يقف بعد ذلك بأبواب المسجد و (٢).

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، هو أن مصاريف بعض هذه العمارة التي قام به الأشرف قايتباى سنة ١٨٨هـ ـ إن لم تكن كلها ـ كان من أثمان القناديل التي حملت في أثناء هذه العمارة من حاصل المسجد الشريف إلى مصر طبقا لما رآه ابن الزمن الذي حسن و للسلطان صرف ذلك في مصالح المسجد والمدينة الشريفة» (٣).

وبعد الانتهاء من ذلك كله وما رافقه من عمارة منارة مسجد قباء ومجديد بعض الجوانب من سطحه تهيأت الظروف في المدينة الشريفة لقدوم الأشرف قايتباى الذي عقد العزم على أداء مناسك الحج عندما يخين الفرصة المناسبة . فكان قدومه إلى المدينة في موسم عام ٨٨٤هـ قدوم المؤمنين الأتقياء الذين يدل سلوكهم على قوة إيمانهم ونبل شعورهم الروحي . فقد ترجل عند دخوله المدينة المنورة وامتنع عن الدخول إلى الحجرة الشريفة عندما عرضوا عليه ذلك وقال : « لو أمكنني الوقوف للزيارة في أبعد من هذا الموضع فعلت » (٤) وقد ترتب على هذا التعظيم الذي استشعره الأشرف قايتباي من رؤية الحجرة الشريفة عدول السمهودي عن رغبته في مفاتحة السلطان بأمر فتح بعض أبواب الدرابزين الذي أقامه الظاهر بيبرس حول مفاتحة السلطان بأمر فتح بعض أبواب الدرابزين الذي أقامه الظاهر بيبرس حول الحجرة الشريفة ، عند اجتماعه به في المسجد النبوي الشريف. (٥).

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جـــ م ٧٣٩ .

⁽۲) نفس المصدر ، جــ ۲ من ۷۳۹ .

⁽٣) نفس المصدر ، جدلا ص ٥٩٠ .

⁽٤) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ٦١٧ .

⁽٥) نفس المصدر : جــ ۲ ص ٦١٧ .

وكانت الأوقاف التى خصصها لأهل المدينة عقب عودته إلى مصر هى من نتائج هذه الزيارة المباركة ، التى أكدت له ضرورة الإهتمام بأمور الحرمين الشريفين (١). هذا علاوة على الأموال التى قام بتوزيعها فى المدينة المنورة ، والتى يقول عنها السمهودى أنها أكثر من ستة آلاف دينار (٢)، وتعويض أمير المدينة عن المكوس التى كان يتقاضاها من الحجاج وغيرهم .

* * *

⁽١) ذكر السمهودي في نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٤ . أن مقدار الذهب الذي خصصه السلطان لهذا الغرض من ماله الخاص هو ستون ألف دينار وأن حاصلها السنوى سبعة آلاف وحمسمالة أردب من الحب في كل سنة . ويضيف إلى ذلك أنه انجز وقفها وشرع في عمارة أماكن بمصر وعوض أمير المدينة عن مكوسها وأورد الصيرفي في أنباء الهصر بأنباء العصر ص ٤٨٠ وصفا للمجلس الذي عقد فيه السلطان هذا الوقف فقال في حوادث سنة ٨٨٥هـ بعد وصفه لاحتفال السلطان بالمولد النبوى بقلعة الجبل ٤ ثم حضر رئيس الدنيا ابن مزهر الانصارى كاتب السر حفظه الله وصحبته الأمير خشقدم الوزير والإمام والخزندار والقاضي الرئيس أبو البقاء ابن الجيعان وصحبتهم ستة أطباق مملؤة بالذهب مستورة بالفوط الكافورى فيها مبلغ ستون ألف دينار بين يدى السلطان والعسكر . وتكلم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصاري ... وقال ... ٥ أنه لما حج (السلطان) تقبل الله منه _ في العام الماضي ووجد ما بأهل المدينة من القحط والإجحاف ومن عدم المؤنة والقوت فإنه أخرج من ماله الطيب هذا القدر وأرصده ليشترى به بلادا ويوقفها على حرم المدينة الشريفة وسكانها ليضع بها في كل يوم خبزًا ودشيشة للفقراء والمحتاجين والقاطنين والواردين ، . وانظر ابن إياس في بدائع الزهور ، جــ٣ ص ١٦٥ ، ٣٢٩ . وقــال النهــروالي في الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢٦ ، عن هذه الأوقاف أن ٥ حصة كل نفر سبعة أرادب في العام سوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار إلى الآن . وزاد عليه سلاطين آل عثمان أكثر .

⁽٢) السمهودى : وقاء الوقا ، جـ ٢ ص ٧١٣ .

المبحث الثالث عمارة السلطان الاشرف قايتباى الثانية فى المسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ

المبحث الثالث عمارة الاشرف قايتباي الثانية سنة ٨٨٦هـ

حريق سنة ٨٨٦هـ وأثره على عمارة المسجد النبوس :

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بالعمارة التى جددها ابن الزمن فى نهاية عام ٨٨١هـ فى عهد الأشرف قايتباى . وظل أهل المدينة بعد ذلك يتوقعون الهبات والعطايا نتيجة الأوقاف التى خصصها السلطان قايتباى سنة ٨٨٥هـ لهذا الغرض (١) ، إلا أن ما حل بالحرم الشريف فى نهاية عام ٨٨٦هـ من حريق ، حرمهم لذة ما كانوا يتوقعون .

وجاء أن السبب في الحريق حدوث صواعق بالمدينة المنورة أصابت إحداها المنارة الرئيسية قبل صلاة الصبح في الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٨٨٦هـ(٢)، وذلك عندما كان و رئيس المؤذنين وصدر المدرسين شمس الدين محمد بن الخطيب (٣) يستعد لرفع آذان الفجر الأول من أعلى المنارة المذكورة ، فخر على الخرها صعقا بعد انشقاق الجزء العلوى الذي أصابته الصاعقة ، وسقوطه على سطح المسجد المجاور للمنارة ، وتناثرت بعض الأجزاء المتهدمة من المنارة إلى رباط مراغة المجاور لها فهلك من كان به (٤).

وانتشرت النار في المسجد الشريف ، ولعل مما حال دون مقاومتها ومحاصرتها

⁽١) ذكر السمهودى في وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٥ أن محصول الوقف لم يصل إلا في سنة ٨٩هـ .

⁽۲) نفس المصدر ، جــ ۲ ص ٦٣٣ ، عبد العزيز بن فـهـد : بلوغ الـفـرى فى ذيل إسخـاف الورى ، حوادث سنة ٨٨٦هـ ، ابن طولون : تاريخ ابن طولون ، ورقة ١١ب ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، جوادث ص ١٨٧ ، النهروالى : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢٧ .

⁽٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٣ . وزاد عبد العزيز بن فهد فى بلوغ القرى حوادث منة ٨٨٦هـ أن الصاعقة نزلت أولا على جبل أحد ثم طارت منها شرارة نزلت على المئذنة الرئيسية .

⁽٤) عبد العزيز بن فهد : المصدر السابق ، حوادث سنة ٨٨٦هـ .

ما يتفق في بعض الوجوه مع العوامل التي حالت دون محاصرة الحريق الذى داهم المسجد النبوى في سنة ٢٥٤هـ، فقد اتضح من المصادر التي طالعت السمهودى بالخبر الموثوق عن ذلك الحريق ، أن النار قد بدأت قبل اسراج المسجد (١) ، مما يدل على خلو المسجد آنداك من المصلين إلا المؤذنين الذين كانوا بأعلى المنائر ، وبعض الخدام الذين كانوا يقومون بوظيفة الحراسة في المسجد ، وبين المناداة بالحريق وقيام الناس بمحاصرته كانت النار قد أتلفت جزءا كبيرا من سقوفه وامتدت إلى الشمال والمغرب ، فمجزوا عن إطفائها ، وكلما حاولوا لم تزدد إلا التهابا واشتعالا فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها من السقف فسبقتهم لسرعتها ه (١). ومرد إخفاقهم رغم جهودهم وتفانيهم قصور إمكانياتهم آنذاك (١) ، وارتفاع السقوف التي لا تطال بالأيدى (٤) ولا بد أن ساعد ذلك أيضا زيوت القناديل التي كانت مهية للإسراج بالأيدى (٤) ولا بد أن ساعد ذلك أيضا زيوت القناديل التي كانت مهية للإسراج فانتشرت النار بسرعة داخل أروقة المسجد ومجنباته ، وذلك بالإضافة إلى حدوث فاتشرت النار الملتهبة عما أودى خياة الكثير من الذين حاولوا التغلب عليها .

ومهما قيل من أسباب خفية لوقوع ذلك الحريق ، وما صاحبه من حكايات غريسة تتناسب ونمط التفكير في ذلك الوقت ، مما لم يعد مقبولا للفكر الحديث (٥) ، الذي يوجب البحث عن الأسباب العلمية الكامنة وراء الأحداث

⁽۱) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ٦٣٣ .

⁽۲) تقس المعدر ، جـ ۲ ص ٦٣٣ .

⁽٣) لم تكن وسأتلهم في مكافحة الحريق تتجاوز جلب الماء في أوان صغيرة كالقرب وغيرها من المطاهر والبيوت المجاورة كما صرح بذلك السمهودى في المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٣٤ ، والنهروالي في الأعلام ، ص ٢٢٧ .

⁽٤) ذكر السمهودى في المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٨٥ أن أرتفاع سقوف المسجد بعد الحريق الثاني كان ٢٢ فراعا ولا بد أن الأمر كان قريبا من ذلك قبل الحريق .

⁽٥) أورد ابن إياس في بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٨ ، مجموعة من أبيات الشعر التي يخاول تفسير مبب الحريق بما يشبه تفسيرهم لوقوع الحريق الأول سنة ١٥٤هـ . وأورد السمهودى في وفاء الوفا ، جـ٢ ص ١٣٤ ، ما سمعه من أمير المدينة في ذلك الوقت من رؤية أحد الأعراب لجراد منتشر في السماء أعقبه نار عظيمة و فأخذ النبي كله النار وقال : أمسكها عن أمتى ٥ . ثم =

الطبيعية المماثلة . وكما يقع عادة من تعرض المبانى العالية لمثل هذه الصواعق فإن الارتفاع الكبير لمنارات المسجد آنذاك (۱) عن بقية منازل المدينة ، التي لا يمكن أن منها ما كان يرتفع إلى مستوى منارات المسجد ، قد عرضها للصاعقة المذكورة (۲) . وفي تعرض هذه المنارة في حدود سنة ٨٩٨ هـ لحادثة مشابهة دليل على صحة ما ذهبت إليه . واستطاعت النار التغلب على المحاولات المبذولة لإطفائها ، ودمرت في وقت قصير على حد قول السمهودي في و أقل من عشر درج) (۱) جميع سقوف المسجد الشريف وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف (٤) واتلفت الكثير من إسطواناته ما عدا و الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة) (٥) وهدمت أكثر من ثلث المنارة الرئيسية . وليس بنا حاجة إلى إعادة ترسم حال المسجد الشريف قبل هذا الحريق لأن عمارة قايتباي الأولى ، التي تتبعتها المسجد الشريف قبل هذا الحريق لأن عمارة قايتباي الأولى ، التي تتبعتها بالتفصيل والتي لم يكن قد مضي عليها أكثر من خمسة أعوام ، قد عادت به كما

⁼ قال في نفس الصفحة • ونقل عن جمع كثير أنهم شاهدوا حينئذ أشكال طيور بيض كالأوز يحومون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران • . وقال في موضع آخر • وصارت النار ترمى بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت الجاورة للمسجد ، ومع ذلك فلا تؤثر فيها ، حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق .. • وعن هذا واشباهه انظر ابن طولون في تاريخه ورقة ١٢ أ ، وابن حجر الهيثمي في تحقة الزوار ، ص ٩٣ ، والعباسي في عمدة الأخبار ، ص ١٣٥ . ولو أن الأمر كما يقول هؤلاء لكان المسجد الشريف وما به من الآثار الشريفة أولى بالحماية من البيوت الجاورة.

⁽۱) كان طول منارات المسجد قبل هذا الحريق كما ذكرها السمهودى فى الوفا ، جـ٢ ص ٥٢٥ كالتالى : الرئيسية التى وقع بها الحريق ٧٧ ذراعا أى حوالى ٥٨٥ من الأمتار ومنارة باب السلام ٩٥ ذراعا أى حوالى ٤٧ مترا والسنجارية ٧٩ ذرعا أى حوالى ٥٩٥ مترا ، والخشبية ٧٢ ذراعا أى حوالى ٣٦ مترا .

 ⁽٢) وليس في ذلك ما يتعارض وما تعنيه بعض الآيات الكريمة ومنها عوله تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ﴾ .

⁽٣) ذكر إبراهيم مصطفى وآخرون فى المعجم الوسيط ، جـ١ ص ٣٧٧ أن الدرجة ، جـزء من ثلثمائة وستين جزءا من دورة الفلك ، أى حوالى ساعتين ونصف .

⁽٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٥ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٧٥ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ١٨٧ .

⁽٥) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٦ ، السخاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٧١ .

عرفنا من قبل إلى صورة أفضل بكثير مما كان عليه من قبل . على أن حجم الخسارة التي سببها حريق سنة ٨٨١هـ كان في الواقع أقل بكثير مما دمره الحريق الأولى ، بسبب الاختلاف الكبير في عمارة المسجد النبوى قبل الحريقين ، كما أن بيع الكثير من قناديل المسجد في العمارة الأولى التي قام بها قايتباى سنة ٨٨١هـ ورفع ما تبقى منها في حاصل المسجد الشريف ، وسلامة القبة المشيدة فوق الحجرة الشريفة هي في الواقع اعتبارات هامة لها وزنها عند تقدير الخسائر في حادثي حريق المريفة هي أو الولا الخسائر البشرية التي راحت ضحية الحريق الثاني والتي قدرت ﴿ ببضع عشرة نفسا ﴾ (١) لكانت الخسارة الفنية والجمالية التي ترتبت على الحريق الأولى أغلى بكثير مما نجم من خسارة في الحريق الثاني . إلا أن تعطيل المسجد النبوى من الصلاة وحرمان الناس من السلام على رسول الله محلة يرقيان في المسجد النبوى من الصلاة وحرمان الناس من السلام على رسول الله محلة يرقيان في الحالتين فوق كل الاعتبارات المادية مهما غلا ثمنها .

ولم يقف سكان المدينة المنورة حيال الحادث الذى حل بالمسجد النبوى موقفا سلبيا ، بل كان لهم دور بارز فى تنظيف آثار الحريق الذى حال دون أداء شعائر الصلاة فى أروقة المسجد ورحابه . وكانت مطالعة السلطان قايتباى بأمر الحادث من أول الأعمال التى قام بها أهل المدينة فى اليوم السادس عشر من شهر رمضان المذكور (٢٠) . ورأوا من الواجب أن يشرعوا فور إطفاء النار فى رفع آثارها ، غير أن ناظر المسجد النبوى المقيم فى المدينة المنورة آنذاك أصر بما له من سلطة قوية على ناظر المرح حتى ترد الأوامر إليه من مصر بما يجب عليه فعله ولكنه لم يلبث أن

⁽۱) السمهودى : وفاء الوفا ، جــ ۲ ص ٦٣٤ ، وقد ترجم السخاوى في التحقة اللطيفة لكثير منهم. انظر جــ ۱ ص ۱۷۲ ، جــ ۲ ص ۱۸ ، ۲۲۵ ، ۲۲۵ ، ۲۲۵ ص ۵۰ ، ۳۰۷ .

⁽٢) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٣٦ ، ويذكر ابن إياس فى بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٨ و أن مما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المدنة الشرقية ، لأجل التسبيح ، فرأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف ، فعملت فيه النار . فلما عاين المؤذن ذلك خرص ونزل من المثاذة ، فأقام صاعة ومات . وقد عاين الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد ، تمنع أن لا يحرق البيوت التي حول المسجد . وإن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور .

اقتنع بعد فترة أن ما أمر به فيه إجحاف بحق المصلين والزائرين والمجاورين الذين حرموا من ثواب الصلاة والاعتكاف في شهر رمضان المبارك في المسجد الشريف ، هما دعاه إلى قبول اتفاقهم معه على « سد أبواب حواصل المسجد حتى القبة التي بوسطه ، (۱) ، وإحاطة الحجرة الشريفة بحاجز من الأجر خوفا على القناديل التي كانت بسقفها (۲).

وبعد انجاز ما تم الاتفاق عليه قام أهل المدينة بنقل 3 هدم مقدم المسجد إلى ما يلى باب الرحمة من مؤخرة ، وعمل في ذلك أمير البلد والقضاة والإشراف وعامة الناس حتى الكثير من النساء والأطفال ٤^(٣) واستبقوا في أبواب المسجد خوخا وسدوا الباقي بالآجر ما عدا باب جبريل فقد بقى على حاله (٤)، وهيأوا منبرا من الأجر وضعوه في مكان المنبر النبوى الشريف .

ولم ير السمهودى للزمن الذى استغرقه ذلك العمل أهمية تذكر فأعرض عن ذكره ، ومهما يكن فقد كان القائمون به يرجون فيه ثواب الله ، ولم يكن يضيرهم طول الزمن أو قصره ولكن ما ذكره السمهودى من تفقدهم لبقايا النار في الردم المحيط بالحجرة الشريفة في أثناء شوال بناء على مشورة قاضى المالكية شمس الدين السخاوى (٥) يشير إلى تجهيز المسجد النبوى للصلاة في الثلث الأول من شوال المذكور ولكن حرارة الشمس في النهار وربما برد الليل دعا الخدام إلى نصب الخيام في المسجد وتطوع بعض الناس بإسراج عدة قناديل من عنده بعد تعذر فتح الحاصل الذي فيه الزيت (٦) وبقى المسجد الشريف وقتا من الزمن على هذا الحال حتى أشار السخاوى كما ذكرت بوجوب تفقد الردم المحيط بالحجرة .

⁽١) السمهودى : وفاء الوفا ،جــ م ٦٣٦ ، يبدو من الكلام المذكور أن هناك حواصل كُثيرة فى المسجد النبوى . ولكن المعروف أن ما سلم هو القبة التى بوسط الصحن ، فلعل قصده هو المحافظة على ما كان بهذه الحواصل من قناديل وغير ذلك .

⁽٢) و (٣) السمهودي : المصدر السابق ، جــ ٣ ص ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

^{(2) ((6)}

⁽٦) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٧ .

وقد وجدت النار و في ثمانية مواضع فأطفأوا ذلك ، ثم رأوا أن مادة هذه النار لا تنقطع إلا بتنظيف الردم . فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقف تام من نائب الناظر . وعينوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام والفقهاء والفقراء ، (۱) وقد وجدوا القناديل المذكورة وكذلك حلية الصندوق المحترق الذي كان حذاء الرأس الشريف . على أن هذه الأشياء ، رغم اهتمام نائب الناظر بها ، أقل بكثير جدا من قدسية المكان الذي عطل فترة من الزمن بسببها (۲) ، وفي هذا دليل على جمود نائب الناظر ، وسوء تصرفه ، ومدى النفوذ الذي كان يتمتع به في المدينة ، وليس أدل على سوء عمله هذا من وصف السمهودي له بأنه (على كل خير مانع) . وكان على جمعها من أول الأمر ، إلا أن حرصه المفرط عليها عد تقصيرا من جانبه .

ومهما يكن من أمر هذه المركزية التي كانت تدار بها أمور الحرم النبوى الشريف في ذلك الوقت ، فإن أهل المدينة و أداروا على الحجرة الشريفة جدارا من الآجر في موضع المقصورة المحترقة ، وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبوابا ، وقام بمصروف ذلك بعض النساء المباركات وغيرها ، وسامح البناؤون بنصف أجرهم (٢٠) . وقد تقدم ذكر سلامة القبور الشريفة بوجود القبة المنشأة في سنة المحره على الحجرة الشريفة ، إلا أن إحتراق الكسوة أتاح للنساء اللاتي قمن بدفع نفقة البناء من مالهن الخاص ، صنع كسوة من القماش الأبيض غطيت بها جدران الحجرة بعد انتهاء العمل

وبعد تلك الأعمال الأولية أصبح المسجد النبوى الشريف معداً للصلاة طوال شهر شوال وجزء من ذى القعدة حتى اتصل خبر الحريق بالسلطان المملوكى الأشرف قايتباى ، الذى عد ذلك من نعم الله عليه ، رغم قساوة وقع الخبر على نفسه ، وإدراكه فداحة الخسارة من جانبيها المعنوى والمادى ، وقد استجابت عبراته

⁽١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٣٧ .

⁽٢) انظر أعلاه ص ٣٢٢ .

⁽٣) السمهودي : المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٦٣٧ .

لهول الحادث إذ يذكر ابن إياس أن السلطان عندما سمع ذلك • بكى وبكى من كان حوله ه (١)، ثم رسم على الفور بتنظيف المسجد من آثار الحريق . ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها تاريخ وصول الخبر إلى السلطان فيما عدا ما ذكره ابن إياس من وصول الخبر إلى المقاهرة في رمضان وهو الشهر الذي احترق فيه المسجد (٢).

وكان يرجى لو أشار السمهودى أو غيره إلى تاريخ صدور المرسوم بتنظيف المسجد النبوى من آثار الحريق الذى جمع بعضه كما عرفنا من قبل عند باب الرحمة مما كان سيساعد بشكل أفضل على تخديد بدء الأعمال السلطانية فى المسجد الشريف . على أنه يستنتج مما ذكره السمهودى من عدم إخراج ردم الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق للزيارة وشاهدوا هذه العبرة العظيمة ، ورأوا ما اجتمع من الردم كالاكام والتلول الجسيمة ، وأوا ما اجتمع من الردم كالاكام والتلول الجسيمة ، وأعمال التنظيف ومن بعدها العمارة الفعلية لم تبدأ إلا بعد انتهاء موسم الحج لعام المسجد الشريف بقيام الأعمال فيه في ذلك الوقت بالذات .

وجاء أن السلطان استقبل • أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية ورسم بإبطال عمائره المكية ، وبتوجه شادها السيفى الأمير سنقر الجمالى (٤) صحبة الحاج الأول بزيادة على مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين وغيرهم ٤(٥). ويبدو أن أول ما عنى به الأمير سنقر

⁽١) بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٨ .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ٣ ص ١٨٧ . وقد ذكر عبد العزيز بن فهد في بلوغ القرى ، جوادث سنة المدر ، في بلوغ القرى ، جوادث سنة مدر المدر . أي بعد وصوله إلى القاهرة بفارق كبير . وهو أمر بعيد جدا لأن البعد بين مكة والمدينة أقصر بكثير من البعد بين المدينة والقاهرة . فلمل هذا خطأ من الناسخ أو أن الخبر لم يصل المؤرخ نفسه إلا في التاريخ المذكور .

⁽٣) وفاء الوفاء جـــ ٣ ص ٦٣٨ .

⁽٤) انظر ترجمته عند السخاوى : التحفة اللطيفة ، جــ ٢ ص ١٩٧ .

⁽ت) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٣٩ .

ومن كان معه من أصحاب الحرف المختلفة هو تنظيف المسجد بإخراج بقايا الحريق المتراكمة في جنباته ، بدليل إصطحابهم لكثير من الحيوانات . ويظهر أن بعض الأموال التي قدرها السمهودي بعشرين ألف دينار كانت من نفقات العمائر التي. أوقفت في مكة . وبدأ السلطان من جانبه يعد العدة لأمر العمارة ، ويبحث عن أمهر البناة والمهندسين ، ويتتبع وجودهم في الأماكن المختلفة من مملكته الواسعة فقد ذكر ابن طولون في تاريخه أن السلطان رسم بأن يكون شاد العمارة المذكورة «خير بك حديد (١) الذي كان محبوسا بقلعة دمشق فجاء وقال هذه عمارة طويلة واستمر منفيا بمكة فواخذناه عليه (٢) فإن ذلك يدل على سوء طويته ، (٣). وذكر في موضع آخر ورود أمر السلطان إلى دمشق بأخذ و جماعة من الصناع الذين عمروا الجامع الأموى منهم محمد الكفتي الذي شاد منار الجامع الأموى في عمارته ۽ ⁽⁴⁾. ّ

وكان السلطان قايتباي يبحث عن الفعلة وعن المادة اللازمة للعمارة في آن واحد فقد ذكر السمهودي أن السلطان شرع ، في بجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور والينبع والمدينة الشريفة ، (٥). ولم يكتف بما وصل منها إلى الأماكن المذكورة بل جاء فيما ذكره مؤلف بلوغ القرى أنه ورد في ربيع الثاني سنة ٨٨٧هـ إلى مكة مرسوم سلطاني موجه إلى إبراهيم بن أخي الخواجا شمس الدين بن الزمن الذي كان يقيم بمكة ﴿ أَن عمك الخواجا شمس الدين توجه إلى المدينة الشريفة لمباشرة العمارة بها وأنك والحاج بدر فتي عمك تشترون الخشب وجميع ما يطلبه عمك من الخشب وإننا وصينا الشريف والقاضي في

⁽١) قال السخاري في ترجمته في المصدر السابق ، جدم ص ٢٨ أن اسمه ، خير بك بن حيت لا حديد كما هو على الألسنة ۽ .

⁽٢) يعنى استنكرنا قوله ، ويبدو أن عمله هذا كان انتقاما من قايتباي .

⁽٣) تاريخ ابن طولون ، ورقة ١٢ أ .

⁽٤) نفس المصدر ، ورقة ١١ ب . وكانت تلك عادة مرعية في جميع أنحاء البلاد الإسلامية الذي طبق نظام الليتورجيا المعمول به في العالم القديم . انظر أعلاه ص ١٣٣٠ .

⁽٥) وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٣٩ .

إعانتكم (١) وكان وصول المؤن والآلات يتوالى إلى المدينة تباعاعلى يدى موظفين مكلفين بذلك من قبل السلطان . وكما يتضح من نص ابن طولون السابق كان غضب السلطان شديدا على اعتذار خير بك الدال كما يقول المؤلف على و سوء طويته) ، مما دعا السلطان قايتباى إلى إسناد أمر العمارة إلى الأمير شمس الدين بن الزمن الذى قام بأمر العمارة الأولى وذلك بعد بجهيزه و في أثناء ربيع الأول وصحبته أكثر من مائتي جمل ومن مائة حمار وأزيد من ثلثمائة من الصناع أهل الصنائع الأولى وغيسرهم من الحمالين والمسيضين والسباكين والجاسين (٢) وصرفوا لهم شيئا من أجرتهم قبل سفرهم . وقد تواجد من العمال الوافدين إلى المدينة بموجب المراسيم السلطانية أكثر من أربعمائة شخص من مختلف المهن والأعمال .

وإذا جاز لنا أن نعتبر الزمن الفعلى لبداية العمارة منذ وصول ابن الزمن إلى المدينة وقد جهز في مصر أثناء ربيع الأول فإن وصوله يكون في أواخر ربيع ثانى كما يفهم من النص الذى أورده عبد العزيز بن فهد من أن الأخبار وصلت إلى مكة في السابع عشر من شهر ربيع الثاني و بأن الخواجا شمس الدين ابن الزمن وصل إلى الينبع ومعه القاصد ومعه خلعته وتوجه إلى المدينة الشريفة مشرفا ومتكلما على عمارة المسجد الشريف النبوى (٣). وعلى هذا بقى المسجد الشريف معطلا دون عمارة أكثر من ستة أشهر وهو زمن يتناسب والإمكانات الضخمة التي أعدت لهذه العمارة.

* * *

⁽١) عبد العزيز بن فهد : حوادث سنة ٨٨٧هـ .

 ⁽۲) السمهودی : وفاء الوفا ، جـ۲ ص ٦٤٠ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٨ ، ابن
 حجر الهيشمى : مخفة الزوار ص ٩٤ .

⁽٣) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، حوادث سنة ٨٨٧هـ .

ب ـ الأجزاء السليمة من العمارة السابقة :

لا سبيل للإحاطة بتفاصيل الأعمال التي تمت في عمارة المسجد الشريف بعد الحريق الثاني ، إلا بمعرفة الأجزاء المعمارية التي سلمت من آثار الحريق المذكور . وتأتى الإسطوانات التي تنتشر في أروقة المسجد الشريف في مقدمة الأجزاء الهامة التي يعد وجودها ضروريا في تسقيف المساحة الكبيرة للأروقة ، وقد عرفنا عند الحديث عن عمارة المسجد في عهد المهدى أن عدد إسطوانات المسجد الشريف ٢٩٦ إسطوانة (١) أما بعد الحريق الأول فقد نقص من هذا العدد عشر إسطوانات فأصبحت جميعها ٢٨٦ إسطوانة وذلك عندما أنقص الظاهر يببرس من بلاطات مؤخر المسجد بلاطة واحدة . ثم زاد الناصر محمد بن قلاوون بلاطتين في مقدم المسجد وبها عشرون إسطوانة ولذلك فإن عدد إسطوانات المسجد قبل الحريق الثاني كانت ٣٠٦ إسطوانة ، وقد ذكر السمهودي أنه تلف منها ٥ مائة وبضع وعشرون إسطوانا ، وما بقى منها فقد أثرت فيه النار أثرا بينا ، (٢). ويبلغ عدد الإسطوانات السالمة قرابة مائة وثلاث وثمانين إسطوانة (٢) ليس منها ما نص على سلامتها تماما سوى «الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة »(٤) وهن في الغالب أربع إسطوانات . ومع ذلك فإن الإسطوانات التالفة تضم في مجموعها قطعا كثيرة سالمة ، يمكن أن تؤلف بعد فحصها واختيار الصالح منها عددًا لا بأس به من الإسطوانات .

ويمكن أن يستنتج من ذلك أن عبء العمل على الحجارين والنحاتين كان عبئا كبيرا لا يقل عما يقوم به غيرهم من الحرفيين . ومما يزيد في عبء الدور المنوط بهم أنهم مطالبون بالتزام المقاس الذى تشميز به القطع التي تؤلف

⁽١) انظر أعلاه ص ١٦٧ .

⁽٢) وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٦ .

⁽٣) إذا أنقصنا الاسطوانات التالفة التي قال السمهودي أنها مائة وبضع وعشرون أي حوالي ١٢٣ من اسطواتات المسجد البالغ عددها ٣٠٦ اسطوانة فان الباقي هو ١٨٣ إسطوانة تقريبا .

⁽٤) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٦ .

الإسطوانات السليمة حتى يكون حجم جميع إسطوانات المسجد واحدا .

ويذكر السمهودى أن القبة التى أنشأها الأشرف قايتباى سنة ٨٨١هـ فى العمارة الأولى ظلت سليمة بعد الحريق^(١). وكان لها دور كبير فى حماية القبور الشريفة من ردم السطوح وبقايا القبة الزرقاء المحترقة . ومن المنشآت الهامة التى نجت من دمار الحريق ، تلك القبة التى أقامها الخليفة العباسى سنة ٧٦هـ فى طرف الصحن الجنوبى الشرقى ، والتى كان لبعدها النسبى عن الأجزاء التى تكثر بها الأخشاب الملتهبة فضل فى سلامتها من الحريق الأول والثانى مع أنها كانت الختوى على زيت قناديل المسجد وهو مادة كانت تزيد الوضع سوءا ، لو تمكنت النار منها .

أما العقود التي كانت تقوم في أجزاء متفرقة من بلاطات المسجد النبوى والتي تعود في تاريخها إلى عهود مختلفة ، فقد سقط أكثرها وما بقى منها فقد كان آيل إلى السقوط (٢٠). ويذكر السمهودى أنه كان لهذه العقود ، لا سيما المحدثة في بلاطات القبلة في عمارة قايتباى الأولى ، دور بارز في تلف كثير من الإسطوانات المجاورة لها بسبب سقوطها عليها (٢٠).

وعن جدران المسجد الخارجية فإنه يبدو أنها سلمت من الإنهيار والتشقق إذ لم يذكر السمهودى أو غيره ما يشير إلى إصابتها بأضرار مباشرة .

أما مجديد جدار القبلة عند بدء العمارة التالية فقد كان بناءاً على رغبة المهندسين في زيادة عرضه من ناحية وتوسيع دخلة المحراب العشماني من ناحية أخرى ، وما اقتضاه الرأى من هدم المنارة الرئيسية إلى آخرها من ناحية ثالثة . وعمل ابن الزمن على استحداث شبابيك وطاقات كثيرة بأصل هذا المحدار تمهيدا لما كان يقصده من اتخاذ الدور الواقعة خلف جدار القبلة والمعروفة بدور العشرة

⁽۱) وفياء الوفيا ، جــ ۲ ص ٦٣٦ . وانظر ابن إياس : بدائع الزهور جــ ٣ ص ١٨٧ ، ابن حــجــر الهيشمي : محقمة الزوار ص ٩٣ .

⁽Y) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٦ .

⁽٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٤٢ .

مدرسة ورباطا للسلطان قايتباى على أن المعارضة القوية التى قوبل بها قد أجبرته على سد أغلب السبابيك وهدم الجدار الغربى الممتد من باب السلام إلى باب الرحمة من أساسه وفتح عدة شبابيك وأبواب فيه . وهدم كذلك الجدار الشرقى الممتد من المنارة الرئيسية إلى باب جبريل وخرج به عن موضعه الأول قليلا .

وعلى هذا فإنه بمقدرنا فى ضوء ما سبق من معلومات حصر العناصر المعمارية التى سلمت من الحريق وأدخلت فى مكونات العمارة الثانية دون تغيير يذكر(١) مما يفيد عند الحديث عن عمارة المسجد النبوى بعد الحريق الثانى . وهذه العناصر هى:

١ _ منارات المسجد الثلاث (منارة باب السلام ، والمنارة السنجارية ، والخشبية) ٢٠٠.

٢ ـ أكثر من نصف جدران المسجد الخارجية

٣ ــ أقل من نصف إسطوانات المسجد الشريف .

٤ ـ قبة الحجرة الشريفة السفلى .

٥ ـ قبة حاصل الحرم الشريف .

جـ صفة عمارة قايتباس الثانية :

تنقص هذه العمارة معرفة كثير من التفاصيل الهامة في أجزائها المختلفة ومرد ذلك إلى أن السمهودى المصدر الأول في كثير من المعلومات السابقة قد غادر المدينة المنورة عند بداية العمل إلى مصر ، فلم يحضر شيئا من مراحل البناء الأولى (٢). على أنه تتبع أخبارها عند عودته ، ووصف لنا ما تم من عمارة المسجد أثناء غيبته ، وذلك بشكل يختلف عن المنهج الذى تعودناه منه في العمارة الأولى ، هما يدعو إلى كثير من النقاش والاستفسار عن عدد كثير من التفاصيل المعمارية .

⁽١) هذا خلاف أعمال التبييض وأعمال الترميم التي شملتها مؤخرا .

⁽٢) عن مواقع هذه المنارات من المسجد ، انظر الشكل رقم (٥١) .

⁽٣) وقاء الوفا ، جــ٧ ص ٦٤١ .

وكان السمهودى قد لاحظ على العمال قبل سفره ارتفاع معنوياتهم الصادقة وحماسهم للعمل فيه بنية مخلصة رجاء المشوبة والأجر من الله تعالى . وكان استمرار السلطان بتزويدهم بأحمال المؤن التى • قل أن تنقطع برا وبحرا » (١) من العوامل التى ساعدت المسئولين في المدينة على استثمار حماس العمال في تدبير الأعمال الكثيرة دون انقطاع . وكان في مقدمة الأعمال التى ذكرها السمهودى الأعمال الكثيرة الرئيسية وسور المسجد • من ركن المنارة التى بباب السلام إلى آخر جدار القبلة وما يليه من المشرق إلى باب جبريل وما يلى المنارة من المغرب أيضاً إلى باب الحرفين الذين يخضعون لإدارة ابن الزمن . فقد عرفنا من قبل ما نتج عن الحرفين الذين يخضعون لإدارة ابن الزمن . فقد عرفنا من قبل ما نتج عن الحريق الثاني من نقص واضح في عدد الإسطوانات التي كانت بأروقة المسجد النبوى الشريف ، مما حمل ابن الزمن على تخصيص عدد كبير من الحجارين ومعاونيهم لقطع العدد الكافي من الخرزات المثقوبة ، وقد أوضحت من قبل جسامة العمل الذي نيط بهم (١٠). يضاف إلى ذلك إعداد الخشب الذي تطلبته العمارة والذي يقول عنه السمهودي أن العمال قطعوا من نواحي المدينة كثيرا من العمارة والذي يقول عنه السمهودي أن العمال قطعوا من نواحي المدينة كثيرا من العمارة والذي يقول عنه المسمودي بالشقية ومن الصيويدرة (١٠) ومن الصويدرة (١٠) ومن الموضع المعروف بالشقية (٥)

⁽١) نفس المصدر ، جـ٢ ص ١٤٠ .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٤٠ .

⁽٣) انظر أدناه ص ٣٢٨ .

⁽٤) و الدوم شجر عظام من الفصلية النخيلية يكثر في صعيد مصر وفي بلاد العرب ، وله تمار في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر ، ونواة ضخمة ذات لب ، وضخام الشجر مطلقا من كل نوع ، انظر إبراهيم مصطفى وآخرين : المعجم الوسيط ، جـ١ ص ٣٠٥ .

⁽٥) الشَّقرة : موضع على بعد يومين من المدينة ، أنظر السمهودي : وفاء الوفا ، جدة ص ١٧٤٥ .

⁽٦) قال ياقوت الحموى في معجم البلدان ، جـ٥ ص ٤٣٥ أن صوير ، وذو الصوير موضع من عقيق المدينة . ووافقه الفيروزبادى في المغانم المطابة ص ٢٢٤ ، والسمهودى في وفاء الوفا ، جـ٤ ص ٦٤٥ عند ترتيبه للمواضع على حروف المعجم . أما الصويدرة التي وردت في وفاء الوفا، جـ٢ ص ٦٤٥ فلم أجد لها ذكرا فلعلها خطأ في النسخة المخطوطة التي وقعت للمحقق وتصحيحها الصوير أر الصويرة .

الفرع (١) وغير ذلك ما لا يحصيه إلا الله تعالى . وكذلك أخشاب السمر ١(٢) ويقتضى قطع الأخشاب من المواضع المذكورة ونقلها إلى المسجد لاستخدامها في أعمال البناء عددا كبيرا آخر من العمال .

ولا بد أن العدد الكبير من قوالب الأجر المشوى الذى تطلبه بناء العقود التى عم استخدامها لجميع سقوف مقدم المسجد ، قد استوجب أيضا تخصيص فريق من العمال لتجهيزه وعلى ذلك كانت مهمة البنائين ومساعديهم تقتصر على الهدم والبناء داخل المسجد الشريف ، ولا يبعد أن يكونوا قد استعانوا بغيرهم من عمال المدينة المحليين .

ولم يزودنا السمهودى أو غيره بمعلومات كافية عن أول الأعمال التي بدئ بتنفيذها ، ومع ذلك يمكن القول بأن إعادة القبة الزرقاء كانت من أول الأعمال التي بدىء بها وقد نتج عن اتفاقهم على استحداث أكتاف عريضة تقام عليها القبة المذكورة « ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء تلك الدعائم هناك ، فخرجوا بجدار المسجد الشرقي _ أعنى ما حاذى ذلك منه _ بنحو عرض الجدار في البلاط الشرقي ه (٢). وقد حدد مكتب التوسعة السعودية هذه الزيادة بـ البلاط الشرقي) (٢).

وإذا كان قد عرف السبب فى هدم الجدار الشرقى الممتد من باب جبريل إلى جدار المنارة الرئيسية ، التى هدمت فى هذه العمارة ، فإن هدم جدار القبلة الممتد ومن ركن المنارة التى بباب السلام إلى آخر جدار القبلة ... وما يلى المنارة من

⁽۱) ذكر السمهودى فى المصدر السابق ، جـ٤ ص ١٢٨١ أن الفرع على مرحلة من المدينة و وقيل أنه عمل من أعمال المدينة واسع ، به مساجد للنبى كلله ومنابر وقرى كثيرة وقيل على ثمانية برد من المدينة وبها منبر (مسجد جمعة) ونخل ومياه كثيرة وهى قرية غناء كبيرة ٩ .

 ⁽۲) المصدر السابق جـ۲ ص ٦٤٥ . وخشب السمر ضرب من شجر الطلح ذكره إبراهيم مصطفى
 وآخرون في المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٥٠ .

⁽٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٠ .

⁽٤) إبراهيم الشورى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين جــ ١ ص ٤٣ .

المغرب أيضا إلى باب الرحمة(١). يحتاج إلى تقصى أسبابه التي أهملت ذكرها المصادر التي إطلعت عليها . فإذا أخذنا بعين الاعتبار عمق رواق القبلة الذي يتألف من سبع بلاطات ، وإجماع الرأى على تقصير إسطوانات مقدم المسجد المسقوف بسقفين تمهيداً لإقامة العقود المقترحة فوق رؤوس الإسطوانات ، مماله تأثيره بغير شك على التهوية والإضاءة الكافية في جميع بلاطات الرواق ، لإتضح أن حاجة مقدم المسجد إلى نوافذ واسعة بأعلى الجدارين المذكورين كان سببا رئيسيا أوجب هدمها . أما الأسباب الثانوية أو المساعدة فمنها رغبة ابن الزمن في بناء مدرسة الأشرف قايتباي بجوار الجدار القبلي من المسجد النبوي الشريف . وقد استحدث لأجلها كثير من الشبابيك(٢) بالجدار القبلي ، ثم اقتضى الأمر سدها وفتح غيرها في الجدار الغربي بين باب السلام وباب الرحمة وذلك بسبب ما نشأ عنها من معارضة قوية (٢). كما أن تعميق وتوسيع فتحة المحراب العثماني وهدم المنارة الرئيسية وما يليها من الجدارين الشرقي والجنوبي ، تعد أسبابا ثانوية تضافرت مع السبب الرئيسي في استكمال هدم الجدران الثلاثة (٤) وبجديد بنائها بنفس الأحجار القديمة بعد زيادة سمكها قليلًا عما كانت عليه أولا. وقد بلغ الحرص في الاستفادة من سمك الجدران المجددة إلى استحداث خزائن للكتب بأصل الجدار الشرقي ﴿ وطاقات كبار كالأبواب المقنطرة في أعالي الجدار وطاقات متسعة مستديرة أيضا تكثيرا للضوء ، (٥).

واستحدثت طاقات أخرى مستديرة في الجدار القبلي ، غير أنه عدل بعد ذلك عن كثير من هذه الفتحات فسدت (بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار ، وسد أيضا الطاقات التي بالجدار القبلي إلا ما يحاذي القبة التي على المحراب العثماني .

⁽١) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٠ .

⁽٢) ذكر السمهودي في المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٦٤٣ أن هذه الفتحات ؛ ثلاثون فتحة ، .

⁽٣) انظر أدناه ص ٣٣٤ وما بعدها .

⁽٤) هي الجدار الشرقي إلى قرب بأب جبريل والجدار الجنوبي كله والجدار الغربي من باب السلام إلى باب الرحمة .

⁽٥) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٢ .

فجعل لها ولما بقى من الطاقات قصريات من الزجاج (۱) وشبكات من شريط النحاس (۲). وكان ذلك بعد الاعتراض على المدرسة التى كان ابن الزمن قد اعتزم إحداثها مكان الدور المجاورة لمقدم القبلة والتى كانت تعرف بدور العشرة . ويذكر السمهودى أن السلطان استفتى علماء مصر فى ذلك فأفتوا بالمنع (۱) وقال ابن إياس فى حوادث شعبان سنة ۱۸۸۷هـ أن الأخبار وردت من المدينة الشريفة و بأن السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبابيك مطلة على الحرم النبوى فقامت على السلطان الأشلة (۱) بسبب ذلك ، وأفتى بعض العلماء بأن ذلك لا يجوز ، فإن حرمة النبى على وهو ميت كحرمته وهو حى . وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه (۵) على أن السلطان آثر إقامة المدرسة فى الجانب الغربى بين باب السلام وباب الرحمة .

ويدل استكمائهم بناء جدار القبلة فيما يعلو النوافذ التي استحدثت به بالأجر على ما صرح به السمهودي (٦)، على نقص الأحجار التي كانت بأصل هذا الجدار قبل هدمه . وذلك بسبب زيادة سمك مداميك الجدران المجددة ، وعلو المنارة الرئيسية التي بلغت في هذه العمارة مائة ذراع (٧)، والخروج بالجدار الشرقي قيلا ، بالإضافة إلى أن الأجر المتوفر يسهل بناء عقود الفتحات والشبابيك التي استحدثت بجدار مقدم المسجد الشرقي والغربي والجنوبي .

⁽١) يعرف زكى محمد حسن فى فنون الإسلام ص ٦١٢ القمريات بأنها جمع قمرية وأنها تعرف بالشمسية وأنها نافذة صغيرة من الجص المفرغ تسد فتحاته بزجاج ملون وتؤلف هذه الفتحات زخارف إسلامية من فروع نباتية أو زخارف هندسية ورسوم معمارية أو كتابات .

⁽۲) السمهودي : وفاء الوفا جـ ۲ ص ٦٤٢ .

⁽٣) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٣ .

 ⁽٤) لم أجد لها معنى فى القواميس العربية ولا فى المعجم الذى جعله دوزى مضافا إلى القواميس العربية ولعل المقصود بذلك كما يفهم من سياق المعنى أن المعارضة كانت شديدة على السلطان الأشرف .

⁽٥) بدائع الزهور جـ٣ ص ١٩٦ .

⁽٦) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٢ .

⁽٧) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٥٢٧ ، ٦٤٠ .

وشرع في إقامة الإسطوانات والعقود فور الانتهاء من إعداد موادها الأساسية المكونة من قطع الحجر المدورة المثقوبة ، وقوالب الأجر المحروق وجاء أن سطح مقدم المسجد قد وضع على تلك العقود سقفا واحدا(١)، غير أنه لا يعرف إذا كانت العقود المذكورة ، فيما عدا بلاطات القباب ، متعامدة على جدار القبلة أو متوازية معه على هيئة العقود المطلة على صحن المسجد . وكان يبدو أن التوازى مقبولا لولا أن السمهودى يذكر أنه استحدث قبة فوق الحراب العثماني(٢)، وقبة أخرى فيما بين الحجرة الشريفة والجدار القبلى (وحولها ثلاثة أخرى تسمى مجاريد) (١)، فيما استحدث قبتان بالقرب من باب السلام (٤) وكما هى العادة عند عقد القباب فإنه لا بد لها من أربعة عقود كما هو الحال في القباب الموجودة حاليا في الجزء المشيد من المسجد النبوى في العصر العثماني وبذلك لا بد أن كان من العقود عقدان متوازيين مع جدار القبلة وعقدان متعامدين عليه .

وإذا كان السمهودى قد أفادنا في معرفة طريقة تسقيف مقدم المسجد على النحو الذي تقدمت الإشارة إليه ، فإنه لم يذكر شيئا عن تسقيف بقية أروقة المسجد. وكان من الممكن أن يذهب الظن إلى أن الأمر كان في سقوف بقية أروقة المسجد على نحو ما كانت عليه في مقدمه لولا ما جاء في كتاب نزهة الناظرين عن السقوف التي هدمت من مؤخر المسجد في عمارة السلطان عبد الجيد سنة ١٢٦٥هـ من أنها كانت (على عبارات من خشب موضوعة على أساطين) (٥)، وكان الأمر كذلك أيضا في الأروقة الجانية . وعلى هذا فإنه يمكن حصر استخدام العقود في عهد قايتباى في تسقيف مقدم المسجد فقط . ولا بد أن استغرق إنشاؤها

⁽١) السمهودي: نقس المصدر جدا ص ٦٤٠.

⁽٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٠ .

⁽٣) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤١ .

⁽٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤١ .

⁽٥) البرزنجى ، ص ٢٧ . لم أجد أى ذكر لمن قام بعمارة شاملة للمسجد النبوى بعد الأشرف قايتباى حتى السلطان عبد المجيد سوى بعض الترميمات التى قام بها بعض السلاطين العثمانيين في مقدم المسجد .

بطبيعة الحال وقتا وجهدا كبيرين ، خاصة وأن من الأعمال التي تمت في مقدم المسجد الشريف القبة الكبيرة التي شيدت بقوالب الأجر بدلا من القبة الخشبية المحترقة .

ويبدو أن تعرض القبة الأولى للحريق الثانى وما كانت تسببه من تسرب مياه الأمطار إلى أخشاب السقوف الجاورة فتتلفها ، كما أن ما كانت مختوى عليه من أخشاب كانت مع سقوف المسجد الجاورة طعمة سائغة للنار التى دمرت المسجد سنة ٨٨٦هـ ، قد حمل القائمين على العمل على بناء القبة الكبيرة على شاكلة القبة الأولى الواقعة فوق حجرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، والتى كان لطريقة بنائها فضل فى وقايتها من شر الحريق الثانى (١).

ونظرا إلى كبر حجم القبة الحالية واختلاف مادة البناء فيها عن الخشب والرصاص الذى كان قوام القبة الأولى ، ورغبة فى الحيطة والمتانة فقد استقر رأى مهندسى العمارة على استحداث أكتاف بزوايا متعددة ومن أحجام مختلفة (٢) أقيمت فى مواضع الإسطوانات التى كانت مخمل القبة المحترقة وذلك كما يبدو من الخطط الذى أعده إبراهيم العياشى عن الحجرة الشريفة شكل (٥٧) (٥). ورغم اختلاف حجم هذه الأكتاف وقوتها ، فإن المعمار الذى قام بتصميمها قد أبقى على الإسطوانات المتقابلة فى الجهات الأربعة للحجرة ، وزاد فى ما كان منها

⁽١) انظر أعلاء ص ٣٢٩ .

⁽٢) استرعى انتباهى كثرة الزوايا فى الأكتاف التى تخيط بالحجرة الشريفة والتى تبلغ إحدى الأكتاف عشرين زاوية كما يبدو فى الشكل (٢٥٧) ، وقد سألت أحد المهندسين المسئولين عن عمارة المسجد الحرام عن تلك الزوايا وهل لكثرتها علاقة فى زيادة قوة تخمل الكتف للحمل الواقيع عليها ؟ فأفاد بأن هذا التعدد الملاحظ فى الزوايا المذكورة هو بقصد المبالغة فى الناحية الجمالية ليس إلا .

⁽٣) إبراهيم العياشى هو صاحب مكتبة بالمدينة المنورة ، والمخطط المنسوب إليه مطبوع ومنه نسخة معلقة فى قاعة المطالعة بمكتبة الحرم المكى الشريف وبالسؤال عن مصدره قيل لى أنه مهدى لأحد موظفى المكتبة من الناشر ، ولكن الموظف المذكور أثر به المكتبة . انظر أيضاً : المخطط المنشور فى مرآة الحرمين ، لإبراهيم رفعت باشا ، جـ١ ص ٤٤٨ .

بالجانب الشرقى والغربى والجنوبى بإضافة إسطوانة أخرى إليها(١) كما يبدو من صورة المخطط شكل (٥٧) ، مع استحداث كتف خامس عند رأس الحائز المخمس مما يلى الشمال (ليشتد بها العقد الذي عليه القبة في تلك الناحية ،(٢) كما وضعت أكتاف أقل حجما في شمال بيت فاطمة رضى الله عنها .

وأعيد محراب التهجد بأصل الدعامة المستطيلة التي تتوسط الضلع الشمالي لبيت فاطمة ، انظر شكل (٥٧) (٣). ولم يذكر السمهودى مدى ارتفاع الأكتاف التي عقدت عليها القبة عن أرض المسجد ، ولم يتيسر لى قياس ذلك بسبب تشدد المسئولين عن الحرم النبوى في إجابة ما يطلب إليهم من هذا القبيل ، ومع ذلك يمكن القول بأنها مساوية لسطح المسجد الذي كان ارتفاعه في هذه العمارة على ما صرح به السمهودى « اثنان وعشرون ذراعا »(٤).

ولا شك في أن الانتقال بالقبة من الشكل المربع^(٥) إلى الدائرى كان عن طريق الحطات (المقرنصات) التي استخدمت بأركان الحجرة في موضع إلتقاء الأقبية بالأكتاف الأربعة ، حتى تمكن المعمار من بناء القبة وفق الإمكانيات التي كان يمتلكها في ذلك الوقت .

⁽۱) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ۲ ص ٦١٠ .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٠ ٦٤ . حيث يذكر أنهم حفروا لهذه الاسطوانة أساسا عظيما ظهر بسببه القبر المنسوب في أحد الأقوال لفاطمة الزهراء رضى الله عنها . وفي هذا ما يزكى ما تذهب إليه الروايات التي تذكر أن قبرها في بيتها .

⁽٣) كان هذا المحراب بأصل اسطوانة أقيمت في موضعه في العمارة الأولى التي قام بها الأشرف قايتباي ، انظر أعلاه ص ٣١٣ .

⁽٤) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٥ أي ما يعادل ١١ مترا .

⁽٥) ذكر البتنوني في الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٦ أن طول كل من ضلعي الحجرة الشريفة الجنوبي والشمالي ٢٦ مترا وكل من ضلعيها الشرقي والغربي ١٥ مترا . هذا عدا بيت فاطمة رضى الله عنها . وذكر السمهودي في المصدر السابق جـ٢ ص ٦٤٠ و أنهم أحدثوا اسطوانا في جانب مثلث الحجرة ليشتد به العقد الذي عليه القبة في تلك الناحية ، وكان المقصود بهذا العقد تدارك الفرق الظاهر في طول أضلاع الحجرة الشريفة .

ويظهر من وصف السمهودى للأضرار التى لحقت بهذه القبة سنة ٨٩١هـ أنها عقدت بالأجر الخالى من الجبس (١) وأنها كانت فى حجم كبير جدا مما دعا إلى اختصارها أكثر من مرة (٢) وكان سمك جدارها كبير جدا بحيث لا يأتي النظر إلى داخل الحجرة الشريفة من إحدى فتحات القبة المذكورة (إلا لمن مد رأسه مدا زائدا) (٣).

وقد أحدث بهذه القبة عدد كبير من الطاقات والشبابيث ، ولحسن الحظ . فقد ذكر مؤرخ مهتم بتاريخ المسجد النبوى الشريف وصفا واتعاً لها وطريقة توزيع طاقاتها وشبابيكها ، فقال أن و عدد شبابيك القبة الكبيرة وطاقاتها ست وسبعين ، وبيان ذلك أن للقبة الشريفة صفحات أربع في كل صفحة من ذلك ستة ، ثلالة مزور (٤) من أعلاها وفوقها ثلاثة مدور ، وللقبة أيضا أركان أربعة فوق ذلك في كل ركن شباك كذلك مزور من أعلاه لكنه أوسع من البقية فصار جملة ذلك ثمانية وعشرين شباكا وبلى فوق ذلك ستة عشر طاقا مطافة بالقبة وفوق ذلك أيضا اثنان وثلاثون فبلغ جميع ما في القبة الكبيرة من الطاقات والشبابيك ستا وسبعين ، (٥)، ومن المؤكد أن تكون القبة قد طليت بالجبس والنورة فور الانتهاء من بنائها . وإذا ومن المؤكد أن تكون القبة قد خلا من أعمال الزخرفة على عكس قباب المصر كان داخل سطح القبة قد خلا من أعمال الزخرفة على عكس قباب المصر المملوكي الثاني (٢) فإن ما ذكره البرزيخي يشير إلى أنها قد زخرفت بالنقوش الكتابية من داخلها (٧). ولكن الشقوق قد ظهرت على سطحها مبكرا ثم ازدادت

⁽١) المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٤٦ .

⁽٧) أول مرة في سنة ٨٩١هـ ثم اختصرت ثاني مرة في العصر العثماني سنة ١٧٣٣هـ .

⁽٣) البرزيجي : ترهة الناظرين ، ص ٢٩ .

⁽٤) يقصد مقنطرة كما تبدو في الصورة شكل (٥٨) .

⁽٥) البرزيجي : المصدر السابق ، ص ٧٠ ـ ٧١ .

⁽٦) محمد مصطفى نجيب: العمارة في عصر الماليك ص ١٩٠.

⁽٧) ذكر فى المصدر السابق ، ص ٧٠ أنه رأى داخل القبة مزينا و بنقوش ظريفة عليها طراز فيه كتابات بخط جلى لم يمكننى إلا قراءة ما قابلنى من جهتها الغربية وهو و أنشأ هذه القبة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتباى » .

بعد أعمال الترميم الأولى التى قام بها ابن الزمن نفسه ، مما دعا إلى تغير السلطان عليه (١) .

وهذه القبة هي الثامنة من قباب المسجد النبوي(٢) عدا القبة السفلية التي استحدثت في العمارة الأولى فوق الحجرة مباشرة . ومع وفرة المعلومات عنها فإنه لم يتيسر لى معرفة ما إذا كانت القباب الأخرى كانت مزودة بفتحات مشابهة أم أن ذلك كان قاصرا على القبة الكبيرة . ويذكر السمهودى أنهم جعلوا بين عقود القباب ، التي كانت بمقدم المسجد مما يلي القبة الكبيرة ، وبين المنارة الرئيسية التي أعادوها بادهنجا للضوء والهواء ٤(٣) وأضاف إلى ذلك أنهم نقلوا باب المنارة الغربي عند بجديدها في هذه العمارة إلى جهة الشام ، على خلاف المألوف فيما مضى ، وهو عمل لا يعرف الهدف منه ، غير أنه يبدو أنه لم يف بما كانوا يقصدونه منه ، مما حدا بالأمير شاهين الجمالي إلى إعادته إلى مكانه الأول عند إعادة بناء المنارة المذكورة سنة ٨٩١ هـ(٤) هذا عن سقوف المسجد الشريف وما عمر منها حتى أواخر شهر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقد قال عنها ابن طولون أنها (عمارة عظيمة)(٥) وقد اختتمها ابن الزمن بنقش اسم السلطان قايتباى في بعض أجزاء السقف مما يلى الجدار القبلي والشرقي (٦٦). ثم قام فريق من الدهانين بدهن السقوف المذكورة . ويذكر السمهودى أن متولى العمارة استخدم بعض القناديل التي وجدت تحت ردم سقف الحجرة الشريفة • في تذهيب السقف المعادة بعد الحريق ع(٧). ويبدو أن ذلك اقتصر على بعض سقف المسجد ، فقد جاء

⁽١) اتضح بعد مجديدها في العهد العثماني سنة ١٢٣٣هـ أن ما أتهم به ابن الزمن من تساهل في المؤند ليس بصحيح وأن سبب تلفها المتكرر هو ضخامة حجمها . انظر أدناه ص ٣٦٠ .

 ⁽۲) كان أمام باب السلام قبتان وعلى المحراب العثماني واحدة ، وبين المحجرة الشريفة وجدار القبلة أربع قباب . انظر السمهودى : وفاء الوفا جـ ۲ ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

⁽٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

⁽٤) السمهودى : نفس المصدر جـ٢ ص ٦٤٦ .

 ⁽٥) تاريخ ابن طولون ، ورقة ١٤ أ .

⁽٦) ابن الرومي : التحقة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة ص ٩٢ .

⁽٧) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٠ . ومع ذلك لم يشرح السمهودى فيما إذا كانت القناديل صهرت أو بيعت واستخدم ثمنها في التذهيب .

أنه بلغ السلطان قايتباى أن بعض أجزائه قد دهنت بالنيلة فأمر في سنة ٨٨٩هـ بإرسال فريق من الدهانين (لمحو ما بلغه أنه جعل في بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة وإبداله باللازورد (١٠).

أما الأعمال الأخرى بداخل المسجد فكان منها خفض أرض مقدمه حتى ساوت أرض المصلى الشريف (٢) وقد حرصوا على الاستفادة من التراب الذى قطعوه من رواق القبلة فى ردم الدكتين اللتين أحدثهما متولى العمارة بالرواقين الشرقى والغربى و فيما بين باب الرحمة وباب النساء إلى مؤخر المسجد (٣). وجاء أنهما كانا أخفض من الدكاك الشامية التي لا يعرف تاريخ حدوثها (١) علاوة على ذلك جدد متولى العمارة النفق الذى كان يعرف بخوخة آل عمر رغم صدور الأوامر السلطانية فى منة ٥٨٨هـ باغلاقه (٥). وقد تباطأ مرة ثانية فى تنفيذ الأوامر التي وردت إليه منة ٧٨٨هـ فى هذا الخصوص وكان ذلك سببا فى ضيق السلطان قايتباى وتبرمه منه (١). ودعا ذلك شيخ الحرم الشريف إلى سده فيما بعد و بالبناء المحكم من خارج المسجد ، ونزع باب طابقه ، وردمه بالأثرية حتى ساوى أرض

⁽١) السمهودى : المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٦٤٥ .

⁽٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤١ حيث جاء أنه ٥ كان شبه حوض عمقه ذراعان ونصف وثمن ١ .

⁽٣) السمهودي : المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٦٤٢ .

 ⁽٤) ذكرت عند حديثى عن عمارة الظاهر يببرس أن هذه الدكاك المعروفة بالدكاك الشمالية هى مما
 أحدث في عهده . انظر أعلاه ص ٢٢٣ .

⁽⁰⁾ السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧١٣ ، كان السمهودى هو الذى فاتح السلطان فى شأن هذا النفق الذى كان يفتح فى البلاطة الثانية فى موقف الزائرين اليوم ، وقد ذكر فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٧١٥ أن السلطان قرر لمن كان بيده أمر هذا النفق و يضمة عشر دينارا كل سنة عوضا عما كان يحصل له منه ٤ .

⁽٦) كان من الأعذار التي كان يحتج بها ابن الزمن في تأخير تنفيذ أوامر السلطان باغلاق هذا النفق ما أشار إليه السمهودى في الوفا ، جـ ٢ ، ص ٧١٥ من أن الدور التي كان يؤدى إليها هذا النفق قد أصبحت ملكا للسلطان وأنه سوف يفاغ السلطان بجعلها مزارات . هذا عن الأسباب الظاهرية ، أما الأسباب الخفية فذكر السمهودى أن منها حقد بعض أصدقاء ابن الزمن على السمهودى باعتباره المحرض للسلطان في سدها ، وغير ذلك من الأسباب التي قال عنها السمهودى و أنها أمور يطول شرحها » .

المسجد ولم يبق له أثر ، وذلك في رابع ذي القعدة سنة المسان والمانين والمانمائة (١).

ووضعوا على حدود المسجد النبوى الأول عما يلى القبلة درابزين من الخشب الخروط (٢). وكان من الأعمال الهامة التى تأتى فى المقام الثانى حاجة المسجد الشريف بعد ذلك إلى كثير من أعمال المبيضين (٦) والمرخمين فى جميع جوانب المسجد الشريف ، الذى تأثرت جدرانه وما بقى من إسطواناته بالحريق . كما أن هدم جدران مقدم المسجد على النحو الذى سبق ذكره واستحداث كثير من العقود بأعلى السقف كل ذلك زاد من عبء العمل الملقى على عواتق هؤلاء العمال .

وكان من أعمال المرخمين تلبيس دكة المؤذنين بالرخام الجميل(٥)، وتقع

⁽۱) كان صد هذا الطابق بعد خفض أرض مقدم المسجد وانتهاء العمارة إذ يذكر السمهودى فى المصدر السابق جــ ۲ ص ٦٤٤ أن سقوف المسجد النبوى قد كملت و كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانماتة وتمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك ٢ -

⁽٢) ذكر البرزنجى في نزهة الناظرين ، ص ٣٧ أثناء حديثه عن عمارة السلطان عبد الجيد خان أنهم و استبدلوا الدوابزين الخشب والخزائن الموضوعة فيما يسامت حد المسجد الأصلى من جهة القبلة ... بحاجز مسنم من الحجر الأحمر المنحوت ... ٤ . كما أن السمهودى في وفاء الوفا جـ١ ص ٣٧٧ قد أشار إلى وجود مثل هذا الدوابزين قبل الحريق الثاني ، مما يقوى الاعتقاد بأن الدرابزين الذي أشار إليه البرزنجي قد أعيد بعد احتراق الدوابزين الأول .

⁽٣) أن كلمة مبيض 8 تدل على مبيض القماش وتدل في معناها الثاني على موظف يهتم بنسخ المراسلات والكتابات في صورتها النهائية ، وتستخدم أيضًا في اللغة الدارجة المصرية الحديثة للإشارة إلى من يحترف طلاء الجدران ٤ . انظر حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ٣، ص ٩٨٩ .

⁽٤) نطلق كلمة المرخم على ٥ المشتغل بالرخام من حيث رصف الأرضيات وتصفيح الجدران ، وعمل المقرنصات وصناعة الأعمدة وتيجانها ، ونقش الكتابات والزخارف على ألواح الرخام وشواهد القبور ، وعمل بعض الأثاثات الحائطية ، وقطع التحف ، وخرط التماثيل وغير ذلك من الأعمال المتصلة بالرخام ٥ . انظر حسن الباشا : المرجع السابق جـ٣ ص ١٠٧٥ وما بعدها .

الدكة المذكورة في البلاطة الخامسة مما يلى الصحن أمام المنبر الشريف^(۱)، وكذلك بنوا باب السلام و بالرخام الأبيض والأسود ، وزخرفوه زخرفة عظيمة (^{۲)}، وجاء أنهم زخرفوا قباب المسجد جميعا^(۳).

أما المحراب النبوى فقد أعادوه في موضع الصندوق الذي احترق بعد نزعهم الإسطوانة التي كانت في محاذاة الإسطوانة التي إليها المصلى الشريف⁽³⁾. وقد زخرفوه بالرخام و الملون ترخيما بديعا فيه صبغ ذهبي وغيره ، وهو أبهي منظرا من الأول ، وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلا على المصلى الشريف ، لأنه إنما جعل في محل الصندوق الذي كان أمام المصلى الشريف ، (٥) وزخرف المحراب النبوى الشريف بكثير من الآيات القرآنية ، كتبت بخط بارز جميل مذهب في إطار ضيق يحيط بالجزء العلوى من المحراب النبوى .

كما قاموا بتحلية واجهته مما يلى الروضة بكثير من التقسيمات الرخامية البديعة (٢٦) كما يبدو من صورته شكل (٥٩) ، ودخلته غير عميقة بسبب وضعه مكان الصندوق الذى كان علامة للمصلى الشريف (٧). وكتبوا تاريخ عمارته فى لوح رخامى يوجد الآن بظهر المحراب النبوى الشريف . منقوش فيه بخط بارز فى خمسة أسطر ما يلى : انظر اللوحة رقم (٢٦٠) .

⁽١) انظر موضعها من مخطط المسجد النبوى في عمارة السلطان عبد المجيد شكل (٢٩) المنقول عن مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا ، جـ١ ، ص ٤٤٨ .

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٤١ .

 ⁽٣) نفس المصدر جـ٢ ص ٦٤١ كان عدد هذه القباب غير الكبيرة سبع قباب ، وعن مواقعها من المسجد انظر أعلاه ص ٣٣٩ الحاشية رقم (٢) .

⁽٤) السمهودى : المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٦٤٠ .

⁽٥) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٣٧٨ .

⁽٦) يذكر توفيق أحمد عبد الجواد في تاريخ العمارة والغنون الإسلامية ، ص ١٣٠ أن المحاريب المملوكية كانت و مبداً لإبداع فن الموازيك الرخامي كما أنها كانت تصنع من الرخام الملون والصدف . .

⁽٧) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٧٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد أمر بعمارة هذا المحراب النبوى الشريف العبد الفقير المعترف بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف

أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بتاريخ

شهر الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية

ويلاحظ على هذا النقش أن كاتبة لم يوزع الكلمات على الأسطر الخمسة بالتساوى ، فالسطر الأول به ٨ كلمات تتضمن ٣٩ حرفا والسطر الثانى به ٩ كلمات تشتمل على ٤٩ حرفا ، والسطر الثالث به ٥ كلمات مختوى على ٣١ حرفا والسطر الرابع به ٧ كلمات تضم ٣٦ حرفا ، والسطر الخامس به ١٠ كلمات بها ٥٠ حرفا . ومن هذا يظهر أن النقاش وجد نفسه بعد امتكمال السطر الرابع أما عدد كبير من الكلمات لا يمكن توزيعها على سطرين ولابد له من جمعها في سطر واحد عما ساعد على اختلاف شكل الحروف وطريقة توزيع الكلمات في هذا السطر عن بقية السطور السابقة .

واهتم المرخمون أيضا بزخرفة المحراب العثماني وترخيمه ، شكل (٦٠) . ونقشوا الجزء العلوى من دخلته بطراز مذهب به كثير من الآيات القرآنية . ويمتاز المحراب العثماني الذي لا يزال يحتفظ بعمارته إلى الوقت الحاضر (١) عن المحراب النبوى بعمق دخلته بسبب استنباده إلى جدار القبلة الذي ساعد ممكه على تعميق دخلة المحراب وزخرفوا أيضا محراب الحنفية (٣) الذي كان متأخرا عن المحراب النبوى (٤). ﴿ وأعاد ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيم الجدار

⁽١) انظر أدناه ص ٣٦٣ .

⁽٢) كانت فكرة نعميق المحراب من الأسباب التي دعت إلى هدم جدار القبلة .

⁽٣) عن هذا المحراب انظر أعلاه ص ٣٨٤ . وقد ذكر السخاوى في التحفة اللطيفة ، جـ١ ص ٦٠ هذا المحراب ضمن المحاريب الموجودة في زمنه . ولما كان المحراب المذكور من أجزاء المسجد ابان عمارة قايتباى لذلك رجحت ترخيمه أيضاً .

⁽٤) عن أسباب تقديمه بمحاذاة المحراب النبوى انظر أدناه ص ٣٦٣ .

القبلى »(١). وألبسوا الدعائم المحدثة في المواجهة الشريفة من داخل المقصورة الشريفة وخارجها رخاما بديعا . ثم ألبسوا الحجرة الشريفة الستارة المرسلة من قبل السلطان(٢).

وعند الانتهاء من تجديد رخام جدران الحجرة الشريفة و أزالوا البناء الذي عمله أهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة ، وأبدلوا ما يلى القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس ، وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزردة (٢٠). ثم ذكر السمهودي بعد ذلك أنهم جعلوا لبقية الحجرة و من جهة الشام وما اتصل بها من المشرق والمغرب مشبكا من الحديد المشاجر (٤)، وبأعلاه شريط النحاس أيضا ، وأحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك ، جعلوه فاصلا بين الرحبة التي خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها ، وبها بعض المثلث فاصلا بين الرحبة التي خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها ، وبها بعض المثلث المنجوة الشريفة وبينها ، وبها بعض المثلث متوسطا بين مشبك الحجرة الشامي وما يقابله . وقد صارت هذه المقصورة تعرف متوسطا بين مشبك الحجرة الشامي وما يقابله . وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة وأبوابها بأبواب الحجرة ، وما يعلق بسقفها بقاديل الحجرة (٩٠).

وكان السلطان قايتباى قد احتفل بهذه المقصورة فى شعبان من منة ٨٨٨هـ قبل إرسالها إلى المدينة ، وجاء أنها نصبت أمامه بحوش قلعة القاهرة وأن زنتها أربعمائة قنطار من الحديد ، وأنها حملت إلى المدينة المنورة على سبعين جملا(٦)

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٧ ص ٦٤٢ .

 ⁽۲) ذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ ۲ ص ٦٤٦ وجود كسوة على الحجرة الشريفة عند يتجديد القبة سنة ٨٩٢هـ لذلك فإننى أعتقد بوجودها قبل ذلك بما يتفق والواقع وللنطق ، لأن الكسوة القديمة احترقت سنة ٨٨٦هـ .

⁽٣) السمهودي : المصدر السابق جــ ٢ ص ٦٤٢ .

⁽٤) المعمول على شكل ورق الشجر كما في اللوحة رقم و ٦٧ ، ٦٨ . .

⁽٥) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٣ ص ٦١٢ ، ٦٤٢ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ، ص ٩٧. وقد عد البتنونى هذا المشبك مصنوع من نحاس وهو خطأ كما يبدو من حالها الآن وكما صرح به السمهودى وابن إياس . انظر الرحالة الحجازية ، ص ٤٤٦ .

⁽٦) يعتبر هذا الاحتفال تقليدا لما قام به الظاهر بيبرس في أول حكمه لمصر عندما كان يحتفل بارسال آلات عمارة المسجد التي قام بها . انظر أعلاه ص ٢١٧ .

وورد كذلك أن السلطان أرسل معها مصحفا كبيرا حُمل على جمل وحده ، وقد قال عنه ابن إياس و أنه من النوادر ، كتبه شاهين النورى ومات ولم يكمله ، فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان وهو باق إلى الآن (١) في الحجرة الشريفة ، (١).

ويتألف مشبك الحجرة من تسع عشرة قطعة ، تسد الفراغات الحادثة بين الإسطوانات والدعائم التى يحيط بعضها بالحجرة الشريفة ويفصل بعضها الآخر بين بيت عائشة وبيت فاطمة رضى الله عنها . وهى محكمة الوضع مما يدل على أن صنعها كان بعد أخذ القياس الدقيق للبعد الحقيقى بين الإسطوانات والأكتاف .

وقد نقش بأصل المشبك المذكور بطريقة التفريغ بخط الثلث جميل ، نقشان متشابهان إلى حد كبير يقع أحدهما في المشبك الغربي للحجرة الشريفة المطل على الروضة الشريفة بين الإسطوانتين اللتين كتب عليهما خطأ إسطوانة الوفود وإسطوانة المحرس (٢)، وذلك بين جامتين في إحداهما لفظ الجلالة وفي الأخرى اسم النبي عليه السلام . وهو في ثلاثة سطور بخط متشابك جميل يصعب قراءته على غير المتمرسين ونصه : (انظر اللوحة رقم (٦٧))

أنشأ هذه المقصورة الشريفة مولانا وسيدنا

السلطان أبو النصر قايتباي تقبل الله منه

في عام ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية

⁽١) إلى زمن ابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠هـ .

⁽۲) بدائع الزهور ، جـ ۳ ، ص ۲۰۳ ـ ۲۰۴ . وقد تعرض السمهودى في المصدر السابق جـ ۳ ص ١٦٨ ـ ٢٠٠ لتاريخ المصاحف المرسلة إلى المسجد النبوى وذكر البرزنجى في نزهة الناظرين ، ص ۲۶ أن في المسجد الشريف في زمنه و عدة مصاحف مذهبة بخطوط نفيسة موقوفة بعث بها الملوك من سائر الجهات وأرباب الحشمة والخيرات ٥ . وذكر على بن موسى في وصف المدينة المنورة ص ٧٠ ـ ٧١ أن و في الحجرة المعطرة من جهة الرأس الشريف بين الستر والشبكة صندوق عليه كسوة، من الحرير الثقيل فيه المصحف العشماني بالخط الكوفي وهو الذي يعرف بالأم ؟ لأنه من الأربعة المكتوبة في زمن سيدنا عشمان والمشهور أن دمه عليه ، لا يفتح إلا في شدة الكرب _ كما تقدم _ وهو علمي رق غزال ، ونسخة ثانية بخط سيدنا علمي بن أبي طالب » .

⁽٣) انظر أعلاه ص ٦٣ .

ومكتوب بطريقة التفريغ أيضا في شرافات هذا الجزء من المشبك شهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

ویلاحظ علی هذا النقش التأسیسی أن النقاش قد وازن بین توزیع الكلمات علی الأسطر الثلاثة التی یتكون منها النص المذكور ، فالأول به 7 كلمات متضمنة ٣٣ حرفا والثانی به ٧ كلمات مشتملة علی ٣٣ حرفا والثالث به ٨ كلمات محتویة علی ٤٠ حرفا .

ويقع النقش الآخر فوق الباب الشمالي للمقصورة الشريفة ، المعروف بباب الأغوات لدخولهم منه إلى الحجرة الشريفة (١) ، وذلك فيما يلى بيت فاطمة رضى الله عنها أمام ركن دكة الأغوات . وهو بكتابة متقنة مفرغة متشابكة بأصل مشبك الحديد ، وذلك في سطرين فوقهما شبه شباك صغير مقسم بمربعات كونتها قضبان حديدية متداخلة على شكل الخشب الخروط على يمينه شهادة التوحيد و لا إله إلا الله ، وعلى يساره تكملة الشهادة و محمد رسول الله ، وكل منهما داخل جامة مستطيلة وتحت ذلك كله اللوحة التأسيسية المفرغة لهذا المشبك في سطرين نصها كالتالى : (انظر اللوحة رقم (٦٨))

أنشأ هذه المقصورة الشريفة السلطان الملك الأشرف أبو

النصر قايتباى عام ثمان وثمانين وثمانهاية

وتنقص هذا النص بعض الكلمات التي شملها النص السابق (۲)، بيد أنه قد روعي عند ترتيب كلماته ، الطريقة التي استخدمت في النص السابق فالسطر الأول به ٨ كلمات مختوى على ٤٣ حرفا والثاني به ٦ كلمات تتضمن ٣٥ حرفا .

⁽١) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين جـــا ص ٥٤١ .

 ⁽٣) عند مقارنة النصين ببعضهما وجدت أن الأول يزيد على الثانى بالكلمات التالية : ٥ مولانا وسيدنا... تقبل الله منه في ... من الهجرة النبوية ، ويزيد الثانى على الأول بكلمتين فقط هما
 ٥ ... الملك الأشرف ... ، . .

ولا يعرف ما إذا كان اللون الأخضر الذى يشاهد فى الوقت الحاضر على مشبك الحجرة هو نفس اللون الذى دهنت به فى عهد الأشرف قايتباى . على أن الغالب على الظن أنه قد استحدث فى العهد العثمانى عندما استخدموا اللون الأخضر فى طلاء قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٥٣هـ(١).

ولهذه المقصورة أربعة أبواب و باب غربى فى الروضة يسمى باب الوفود أو باب الرحمة ، وفى جنوبه شباك التوبة ، ولها باب آخر فى الجهة الجنوبية ويدخل إليها من باب فى الجهة الشمالية وهو الذى من باب فى الجهة الشمالية وهو الذى يدخل منه الأغوات لايقاد الحجرة الشريفة (٢) . وقد عد أحمد ياسين الخيارى الجزء المحجوز حاليا بين حائز عمر بن عبد العزيز ومشبك الحديد المحيط بالحجرة الشريفة من زيادة قايتباى فى الحجرة الشريفة (٣) . بيد أن ما قام به الأشرف قايتباى فى هذا الصدد لم يكن إلا تقليدا لما سبق إليه الظاهر بيبرس سنة ١٥٨هـ عندما أحاط الحجرة الشريفة بدرابزين من الخشب المخروط حل محله مشبك الحديد الذى أحدثه الأشرف قايتباى .

وعن أبواب المسجد الرئيسية ، التى احتفظت بعددها ومواضعها فى هذه العمارة ، يلاحظ أن السمهودى لم يذكر شيئا عن مصاريعها ، على أنه ما من شك فى أنها كانت على شاكلة باب السلام الذى وصفه محمد لبيب البتنونى اثناء أدائه الحج فى معية خديوى مصر عباس الثانى ، إذ يذكر ، وقد رأيت له بابا كان أرسل من مصر أتناء هذه العمارة ووضع على باب السلام ، ولما وسع هذا المدخل فى عمارة السلطان عبد المجيد نقلوه إلى الباب المجيدى . وهو من الخشب الشمين المغطى بالقطع النحاسية المنقوشة أو المكتوبة ، بل هو من أفخر ما يرى

⁽١) البرزيجي : نزهة الناظرين ، ص ٧٧ .

⁽٢) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جــ١ ص ٤٥١ ، البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٤٤٦

⁽٣) تاريخ مساجد المدينة المنورة ، ص ٦ ونص عبارته ، ويعتبز الممر العام في داخل الحجرات من ;يادة قايتباي »

الناظرون في الصناعة المصرية القديمة التي قبرت من عهد بعيد ، (١).

وكان بالمسجد الشريف إلى جانب هذه الأبواب الرئيسية عدد من الأبواب الصغيرة فتحت في الجدار الغربي بين باب السلام وباب الرحمة كان الدخول منها إلى المدرسة والرباط اللذين أحدثهما الأشرف قايتباى في هذا الجانب من المسجد (٢). أما حواصل المسجد فكان أهمها قبة الصحن التي يذكر السمهودي عنها أن غالب ما كان يوضع فيها في زمنه هو (زيت وقود المسجد (٣). وكان أمام كل من منارات المسجد الأربع خزانة (إلا أن ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصلى ، بخلاف المنارتين الشاميتين فإنه محدث) (٤). انظر شكل (٦١).

وذكر السمهودى بعد ذلك عدد من الحواصل منها خزانة صغيرة بجانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبية و يضع بعض الخدام فرشهم فيها ، وربما أقام بها من يريد الإعتكاف بالمسجد ويليها في جهة المغرب أيضا حاصلين كبيرين يوضع فيهما القناديل الزجاج وبعض آلات المسجد » (٥) ثم ذكر أنه يقابل ذلك في جهة المشرق عما يلى المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش الخدام أيضا ، وإلى جانبها خزانتان إحداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد ونحوها ، والثانية بيد الخدام أيضا وفي جهة المشرق قريبا من فيها فوانيس المسجد وبين باب النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم ، وبعض فرشهم وأمتعتهم »(٦).

 ⁽١) محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٤ . وكان بودنا لو دون ما كان يه من كتابات ووصف لنا نقوشه خاصة وأن الباب المذكور قد زال فى التوسعة السعودية .

⁽۲) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ۲ ص ٦٤٣ ، ٦٨٠ .

⁽٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٨٠ .

 ⁽٤) نفس المصدر ، جــ ۲ ص ٦٨٠ وذكر أن أول من أشار إلى أنهما محدثتان هو ابن فرحون المتوفى
 ٧٦٩هــ .

⁽٥) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٨٠ .

⁽٦) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٨٠ .

وجاء أيضا أن في غربي المسجد بين باب الرحمة وباب السلام • حاصل يوضع فيه النورة ، يعرف بابه بخوخة أبي بكر رضي الله عنه ه(١).

ويبدو من ذرع السمهودى لارتفاع المسجد من داخله وحارجه بعد خفض أرض مقدم المسجد ، فرق ستة أذرع (٢) أى نحو ثلاثة أمتار وهو فرق كبير لا يشرحه احتمال وجود ستارة فوق سطح المسجد ، ولا ارتفاع مستوى أرض المسجد وما يتبعه من ارتفاع الأبواب عن مستوى الأرض المحيطة بالمسجد . مما يدعو إلى الاعتقاد بأن هناك خطأ فى الذرع أو فى النسخة المحققة .

ورغم بعض المآخد التي أحدت على ابن الزمن (٢) فلم يكد عام ١٨٨٩ يشرف على الانتهاء حتى اكتملت عمارة المسجد الشريف على الصورة التي تقدم ذكرها انظر شكل (٦٢) ، وعاد حجاج العام المذكور إلى دمشق كما يذكر ابن طولون بأخبار العمارة التي اكتملت و على أحسن حال (٤). ومع أنه ظهر في بعض أجزاء المسجد بعض الخلل بعد الانتهاء من عمارته مباشرة ، إلا أنه لا خلاف في أن ابن الزمن قد اجتهد فيما يبدو غاية الجهد في اتقان ما قام به من أعمال بما يتفق وقداسة المكان الشريف من جهة ، ويحقيق رغبة السلطان في الفوز بالثواب

⁽١) نفس الصدر ، جد٢ ص ٦٨١ .

⁽٢) ذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ٢ ص ٦٨٥ أن 1 بين أرض مقدم المسجد وسقفه بعد خفض أرضه عقب الحربى الثانى النان وعشرون ذراعا ... وذرع ما بين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه وأعلى سترة جداره من جهة المغرب لمائية وعشرون ذراعا ٤ .

⁽٣) ذكر السمهودى في المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٤٣ أن ابن الزمن عزم على اتخاذ الدور الواقعة في مقدمة المسجد لبناء مدرسة ورباطا للسلطان ، وما ظهر بسبب ذلك من معارضة وفتوى شرعية من فقهاء المدينة والقاهرة ، وأضاف أيضاً في ص ٦٦٥ ، ٦٦٦ إدخال الدواب الحاملة لآلاث العمارة إلى المسجد النبوى واستخدام صحنه لأعمال النجارة والنشارة والحجارة ... وهي أعمال ينتج عنها صوت يؤذى الرسول عكل وهو ما يتعارض مع الأثر الثابت عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عندما قالت لإحدى أمهات المؤمنين وهي تسمر باب حجرتها و لا تؤذوا رسول الله عنها عندما قالت لاحدى أيضاً في ص ٧١٥ مماطلة ابن الزمن في تنفيذ أوامر السلطان بسد خوخة آل عمر رضى الله عنهم .

⁽٤) تاريخ اين طولون ١٤ أ .

والثناء من جهة أخرى .

وإذا اعتبرنا المدرسة (١) والرباط ، اللذين أنشآهما غربى المسجد فيما بين باب الرحمة وباب السلام ، واللذين زامنت عمارتهما عمارة المسجد الشريف ، من الملحقات الضرورية لعمارة المسجد فى ذلك الوقت ، وكذلك المنارة ، التى أقيمت بجوار باب الرحمة ، والتى كانت إلى جانب منارات المسجد الأخرى ، تقوم بإبلاغ نداء الحق إلى أحياء المدينة الواسعة ، فإن جملة ما تكلفته العمارة « نقدا وأثمان الكتب آلات وبهائم وغير ذلك مائة وعشرون ألف دينار ، (٢) ، وذلك عدا أثمان الكتب الموقوفة على المدرسة الأشرفية والمسجد الشريف وما وصل فى نهاية سنة ٩٨٨هم من ربع الوقف الذى وقفه قايتباى فى سنة ٩٨٨هم على سكان المدينة ، صحبة مندوب السلطان من أحمال « الحب والدقيق والقدور النحاس التى جعلت برسم السماط (٦) الذى أقامه قايتباى على سكان المدينة .

ويعتبر ما حمله مندوب السلطان إلى المدينة احتفالا بانتهاء العمارة وكان السلطان قد قرر أمر السماط المذكور رغبة في مساعدة أهل المدينة ، وقد صرف مندوبه و لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله ، لكل نفر سبع أردب مصرى ، وسوّى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد ، وجعل للأفاقين (1) ما يكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة (٥) في كل يوم وقرر أمر

⁽۱) ذكر عبد الغنى النابلسى فى رحلته التى قام بها سنة ١١٠٠هـ، جـ٣ ص ٧٨ عن مدرسة قايتباى أنها كانت و على شكل القاعة بأربعة أواوين كلها بالأحجار المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر وفى وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش ، مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط وشباييك مطلة على داخل الحرم النبوى من جهة الغرب قبالة الحجرة وفيها الخلوات للمجاورين ولها شباك مطل على باب السلام ١.

⁽٢) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٤٥ .

⁽٣) السممهسودى : وفساء الوفسا ، جــ ٢ ص ٦٤٥ ، ابن إياس : بداتع الزهور ، جــ ٣ ص ٢١١ ، ويقصد بالسماط هنا الطعام الذي يقدم في كل يوم من أيام السنة .

⁽٤) هم الحجاورون القادمون من أطراف الأرض . انظر أعلاه ص ٢١٥ حاشية رقم ١ .

 ⁽٥) الجشيشة أو الدشيشة . طمام رقيق من قمح مدقوق . أنظر إبراهيم مصطفى وآخرون : الممجم الوسيط ، جـ ١ ص ٢٨٣ .

المدرسة ، وصرف للمرخمين وغيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقيمة عملهمه(١).

بيد أنه لم تكد تكتمل فرحة السلطان بانمام عمارة المسجد الشريف حتى أخدت تتوالى عليه الأخبار بما طرأ على العمارة من خلل ونقص في بعض جوانبها، وكان أول ذلك ما ذكرته من قبل من مطالعة السلطان في عام ١٨٨٩م باستخدام النيلة في طلاء بعض سقوف المسجد الشريف ، مما دعاه إلى إرسال فريق من الدهانين مزودين باللازورد وما يحتاجون إليه من الأساقيل (٢) وأمرهم باستخدام هذا الطلاء بدلا من النيلة التي كانت مستخدمة في بعض سقوف المسجد الشريف (٣).

وعلم كذلك أنه حدث تشقق بالقبة التي بنيت فوق الحجرة الشريفة رخم ترميمها وأن سبب ذلك تساهل ابن الزمن في استخدام مؤنة صالحة عند عقد هذه القبة (٤) ، وأن المنارة الرئيسية التي جددت هي الأخرى في هذه العمارة قد مالت (٥) فزاد ذلك من حنق السلطان على ابن الزمن (٦) ، مما أدى إلى انتداب الأمير شاهين الجمالي لاصلاح ما طرأ من عيوب ، وفوض إليه مشيخة الحرم ونظره ونظر السماط، (٧) . وكان الأمير المذكور ، كما يقال ، على درجة كبيرة من الفضل والنبل والذكاء ، وقد عقد فور وصوله المدينة في موسم ١٩٨ هـ مجلسا ضم أهل الخبرة وكبار المدينة واقتضى رأيهم بعد بحث وتقصى لأسباب الخلل ٤ هدم المنارة الرئيسية وهدم أعالي القبة المذكورة ، (٨) ولا بد أن السلطان قد منح هذا الأمير

⁽١) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٥ ، السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٦ ص ٢٠٧ .

⁽٢) الأساقيل جمع سقالة .

 ⁽٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٤٥ .

⁽٤) عن براءة ابن الزمن من هذه التهمة انظر أعلاه ص ٣٣٩.

⁽٥) السمهودي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

⁽٦) كان خاطر السلطان قد بدأ يتغير على ابن الزمن عندما ماطل في تنفيذ مراسيمه بخصوص سد خوخة آل عمر .

⁽٧) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

⁽٨) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٤٦ .

المملوكى إمكانيات ضخمة وصلاحيات واسعة للتصرف بما يكفل العلاج اللازم ، وهو ما يدل عليه الجمع له بين الوظائف الثلاث مشيخة الحرم النبوى ونظارة الحرم ونظارة السماط .

وفور انتهاء موسم الحج شرع في هدم المنارة المذكورة ، وقد تبين أن السبب في ميلانها هو عدم كفاية حفر أساسها ، فحفر أساسها من جديد و حتى بلغ به الماء ، واتخذ لها أحجارا من الحجر الأسود متقنة أحكم بناءها مع الحسن الفائق ، بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها (۱) ، وجاء أنه زاد في طولها عشرين ذراعا. بحيث أصبحت مائة وعشرين ذراعا (۲) وزاد أيضا في عسرض بعض جدرانها (۱) ، وأعاد بابها إلى جهة المغرب (۱) واستغنى عن درجه بعد خفضه بمستوى أرض المسجد . وحرص عند هدم المنارة المذكوررة وبنائها على حجب منطقة العمل بستارة من الخشب صيانة للمسجد من الأتربة والغبار وعدم اشغال المسلين والزائرين ، بحيث يظن الظان أن المسجد لا عمارة به ، (۵) ، وصان المسجد أيضا و من الامتهان بعمل أرباب الصنائع ، (۱) ، وذلك باستحداث درج من الخشب (سقالة) بأصل الجدار الشرقي يصعد عليه العمال إلى منطقة العمل في المنارة والقبة

ولا تزال المنارة الرئيسية لحسن الحظ محتفظة بعمارة الأمير شاهين لها إلى

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٦ ، ابن حجر الهيثمي : څخة الزوار ، ص ٩٥ .

⁽۲) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ۲ ص ۷۲٥ وقد ذكر عند حديثه عن ذرع منائر المسجد أن قياسه لها كان من أعلى أهلتها إلى الأرض ، مما يفيد بأن وجود الأهلة بمنائر المسجد الشريف كان من ذلك الوقت وربما أقدم من ذلك بكثير .

⁽٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـــا ص ٥١ .

⁽٤) يذكر السمهودى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٦٤١ أن بابها كان قبل عمارة شاهين لها سنة ٨٩٨هـ متجها إلى الشام وخمته أربع درج وفى جانبها الغربى فتح باب لجلوس الخطيب فيه قبل خطبة الجمعة ، ويدو أن إحداث بابين فى جزء المنارة الأمقل يضعف من متانتها وقوتها نما دعا إلى إعادتها بباب واحد يستخدم لتحقيق الهدفين السابقين معا .

⁽٥) السمهودى : المصدر السابق ، جــ ٢ ص ٦٤٦ .

⁽٦) السمهودي : نفس المصدر ، جــ ٢ ص ٦٤٦ .

الوقت الحاضر عما يساعد على تتبع تفاصيلها المعمارية والفنية وتعميم تلك الخصائص على مناثر المسجد الأحرى .

وتتكون هذه المنارة من قاعدة مربعة تبرز زاويتها الشمالية في الركن الشرقي الجنوبي من المسجد الشريف ، ويرتفع بدن المنارة فوق سطح المسجد بشكل مربع وفي كل جانب فتحة مستطيلة في طول الجدار بقصد الإضاءة يعلوها أربع فتحات اكبر منها على شكل أبواب مقنطرة أمامها شرافات صغيرة محمولة على مقرنصات متدرجة . ويعلوا هذا البدن المربع شرقة مربعة أيضا ، تزينها المقرنصات الجميلة وتنتهى بشرافات صغيرة أكبرها ما يعلو أركانها الأربعة .

ويأخذ بدن المنارة بعد هذه الشرفة شكلا مشمنا تزينه خطوط أفقية سوداء متكسرة تخيط بالبدن المشمن ويعلو ذلك شرفة مشمنة محمولة على مقرنصات متعددة تنتهى بدرابزين من الحديد . ويشرف على هذه الشرفة باب مقنطر تعلوه ثمان فتحات مقنطرة أيضا تختل نصف أضلاع بدن المنارة الستة عشر ، ومن ثم يأخذ بدن المنارة شكلا مستديرا بعد الفتحات الثمان ، وذلك بزيادة أضلاعها إلى الضعف ، تنتهى بشرفة ثالثة محمولة على مقرنصات أيضا فوقها درابزين من الحديد . ويعلو الشرفة فتحات مقنطرة فوقها الشرفة الرابعة التى ترتكز عليها خوذة القبة ، يعلوها مربع به أربع فتحات تعلوه خوذة مفصصة يتوجها الهلال الذى يرتفع عن الأرض بمائة وعشرين ذراعا(١).

ومن هذا الوصف يتبين أن هذه المنارة تشترك رغم ما طرأ عليها من تحسينات في كثير من صفاتها مع المآذن المملوكية التي امتازت بصفة عامة و برشاقتها واعتدال ارتفاعها وبأن معظمها ذو قاعدة مكعبة وبدن مثمن وذروة علوية إسطوانية الشكل و (۲).

أما القبة فيبدو أن ما أصابها من خلل اقتصر على جزئها العلوى ، وقد عمل

⁽١) انظر أعلاه ص ٣٥٢ .

⁽٢) توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، جـ٣ ص ١٣٠ . وانظر محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ص ٢٣٩ .

العمال ، الذين قاموا بتجديدها ، على إقامة سقف على عوارض بأصل الطاقات التى كانت بجوانب القبة ، يمنع سقوط ما يتهدم منها إلى أرض الحجرة الشريفة (١) ثم أعادوا بناء ما تهدم من أعلى القبة وقد قصروا من ارتفاع محدبها، واستخدموا الجبس في تثبيت قوالب الأجر وعادت (القبة حسنة مع الاتقان الجيد) (٢).

ونقل البرزنجى عند حديثه عن أصل الفتحة التي بأعلى القبة الخضراء مما يلى القبلة عن السمهودى . ﴿ أَنَ الشجاعي شاهين الجمال لما يني أعالي القبة الخضراء التخذ في ذلك كوة عليها شباك حديد ثم فتح كوة في محاذاتها بالقبة السفلى المتخذة بدل سقف الحجرة الشريفة ، وجعل على هذا شباكا أيضا وجعل على هذا الشباك بابا يفتح عند الاستسقاء للجدب (٣).

ومن الأعمال التى تنسب إلى الأمير شاهين الجمالى فى المسجد النبوى ما ذكره السمهودى عن تمييزه حدود المسجد النبوى الأول إذ يذكر أنه « لما اتضح ذلك للمقر الشجاعي شاهين الجمالى ناظر الحرم الشريف النبوى وشاد عمائره وشيخ خدامه ، اتخذ لأعالى الإسطوانة الخامسة من المنبر في صف الأساطين التى في قبلة المنبر طرازا بالسقف منقوشا فيه « أن ذلك هو الذى استقر عليه الأمر في نهاية المسجد النبوى وحده » (٤).

⁽١) السمهودي : وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٦٤٦ .

⁽٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

⁽٣) نزهة الناظرين ، ص ٧٨ . لم أجد ذلك عند السمهودى في النسخة المحققة ، ولكني وجدته في المصدر السابق جد ٢ ص ٥٦٠ يتحدث عن قول عائشة رضى الله عنها افتحوا بين القبر والسماء كوة ، وعما نزل بسبب ذلك من الأمطار . ثم ما ذكره المراغى من عادة أهل المدينة في فتح الكوة عند الجدب . وقال السمهودى عقب ذلك وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك » .

⁽٤) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٥٧ . وقد أعيد هذا الطراز فى العمارة العثمانية فى مقدم المسجد النبوى ونقش بأعلى الاسطوانات المذكورة و هذا حد المسجد النبوى ١ . انظر البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ٣٧ ، ولا يزال ذلك موجود إلى اليوم .

ولم يمض على العمارة التي قام بها الأمير شاهين الجمالي وقتا طويلا ، حتى أصابت صاعقة في التاسع عشر من شهر صفر سنة ٨٩٨هـ • جانبا من المنارة الرئيسية ، فسقط على سطح المسجد بعض أحجارها ، بحيث خسف بعض المباني التي علو موقف الزائرين ، (١) وسلم المسجد من الحريق بسبب خلو منطقة سقوط الصاعقة من الأخشاب (٢).

وبادر شيخ الحرم وناظره الأمير شاهين الجمالى بتنظيف آثار الصاعقة وكتب للسلطان بأمر الحادث ، ثم شرع فى إصلاح و ما أمكنه من ذلك ، وترك الباقى إلى مجىء مهندسها أو غيره ، (٢) عمن له دراية بالعمل . ولحسن الحظ لقد كانت الآثار طفيفة جدا . ويعتبر ذلك خاتمة الأعمال فى عهد الأشرف قايتباى بل فى عهد الدولة المملوكية كلها . فلم يتمكن أحد السلاطين الذين تولوا عرش مصر بعد قايتباى من القيام بأى عمل يذكر فى المسجد النبوى الشريف حسب المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها ، ولعل السبب هو أن الدولة المملوكية قد انتهى عهدها على يد العثمانين سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م أى بعد خمسة وعشرين سنة فقط من آخر عمارة مملوكية بالمسجد النبوى .

* * *

⁽١) السخارى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢١٢ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٢٩٤ .

⁽٢) ذكر السمهودى أنه كان بهذا الجزء من سطح المسجد و قبة لطيفة وحولها ثلاث أخر تسمى مجاريد ، وبجوار المنارة بادهنجا للضوء . انظر أعلاه ص٣٣٩ .

⁽٣) السخاوى : المصدر السابق جـ٢ ص ٢١٢ .

المبحث الرابع ما تبقى من عمارة وأثاث المسجد النبوى فى العصر المملوكى

المبحث الرابع

ما تبقى من عمارة واثاث المسجد النبوى في العصر المملوكي

اول : بقايا عمارة الأشرف قايتباس :

مضى على آخر ما قام به قايتباى في المسجد النبوى الشريف من تعمير وإصلاح أكثر من خمسمائة عام (۱) ، ومع ذلك فما يزال في المسجد لحسن الحظ بقايا من أثاث المسجد وعناصره المعمارية ، التي كانت ومازالت تزين بعض جوانب المسجد الشريف منذ ذلك الوقت ، رغم ما شهده المسجد النبوى في العصر العثماني من أعمال وبجديدات كان أولها عمارة السلطان سليمان القانوني سنة العثماني من أعمال والجديدات كان أولها عمارة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٦ التي استمرت من سنة ١٢٧٥ إلى سنة ١٢٧٧ هـ(٣).

أ _ الحجرة الشريفة :

تعتبر عمارة الحجرة الشريفة وما يحيط بها من أهم الأبنية المتبقية حتى الآن من آثار العصر المملوكي ، وقد ذكر ذلك كل من البرزنجي وعلى بن موسى الذي قال : « وأما الحجرة المعطرة فأعلم أنه ما تغير من وضعها القديم شيء في هذه العمارة الأخيرة ٤(٤) ويرى ذلك أيضا البتنوني وإبراهيم رفعت باشا وعبد القدوس الأنصاري (٥)، ولعل بقاء مشبك الحديد الذي يحيط بها إلى الآن وما به من

⁽۱) كانت عمارة قايتباى الأخيرة التى حدثت عقب صاعقة سنة ۸۹۸هـ آخر عمارة للمسجد النبوى فى العصر المملوكى كما أسلفت ، وبذكر البرزنجى فى نزهة الناظرين ، ص ۲۲ أنه مضى عليها إلى زمنه أكثر من أربعمائة سنة .

⁽٢) محمد بن جعفر الرومي : التحقة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة ص ٩٠.

⁽٣) البرزيجي : المصدر السابق ص ٤٤ ، على بن موسى : وصف المدينة المنورة ص ٥٧ .

⁽٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ ، وصف المدينة ص ٦٥ .

⁽٥) الرحلة الحبجازية ص ٢٤٦، ٢٤٦ ، ومرآة الحرمين جدا ص ٤٦٦ ، وآثار المدينة المنورة ص٩٦ .

كتابات صريحة مما يؤيد كذلك بقاءها محتفظة بعمارة قايتباى لها إلى الوقت الحاضر (١).

ولا تزال القبة محتفظة أيضا بعمارة قايتباي لها إلى الوقت الحاضر فيما عدا بعض الإصلاحات التي حدثت لها في عهد السلطان العثماني محمود الثاني ، وذلك لأنه قد حصل بمحديها شقوق في سنة ١٢٣٣ هـ. و فورد أمره الشريف بتجديدها فهدموا أعاليها وأعادوها في غاية الإحكام والإتقان ، (٢) وقد أمر هذا السلطان بدهنها باللون الأخضر سنة ١٢٥٣ هـ(٣). وقد تشكك عبد القدوس الأنصاري في بقاء هذه القبة محتفظة ببعض جوانبها التي شيدت في عهد الأشرف قايتباى إلى الآن (٤). بيد أنه يتبين من مراجعة النصوص التي اعتمد عليها أنها لا تشير صراحة إلى هدم القبة بكاملها(٥) بل أن إبراهيم رفعت باشا وهو مصدره

⁽١) انظر أعلاه ص ٣٤٤.

⁽٢) البسرزيجي : نزهة الناظرين ، ص ٧٧ ، على بن موسى : وصف المدينة المنورة ، ص ٦٦ حيث ذكر أن أمر السلطان المذكور ورد إلى القائم بأمر الحرم الشريف في عهده ، ثم ذكر طريقة هدم أعالى القبة واصلاحها فقال : أنه أدخل الخشب من فتحات القبة التي تخيط برقبة القبة ثم خطاها بما منع من نزول التراب إلى الحجرة المعطرة ٥ وشرع في تنزيل القبة الخضراء مع كمال الأدب حتى وَصل إلى الكبوش (؟) ، إختار بناءها من الطوب الكبيىر المربع بالخرج (؟) القوى فطويت في أسرع وقت على وضعها الموجود الآن ؛ . وذكر في ص ٦٦ أن القبة قبل هذا الاصلاح كانت من الخشب وملسة بالواح الصيني الأخضر ، مما يتعارض مع النصوص التي ذكرت بناءها بقوالب الأجر في عهد الأشرف قايتباي . لذلك يعتقد أنه اعتمد على ما ذكر من وضعها قبل الحريق الثاني . وأما تلبيسها بالصيني الأخضر فحدث في أول العصر العثماني لأن اللون الأخضر كانت له السيادة عند العثمانيين .

⁽٣) البرزنجي : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

⁽٤) آثار المدينة المنورة ، ص ١٠٧ .

⁽٥) النصان اللذان اعتمد عليهما : أحدهما في مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا ، جـ ١ ص ٤٦٥ حيث جاء و وفي منة ١٢٣٣ هـ بني الملطان محمود القبة الشريقة ثم أمر بترميمها ودهاتها باللون الأحضر سنة ١٢٥٥هـ ، والنص الثاني للبتنوني في الرحلة الحجازية ص ٢٤٥ حيث ذكر أنه و في سنة ١٢٣٣هـ بني السلطان محمود القبة الشريفة ، ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر في سنة ١٢٥٥هـ ٥ ويبدو مما ذكره البتنوني أنه منقول بنصه عن إبراهيم رفعت باشا . ومع ذلك فالفعل بني ، فيما ذكره إبراهيم رفعت باشا يتعارض مع ما ذكره في آخر عبارته من أن السَّلطان ٥ أمر بترميمها ودهانها ٥ إذ الترميم يعني اصلاح ما هو قائم فعلا .

الأول يذكر أن عمارة السلطان عبد الجيد التي انتهت سنة ١٢٧٧ هـ قد (تناول المسجد كله خلا المقصورة وما فيها) (١).

أما النص المنقول من مرآة الحرمين لأيوب صبرى والذى يتضمن هذم القبة والحجرة معا (٢)، فإن ما يذكره البرزنجى وعلى بن موسى من بجديد السلطان العثمانى لجزئها العلوى أقوى من كل رأى آخر ، لأنهما كانا من سكان المدينة الذين يعتد برأيهم ، وفضلا عن ذلك فإن لدينا دليلا ماديا يدعم ذلك ويقويه ، وهو بقاء كتابات تسجل اسم قايتباى على جدران القبة من الداخل شاهدها البرزنجى سنة من ذكر هدم السلطان محمود الثانى للقبة كما ذكر أيوب صبرى (٢).

ويذكر البرزنجي أنه دخل من أحد شبايبك القبة في سنة ١٢٩٦هـ فرأى القبة كما يقول : (في غاية الحسن والارتفاع مزينة بنقوش ظريفة عليها طراز فيه كتابات بخط جلى لم يمكنني إلا قراءة ما قابلني من جهتها الغربية وهو أنشأ هذه القبة العالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير قايتباي (٤). وليس بعد ذلك الدليل المادي دليل آخر .

⁽١) مرآة الحرمين ، جــ١ ص ٤٦٦ .

⁽۲) ذكر الأنصارى في آثار المدينة ، ص ۱۰۷ ترجمة ملخص النص الوارد في مرآة الحرمين الذي قال عنه أنه و أكمل تأليفه باللغة التركية في سنة ۱۲۹۳ هـ وطبع في الأستانة في سنة ۱۳۰۰ هـ و في عهد السلطان محمود خان الثاني وجد في القبة الخضراء تشقق ، وذلك بسبب عدم متانة جدرانها وعدم متانة حزامها العلوى ، فأمر السلطان محمود بهدمها من قواعدها ، وبناها على قواعد متينة ورفع بناها الحالي » . ثم قال الأنصارى بعد ذلك و ويؤيد أن القبة الخضراء الحالية عثمانية البناء هذا الهلال الموضوع فوقها ، وهو شعار الدولة العثمانية كما هو معروف » . والهلال المذكور هو مما أحدث أثناء مجديدها في عهد آل عثمان . بيد أنه وإن كنت لم أجد من يشير إلى وجود مثل هذا الهلال بأعلى القبة المذكورة أثناء عمارتها في عهد السلطان قايتباى إلا أن ما يذكره السمهودى من وجود هلال بأعلى القبة السفلي التي وضعت فوق القبور الشريفة في العمارة الأولى سنة ۱۸۸۱هـ ووجود أهلة على منارات المسجد الأربع يدعو إلى الاعتقاد بأنه كان القبة الكبرى هلال أيضا .

 ⁽٣) نقل عبد القدوس الأنصارى في آثار المدينة ، ص ١٠٧ عن أيوب صبرى قوله أن السلطان محمود
 الثاني هدم القبة سنة ١٣٣٣هـ .

⁽٤) نزهة الناظرين ، ص ٧٠ .

يبد أن القبة بوضعها الحالى مزيج من العمارة المملوكية والتركية ، وإن كان يغلب عليها اتصافها بالسمات المميزة للقباب المملوكية العالية التى تختلف عن القباب العثمانية المنخفضة (١) ، ويبدو ذلك واضحا عند مقارنتها بالقباب الموجودة حاليا في سطح مقدم المسجد والتي تعثلها الصورة رقم (٥٨) ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنه لم يعد باق من إسطوانات العمارة المملوكية سوى إسطوانات الحجرة الشريفة وأكتافها الحاملة للقبة المذكورة ، وإسطوانة لا يقوم عليها بناء تقع و على يمين الخارج من باب المنارة الرئيسية أمام الوجه الشريف) (٢) ، تركت عند هدم الإسطوانات المملوكية في بقية المسجد في عمارة السلطان عبد الجيد ، وهي تكاد تساوى في الطول مع الإسطوانات القائمة في مقد المسجد الآن ، إلا أنها أقل منها تساوى في الحجم ، أما بقية الإسطوانات فهي عثمانية البناء .

ب ـ الهنارة الرئيسية : "

أما المنارة الرئيسية فتحتفظ بعمارتها المملوكية حتى الوقت الحاضر ويؤيد ذلك عدد من النصوص التى تعود إلى فترات مختلفة ، يثبت كل منها بناء المنارة في زمنه على هيئتها القديمة ، فيذكر ابن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٤هـ عن عمارة الأمير شاهين الجمالي لهذه المنارة أنه و أعادها بالاتقان ورخمها كما ترى (٢٠)، ويذكر على بن موسى المتوفى في حدود سنة ١٣٢٠هـ أن بناءها و على وضعه القديم من زمن قايتباى لم يتغير فيها شيء ولها ويشير عبد القدوس

⁽١) انظر كمال المدين سامح : تطور القبة في العمارة الإسلامية ، ص ٣٣ .

⁽٢) البرزنجي : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

⁽٣) يخفة الزوار إلى قبر النبي المختار ، ص ٩٥ .

⁽٤) وصف المدينة المنورة ، ص ٦١ . ومما يؤيد النصوص السابقة من حيث عدم تعرض هذه المنارة للهدم والبناء طيلة العهد العشماني أن أحد المؤرخين المعاصرين لأول عمارة قامت في المسجد النبوى في عهد السلطان سليمان القانوني لم يشر في رسالته و المتحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة ، المنشور في كتاب رسائل في تاريخ المدينة ص ٨٥ _ ٩٢ إلى حدوث أدنى تغيير في معالمها المملوكية الأصلية سوى تركيب الهلال الحالي في حدود ٩٤٦هـ كما صرح به في رسالته ، وضع الأهلة فوق القبة ومنائر الحرم المدنى ، المنشورة في الكتاب المتقدم ذكره ص ١٩٧٠

الأنصارى إلى أنها من بناء الأشرف قايتباى (١). ومع ذلك فمن المؤكد أنها قد تعرضت منذ عهد قايتباى لبعض الترميمات كما ذكر ذلك البرزنجي والأنصاري (٢)، وكما يبدو في الصورتين المرفقتين شكل (٥٨) من اختلاف شرافات الشرفة الأولى (٣).

جــالمحرابان النبوس والعثمانس :

أما المحربان النبوى ، لوحة (٥٩) والعثمانى ، لوحة (٦٠) فهما و على بناء المرحوم الملك الأشرف قايتباى ٤ (٤٠) لم يتغير منهما شيء سوى تمويهما بماء الذهب ، ويتحليان بكثير من الآيات القرآنية كتبت بخط بارز جميل في إطار ضيق يحيط بالجزء العلوى من المحرابين .

ومما يدل على بقاء المحراب النبوى إلى الوقت الحاضر على نحو ما كان عليه في عهد قايتباى وجود نقش كتابى بظهره في لوح رخامي مربع منقوش فيه بخط بارز نص تذكارى في خمسة أسطر (٥) .

واحتفظ المحراب العثماني كذلك بعمارة قايتباى له ، رغم تعرض الجدار الذي يقوم فيه للهدم أثناء عمارة السلطان عبد الجيد للمسجد النبوى وذلك و لإحكام بنائه (٦) أما المحراب السليماني فقد بقى محتفظا بعمارة قايتباى له حتى سنة ٩٤٧ عندما ورد في أخر تلك السنة صحبة أمير الحج المصرى مراسيم تقضى بتقديمه وتجديده فشرعوا في سابع محرم سنة ٩٤٨ هـ ، و في بناية مجراب

⁽١) آثار المدينة المنورة ص ٩٩ ، وانظر أيضًا على حافظ : فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ٦٧ .

⁽٢) نزهة الناظرين ص ٣٠ ، ٥٨ حيث يذكر أنهم جددوا بابها في عمارة السلطان عبد الجيد للمسجد النبوى ، وانظر آثار المدينة المنورة ص ٩٩ .

⁽٣) عن وصف هذه المنارة انظر أعلاه ص ٣٥٣ .

⁽٤) على بن موسى : وصف المدينة المنورة ، ص ٦١ ، وانظر البرزنجي : نزهة الناظرين ، ص ٤١ .

⁽٥) انظر أعلاه ص ٣٤٧ ـ ٣٤٣ .

⁽٦) البرزيجي: المصدر السابق ، ص ٤١ .

الحنفية وجعله بين المنبر وحد المسجد النبوى محاذيا لمحراب الشافعية ،(١).

ونقش فى لوح رخـامى بخط بارز فى خـمـسـة سطور جـعل فى ظهـر المحـراب المذكور النقش التالى : (انظر اللوحة رقم (٦٩) .

أنشأ هذا المحراب المبارك الملك المظفر

السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم

خان بن السلطان بايريد خان اعز الله

أنصاره بمحمد واله وسلم تاريخ شهر جمادى

الأولى سنة ثمان وتسعماية من هجرة النبوية

ويلاحظ أن التاريخ الوارد في نهاية النص لا يقع في عهد السلطان سليمان ابن السلطان سليم وهو ما يتجلى فيما يلي :

أولا : تقع سنة ٩٠٨هـ في عهد السلطان المملوكي قانصوه الغوري الذي حكم مصر من ٩٠٦ إلى ٩٠٢هـ / ١٥٠٠ ــ ١٥١٦م وكانت له السلطة على الحجاز لا ينازعه فيها منازع .

ثانيا : من الثابت تاريخيا أن سلطة الدولة العشمانية على الحجاز بدأت بفتح العثمانيين مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وليس قبل ذلك(٢).

ثالثاً : تولى السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية في سنة ٩٢٦هـ حتى توفي عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م^(٣).

رابعاً : يذكر مؤرخ معاصر وهو ابن خضر الرومي أن المحراب السليماني قدم من موضعه الأول إلى محاذاة المحراب النبوى الشريف في سنة ٩٤٨هـ (٤).

⁽١) محمد بن خضر الرومي : التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة ص ٩٢.

⁽٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، جــ٥ ص ١٥٢ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جــ٤ ص ٢٩٢ .

⁽٣) أحمد السعيد السليماني : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٤٥١ .

⁽٤) محمد بن خضر الرومى : التحفة اللطيفة ، ص ٩٢ وبذكر حمد الجاسر عن هذا المؤلف فى تقديمه له فى ص ٢٢ من كتاب رسائل فى تاريخ المدينة أنه كان قاضى الحنفية بالمدينة المنورة وأن عبد العزيز الأهوانى يرجع وفاته إلى سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م .

ولعل الاختلاف الواضح بين طرازى المحراب النبوى والمحراب السليمانى دليل كاف على عشمانية المحراب الثانى فضلا عن أن النقش المذكور يتضمن اسم السلطان العثمانى ، مما يكفى للدلالة على أنه لا يمت إلى العصر المملوكى بصلة.

ویذهب البرزیجی ، الذی یبدو أنه لم یطلع علی ما ذکره ابن خضر الرومی إلی أن ذلك كان فی سنة (ثمان وعشرین وتسعمائة أو ثمان وثلاثین) (۱). معتمدا فی الحالة الثانیة علی حدوث عمارة للسلطان سلیمان فی سور المدینة سنة ۹۳۹هم، بید أننی أرجح أن ذلك كان مزامنا للعمارة التی تمت فی المسجد النبوی سنة ۱۹۶۸هم فی عهد السلطان المذكور علی ید شیخ الحرم الشریف محمود جلبی (۲)، وبذلك یكون قد سها النقاش عن كتابة (أربعین) بین (ثمان) و و تسعمایة) و لعل ضیق السطر واشتماله علی سبع كلمات مجموع حروفها ۳۲ حرفا بغیر واو العطف ولفظ (أربعین) وعدد حروفهما سبعة فی حین لا یزید أی سطر آخر عن ۳۲ حرفا كانا نما ساعد علی ذلك السهو ، وهو سهو محتمل جدا فی ضوء ما ذكرت .

ويتفق رقم الآحاد في النقش وهو المانية مع رقم الآحاد في التاريخ الذي يذكره ابن خضر الرومي ، مما يقوى الاعتقاد في صحة ما ذهبت إليه ، وهكذا يؤيد النقش ، على ما فيه من نقص ، تاريخ ابن خضر الرومي الذي يظن أنه توفي سنة ١٣١٧هـ، وينفي التاريخين اللذين ذهب إليهما البرزنجي المتوفي سنة ١٣١٧هـ، ٩٢٨ و ٩٣٨هـ ، وإن كان يلفت النظر أن رقم الآحاد في كل منهما يتفق ورقم الآحاد في النقش كما يتفق ورقم الآحاد فيما يذكره ابن خضر الرومي في تاريخه. ويغلب على الظن أنه قد فات المشرف على العمل ملاحظة النقص في النقش وإلا لكان أمر بتغييره .

ومهما يكن من أمر فقد كان النقش المذكور بما يحتويه من تأريخ غير صحيح

⁽١) نرهة الناظرين ، ص ٥٠ .

⁽٢) محمد بن خضر الرومي : التحفة اللطيفة ، ص ٩١ .

سببا لعدم الأخذ بالرأى السليم عند بعض المؤرخين المعاصرين . فأحمد ياسين الخيارى يعتمد على تأريخ النقش في تأريخ إقامة المحراب (١) . ويشير عبد القدوس الأنصارى إلى أن ذلك كان في سنة ٩٣٨هـ(٢) معتمد في ذلك فيما يبدو على البرزنجي .

ثانيا : ما تبقى من أثاث المسجد النبوى في العصر المملوكي : أ منبر الأشرف قايتباي وهو موجود الآن في مسجد قباء :

ذكرت عند الحديث عن عمارة قايتباى الثانية بجديده للمنبر الشريف المحترق في سنة ٨٨٦هـ بمنبر من الرخام حل محل منبر الأجر الذي أقامه أهل المدينة بعد الحريق المذكور في شهر رجب سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (٣) بيد أنه انحرف قليلا عن الوضع الذي كان عليه المنبر النبوى الشريف .

وكان منشأ هذا الانحراف الذى حذر منه السمهودى ، محافظة المكلفين بتركيبه على الوضع الذى كان عليه منبر المؤيد شيخ قبل الحريق الثانى ، والذى الختلف فى طوله وعرضه عن المنابر السابقة ، لأنه صنع أصلا لغير الموضع الشريف. وكان فى اتضاح موضع قوائم المنبر النبوى بعد قطع أرض مقدم المسجد فى عمارة قايتباى دليل كاف على وجوب التقيد به . إلا أن ذلك لم يتم رغم وضوح الأدلة التى أدلى بها السمهودى فى هذا الصدد عند طلبهم ذلك منه (٤) فعمدوا إلى نقض الدكة التى كان عليها المنبر الأول ٥ وزادوا خلف أحجار الحوض المذكور (٥) نحو ربع ذراع العمل (١) حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة

⁽١) تاريخ مساجد المدينة الأثرية ، ص ١١ .

⁽٢) آثار آلمدينة المنورة ، ص ٥٩ .

⁽٣) انظر أعلاه ص ٣٢٣ .

⁽٤) وفاء الوفا ، جــ ٢ ص ٤١٠ .

 ⁽٥) ذكر السمهودى في وفاء الوفاجـ ٣ ص ٤٠٤ أنهم حفروا عندما أرادوا تركيب منبر الرخام الذى
 أرسله قايتباى ، حول مكان المنبر القديم وهو عبارة عن دكة من الرخام « فظهر أنها منخفضة عن
 أرض المصلى الشريف ، يسيرا .

⁽٦) أَى حوالي ١٦ سم لأن فراع العمل كما يقول فالترهنتس في المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ١٦ = ٥ م ٦٦ سم .

القبلة ، وحرفوه على تلك الدكة لجهة الغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق ، وجعلوا هذا المنبر في محل المحترق من جهة القبلة ومساو لطرفها الشرقى مما يلى القبلة أيضا ،(١).

وقد انتهى الجدال الذى قام على أثر مخريف المنبر على الصورة المتقدمة بتمسك القائمين عليه بصحة رأيهم والتصريح للسمهودى بأنه لا يعوّل على كلام الأثمة الذين احتج بأقوالهم (٢). وقد نتج عن هذا التحريف تغير طفيف فى حدود الروضة .

ومهما يكن من أمر فإن ما يهمنى هنا هو التثبت من أن المنبر الموجود في مسجد قباء حاليا هو منبر قايتباى الذى كان بالمسجد النبوى . ولقد أشار إلى ذلك البرزيجي عقب الحديث عن منبر السلطان مراد الذى وضع فى المسجد النبوى سنة ١٩٩٨هـ فذكر أنه نقل إلى مسجد قباء (٢) . وذهب إلى ذلك أيضا إبراهيم رفعت باشا وعبد القدوس الأنصارى (٥) وعلى حافظ (٢).

وكان يمكن الاكتفاء بما ذكر في إثبات إنتماء المنبر المذكور إلى الأشرف قايتباى ، بيد أن بروز سمات الخط المملوكي في الآية الكريمة المنقورة على عتبة باب المنبر ، لوحة (٦٣) مما يؤيد أيضا ذلك ويقويه ، فضلا عن مطابقة الوصف الذي أورده السمهودي لما يتصف به هذا المنبر وللقياسات التي قمت بها . فقد جاء في الوفا أن هذا المنبر و أقصر من امتداد المنبر المحترق في الأرض بنحو ثلاثة

⁽۱) السمهودي: المصدر السابق ، جـ۲ ص ٤١٢ .

⁽٢) كان ما تفوه به خصومه دون علم بمكانة العلماء الذين ساق أقوالهم مما دعا السمهودى إلى تأليف رسالة في هذا الموضوع سماها و النصيحة الواجبة القبول في بيان وضع منبر الرسول الله انظر وفاء الوفا جـ٢ ص ٤١١ .

⁽٣) نزهة الناظرين ، ص ٥٣ .

⁽٤) مرآة الحرمين ، جــ١ ص ٤٧١ .

⁽٥) آثار المدينة المنورة ، ص ٨١ .

⁽٦) فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٢٥ .

أرباع ذراع (١)، وعدد درجه مع مجلسه كالمحترق (٢)، ومحل عود المنبر الأصلى منه مما يلى الروضة وهو الذى كان بأعلاه رمانة المنبر النبوى قبل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط ، وذلك على نحو ذراعين وشيء من طرف المنبر المذكور من قبله (٣).

وأجزاء المنبر كلها من الرخام ما عدا قبته وبابه الذى يتألف من مصراعين والقبة والباب من خشب الزان المنقوش بزخارف هندسية جميلة ، لوحة (٦٣) ، وأول ما يلفت النظر فى هذا المنبر اختلاف الرخام فى كثير من أجزائه ، ومرد ذلك فيما يبدو إلى تلف كثير من ألواح الرخام عند قلعة سنة ٩٩٨هـ ، من المسجد النبوى وتركيبه فى مسجد قباء مما أوجب إستبدال ما تلف بغيره .

ويبلغ عرض المدخل ٦٦ سم وارتفاع الباب ١٥٦ سم . ويتوج هذا المدخل عتبة من الرخام طولها ١٠٥ سم وعرضها ٤٤ سم منقوش في واجهتها مما يلي المسجد بخط بارز ضمن إطار مستطيل (٩٨× ١٧ سم) الآية الكريمة التالية : فإن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم ٤٤٤ ويبلغ ارتفاع خافقي المنبر(٥) ٨٠ سم تقريبا ، يفصل بينهما مسافة

⁽۱) ذكر السمهودى في وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ۱۰ \$ أن طول منبر المؤيد شيخ ٥ من جهة بابه إلى مؤخره ثمانية أذرع ونصف راجحة ٤ وذكر أن منبر الأشرف قابتباى أقصر من سلفه بنحو ثلاثة أرباع ذراع . ومؤدى ذلك أن طول هذا المنبر ٧٥ ر٧ من الذراع . وقد تبين لى أن طول المنبر حسب قياسى له ٤٨ ر٣ من المتر ، وعلى ذلك فإن مقدار الذراع الذي استخدمه السمهودى هو أكثر قليلا من ٤٠ مس م ، وهو مساو تقريبا لما ذكره في المصدر السابق جـ ١ ص ١٠٣ من أن الذراع يساوى ٥ أربعة وعشرين إصبعا ، كل أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ٤ . والأصبع أقل قليلا من سنتيمترين .

 ⁽۲) حسب عدى لدرجه فإنها ثمان درجات بمجلسه وعدد درج المنبر المحترق كما صرح به السمهوى في المصدر السابق جـ۲ ص ۴۱۰ ثمان أيضاً.

⁽٣) السمهودي: المصدر السابق جـ٢ ص ٤١٢ .

⁽٤) سورة النحل ، آية رقم ٩٠ والآية تنقصها كلمتان هما ٥ لعلكم تتذكرون ٩ وكان السبب في انتقاصهما من النقش المذكور صغر المساحة التي نقشت عليها الآية المذكورة .

⁽٥) الخافق هو الجزء الذي يحيط بدرج المنبر ويتكون في منابر الخشب القديمة من درايزين من الخشب المخروط بيد أنه في منبر مسجد قباء بناء ملبس بالرخم من داخل الدرج وخارجه .

قدرها ٧٦سم ، وللمنبر سبع درجات ارتفاع كل درجة عن الأخرى ٢٠ سم ، وتليها جلسة الإمام التي يبلغ ارتفاعها ٥٠ سم .

ويعلو جلسة الإمام مظلة محمولة على أربع دعائم ، ويبلغ ارتفاع المظلة عن الأرض ٣٤٧ سم ويتوسط سطحها قبة مضلعة مصنوعة من حشب يشبه الخشب المصنوع منه باب المنبر شكل (٦٣) ، وبالقبة زخارف هندسية تشبه الزخارف التي يتحلى بها الباب المذكور ، وارتفاعها ٩٥سم ويعلو القبة جزء مخروطي خال من الزخارف بأعلاه هلال من النحاس وطوله من قمة الهلال حتى سطح القبة ٢٧٠ سم .

وعلى هذا فإن ارتفاع المنبر من أعلى هلاله إلى أرض المسجد سبعة أمتار والنا عشر سنتيمتر ، وهو ارتفاع يتناسب مع ارتفاع سقف المسجد النبوى الشريف بعد عمارة قايتباى الثانية ، الذى ذكر السمهودى عنه أنه (النان وعشرون ذراعا (١) أى حوالى ٩٠ ر٩م (٢).

وامتداد المنبر من مؤخره إلى عتبة بابه ثلاثة أمتار وثمانية وأربعون سنتيمترا والمنبر تخفة فنية نادرة ومع ذلك لا يرقى بأية حال من الأحوال إلى ما وصل إليه المنبر الموجود حاليا في المسجد النبوى الشريف والذى يعد بحق من العجائب النادرة (٣).

* * *

⁽١) وفاء الوفاء جـ٢ ص ٥٨٥ .

۲) على اعتبار الذراع الذي ثبت أن السمهودي كان يستخدمه وهو يساوي ٤٦ سم وحوالي ١٠/٦ من المتر على اعتبار الذراع = ٣ر٥٠ سم على ما قال به فالترهنتس

⁽٣) البرزنجي : بزهة الناظرين ، ص ٥٢ .

٢ ـ كنوز الحجرة الشريغة :

إقتدى كثير من المسلمين لا سيما الموسرين وولاه الأمر منهم بما فعله تعيم الدارى وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما من إسراج المسجد وتجميره (١) وعلى أثر ذلك بدأت تتوالى على المسجد النبوى الشريف أدوات التجمير ولوازمه الثمينة ، والقناديل الفاخرة من الذهب والفضة وكان عددها يزداد بمرور الأعوام مما أوجب إستحداث حاصل لحفظها بصحن المسجد سنة ٧٦هـ على غرار بيوت المال التى كانت تقام داخل قبة وسط صحن المسجد الجامع (١).

وقد حفظت لحسن الحظ مجموعة من النصوص المختلفة ، يمكن الاستعانة بها في ترسم محتويات المسجد من هذه القناديل . فقد ذكر ابن رستة الذي زار المدينة منة ٢٩٠ هـ أن عدد قناديل و مسجد رسول الله على ثمانية وثمانون قنديلا ، وجما يلى مع ثريا القبلة ، وعدد قناديله مما يلى الشام خمسة وثمانون قنديلا ، وجما يلى المشرق (خمسة) وأربعون قنديلا ، ومما يلى المغرب اثنان وسبعون قنديلا ، فذلك مائتان وتسعون قنديلا ، وقال عنها أبو عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ أنها مائتان وتسعون قنديلا ، أما ابن مائتان وتسعون قنديلا التي أما ابن جبير الذي زار المسجد الشريف سنة ٥٨٠ هـ قلم يذكر سوى القناديل التي أمام الرجود الشريفة وعددها عشرون قنديلا فيها اثنان من الذهب والباقي من الفضة (٢٠٠ وسار ابن النجار على طريقة ابن جبير في الاكتفاء بعد قناديل المواجهة الشريفة ،

⁽۱) عن اسراج نميم الدرى للمسجد النبوى فى عهد الرسول عليه السلام ، انظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ۲ ص ٥٩٦ . وعن تجمير المسجد فى عهد حمر رضى الله عنه انظر ابن رستة ؛ الأعلاق النفيسة ، ص ٦٦ ، ابن النجار : المرة الثمينة ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٦٣ .

⁽۲) العلمرى : تاريخ الرسل والملوك ، جــــ ١ ص ٢٤٩١ .

⁽٣) الإعلاق النفيسة ، ص ٧٦ .

⁽٤) جزيرة العرب ٥ من كتاب المسالك والممالك ٥ ص ٨٩ .

⁽٥) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ٤١ .

⁽٦) رحلة ابن جبير ، ص ٤٧٠ .

باعتبارها فيما يظن أجمل ما في المسجد وأثمنه فيذكر أنه كان (في سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلا كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة وفيها اثنان بلور وواحد ذهب وفيها قصر(۱) من فضة مغموس في الذهب ، وهذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال ٤(٢) وذكر عن مجمرة المسجد في زمنه أنها منقوشة وقد كانت كذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم غيرت في ولاية إبراهيم بن يحيى للمدينة (٦) ، بواحدة لا نقوش فيها(٤) . ولا يعرف على وجه الدقة متى أهديت للمسجد النبوى المجمرة المنقوشة التي شاهدها ابن النجار ، كما لا تعرف صفة النقوش التي كانت عليها .

ومهما يكن من أمر فإن ما تلف من هذه القناديل ، التي كانت تنتمى إلى فترات مختلفة ، في الحريق الأول سنة ٢٥٤هـ كان كبيرا جدا ، ولكن ما سلم منها بما كان مخزونا في قبة الصحن قد قلل من حجم الخسارة المذكورة . فقد أخرجت هذه القناديل بعد عمارة المسجد النبوى ، وعلقت في سقوف أروقته مع القناديل التي وصلت من البلاد الإسلامية وخاصة مصر التي أصبح أمر المسجد الشريف وغيره من بلاد الحجاز في هذه الفترة بيد سلاطينها المماليك . وقد راحوا يتنافسون في إهداء أثمن القناديل وأجمل الشمعدانات إلى المسجد النبوى الشريف والحجرة المطهرة ، حتى اجتمع من ذلك في عهد الدولة المملوكية الأولى شيء كثير . ودعا ذلك بأحد السلاطين إلى التفكير في بيع ما مجمع منها وصرف ثمنه في عمارة المسجد ، مما حدا بالإمام السبكي (١٨٣ ـ ٢٥٦ هـ) إلى تأليف فتوى شرعية سماها و تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، أوضح فيها أنها من أوقاف

⁽١) لعل المقصود بذلك أن منها قنديلا على شكل قصر من فضة مغموس في قاعدة من معدن الذهب.

⁽٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٤٠ .

⁽٣) كانت ولاية إيراهيم بن يحيى للمدينة في سنة ٦٦ ، ٦٧هـ كما ذكر الفاسي في العقد الثمين، جـ٣ ص ٢٧٣.

⁽٤) ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

المسلمين ، وأنه لا يجوز مطلقا مخالفة الشروط التى وقفت بموجبها هذه الكنوز . ثم أوضح الطرق الشرعية لصرف أثمانها (١) . بيد أن ما أفتى به لم يحل دون بيعها أو استخدام ثمنها في عمارة المسجد ، كمنارة باب السلام التي عمرت سنة ٢٠٧هـ بأثمان القناديل التي باعها كافور المظفري (٢) ، وكبيع معظم القناديل في عمارة الأشرف قايتباى الأولى سنة ٨٨١هـ (٣) .

ويذكر السمهودى أنه استمر إهداء القناديل من الذهب والفضة للمسجد النبوى حتى زمنه ، وقد نقل عن أحد المؤرخين إحصاءاً لما يرد في بعض السنين منها للمسجد الشريف ، فذكر أنه ورد و في سنة خمسة عشر قنديلا ، وفي أخرى ثلاثة عشر ، وفي أخرى عشرة وفي أخرى إحدى وعشرين ، (2) ثم ذكر أنها ضبطت في سنة ١٦٨ه على يد الأمير بردبك التاجي ، فكان وزن قناديل الذهب ضبطت في أول سنة ١٤٨٠ قفلة (٥) ، ووزن قناديل الفضة ، ٣٢٦٥ قفلة (١٦) ، ثم ضبطت في أول سنة ١٨٨ه بأمر السلطان قايتباى و فكان عدة معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلا وبعض قنديل ، وأربع مشنات (٧) ومغرافان (٨) وسواران ، وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة وستمائة وخمسة وثلاثون من ذلك قنديل كبير في جهة الوجه الشريف زنته أربعة وستمائة وخمسة وثلاثون من ذلك قنديل كبير في جهة الوجه الشريف زنته أربعة وستمائة قفلة ، أهداه سلطان الكلرجة شهاب الدين أحمد ، وعده معاليق

⁽۱) فتاوی السبکی ، جـ۱ ص ۲۷۵ ـ ۲۹۲ .

⁽٢) انظر أعلاه ص ٢٤٩ .

⁽٣) انظر أعلاه ص ٣١٤ .

⁽٥) أى دينار كامل الوزن وهو ما يقدر ٢٥ر٤ جرام من الذهب وعن القفلة انظر ابن منظور : لسان العرب ، جدا ٥ ص ٥٦٠ ، الزبيدى : تاج العرب ، جدا ص ٨٣٠ ، الزبيدى : تاج العروس ، جدا ص ٨٣٠ .

⁽٦) أى درهم كامل الوزن ، وهو ما يقدر ٢,٩٨ جم .

 ⁽٧) المشنة هي القفة أو الزنبيل من قصب أو خوص ، انظر دوزى : المعجم المضاف على القواميس
 العربية جدا ص ٧٨٩ ، وهي في هذا النص قفة من أسلاك الذهب .

 ⁽٨) المغراف : أداة من حديد يغرف بها الطعام أو يقلى فيها الشيء أو يصفى بها ، انظر : دوزى فى
 المرجع السابق جــ ٢ ص ٢٠٨ وتعنى هنا مغراف من ذهب .

الفضة ثلاثمائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلا وثرية كبيرة وزنة ذلك؛ ستة وأربعون ألف قفلة وأربعمائة وخمسة وثلاثون قفلة (١).

أما عدد القناديل المستخدمة في زمن السمهودى فقد ذكر أنها ماثنان وخمسون قنديلا ونحو المائة تسرج في بعض الأوقات هذا عدا المشاعيل الأربعة التي كانت بصحن المسجد وما كانوا يزيدونه من تنانير (٢) وبزاقات (٣) في مقدم المسجد في ليالي الزيارات وليلة سبعة وعشرين من شهر رمضان (٤). هذا بالإضافة إلى الشمعدانات والمشكوات الزجاجية .

ومهما يكن من أمر هذه القناديل فقد كانت على طول السنين هدفا لذوى النفوس الضعيفة وخاصة بعض أمراء المدينة ، الذين كانوا يعمدون إلى كسر حواصل المسجد النبوى وضرب شيوخه وإهانتهم ثم سرقة قناديله وما به من نذور وودائع ، وذلك عندما كانوا يفاجئون بعزل السلطان المملوكي لهم أو عندما كانت يخل بهم ضائقة مالية ، والأمثلة على ذلك متعددة ومتنوعة الأسباب (٥).

ومع الزمن نمت كثيرا كنوز الحجرة الشريفة وخاصة في عهد العثمانيين المتحمسين للإسلام ، ييد أن أتباع الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٢١هـ على المدينة المنورة قد أخذوا جميع محتويات الحجرة الشريفة منطلقين في ذلك من وجهة نظر إسلامية متحمسة (٢٦) وعند انتهاء الحكم العثماني للحجاز حمل الحاكم العسكرى لمنطقة المدينة المنورة المدعو فخرى باشا كثيرا من كنوز المدينة الثقافية

⁽١) السمهودي : المصدر السابق جـ٢ ص ٥٨٩ .

التنانير جمع تنورة وهي مصنوعة من المعدن على شكل الثريا في الوقت الحاضر ومنها تنورة تزين
 إحدى قاعات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

⁽٣) البزاق شيء مصنوع من الزجاج ، انظر دوزى : المعجم المضاف على القواميس العربية جــ ١ ص ٨١ ، وقد ذكر السمهودى في وفاء الوفا ، جــ ١ ص ٣٧٧ أن هذه البزاقات تعرف أيضاً بفرخات القناديل .

⁽٤) السمهودي : المصدر السابق جد٢ ص ٦٨١ .

⁽٥) من ذلك ما حدث في السنوات ٨٦١ ، ٨٦٤ ، ٨٦٠ ، ٩٠١ ، ٩٠١ هـ .

⁽٦) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٨٩ .

وحمل معه أيضا (الكوكب الدرى الذى كان موضوعا على الرأس الشريف وهو واحد من أكبر الماسات الثلاثة الموجودة فى الدنيا المالي وحمل معها كل ما خف حمله من ذخائر المسجد وكنوزه .

ومهما يكن من أمر هذه الكنوز واختلاف وجهات النظر بشأنها ، فقد استقر في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ثلاثة شماعد كبار من النحاس لا يعرف على وجه التحديد إلى أى فترة من فترات النهب السابقة يرجع خروج هذه التحف الثمينة من المدينة . على أنه يبدو أن خروجها من المدينة كان بعد إدخال الإضاءة الكهربائية إلى المسجد النبوى سنة ١٣٢٦هـ (٢) ، مما أدى إلى تساهل المسئولين في الاحتفاظ بهذه الشماعد وأمثالها من المعادن الرخيصة ، دون معرفة لقيمتها الأثرية التي لم يكن يؤبه بها في ذلك الوقت .

وقبل وصف هذه الشماعد خسن الإشارة إلى ما تميزت به أدوات إنارة المساجد من دقة الصنعة وجمال في الشكل . وكان من ذلك في المسجد النبوى كما عرفنا أنواعا متعددة من القناديل المصنوعة من الذهب والفضة والثريات الكبيرة والمشماعد ، والمشكاوات الزجاجية والمشاعيل الكبار . وبعد العصر المملوكي بحق العصر الذهبي في صناعة هذه الأدوات وذلك بسبب رعاية السلاطين والأمراء لأربابها ، وتنافسهم في اقتناء أدقها صنعة وأجملها منظرا(٢). وساعد الرخاء الذي تميز به العصر المملوكي في تطور الصناعات المختلفة عما أدى و إلى تغالى السلاطين والأمراء في اقتناء التحف الثمينة التي تحمل غالبا أسماءهم مصحوبة بعض الألقاب والجمل الدعائية لهم ه (٤).

⁽۱) انظر مقدمة أسعد طرابزوني لكتاب السخاوى : التحفة اللطيفة ، جــ ، ص . ك ، حيث ذكر الماسات الثلاث فقال أن الكوكب الدرى أحدهما والثانية ما كان في التاج البريطاني والثالثة في التاج الفارسي . ولا يزال هذا الكوكب في متحف طوبقبي سراى باسطنبول .

⁽۲) قال عبد القدوس الأنصارى في آثار المدينة المنورة ، ص ١٠١ أن السلطان عبد الحميد الثاني كان أول من أدخل الكهرباء إلى المسجد النبوى سنة ١٣٢٦هـ .

⁽٣) حسين عبد الرحيم عليوه : بحث المعادن ، ص ٣٧٧ .

⁽٤) مايسة محمود : المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي ، ص ٨١ . رسالة ماجستير لم تطبع .

وإننا نلمس ذلك في الشماعد الموقوفة على الحجرة الشريفة والمسجد النبوى التي وجدت سبيلها إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ولا يبعد وجود شماعد وقناديل تعود إلى العصر المملوكي ضمن محتويات الحجرة الشريفة في الوقت الحاضر ، بيد أنه لم يسمح لي بالتأكد من ذلك (١).

وفيما يلى دراسة مفصلة للتحف المعدنية المتبقية من كنوز الحرم النبوى الشريف والحجرة الشريفة وأولها الشمعدان التالى :

ا _شمعدان الأمير جانى بك :

يعود هذا الشمعدان إلى عهد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق (١٠٠٨ _ ٨٠٨ _) وهو باسم أحد أصحاب دواوين الإنشاء في عهده ويحمل رقم 10.7٤ بمتحف الفن الإسلامي _ قسم المعادن (٢) . ويختلف هذا الشمعدان عن الشمعدانين المنسوبين لقايتباى وذلك لأنه لا يحتوى فيما يضمه إطاره الخارجي من كتابات إلى ما يشير إلى أنه صنع بقصد وقفه على الحرم النبوى الشريف . فقد استخدم على ما يبدو بعد صنعه فترة من الزمن قبل وقفه على الحرم النبوى ، أو أن النية لم تنعقد على وقفه إلا بعد صنعه وظهوره بمظهر جميل استحق من أجله أن يوقف على المكان اللائق به انظر شكل (٦٤) .

⁽١) قال لى أحد المستولين عن الحرم النبوى الشريف أنهم يدرسون فكرة عرض هذه القنادبل فى متحف خاص بالحرم النبوى الشريف فأرجو أن يتحقق هذا المشروع المفيد فى وقت قريب .

⁽۲) قامت آمال أحمد العمرى بدراسة الشمعدان وغيره ضمن رسالة الماجستير التي تقدمت بها إلى كلية آداب جامعة القاهرة سنة ١٩٦٥ وقد تأكدت فيما يخص الزخرفة والنصوص الكتابية من صحة ما جاء بها من معلومات عن هذا الشمعدان وشمعدان الأشرف قايتباى ـ الذي يحمل الرقم ٤٠٧٦ بمتحف الفن الإسلامي ـ اللذين لهما علاقة وثيقة بموضوع بحثى ، مما يقتضينى الإشادة بدقة وصفها للشمعدانين المذكورين . بيد أنها اقتصرت على دراسة شمعدان واحد لقايتباى ، ولم تشر إلى أن بالمتحف نسختين أحربين منه بنفس الوصف والحجم ونوع الممدن ، وهما يحملان رقمين مختلفين ، أحدهما برقم ٤٧٩٧ ، والآخر برقم ٤٢٩٧ .

وقال لى رئيس قسم المعادن أن هناك نسخة ثالثة بنفس الصفات السابقة إلا أننى لم أطلع عليها بسبب إعارتها كما يقول لأحد المتاحف خارج مصر .

وقد دعا ذلك واقفه إلى كتابة عبارات الوقف بخط نسخى غائر صغير غير متقن فى جهتى متقابلتين من داخل الحافة السفلى لبدن الشمعدان تقرأ على النحو التالى :

وقف الأمير جانى بك وكريمو^(۱) الأمير قايتباى أمير داوادار^(۲) أكبر كان ،
 وفى الجهة المقابلة :

• برسم الحرم الشريف النبوي عليه أفضل الصلاة والسلام ، .

والشمعدان مصنوع من النحاس الأصفر بارتفاع ٤٥ سم^(٣). ويتكون من بدن وعمود وشماعة وارتفاع البدن ٥ ٢٦سم وقطر فتحته السفلى ٣٦ سم ، ويتدرج البدن في الضيق حتى ينتهى بفتحة قطرها ٢٦ سم تتصل بعمود الشمعدان ويدور حول وسطه شريط عرضه ١٣ سم به كتابات نسخية بحروف بارزة كبيرة على أرضية نباتية نصها :

(المقر الشريف العالى المولوى (٤) القضاى (٥) العلائى (٩) ــ صاحب دواوين الإنشا (٧) بالممالك الشريفة الإسلامية » .

⁽١) لم تكن قراءتها واضحة ولعل المقصود بها وكريمة الأمير .

⁽٢) قال حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف جـ ٢ ص ٥١٥ وما بعدها أن الدوادار كلمة تتألف من مقطعين الأول و دواة العربية وهي ما يكتب منه و ودار الفارسية بمعنى عمسك ، والمعنى عمسك دواة السلطان ولم يكن للسلطان المملوكي داوادار واحد فقط ، بل ربما بلغ عدد الدوادارية عشرة من الأمراء والجند ، أعلاهم الداوادار الكبير المعروف بأمير داوادار وكان عادة في رتبة أمير مائة .

 ⁽٣) دون في سجلات متحف الفن الإسلامي أن ارتفاعه ٤٥ سم بينما تذكر آمال أحمد العمرى في
 رسالتها أنه ٤٤ سم وقد اعتمدت على ما في سجلات المتحف .

⁽٤) نسبة إلى كلمة المولى .

⁽٥) نسبة إلى كلمة القاضي .

⁽٦) نسبة إلى علاء الدين .

⁽٧) قال حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٢ ص ٢٧٢ أن المتولى لهذا الديوان كانت له و الرئاسة على أصحاب ديوان الإنشاء في سائر الأقطار الخاضعة لسلطان المماليك ، وأنه زاد من مكانته اتصاله الدائم بالسلطان . وذكر أن له الحق في الإشراف على مكاتبات الدولة الصادرة وعرض الكتب الواردة على السلطان والرد عليها . وكان له النظر في أمر البريد وأبراج الحمام ، والعيون والجواسيس والقصاد وغير ذلك من المهام التي تدل على علو مكانة هذه الوظيفة .

ويتخلل الشريط المذكور جامتان متقابلتان بالأولى منهما كتابة تشريفية نصها :

• عز لمولانا السلطان • .

وبالثانية :

الملك الناصر فرج) .

وبين هاتين الجامتين زخرفة نباتية وحيوانية (١) ويحد الشريط الذى يتوسط بدن الشمعدان من أعلاه ومن أسفله شريطان بارزان يزخرف كل منهما رسوم هندسية ونباتية وحيوانية (٢) ويوجد على حافة الجزء الذى يعلو القاعدة شريط رفيع عرضه سنتميتر واحد عليه نص كتابى منقوش بحروف صغيرة ، تتخلله على مسافات مقدرة رسوم أوراق وأغصان ملتوية وجزء كبير من هذه الحافة مكسور وملحوم بلحام حديث أخل بمنظر الشمعدان ، مما أضاع جزءا من النقش ، وما وضح منه نصه «المقر الشريف العالى المولوى السيدى المالكى الصالحى العاملى المجاهدى الذخرى صاحب دواوين الانشا الشريفة الإسلامية (٣).

وعمود الشمعدان إسطوانى الشكل يبلغ ارتفاعه ٢٥ سم وقطره ٥راسم بحافته السفلى شريط بعرض سنتيمتر واحد به كتابات نسخية بخط صغير بحروف بارزة تقطعها وريدات على مسافات مقدرة ونص النقش :

(المقر الشريف العالى المولوى المالكى الصالحي العاملي العادلي الكاملي الكافلي (٤) الغازى المحترمي القضاى الصلاحي _ صاحب دواوين الإنشا الشريفة بالممالك (٥).

⁽١) ، (٢) ، (٣) ... انظر آمال أحمد العمرى : الشماعد المصرية ص ١٣٧ وما بعدها .

⁽٤) يقول حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٢ ص ٩٣٣ وما بعدها أن كلمة كافل دخلت في تكوين بعض أسماء الوظائف التي ظهرت على الآثار العربية . وهي تعنى العائل الذي يعول إنسانا أو يكفله . ثم ذكر أن من المعتقد أن وظيفة الكافل بمعنى نائب السلطنة قد ابتدعت في الدولة الأيوبية ، ثم أحياها السلطان بيبرس في دولة المماليك .

⁽٥) يبدو أن هنا نقص كلمتين لعلهما (الشريفة الإسلامية) كما في النقش في وسط بدن الشريفة الإسلامية الكما في النقش في وسط بدن

وتخلى العمود عدة أشرطة من زخرفة نباتية وحيوانية ، بأعلى شريط منها كتابة نسخية بحروف متوسطة نصها :

المقر الشريف العالى ـ المولوى القضاى العلاى •

ويفصل هذا النص جامتان متقابلتان بهما زخرفة نباتية وحيوانية ، وبأعلى عمود الشمعدان جزء تذكر آمال العمرى أنه ليس من نفس العمود وأنه جزء مضاف إليه لاحتوائه على كتابة كوفية مورقة (١) داخل شريط عرضه ٣ سم ، لا يتضح منها إلا الكلمات التالية :

العمر السالم ... واليمن والبقاء والكرامة »

والجزء الذى يعلو الشمعدان المخصص لوضع الشمعة ، وهو ما يسمى بالشماعة ، قطره الأسفل ١١ سم والعلوى ٨ سم ، وبه أشرطة متنوعة بها أشكال هندسية وفروع نباتية مختلفة .

وجاء أن هذا الشمعدان كان من مجموعة الدكتور هرارى بك ولم تذكر آمال العمرى التى قامت بدراسته أو أحد من المسئولين فى المتحف الإسلامى ، الطريقة التى وصل بها إلى الدكتور المذكور . ومهما يكن من أمر ، فإن الشمعدان فى حالة جيدة رغم وضوح الكسر بأحد حوافه ، وتشهد الدقة التى يتحلى بها ببراعة صانعه الذى لم يشأ كتابة اسمه فى أحد جوانبه ، وعلى مدى التقدم والرقى الذى حققته صناعة المعادن فى العصر المملوكى الثانى .

⁽۱) يظهر أن ما ذهبت إليه آمال أحمد العمرى في رسالتها للماجستير عن الشماعد المصرية في العصر العربي ، ص ۱٤٠ كان مما توصلت إليه خلال دراستها . على أتنى لم ألاحظ أية آثار للحام عند مشاهدتي الشمعدان المذكور . واختلاف نوع الكتابة على عمود الشمعدان ليس بدليل قاطع على اضافة جزء إلى الشمعدان ، إذ يذكر إبراهيم جمعة في تطور الكتابات الكوفية ص ۷۷ أن الكتابات الكوفية لم تلغ تماما في العصر المملوكي .

۲ ـ شمعدان قایتبای :

بمتحف الفن الإسلامى شمعدانان يحملان اسم الأشرف قايتباى أحدهما برقم ٤٠٧٦ شكل (٦٥) والآخر برقم ٤٢٩٧ (١)، وقد اقتصرت آمال العمرى على دراسة الشمعدان الأول دون أن تشير إلى الشمعدان الآخر الذي يشبه الأول تماما ، ولم يشر إليه كذلك كل من على بهبجت في بحثه الذي أعده سنة ماما ، ولم عن الحجرة النبوية الشريفة (٢)، ولا حسين عبد الرحيم عليوه في بحثه عن المعادن المنشور في كتابات القاهرة ، تاريخها وفنونها وآثارها (٣).

ويبدو من اختلاف الرقمين أن الشمعدان الثانى كان من مقتنيات المتحف الإسلامى فى زمن متأخر عن البحثين سالفى الذكر . وقد قابلت بين الشمعدانين فوجدتهما يتماثلان تماما ، ويشتمل بحث على بهجت على معلومات هامة جدا بالنسبة للشمعدان الأول . فهو يذكر أنه قد سرق من المدينة أثناء حكم الأترآك للحجاز وأن ذلك تم بالإشتراك مع أحد حراس الحجرة النبوية الكثيرين ، وأن السارق الذى كان معاونا جريئا لبائع الآثار ركب القطار الذاهب من المدينة المتورة إلى حيفا ومنها أخذ الباخرة إلى بور سعيد (٤) . فإذا صح ذلك فإنه لا يظن أن هذا الشمعدان هو وحده الذى وقع فى يد السارق الجرئ ، ولعله قد تمكن أيضا من الشمعدان الأول . ويذكر على بهجت أن السارق لم يكن يعرف قيمته الأثرية (٥) حتى أن أحد بجار الآثار ذكر متحسرا أن الشمعدان لو كان قد وقع فى يده لما باعه بتلك السهولة (٢) ويلاحظ أن على بهجت لم يذكر رقم الشمعدان أو موضعه مما بتلك السهولة (٢) ويلاحظ أن على بهجت لم يذكر رقم الشمعدان أو موضعه مما قد يشير إلى أنه قام بدراسته قبل أن يستقر فى متحف الفن الإسلامى ، هذا إذا لم

⁽١) انظر أدناه ص ٣٧٥ حاشية رقم ٢ .

⁽٢) مجلة المعهد المصرى ، المجلد الثامن ، سنة ١٩١٤م ، ص ٧٧ – ٩٤ .

⁽٣) لحسن الباشا وآخرين ، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٣ .

⁽٤) حجرة المدينة ، ص ٤ .

⁽٥) انظر أعلاه ص ٤٠٢ .

⁽٦) على بهجت : حجرة المدينة ص ٤ .

تكن دراسته كانت لنسخة أخرى مماثلة .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الشمعدان يمثل (المستوى الرفيع الذى يلغه فن صناعة المعادن في القاهرة في عصر سلاطين المماليك (١) ويظهر من تكرار عبارتي وقفه على الحجرة الشريفة في موضعين من الشمعدان أنه صنع أصلا من أجلها ، وذلك عكس شمعدان صاحب دواوين الإنشاء سالف الذكر .

ويبلغ ارتفاع الشمعدان الذي نحن بصدده ٤٨ سم وقطر قاعدته من أسفل ٣٧ سم ، ومن أعلى ١١ سم (٢) وبدنه شبه مخروط يشبه إلى حد ما شمعدان صاحب دواوين الإنشاء ، وبدور بوسطه شريط عرضه ١٦ سم ، مكتوب فيه بخط نسخى مزهر عريض تنتهى حروفه من أعلاها بأشكال زخرفية على هيئة رؤوس المقصات وأو ربما تمثل ألسنة لهب الشموع وقد أمالها النسيم فبدت في هذه الهيئة الزخرفية التى أضفت على الكتابة حياة وحركة ٥ (٣) ونص الشريط المنقوش بوسط بدن الشمعدان هو :

عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد سلطا ـ ن الإسلام والمسلمين الملك
 الأشرف أبو النصر قايتباى (٤).

ويعترض هذا النص جامتان كبيرتان متقابلتان بمحيطهما أسنان كأسنان المنشار تتصل بالشريطين البارزين اللذين بأعلى البدن وأسفله مكتوب فيهما بحروف بارزة في ثلاثة سطور تمثل رنك السلطان ويقرأ من أعلى إلى أسفل :

أبو النصر قايتباي

عز لمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره .

⁽١) حسين عبد الرحيم عليوه ، بحث للعادن ، ص ٣٨٢ .

⁽٢) على بهجت : المرجع السابق ، ص ٣ .

⁽٣) حسين عبد الرحيم عليوه ، المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

 ⁽٤) انظر الصورة رقم (٦٥) وانظر على بهجت في بحث حجرة المدينة ، ص ٣ وآمال أحمد العمرى:
 الشماعد المصرية ، ص ١٤٢ .

والقراءة السليمة لمثل هذا النص التي يتناسب حجم خطها وسعه الأقسام الثلاثة التي قسمت إليها كل جامة هي :

د عز لمولانا السلطان الملك الأشرف _ أبو النصر قايتباي _ عز نصره ، .

وقد جرت العادة بكتابة اسم السلطان أولا في أعلى مكان من النقش تعظيمنا نشأنه ولتقع عليه العين أول ما تقع على النقش .

أما القرص الذى يصل بدن الشمعدان بعنقه ففيه جامتان صغيرتان متقابلتان نقش بداخل كل منهما في ثلاثة سطور بحروف بارزة لقب السلطان التشريفي . وقد اتبع النقاش في كتابتها الطريقة التي اتخذها في الجامتين الكبيرتين ، فوضع النص الكبير في وسط الدائرة لأن حيز الكتابة فيه أكبر ثم وزع الباقي كالتالى :

قايتباي

السلطان أبو النصر

عز نصره

وبين هاتين الجامتين النص الذي يسجل وقف الشمعدن على الحجرة الشريفة ويقرأ كالتالي :

« هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبوا ــ لنصر قايتباى عنز نصره بتاريخ سنة سبع وثمانين وثمانمائة في شهر رمضان المعظم قدره ».

ويتزامن هذا التأريخ مع تأريخ عمارة المسجد النبوى الشريف بعد الحريق الثانى . وبعنق الشمعدان شريط من كتابة مزهرة متداخلة تنتهى بأشكال زخرفية على هيئة رؤوس المقصات وتشبه إلى حد ما نهايات الحروف التى تميز الشريط الكبير في بدن الشمعدان وهي تقرأ على النحو التالى :

عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد مالك الملك^(۱) الأشرف أبو النصر قايتباي ع^(۲).

 ⁽١) هذا اللقب من أسماء الله الحسنى وقد نجراً النقاش وأضافها إلى السلطان قايتباى على خلاف ما
 تأمر به الشريعة الإسلامية من عدم النسمى بأسماء الخالق التسعة والتسعون .

⁽٢) لم يشر على بهجت في بحثه إلى هذا النص .

ويحتل هذا الشريط أكثر من نصف مساحة العنق وفي كل من أعلاه وأسفله شريط تخليه زخرفة نباتية جميلة .

وتعلو هذا العنق الجميل شماعة بسطحها عدد من الأشرطة البارزة تخليها رسوم هندسية بارزة . ويتوسط الشماعة شريط عريض يشغل أكثر من نصفها به كتابة بخط نسخى بارز هو تكرار مختصر لنص الوقف المنقوش على القرص الذي يعلو بدن الشمعدان ، ويقرأ كالتالى :

 هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى بتاريخ سنة سبع والمانين والمانمائة .

وعلاوة على ما تتميز به صناعة هذين الشمعدانين من دقة وجمال وإبداع فإنها تشهد كذلك بقدرة الصانع وعبقريته في تكرار الأشكال البارزة في أحجام متسقة رغم بساطة أدواته التي لم تكن تتجاوز مطرقة ومنقار .

* النتائج العلمية للبحث :

شملت دراسة هذا البحث جوانب عديدة من تاريخ المسجد النبوى الشريف ، وما تعرض له هذا المسجد من عمارة ومجديد وترميم خلال تاريخه الحافل بالأحداث المثيرة . وقد وجد من الصعب قصر هذه الدراسة على ما شهده المسجد النبوى خلال العصر المملوكي من أعمال معمارية ، دون معرفة الأثر الذي سببته أحداث ما قبل العصر المملوكي في خصائص ومميزات هذه العمارة وذلك لأن تاريخ المسجد الشريف خلال عصوره المتعددة مترابط الحلقات ومن الصعب جدا فصلها عن بعضها .

ونظرا لأهمية النتائج التي توصلت إليها في الفصل الذي خصصته لعمارة المسجد النبوى قبل العصر المملوكي ، فإنني قد أطلت الحديث عن هذا الفصل حتى طغى بشكل ملحوظ على حجم الرسالة .

وقد بينت في مقدمة الرسالة أثر تخطيط المسجد النبوى الشريف في تخطيط المساجد الجامعة في صدر الإسلام ، وقد تبين لي أن المسجد الشريف قد شهد في فجر الإسلام وصدره أربعة مخططات استقر على كل مخطط منها فترة من الزمن وهي على النحو التالى :

- ١ _ قطعة أرض مكشوفة ومحاطة بسور مرتفع وكان هذا حال المسجد النبوى في
 أول سنى الهجرة .
- ٢ ـ ظلة وصحن مكشوف في مؤخر المسجد ، وكان المسجد على هذا المخطط قبل
 تخويل القبلة .
- ۳ ـ ظلتان وصحن مكشوف بينهما وهى مرحلة مر بها المسجد النبوى بعد مخويل
 القبلة .
- ٤ ـ صحن مكشوف وأربع ظلات تخيط به ، وكان هذا الوضع هو ما استقر عليه
 المسجد النبوى منذ بناه الوليد بن عبد الملك حتى نهاية العصر المملوكى .

وقد تبين لي من خلال المخططات التي رسمها بعض المؤرخين المحدثين لأشهر

المساجد الجامعة في صدر الإسلام أن بعضها قد احتذى المخطط الثاني منذ إنشائه والبعض الآخر طبق المخطط الرابع ، مع أنه كان للبيئة والظروف المحيطة بكل منها أثر واضح في التقيد بتفاصيل هذه المخططات

كما أن من أبرز النتائج التي توصلت إليها في عمارة المسجد النبوى في عهد الرسول على حصر العمائر التي قام بها النبي عليه أفضل الصلاة والسلام في مسجده في أربع مراحل تتفق مع الخططات الثلاثة التي مر بها المسجد في عهد الرسول على . وأن مجاورة الحجرة الشريفة لمقدم المسجد الحالي كان نتيجة من نتائج تحويل القبلة كما أنني قد توصلت إلى معرفة عمق رواق القبلة ، من خلال الإسطوانات المشهورة التي اكتسبت شهرتها من عهد الرسول على ، ومن هذه النتائج أيضا التأكيد على أن النبي على لم يتخذ المنبر إلا عندما بدن جسمه وكثر مستمعيه وقلت حركته ، وقد أثبت ذلك بأدلة موثوقة خلافا لما زعمه بعض المستشرقين من أنه لم يتخذ المنبر إلا عندما عظمت دولته وقوى نفوذه .

ومن النتائج التى توصلت إليها فى عمارة المسجد النبوى فى عهد الخلفاء الراشدين ، اقتداء عمر وعثمان رضى الله عنهما بالرسول كلة فى زيادة مساحة المسجد الشريف ، تلبية لنمو المجتمع الإسلامى المطرد مع محافظتهما على بقاء معالمه المشهورة . كما أن صفة العمارة التى قام بها سيدنا عثمان فى المسجد النبوى قد أعطت دليلا قويا على معرفة أهل المدينة لفن البناء الحكم مما يدعم الأراء المعارضة لاستخدام الوليد بن عبد الملك للروم والقبط فى بناء المسجد الشريف .

كما أنه قد برز فى أثناء الحديث عن عمارة المسجد النبوى فى العصر الأموى عدة نتائج منها عدم ثبوت ما أتهم به معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه من محاولة نقل منبر الرسول علله إلى الشام . وقد توصلت فى هذا المبحث إلى تخديد الوقت الذى صارت فيه حجر أمهات المؤمنين تستخدم كملاحق للمسجد النبوى بعد وفاة آخرهن فى عهد يزيد بن معاوية سنة ٢٢هـ .

أما عمارة الوليد بن عبد الملك فأبرز النتائج فيها ثبوت عروبة وإسلام قبط مصر

وروم الشام الذين ساهموا في زخرفة المسجد دون بنائه وتبرئة سليمان بن عبد الملك مما اتهم به من هدم منارة باب السلام التي ثبت أنهما لم تنشأ أصلا إلا في سنة ٧٠٦هـ . هذا بالإضافة إلى تخديد جديد لمقدار زيادة الوليد في المسجد النبوي.

وكان من أبرز نتائج المبحث الخاص بعمارة المسجد النبوى فى العصر العباسى إظهار أوجه الشبه والإختلاف بين عمارة الوليد بن عبد الملك وما قام به المهدى العباسى فى المسجد من أعمال جليلة . هذا بالإضافة إلى تخديد مواقع النصوص الكتابية من جدران المسجد وتعييز النصوص الأموية المحرفة وأبرز الدوافع الرئيسية لتحريف تلك النصوص . كما أننى قد أوضحت اللبس الذى وقع فيه بعض المؤرخين عن عمارة المأمون المزعومة فى المسجد النبوى .

أما تتاتج الفصل الثانى فكان من أبرزها نفى العلاقة بين نار الحجاز وحريق المسجد الأول ، وتخميل خدمة المسجد النبوى مسئولية هذا الحريق المروع ، ثم إبراز أثر التمزق السياسى والضعف المادى على ما تم فى المسجد النبوى من عمائر بعد هذا الحريق مباشرة على أن هذا الضعف لم يدم طويلا ، فسرعان ما جدد الظاهر بيبرس شباب الأمة الإسلامية بضمه مصر وبلاد الشام والحجاز خت لوائه . وقام بعمارة ما تبقى من أروقة المسجد على أكمل وجه . وقد أبرزت الدوافع السياسية التى حدت بالظاهر بيبرس إلى الانفراد بعمارة المسجد النبوى ، وأبرز الخصائص المعمارية الجديدة التى امتازت بها عمارته .

وقد تبين لى من خلال هذا البحث أن بناء أول قبة على الحجرة الشريفة كانت نتيجة محاولة فردية من أحد أثرياء مصر في عهد المنصور قلاوون إلا أنها قد تسببت في إتلاف السقوف المجاورة لها بما كان يتسرب من خلالها من مياه الأمطار .

ومن الملاحظ أيضاً أن عمارة الناصر محمد بن قلاوون في المسجد النبوى كان لها خصائص ومميزات جديدة انفردت بها عما تقدم في المسجد من عمائر بعد الحريق الأول . كما أننى قد أثبت بأدلة جيدة بناء منارة باب السلام لأول مرة في عهد الملك الناصر . هذا بالإضافة إلى أن هذا الملك قد أوجد لأول مرة في تاريخ المسجد طريقة جديدة في زيادة المساحة المسقوفة من المسجد ، وذلك عن طريق

تسقيف جزء من صحن المسجد مما يلى القبلة في سنة ٧٢٩هـ كما أننى صححت ما اعتقده السمهودي من إنقاص هذا السلطان لبلاطات المسقف الشمالي للمسجد الشريف عندما زاد بلاطتين في مسقف القبلة ، وأثبت بأدلة قوية نسبة هذا العمل إلى الظاهر بيبرس .

ومن النتائج التى استخلصتها من هذا الفصل أن الإهتمام بعمارة المسجد النبوى الشريف ، قد تأثر بالضعف السياسى والمادى الذى غلب على نهاية عصر المماليك البحرية وأن الدافع إلى أكثر الأعمال التى تمت خلاله كان سياسيا متخفياً وراء الورع والتدين .

وظهر لى بشكل جلى امتياز جهود السلاطين الجراكسة قبل قايتباى بإرسال المنابر الفاخرة إلى الحرم النبوى الشريف ، وأن هؤلاء السلاطين قد اكتفوا بعدم التعرض لعمارة المسجد النبوى إلا عند الضرورة القصوى . ولذلك فقد غلبت على الأعمال التى قام بها بعضهم فى المسجد صفة التجديد والترميم .

وقد وجدت أيضا أن الأشرف قايتباى قد تمسك بالعادة المرعية عند أسلافه الجراكسة ، من عدم التعرض لعمارة المسجد النبوى إلا عندما تدعو الحاجة إلى ذلك . بيد أن الرخاء والاستقرار اللذين شهدهما عصره قد مكناه من إنجاز أعمال جليلة في سنة ٨٨١هـ . واتضح أيضا أن المتولى لهذه العمارة قد استفاد من الخلل الذي ظهر بجدران الحجرة الشريفة وحرص على أن تكون عمارتها على يديه رجاء المثوبة وتخليد الذكر .

وقد وجدت من المؤرخي المعاصرين لهذه العمارة من اهتم بذكر جميع الأبعاد والأرصاف التي كانت عليها الحجرة الشريفة بعد عمارة الوليد بن عبد الملك ، وهو ما لم تذكره الكتب القديمة التي أرّخت لعمارة الوليد .

وتوصلت أيضا إلى أن منارات المسجد العالية كانت هى السبب فى حريق المسجد الثانى سنة ٨٨٦هـ بسبب تعرضها للصواعق التى أحرقت المسجد الشريف.

وكان من أبرز النتائج أيضا تطبيق الأشرف قايتباى لنظام الليتورجيا (LITURGIA) المعمول به في العالم الإسلامي منذ زمن قديم ، عندما استعان بصناع وعمال من البلاد الإسلامية ـ التابعة للدولة المملوكية ـ للعمل في عمارة المسجد النبوى الشريف .

ومن النتائج التي توصلت إليها في هذا المبحث أن المشرف على العمارة الثانية التي قام بها الأشرف قايتباى في المسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ لم يدخر جهدا في الوصول بها إلى أقصى درجات الكمال ، وأنه برئ مما اتهم به من تقصير في بناء القبة الشريفة والمنارة الرئيسية .

وقد أرجعت هذا التحامل إلى ما كان بين ابن الزمن ـ المتولى للعمارة الثانية أيضا ـ وبين السمهودى ـ الذى أورد الاتهام المذكور وأكده ـ من تنافر منذ تولى الإشراف على العمارة الأولى سنة ١٨٨ه . كما أننى قد عشرت على نقوش كتابية لم تنشر من قبل تثبت بشكل قاطع بقاء عمارة الحجرة الشريفة وجزء كبير من القبة الزرقاء ـ الخضراء حاليا ـ على ما كانت عليه بعد عمارة الأشرف قايتباى الثانية . هذا بالإضافة إلى تخديد الأجزاء المتبقية في المسجد النبوى إلى الآن من عمارة قايتباى المذكورة . وتصحيح الموقع الحالى لاسطوانتي الحرس والوفود اللتان وضعتا خطأ خلف إسطوانة السرير .

ومن النتائج الملموسة في هذا البحث استفادة سكان المدينة المنورة من جراء العمائر التي شهدها المسجد النبوى في العصر المملوكي بقسميه فالبعض قد عمل بيده في المسجد ، والبعض الآخر استفاد بجاريا والكثرة الغالبة شملتهم المنح والهبات السخية التي كان يجود بها السلاطين الذين تولوا أمر العمائر المذكورة .

كما أنه قد تبين لى أن أى من العماثر التى شهدها المسجد النبوى بعد حريقه الأول ، لم تعد بالمسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق المذكور ولا إلى قريب منه رغم كثرتها وعظمة الأموال التى أنفقت عليها .

وفى نهاية هذا الاستعراض السريع لأهم نتائج البحث أود أن أشير إلى أمرين هامين لمستهما خلال هذا البحث ، ولم أتمكن من معالجتهما بصورة مرضية على أمل أن تتاح الفرصة لمن هو أوفر حظا منى لمعالجتهما وهما :

۱ - تحديد ما ترتب على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة بالنسبة لجداران المسجد النبوى . وقد أبدى المسئولون في القسم الفلكي بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة إستعدادهم للمساعدة في تحقيق ذلك . وسوف تفيد نتيجة هذا البحث العلمي في التأكد مما إذا كانت جدران المسجد النبوى قد انحرفت عن موضعها الأول بعد تحويل القبلة وهو ما لم استطع الجزم بصحته لأن ذلك يحتاج إلى بحث ميداني مرخص به من قبل المسئولين عن الحرمين الشريفين .

٢ - أما الموضوع الثانى فعن وظائف العاملين بالمسجد النبوى الشريف حتى نهاية العصر المملوكى وقد تبين لى أثناء جمعى لمادة هذا البحث أنه موضوع جدير بالبحث والاستقصاء .

فإلى ذلك أود أن ألفت نظر المسئولين عن قسم الحضارة والنظم الإسلامية بتشجيع الطلاب الراغبين في بحث هذين الموضوعين .. والله الموفق .

قائمة المصادر والمراجع

أول : المخطوطات :

این بهادر محمد بن محمد المؤمنی (ت ۸۷۷هـ) .

١ ـ فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر . جـ ٧ .

صورة فتوغرافية بدار الكتب المصرية في مجلدين برقم ٢٣٩٩ عن نسخة أيا صوفيا .

ابن حبيب بهي الدين أبو محمد الحسن بن عمر (بت ٧٧٩هـ) .

٢ ـ درة الأسلاك في دولة الأتراك ، جـ ١ .

ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بكلية الشريعة بمكة المكرمة عن الأصل الموجود بمكتبة شستربتي برقم ١٤٦٥.

الحسينى محمد كبريت بن عبد الله الحسينى المدنى الموسوى (ت ١٠٧٠هـ) .

٣ _ الجواهر الثمينة في محاسن المدينة .

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٢٤ تاريخ .

الحشى ، بدر الدين محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى الكبسى الحشى (ت ١٣٠٨هـ).

٤ _ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية .

ميكروفلم بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود المركزية بالرياض برقم \$ \$ تاريخ عن الأصل الموجود بمكتبة محمد بن عبد الرحمن العبيكان الخاصة بالرياض.

الحلبي ، محمد بن محمود بن خليل الحلبي (ت ٨٦٠ هـ).

عمدة الناسك في أفعال الحج والمناسك .

مخطوط بمكتبة الأوقاف بحلب برقم ٣٠٠ المولوية .

الخزرجي ، شمس الدين على بن الحسن (ت ١١٣ هـ).

7 - العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك .

مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٤٨ تاريخ .

الخضراوى ، أحمد بن محمد بن أحمد الخضراوى المكي (ت ٣٢٧هـ)

٧ ـ مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج .

مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ١٢ تاريخ .

الخوارزمي ، محمد بن إسحاق (ت ٨١٣ هـ) .

٨ ـ إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة وإلى البيت العتيق .

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٤ تاريخ .

الاسفرائيني ، سعد الدين محمد بن عمر بن محمد بن على (المتوفى في القرن الثامن الهجري).

٩ - زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال في تفاصيل أحوال الكعبة المكرمة والمدينة المنورة .

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٩٩ تاريخ .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١ هـ).

١٠ ـ اعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب .

مخطوط بمكتبة الحرم المدنى برقم ٤٥ / ٨٠ .

ابن الضياء أبو البقاء محمد بن أحمد القرشي الحنفي المكي (ت ٨٥٤ هـ).

١١ ـ تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف .

ميكروفلم بمركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة المكرمة عن الأصل الموجود بدار الكتب المصرية برقم ١٥٧٠ تاريخ .

ابن طولون ، شمس الدين محمد بن على بن خممارويه الدمشقى (ت٩٥٣هـ) .

۱۲ ـ تاریخ ابن طولون .

مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٢٤٧١ عن الأصل الموجود بمكتبة توبنجن بألمانيا .

العبدري أبو عبد الله محمد بن على بن مسعود (ت ٦٨٨ هـ) .

١٣ _ الرحلة المغربية (رحلة العبدري) .

ميكروفلم بمركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة المكرمة عن الأصل الموجود في الخزانة العامة بالرباط برقم ١٠١٢ / د .

العيني بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥ هـ) .

١٤ _ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان الأجزاء ٢٦،٢٥ ، ٢٨ .

مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٢٠٣ ح

ابن فرحون أبو محمد عبد الله بن محمد اليعمري المالكي (ت ٧٦٩هـ) .

١٥ _ نصيحة المشاور وتعزية المجاور .

مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٥١ تاريخ .

ابن فهد ، عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي (توفي في القرن العاشر الهجري) .

١٦ ـ بلوغ القرى في الذيل على اتخاف الورى ، جـ ١ .

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٢ تاريخ .

ابن فهد ، نجم الدين أبي القاسم محمد المدعو عمر بن أبي الفضل محمد تقى الدين بن فهد الهاشمي المكي الشافعي (ت ٨٨٥هـ).

١٧ ـ اتحاف الورى بأخبار أم القرى .

مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٢ تاريخ .

الفيروزبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٠ هـ) .

١٨ ــ المغانم المطابة في معالم طابة .

مخطوط بمكتبة فيض الله بإسطنبول برقم ١٥٢٩ .

القرطبي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي البكري (توفي في القرن الثامن الهجري) .

١٩ ــ بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار .

مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ١٣ تاريخ .

قطب الدين قدسي سره (توفي في القرن الحادي عشر الهجري) .

٢٠ ـ تاريخ المدينة المنورة .

ميكروفلم في مركز البحث العلمي عن الأصل الموجود بمكتبة رضا رامبور بالهند برقم ٣٦١٨ .

مؤلف مجهول ،

٢١ ــ تاريخ مكة والمدينة والطائف .

صورة فوتوغرافية بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة برقم ٧٦ عن أصل أهمل فيه ، تصوير صفحة العنوان

ابن المحجوب ، أبو عبد الله (توفى في القرن التاسع الهجري).

٢٢ - قرة العين في أوصاف الحرمين

ميكروفلم عن مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، برقم ١١٢٠٣ ٤ عربي .

النابلسي ، عبد الغني (عاش في القرن الحادي عشر الهجري) .

٢٣ ـ الرحلة النابلسية المعروفة بالحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز.

مخطوط بمكتبة الحرم المكي في ثلاثة مجلدات برقم ١١٢ تاريخ .

الهيثمي ، أحمد بن حجر (ت ٩٧٤ هـ) .

٢٤ ـ مخفة الزوار إلى قبر النبي المختار .

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ١٣٣ تاريخ .

* * *

ثانيا : المصادر المطبوعة :

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

١ _ الكامل في التاريخ .

دار صادر ، دار بیروت ۱۳۸۵هـ / ۱۹۲۰م.

الأدفوى ، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب (ت ٧٤٨هـ) .

٢ _ الطالع السعيد الجامع أسماء بجباء الصعيد .

مخقيق أسعد محمّد حسن .

نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م.

الأزدى ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ) .

٣ ـ تاريخ الموصل

تخقيق على حبيبة .

طبعة القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م.

الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٢٣هـ) .

٤ _ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جـ ١ ، ٢ .

تخقيق رشدى الصالح ملحس.

الطبعة الثالثة ، مطابع دار الثقافة مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ابن إسحاق ، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ).

حتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

تحقيق حمد الجاسر .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ) .

٦ _ بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ٣ .

تحقيق محمد مصطفى .

الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

الأصطخرى ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالاصطرخي (ت ٣٤٦ هـ).

٧ _ كتاب الأقاليم .

مخقیق مویلر .

طبع بالأوفست عن طبعة قوته نشر مكتبة المثنى ببغداد .

البخارى ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) .

۸ _ صحیح البخاری ، جـ ۱ _ ۳ .

مطبوعات محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة .

البرزنجي ، جعفرين السيد إسماعيل المدني (ت ١٣١٧هـ) .

٩ ـ نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين .

الطبعة الأولى ، المطبعة الجمالية بمصر ، القاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ).

١٠ ــ جزيرة العرب (من كتاب المسالك والممالك) .

تحقيق عبد الله يوسف الغنيم.

الطبعة الأولى ، المطبعة العصرية ، مكتبة ذات السلاسل ، الكويت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.

البلوى ، خالد بن عيسى البلوى (ت ٧٨٠ هـ) .

١١ ـ تاج المفرق في تخلية علماء المشرق ، جـ ١ .

تحقيق الحسن السائح .

مطيعة فضالة _ المحمدية ، المغرب .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ).

١٢ _ فتوح البلدان

خمقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع .

دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد (توفي في حدود سنة ٤٣٠هـ) .

١٣ ـ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر .

عالم الكتب ، بيروت .

ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ) .

١٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ ١ .

نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ،

طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٨هـ .

ابن تيمية ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على

١٥ ـ الجواب الباهر في زوار المقابر .

مخقيق سليمان بن عبد الرحمن الصنيع ، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمى المطبعة السلفية ، القاهرة .

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ).

١٦ ـ رحلة ابن جبير

دار صادر ، دار بیروت ، ۱۳۸۶هـ/ ۱۹۶۲م.

ابن حجر ، شهاب الدين بن على العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)

١٧ _ أنباء الغمر بأنباء العمر ، جـ ١ .

مخقیق حسن حبشی .

القاهرة ١٩٦٩م.

١٨ ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، جــ ٣ .

تحقيق محمد سيد جاد الحق.

مطبعة المدنى ، القاهرة .

الحموي ـ انظر ياقوت

الخزرجي ، شمس الدين على بن الحسن (ت٨١٣هـ)

١٩ ــ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية جــ ١

مطبعة الهلال ، القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي (ت ٧٩٧هـ).

٢٠ ـ كتاب الإنتصار لواسطة عقد الأمصار

المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٠٩ هـ. ،

الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٧هـ) .

٢١ ــ الأخبار الطوال

مخقيق عبد المنعم عامر .

الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠م.

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) .

٢٢ ــ تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام ، جــ ١ ٣ . ٦ .

مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .

نشر مكتبة القدسي .

٢٣ ـ سير أعلام النبلاء ، جـ ٢

تخقيق إبراهيم الأبيارى

مطابع دار المعارف بمصر ١٣٥٧هـ.

نشر معهد المخطوطات ، ودار المعارف بالقاهرة .

۲۶ ــ العبر في خبر من ذهب ، جــ ٥ .

تحقيق صلاح الدين المنجد .

مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

ابن رستة ، أبو على أحمد بن عمر (توفي بعد سنة ٢٩٠ هـ)

٢٥ ـ الأعلاق النفيسة .

تحقیق دی جوخهٔ .

طبعة أوفست ، مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة ليدن ١٨٩١ م .

ابن الرومي ، محمد بن خضر (توفي في القرن العاشر الهجري)

٢٦ ــ التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة ، رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة الثانية .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الزركشي ، محمد بن عبد الله (ت ٨٩٤هـ) .

٢٧ _ إعلام الساجد بأحكام المساجد .

تحقيق أبى الوفا مصطفى المراغى

الطبعة الأولى ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٣٨٤هـ.

سبط بن الجوزى ، شـمس الدين أبى المظفـر يوسف بن قـزا التـركـي (تـ ٦٥٤هـ) .

٢٨ ــ مرآة الزمان ، القسم الثاني من الجزء الثامن .

الطبعة الأولى ، طبعة حيدر أباد الدكن ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.

السبكي ، أبو الحسن تقى الدين على بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هـ) .

۲۹ ... فتاوى السبكى جـ ۱ الفتوى رقم ٦١ ، تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، .

مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٦هـ .

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ).

٣٠ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك .

طبعة بولاق ، القاهرة ١٨٩٦م.

مكتبة الكليات الأزهرية .

٣١ ــ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ثلاثة أجزاء .

تحقيق محمد حامد الفقى

مطبعة دار نشر الثقافة القاهرة ١٩٧٩م.

نشر أسعد طرابزوني الحسيني .

٣٢ ــ الذيل على رفع الأمر (بغية العلماء والرواة) .

تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح .

الدار المصرية للتأليف والترجمة

٣٣ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ٩ طبعة أوفست

منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

السمهودي ، نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١هــ) .

٣٤ ـ وفاء الوفا ، جـ ١ ، ٢ ، ٤ .

يخقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧١م.

أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ).

٣٥ ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع . المعروف د بالذيل على الروضتين». الطبعة الأولى ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٧ / ١٩٣٦م. ابن شاهين ، غرس الدين خليل الظاهرى (ت ٨١٣ هـ) .

٣٦ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

تحقیق بولس راویس ،

مطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤م.

ابن الصيرفي ، على بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ) .

٣٧ ـ أنباء الهصر بأنباء العصر

تخقيق حسن حبشي

مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٨ ـ نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان .

مخقيق حسن حبشي

طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م.

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)

طبعة ليدن ١٨٧٦م ، ١٩٠١م ، نشر مكتبة خياط ، بيروت .

العباسي ، أحمد عبد الحميد (توفي في القرن العاشر الهجري) .

• ٤ _ عمدة الأخبار في مدينة المختار .

تحقيق محمد الطيب الأنصارى .

الطبعة الثالثة ، مطبعة المدنى ، القاهرة .

نشر أسعد طرابزوني الحسيني .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)

٤١ _ العقد الفريد ، جـ ٥ ، ٧ .

تخقيق محمد سعيد العربان .

الطبعة الثانية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.

نشر المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ) .

٤٢ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأواثل والتوالي ، جـ ٤

المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .

علی بن موسی

٤٣ ــ وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣ هــ / ١٨٨٥م .

رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة الأولى .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م. ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ)

٤٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ ٥ .

المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

العمرى ، انظر ابن فضل الله .

الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ) .

٤٥ ــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جــ ٢ .

مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٦م.

نشر مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .

٤٦ ـ العقد الشمين في تاريخ البلد الأمين ، جـ ٦ .

مخقیق فؤاد سید .

مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن على المصرى الحنفي (ت ٨٠٧ هـ)

٤٧ ـ تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات) جـ ٨ . ٩

تحقیق قسطنطین زریق .

بيروت ١٩٣٦ _ ١٩٤٨م.

ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٧هـ).

٤٨ _ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار _ جـ ١ .

تحقيق أحمد زكى باشا .

طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤م.

الفيروزبادى ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٠ هـ)

٤٩ ـ القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ٤ .

المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

٥٠ ـ الجزء المحقق من المغانم المطابة (قسم المواضع)

الطبعة الأولى ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، 1٣٨٩ هـ ١٩٦٩م.

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).

٥١ ـ كتاب المعارف .

مخقيق محمد إسماعيل الصاوى .

الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

القرماني ، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي (عاش في القرن العاشر الهجري) .

٥٢ ـ أخبار الدول وآثار الأول .

مطبعة عباس التبريزي ، بغداد .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن على (١٢١هـ / ١٤١٨م) .

٥٣ _ صبح الأعشى ، جـ ٥ .

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة .

ابن كثير ، عماد الدين أبو القداء إسماعيل بن عمر الحافظ (ت ٧٧٤هـ).

٥٤ _ البداية والنهاية ، الأجزاء ١٣ ، ١٤ .

الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٧م.

ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) .

٥٥ _ الوفا بأحوال المصطفى ، جـ ١ .

تحقيق محمد زهري النجار .

المؤسسة السعيدية بالرياض ، ١٩٧٦ م.

٥٦ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جــ ٨ .

الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٩هـ. محمد بن خضر ، انظر ابن الرومي

المراغى ، زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي (ت ٨١٦هـ).

٥٧ _ تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة .

تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي .

الطبعة الأولى ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

المطرى ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ) .

٥٨ ـ التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة .

تحقيق عبد المحسن الخيال .

مطبعة فؤاد الصيداوى ، دمشق ١٣٧٢هـ .

نشر أسعد طرابزوني الحسيني .

المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المعروف بالبشارى (ت ٣٧٥ هـ).

٩ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .

طبعة بالأوفست عن طبعة ليدن ، ١٩٠٦م.

نشر مكتبة المثنى ببغداد .

المقريزي ، تقى الدين أحمد بن على (ت ١٤٥هـ) .

٠٠ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك .

تحقيق جمال الدين الشيال .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٥ م.

نشر مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد .

٦١ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك .

القسم الأول . مخقيق محمد مصطفى زيادة حتى حوداث سنة ٧٥٥ هـ القسم الثاني . مخقيق سعيد عبد الفتاح عاشور .

مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٦٢ ــ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي) جـ ٢

طبعة بالأوفست عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ

مؤسسة البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .

مجهول . (كاتب مراكشي من علماء القرن السادس الهجري)

٦٣ ـ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (كتب ٥٨٧ هـ).

تخقيق سعد زغلول عبد الحميد

مطبعة جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ١٩٥٨م ، المطبوع رقم ١٠ .

مجهول

٦٤ _ تاريخ سلاطين المماليك من ٦٩٠ _ ٧٤١ هـ .

طبعة ليدن ١٩١٦م.

نشر زيتر شتين .

مجهول

٦٥ _ سيرة الظاهر بيبرس ، جـ ٣ .

الطبعة الأولى ، القاهرة .

مجهول

٦٦ ـ العيون والحداثق في أخبار الحقائق ، جـ ٣

مخقیق دی غویه .

طبعة بالأوفست عن طبعة ليدن ١٨٦٩م.

نشر مكتبة المثنى ببغداد .

مجهول ، من علماء القرن الرابع الهجري .

٦٧ ــ رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس .

نشرها حمد الجاسر في مجلة عرب ، السنة الثامنة جـ ٥ ، ٦ ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ) .

٦٨ _ لسان العرب _ الأجزاء ١ _ ١١ .

طبعة مصورة عن طبعة بولاق ،

نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .

ابن النجار ، أبو عبد الله محمد بن محمود (ت ٦٤٣ هـ) .

٦٩ ــ الدرة الثمينة في أخبار المدينة (أخبار مدينة الرسول) .

تخقيق ، صالح محمد جمال .

الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ابن النديم ، أبو الفرج ، أو أبو الفتح محمد بن إسحاق (توفى في أواخر القرن الرابع تقريبا) .

٧٠ ــ الفهرست ، جــ ١

تحقيق جاستون فييت .

صورة بالفوتستات عن طبعة ليدن ،

نشر مكتبة خياط، بيروت .

النووى ، يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامي الحوراني (٦٣١ _

٧١ ـ شرح صحيح مسلم ، جـ ٥ .

الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م. النهروالي قطب الدين المكي الحنفي (ت ٩٩٠هـ).

٧٢ - الأعلام بأعلام بيت الله الحرام.

طبعة مدينة غتنقة ، ١٢٧٤هـ

الهروى ، أبو الحسن بن أبي بكر (ت ٢١١ هـ).

٧٣ ـ كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات .

مخقیق جانین سوردیل _ طومین

طبع ونشر المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٣م.

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) .

٧٤ ـ السيرة النبوية ، القسم الأول جـ ١ ، ٢ .

محقيق مصطفى السقا وآخرين .

الطبعة الثانية ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م.

ابن واضح ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (توفي بعد

٧٥ ـ تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ .

مطابع دار صادر ، بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

ابن الوردى أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ) .

٧٦ _ تتمة المختصر في أخبار البشر ، المعروف بتاريخ ابن الوردي جـ ٢ .

المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ١٢٨٥هـ .

نشر جمعية المعارف .

الوصابي ، وجيه الدين الحبيشي (ت ٧٨٧هـ) .

٧٧ ــ تاريخ وصاب أو الاعتبار في التواريخ والآثار .

تخقيق عبد الله محمد الحبشي .

مطبعة دار العودة .. بيروت .

نشر مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء .

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت ٦٢٦هـ).

٧٨ _ معجم البلدان ، جـ ٤ ، ٥ .

دار الكتاب العربي _ بيروت .

اليعقوبي ، انظر ابن واضح .

اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ).

٧٩ _ ذيل مرآة الزمان ، جزءان .

الطبعة الأولى . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م.

* * *

ثالثا: المراجع الحديثة:

إبراهيم أحمد العدوى

١ _ الأمويون والبيزنطيون .

الطبعة الثانية ، طبع ونشر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

إبراهيم جمعة .

٢ _ تطور الكتابات الكوفية .

المطبعة العالمية ، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

نشر دار الفكر العربي ، القاهرة .

إيراهيم رفعت باشا

٣ ــ مرآة الحرمين ، جــ ١

الطبعة الأولى ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م. إبراهيم شريف .

٤ ـ خواص المادة والصوت جـ ١

الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٧٦م.

إبراهيم الشوري .

هـ جلالة الملك ضعود والحرمين الشريفين جـ ١ .
 إبراهيم مصطفى

٦ - المعجم الوسيط ، جد ١ ، ٣ .

مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

أحمد فكرى

٧ ــ مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) .

مطبعة دون بوسكو ، الإسكندرية ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

۸ ساجد القاهرة ومدارسها ، جد ۱ (العصر الفاطمي) .
 مطبعة دار المعارف بمصر ، القاهرة ۱۹۲٥م.

٩ _ مسجد القيروان .

مطبعة المعارف ومكتبتها ، القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م. آمال أحمد العمري

١٠ ــ الشماعد المصرية في العصر العربي .

رسالة ماجستير لم تطبع ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة رقم ٤١٥ ، آثار إسلامية

باسلامة ، حسين عبد الله .

١١ _ تاريخ عمارة المسجد الحرام .

تحقيق عمر عبد الجبار.

الطبعة الثانية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

البتنوني ، محمد لبيب

١٢ _ الرحلة الحجازية .

الطبعة الثانية ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٢٩هـ .

التازى ، عبد الهادى

١٣ _ جامع القرويين بمدينة فاس (٢٤٥ _ ٨٥٩ هـ)

الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

حسن إبراهيم حسن

١٤ _ تاريخ الإسلام السياسي ، جـ ٤ .

الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م.

حسن الباشا

١٥ _ جامع ابن طولون . بحث نشر في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها
 لحسن الباشا وآخرين . مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

17 _ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ثلاثة أجزاء مطبعة لجنة البيان العربي .

نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م.

١٧ _ المدخل إلى الآثار الإسلامية

مطبعة دار الانخاد العربي للطباعة .

نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٩م.

١٨ _ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار .

صورة بالأوفست عن طبعة دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م.

الخيارى ، أحمد ياسين

١٩ _ تاريخ مساجد المدينة المنورة .

المطبعة المتحدة القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

نشر يوسف خليل غالي .

راجح ، أحمد عزت

۲۰ ــ أصول علم النفس.

الطبعة الحادية عشرة ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

رجب ، عمر الفاروق السيد

٢١ ــ المدينة المنورة .

الطبعة الأولى ، نشر وطبع دار الشروق ، جدة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. رمزية محمد الأطرقجي

٢٢ ــ بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور

الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٩٧٥م.

زكى محمد حسن

٢٣ ــ فنون الإسلام .

الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م.

معاد ماهر

٢٤ _ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ١

مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧١م.

نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

سليمان ، أحمد سعيد

٢٥ ــ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة .

مطابع دار المعارف بمصر .

السليمان ، على بن حسين

٢٦ ـ العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك .

الطبعة الأولى ، طبع ونشر الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

انشوری : انظر إبراهيم

عبد الجواد ، توفيق أحمد

٢٧ ــ تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، جـ ٣

دار وهدان للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م.

عيد الحميد زايد

٢٨ _ القدس الخالدة .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ م.

عبد المنعم ماجد

٢٩ _ نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر .

مطبعة الرسالة .

نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م.

المدوى : انظر إبراهيم محمد

على حافظ

٣٠ _ فصول من تاريخ المدينة المنورة .

طبع ونشر شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

عليوه ، عبد الرحيم

٣١ _ بحث في المعادن . نشر في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، لحسن الباشا وآخرين . مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

فريد شافعي

٣٢ _ العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة) .

الطبعة الأولى ، المطبعة الثقافية ، القاهرة ١٩٧٠م.

نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

فكرى ، انظر أحمد فكرى

فهمي ، عبد الرحمن

٣٣ _ الجامع الأزهر ، بحث نشر في كتاب القاهرة تاريخها وفتونها وآثارها لحسن الباشا وآخرين ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٤ _ النقود العربية ماضيها وحاضرها

وزارة الثقافة والإرشاد القومى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٤م.

٣٥ ـ موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، جـ ١ (فجر السكة العربية) مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٥ م.

الكتانى ، محمد بن عبد الحى بن عبد الكبير بن محمد الحسينى الادريسى (ت ١٣٨٢هـ).

٣٦ ـ نظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) جـ ٢ .

دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

كمال الدين سامح

٣٧ - تطور القبة في العمارة الإسلامية

بحث نشر في مجلة كلية الآداب _ جامعة فؤاد الأول _ المجلد الثاني عشر _ المجزء الأول _ مايو ١٩٥٠م.

مارسیه ، جورج

٣٨ ـ الفن الإسلامي.

ترجمة عفيف بهنسي .

منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٦٨م. مايسة محمود

٣٩ ـ المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي .

رسالة ماجستير لم تطبع ، بكلية الآداب جامعة القاهرة _ رقم ٩١٨ آثار إسلامية .

محمد أمين

٤٠ ــ الأوقاف والحيام الاجتماعية في مصر (٦٤٨ ــ ٩٢٣ هــ) .

الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م.

مۇنس ، حسين

١٤ _ المساجد

مطابع الاتباع بالكويت.

نشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. مؤير ، وليم

٤٢ ـ تاريخ دولة المماليك في مصر

ترجمة محمود عابدين وسليم حسن

نجاتي ، محمد عثمان

٤٣ _ علم النفس في حياتنا اليومية

الطبعة الخامسة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م.

بخاه يونس الحاج

٤٤ _ المحاريب العراقية منذ العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي .

طبع ونشر مديرية الآثار العامة ، بغداد ١٩٧٦م.

نجيب ، محمد مصطفى

٥٤ _ العمارة في عصر المماليك .

بحث نشر في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها . لحسن الباشا وآخرين .

مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

هنتس ، فالتر

٤٦ ــ المكاييل والأوزان الإسلامية .

ترجمة كامل العسلى

منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٧٠م.

* * *

رابعًا : المراجع الأفرنجية :

- 1 Ali Bey Bahgat: La Houdjra de Medine, Cairo, 1914.
- 2 Fr: Buhl, Art Al-MADINA, The Encyclopadia of Islam. Vol., III, LEIDEN, 1936.
- 3 Creswell (K. A. G), Early Muslim Architecture, Vol. I part 1,2. Hacker Art Books, New York, 1979.
- 4 R. Dozy, Supplement Aux Dixtionnaires Arabes, Troisieme Edition, Leyde . Ej . Brill, Paris, G. P. Maisonneuveet, Larose .
- 5 Sauvaget (Jean), La Mosquee Omeyyade de Medine, Paris, 1947.

* * *

فمرس الأشكال واللوح

رسم تخطيطي لمسجدي البصرة والكوقة بعد زيادة زياد بن أبيه لهما سنة ٥٠هـ	شکل رقم ۱
رسم تخطيطي لمسجد الكوفة الأول	شکل رقم ۲
رسم تخطيطي لمسجد الكوفة بعد عمارة زياد بن أبيه له سنة ١٥هــ	شکل رقم ۳
مخطط جامع واسط في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي	شكل رقم ٤
مخطط المسجّد العلوي بمدينة أسكاف بني جنيد بالعراق سنة ١١٠هـ	شکل رقم ٥
مخطط جامع بغداد في عهد أبو جعفر المنصور سنة ١٤٩هـــ	شکل رقم ۲
مخطط مسجّد الرقة في عهد المنصور سنة ١٥٥هـ	شکل رقم ۷
مخطط جامع سامراء الكبير	شکل رقم ۸
مخطط مسجّد أبي دلف بالعراق في عهد المتوكل على الله سنة ٢٤٥هــ	شكلٌ رقم ٩
مخطط الجامع الأموى يدمشق	شکل رقم ۱۰
رسم تخطيطي لمسجد بصري في جنوب الشام على عهد يزيد بن عبد الله في	شكل رقم ١١
سنة ١٠٢هـ	, , ,
مخطط مسجد حران في عهد مروان بن الحكم حوالي سنة ١٣٠هـ	شکل رقم ۱۲
- ,	شكل رقم ١٣
رسم تخطيطي للمسجد العتيق على عهد عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢هــ	شكل رقم ١٤
مخطط جامع أحمد بن طولون	شکل رقم ۱۵
مخطط الجامع الأزهر في العصر الفاطمي	شکل رقم ۱٦
مخطط جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة	شکل رقم ۱۷
مخطط المسجد الأقصى بعد عمارة المهدى العباسي له سنة ١٩٣هـ	شكل رقم ١٨
مخطط جامع القيروان بتونس بوضعه الراهن	شکل رقم ۱۹
مخطط جامع سوسة في تونس في عهد أبي العباس محمد بن الأغلب سنة ٢٣٦هـ	شکل رقم ۲۰
مخطط جامع الزيتونة بوضعه الراهن	شکل رقم ۲۱
مخطط المسجد الجامع بقرطبة	شکل رقم ۲۲
مخطط المسجد النبوى قبل تحويل القبلة	شکل رقم ۲۳
خريطة جغرافية يظهر بها موقع مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ويلاحظ	شکل رقم ۲۴
أن المواقع المذكورة ليست على خط طول واحد .	
رابطة العالم الإسلامى المرصد الإسلامي	
تبين هذه الصورة الفرق بين موقع المدينة وبيت المقدس واعجاههما إلى الكعبة المشرفة	شکل رقم ۲۵
مخطط المسجد النبوى كما رسمه يوتى وهو مخطط لا يمكن قبوله إلا إذا كانت	شكل رقم ٢٦
جدران المسجد النبوى لم تتغير بعد څويل القبلة	,
مخطط للمسجد النبوى بعد تحويل القبلة وبه يظهر موقع أهل الصفمة من الظلة	شکل رقم ۲۷
الشمالية ، ومما لا شك فيه أنها انتقلت إلى مؤخرة المسجد النبوي بعد الزيادة	,
الأخيرة في عهد الرسول عليه السلام	
مخطط المسجد النبوى في حياة الرسول وبه تظهر اسطوانات الروضة المشهورة التالية :	شکل رقم ۲۸
	, -

_ • • • •	•	
· ٥ ــ اسطوانة الوفود	١ _ اسطوانة عائشة	
۲ - امطوانة مصلى النبي	٢ _ اسطرانة التوبة	
۷ ــ اسطوانة مقام جيريل	٣ ــ اسطوانة السرير	
User (** 5	٤ _ اسطواتة المحرس	
	(من عمل الباحث)	
دة السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٧٧ هـ		شکل رقم ۲۹
موقع أهل الصفة في الجانب الشمالي الشرقي من	عن مرآة الحرمين ويه يظهر ً،	
هد الرسول ، وفي هذا مخالفة لموقعها في المخطط	مؤخرة المسجد النبوي في ع	
عنه .	الذي أعده كريزويل ومن أخذ	
وقبل السنة السابعة وبعدها	مخطط المسجد النبوى الشريف	شکل رقم ۳۰
تحويل القبلة ، وبه يظهر التشابه بينه وبين مخطط	مخطط المسجد النبوى بعد .	شکل رقم ۳۰ شکل رقم ۳۱
على الجزء الشمالي الغربي من مؤخرة المسجد النبوي	كريزول في قصر موقع الصفة	
نشرته سعاد ماهر في كتابها مساجد مصر . وقد	مخطط المسجد النبوي الذي	شکل رقم ۳۲
. وبه يظهر موقع أهل الصفة مقتصرا على الجزء	أحذته كما يبدو عن كريزوا	
سجد النبوي .	الشمالي الشرقي من مؤخرة الم	
مرعهد الرمبول صلى الله عليه وسلم نقله أحمد	مخطط المسجد النبوي في آن	شکل رقم ۳۳
وبه تظهر الصفة في الحانب الشمال الثيرة من	محمود عکوش ،	
فَهُ لَمَا فَي مُخْطِطُ كُرِيزُولَ وَفُرِدُ شَافِعِي وسِعادِ مَاهِي	المسجد النبوي، وفي هذا مخال	
نة السابعة من الهجرة	معطط المسجد النبوي بعد الس	شکل رقم ۳۴
السنة السابعة من الهجرة الشريفية (ع. حس	مخطط المسجد النبوي بعدا	شکل رقم ۳۵
لبلاطات في ظلتي المسجد على بلاطنين ، وهذا	الباشا) وبه يظهر انه قصر ال	
، ثلاث بلاطات في كل منهما	محالف ۱۱ نبت من انها كانت	شکل وقم ۳٦
الرسول والخلفاء الراشدين (عن حسن الباشا)	محطط المسجلة النبيوي في عه	منافل وقم ۱۰۱
ذرع المضافة في كل زيادة من الزيادات المرقمة .	وليس به ادني إماره إلى مقدار الا	شکل رقم ۳۷
في حياة الرسول صلّى الله عليه وسلم	وهم محميطي سجوره الشريقة	ט ניין יי
ارتفاع حوالي ١٦٠ سم من سطح الأرض.	م(٢) نفسه مما المستريد	
على أرتفاع حوالى • • ٣سم من سطح الأرض. تندسي للطاقة الصوتية الصادرة من م (١)	ر این اسال میان دور در این اسال مان دول	
سنسي تلفاقه الصوتية الصادرة من م (١) شيل هندسي للطاقة الصوتية من م (٢)	رب برب برب برب کارندان کارندان مارندان کارندان کارندا	
سين مستنى تنقيله الصويية من م (۱) من المسدر وهو في وضع م (۱)	الرمسم يوضح أن الصوت الصاد	
التي بمن المصل والستمورة الأن بما الم	جزء تبير يمتص في الأحساء ا	
ستمع عندما يكون نفسر المصدرة الرضيم (٢)	ليسما نسبه أكبر نصل لنفس الم	
وت هي مخاله مرتفع	المسار الصرا	شکل رقم ۳۸
ى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة	رسم تخطيطى للمسجد النبو	شکل رقم ۳۹
	عمر وعثمان رضي الله عنهما	

رسم تخطيطى للمسجد النيوى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد تصور وجود الظلات الجانبية في ذلك التاريخ المبكر دون أن يكون لديه سند مقنع .	شکل رقم ۴۰
رَسم تخطيطي للمنبر النبوي بعد زيادة معارية ابن أبي سفيان عدد درجاته	شکل رقم ٤١
	ال رقم ٤٢ شكل رقم ٤٢
رسم تخطيطي للمسجد النبوي بعد زيادة الوليد بن عبد الملك وبه يظهر الجاز	شکل رقم ٤٣
المؤدى إلى الحراب العثماني ، وبالاحظ عليه ضيق الجاز بسبب حرصهم على	عال رحم ۱۰۰
المحافظة على مواقع الأسطوانات التي كانت على عهد رسول الله كلا	
المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك مخطط المسجد النبوى بعد عمارة	شكل رقم ٤٤
الوليد بن عبد الملك وبه تظهر أبواب المسجد الستة ومناراته الثلاث وذلك بعد	شکل رقم ۱۵
تدارك الأخطاء التي وقع فيها سوفاجيه وأحمد فكرى	معن رما ۵۰
مخطط المسجد النبوى بعد عمارة المهدى العباسي وبه يظهر موقع منارات المسجد	شکل رقم ٤٦
الثلاث وأيواب المسجد وعدد اسطواناته التي بلغت ٢٩٦ أسطوانة . ويلاحظ أنهم	عدس رهم ۱۰
لم يتقيدوا في زيادته بالبعد الحقيقي للأسطوانات في العمائس السابقة والتي	
كانت عشرة أذرع عند بعض المؤرخين وتسعة أذرع عند البعض الآخر وإلا لبلغ	
طول المسجد من الشمال إلى الجنوب حوالي ثلاثماثة ذراع	
	شکل رقم ٤٧
جدول يبين اختلاف ذراع المسجد النبوى فى عمارة المهدى العباسى عند المؤرخين مخطط لموقع النصوص من صحن المسجد النبوى بعد عمارة المهدى	شکل رقم ۲۸ شکل رقم ۴۸
رسم يبين مراحل مجديد سقف المسجد النبوى بعد الحريق الأول حتى أواخر دولة	•
المماليك البحرية	شکل رقم ۶۹
Ť	
عمارة الظاهر بيبرس بسقف واحد _ عمارة الظاهر بيبرس بسقفين الماء الماء علم علامة الطاهر الماء الما	
العمارة المصرية اليمنية المحادث الماذرية الجراء الرابع الرابع عدد المحادث	
البلاطتان اللتان اضافهما الملك الناصر محمد بن قلاوون	
عمارة السلطان سيف الدين قطز عمارة الخليفة العباسي	
مقطع بيين حالة سقف مؤخرة المسجد التي عمرها الظاهر بيبرس بسقف واحد	شکل رقم ٥٠
خلافًا لما كانت عليه مجنبات المسجد الأخرى ، فإذا كمان سقف مؤخرة	
المسجد في مستوى السقف السفلي للمجنبتين فيإن السقف العلوي	
للمجنبتين سيرتفع كما في النموذج ١٦٥ والعكس كما في النموذج ١٠١٠	
مسقط يبين مواقع منارات المسجد النبوي في عهد المماليك البحرية وأطوالها	شکل رقم ۵۱
١ _ المنارة الرئيسية ٧٧ فراعا .	
٢ _ المنارة السنجارية ٧٩ ذراعا .	
٣ _ المنارة الخشبية ٧٧ فراعا .	
٤ ــ منارة باب السلام التي أقيمت سنة ٧٠١هـ وطولها ٩٥ فراعا .	. W
رسم يوضح الجزء المرتفع من سقف مقدم المسجد النبوى بعد إضافة الناصر	شکل رقم ۵۲
محمد بلاطتى مقدم المسجد	

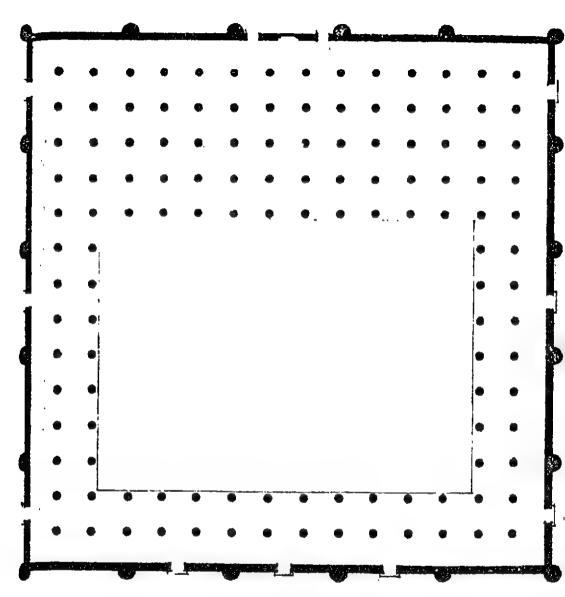
المراحل التي سارت عليها عمارة قايتياي الأولى ٨٧٩ ــ ٨٨١ـــ	شکل رقم ۵۳
المات الأمام المات	, , ,
المرحلة الأولى المرحلة الثانية المرحلة الثالثة	
المرحلة الرابعة المرحلة الخامسة	ئكل رقم ؟٥
الحجرة الشريفة كما رسمها السمهودي في وفاء الوفاحـ ٢ ، ص ٥٦٦ بعد	- حل رحم ۵۰
مشاهدته لها وذرعه أبعادها في عمارة قايتباي الأولى سنة ١٨٨١هـ .	شکل رقم ٥٥
الحجرة الشريفة كما شاهدها السمهودي عند انكشافها في عمارة قايتباي الأولى	سحن رقم فاق
مسه ١١١١هـ ، خلاصة الوقاء ، ص ٢٠٧ ،	شکل رقم ۵۹
هاتان الصورتان تمثلان الوضع الذي استقر عليه بناء الحجرة الشريفة إلى الوقت	شکل رقم ۱ ه
الحاضر	
صورة مخطط الحجرة الشريفة بوضعها الحالي وهي الحالة التي كانت عليها بعد	شکل رقم ۷ه
عمارة الأشرف قايتباي لها سنة ٨٨٧هـ .	
تمثل هاتان الصوران المنارة الرئيسية في زمنين مختلفين والصورة اليسرى نقلتها	شکل رقم ۸۵
من مرأة الحرمين جـ ١ ص ٤٥١ . ويعقد مقارنة بين شرافات الشرفة الأولى في	
الصورتين يتبين أنه حدث بهما مخسينات في العهد السعودي وهو ما يظهر واضحا	
في الصورة الملونة	
صورة المحراب النبوي وفيها يبدو جمال التقسيمات الرخامية والكتابان الدرمة الت	شکل رقم ٥٩
يحلى المحراب منذ جدده الأشرف قايتباي في العمارة الثانية التي تمت سنة	
۸۸۸ مـ .	
صورة المحراب العثماني وبه تبدو الزخرفة المملوكية التي لا يزال يحتفظ بها من	شکل رقم ۲۰
عهد عمارة الأشرف قايتباي له سنة ٨٨٨هـ .	
صورة مخطط للمسجد النبوى في القزن التاسع نقلها سوفاجيه عن مخطوط	شکل رقم ۲۱
بالمكتبة الأهلية بباريس لمؤلف مجهول برقم ١٦٥٦ عربي وهي توضح وضع	,
المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى الثانية وما به من حواصل .	
مسقط يُسِن حالة المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى الثانية.	شکل رقم ۲۳
صدرة مند مسجد قدام أأن أسالكون عليه المسادة المسجد المستحد المستحد المستحد المستحد المستحد المستحدد ال	لوحة رقم ٦٣
صورة منبر مسجد قباء الذي أرسله الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨هـ إلى المسجد	1.2.2
النبوى ثم نقل إلى مسجد قباء بعد إرسال السلطان مراد للمنبر الموجود حاليا في	
المسجد النبوى منة ٩٩٨هـ .	لوحة رقم ٦٤
شمعدان الأمير جاني بك الموقوف على الحرم النبوى الشريف فيما بين ٨٠١ _ ٨٠٨ ــ	لوحة رقم ٦٥ لوحة رقم ٦٥
شمعدان الأشرف قايتباى الموقوف على الحجرة الشريقة بتاريخ شهر رمضان سنة ٨٨٨هـ	توحه رقم ۱۲ لوحة رقم ۲۲
صورة النقش الموجود خلف المحراب النبوى في لوح رخامي بطول ٦٦× ٨٨ سم	لوحة رقم ۲۷ لوحة رقم ۲۷
صورة النقش الموجود بأصل مشبك الحجرة الشريفة المطل على الروضة الشريفة	توحه رقم ۱۲ لوحة رقم ۱۸
حمدة التشخير المسجد والمرا م 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1	20 1 March 20 20 20 20 20 20 20 20 20 20 20 20 20

صورة النقش الموجود بأصل مشبك الحجرة الشريقة الشمالي المطل على دكة الأغوات

والمؤرخ خطأ في سنة ٩٠٨ هـ .

صورة النقش الموجود خلف الحراب السليماني في لوح رخامي بطول ٧٢×٦٦سم

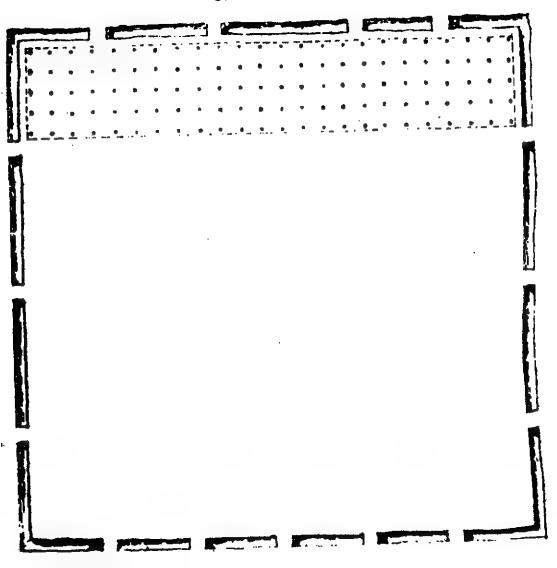
لوحة رقم ٦٨ لوحة رقم ٦٩ الائشكال والصور



شكل (۱) رسم تخطيطى لمسجدى البصرة والكوفة بعد زيادة زياد بن أبيه لهما سنة ٥٠هـ

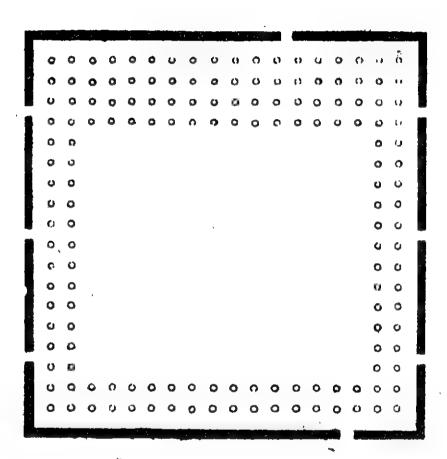
(عن فرید شافعی)

مسجد الكوفة الأول

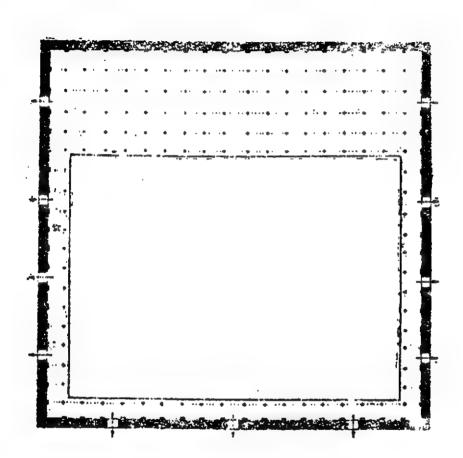


شكل (٢) رسم تخطيطى لمسجد الكوفة الأول

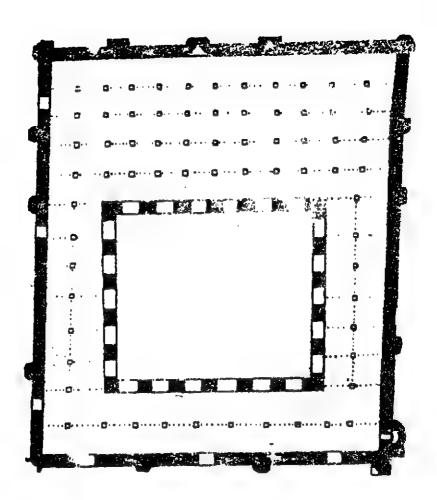
(عن فرید شافعی)



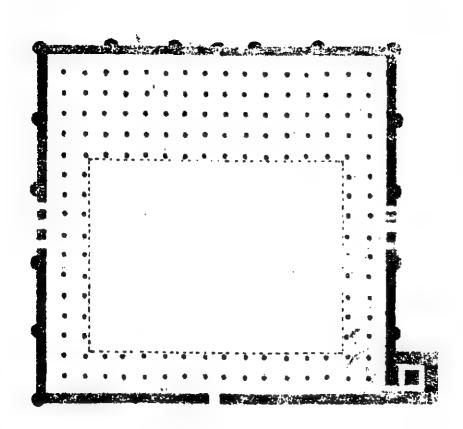
شكل (٣) رسم تخطيطى لمسجد الكوفة بعد عمارة زياد بن أبيه له سنة ٥١هـ (عن أحمد فكرى)



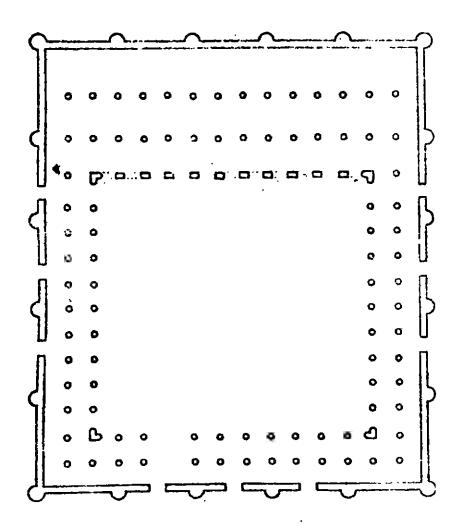
شكل (٤) مخطط جامع واسط في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (عن أحمد فكرى)



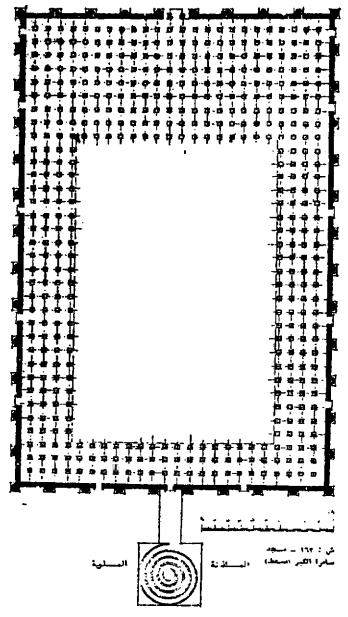
شكل (٥) مخطط المسجد العلوى بمدينة أسكاف بنى جنيد بالعراق سنة ١١٠هـ



شكل (٦) مخطط جامع بغداد في عهد أبو جعفر المنصور سنة ١٤٩هـ (أحمد فكرى عن هرتزفلد)

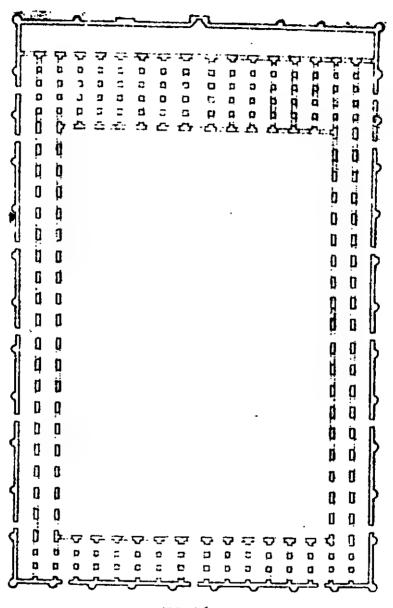


شكل (۷) مخطط مسجد الرقة في عهد المنصور سنة ١٥٥هـــ



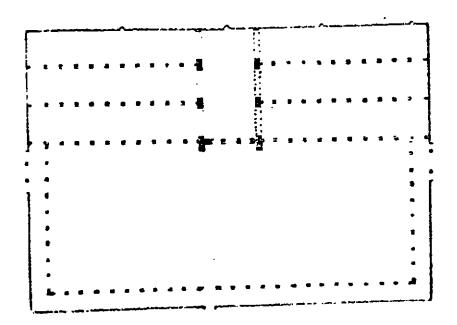
شكل (۸) مخطط جامع سامراء الكبير

(عن فرید شافعی)

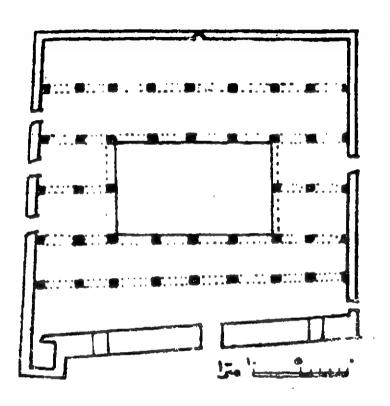


شکل (۹)

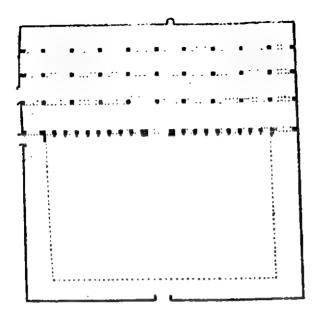
مخطط مسجد أبى دلف بالعراق في عهد المتوكل على الله سنة ١٤٥هـ (أحمد فكرى عن هوتزفلد)



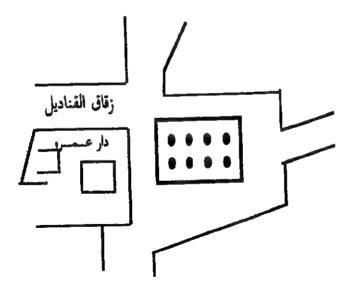
شكل (۱۰) مخطط الجامع الأموى بدمشق (عن أحمد فكرى)



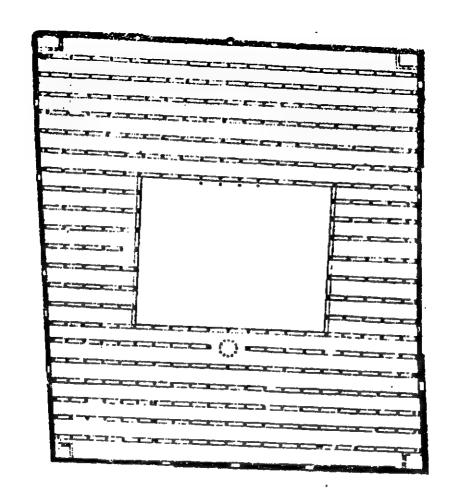
شكل (۱۱) رسم تخطیطی لمسجد بصری فی جنوب الشام علی عهد یزید بن عبد الله فی سنة ۲۰۱هـ (عن أحمد فكری)



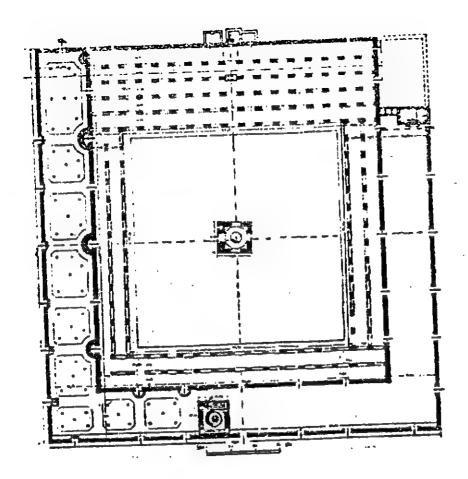
شكل (۱۲) . مخطط مسجد حران في عهد مروان بن الحكم حوالي سنة ١٣٠هـ



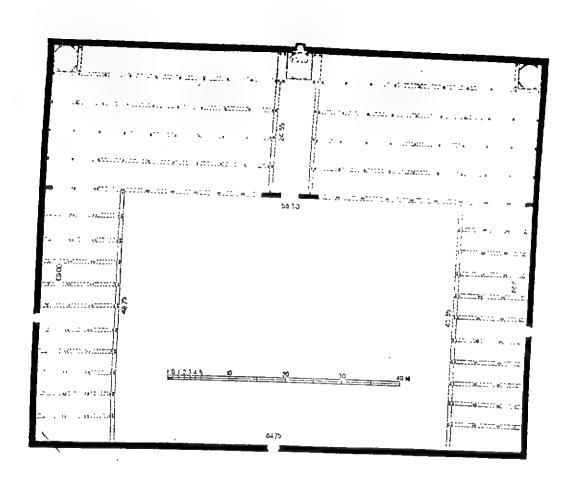
شکل (۱۳) – رسم تصوری لتخطیط مسجد عمرو سنة انشائه (۲۱ – ۱۶۲م) – عن محفوظات مصلحة الآثار .



شكل (١٤) رسم تخطيطى للمسجد العتيق على عهد عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢هـ

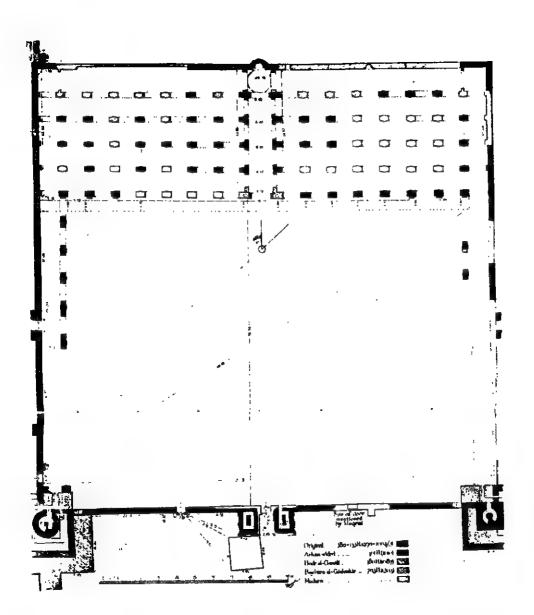


شكل (١٥) مخطط جامع أحمد بن طولون (أحمد فكرى عن مصلحة الآثار المصرية)



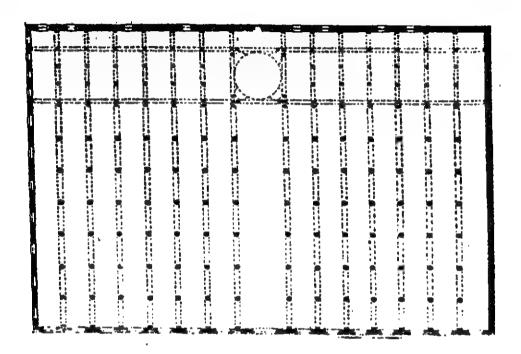
شكل (١٦) مخطط الجامع الأزهر في العصر الفاطمي

(عن كريزويل)

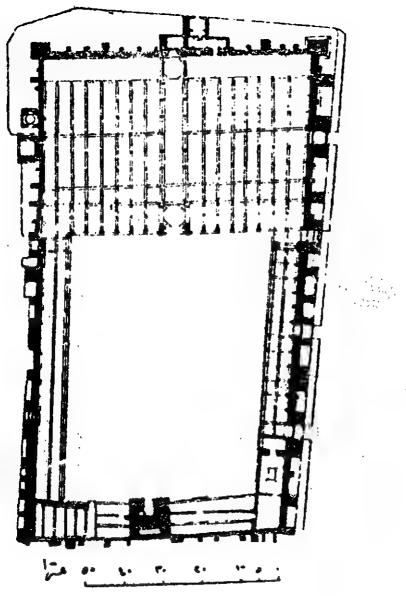


شكل (۱۷) مخطط جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة

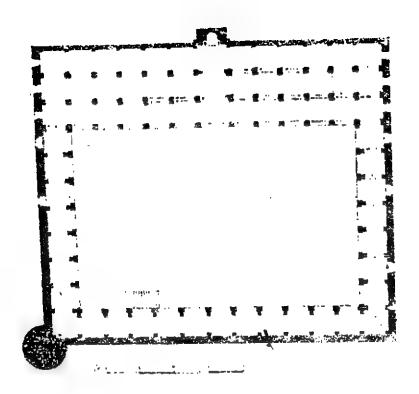
(عن كريزويل)



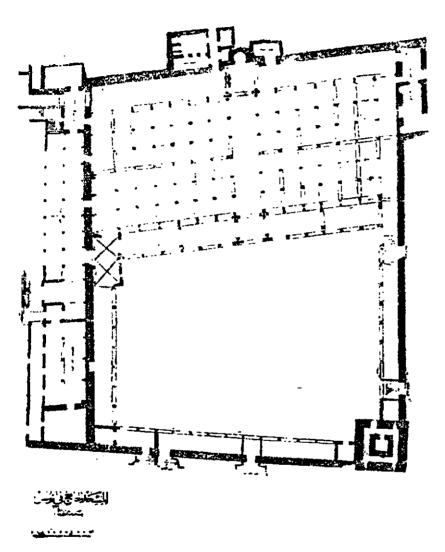
شكل (۱۸) مخطط المسجد الأقصى بعد عمارة المهدى العباسى له سنة ١٦٣هـ . عن فريد شافعى)



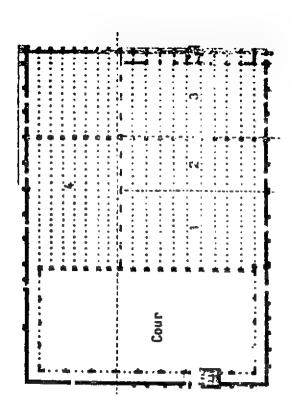
شكل (۱۹) مخطط جامع القيروان بتونس بوضعه الراهن



شكل (٢٠) مخطط جامع سوسة في تونس في عهد أبي العباس محمد بن الأغلب سنة ٢٣٦هـ



شكل (۲۱) مخطط جامع الزيتونة بوضعه الراهن

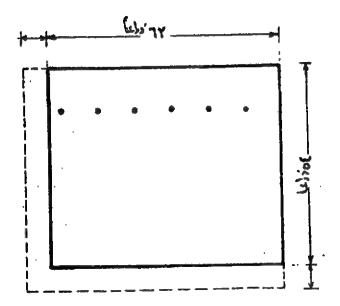


المسكل رمم ٢ سـ مخطط العامع الكير ق مربك. ١ ــ هامع عند الرهمن الاول (١٥٧٥) . ٢ ــ بوسنع عند الرهمن!الماس (١٨٨٢) . ٢ ــ بوسنع المحاكم الماس (١٨٨١) . ٢ ــ بوسنع المصبور (١٨٨٧) .

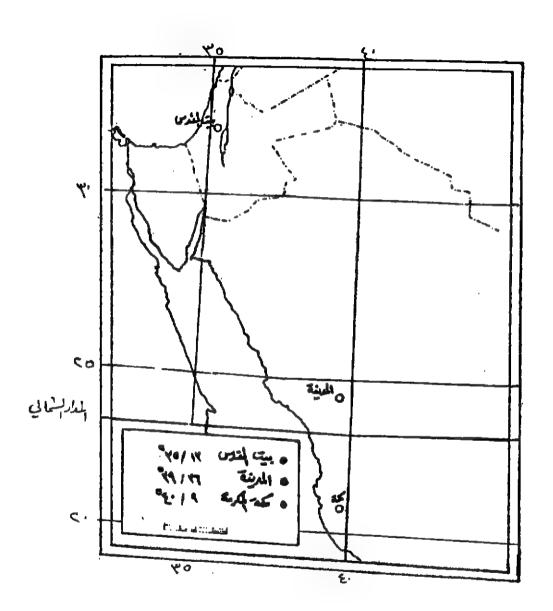
شكل (٢٢) مخطط المسجد الجامع بقرطبة

(عن جورج مارسيه)



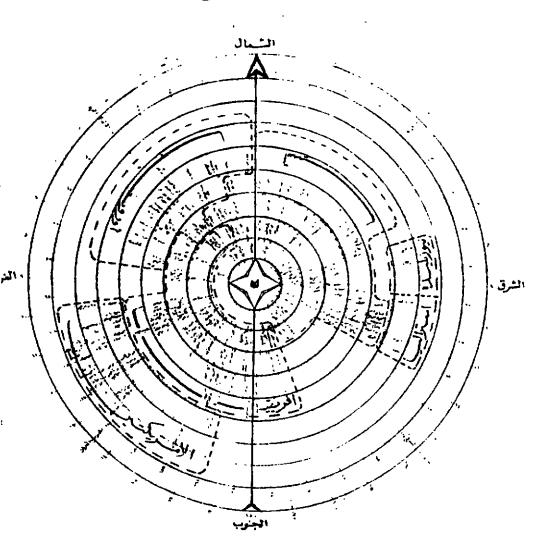


شكل (۲۳) مخطط المسجد النبوى قبل مخويل القبلة (من عمل الباحث)

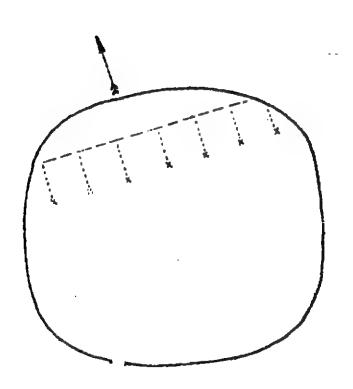


شكل (٢٤) خريطة جغرافية يظهر بها موقع مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ويلاحظ أن المواقع المذكورة ليست على خط طول واحد

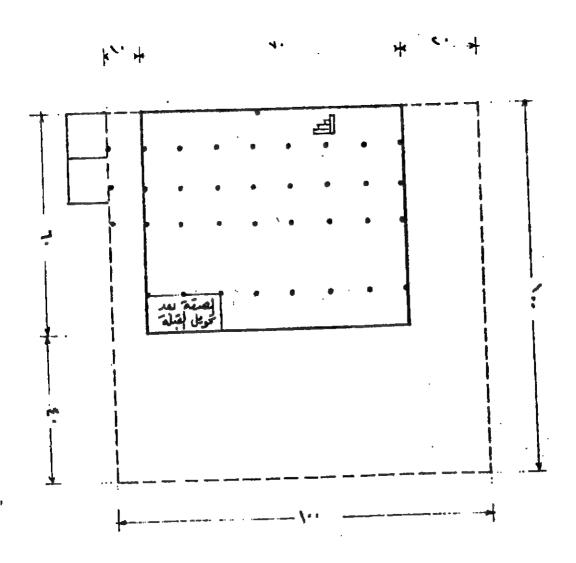
رابطة العالم الإسلامى المرصد الإسلامى



لوحة (٢٥) تبين هذه الصورة الفرق بين موقع المدينة وبيت المقدس وانجّاههما إلى الكعبة المشرفة

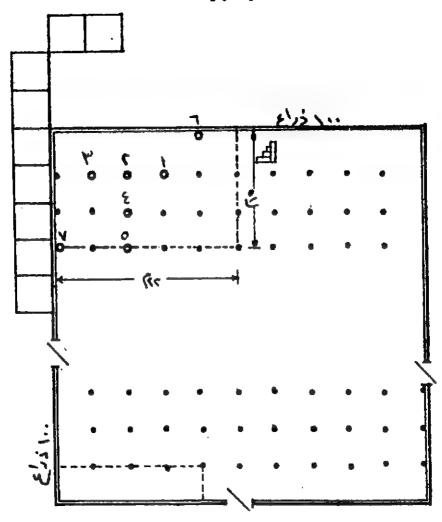


شكل (٢٦) مخطط المسجد النبوى كما رسمه بوتى وهو مخطط لا يمكن قبوله إلا إذا كانت جدران المسجد النبوى لم تتغير بعد تحويل القبلة



شكل (۲۷) مخطط للمسجد النبوى بعد تخويل القبلة وبه يظهر موقع أهل الصفة من الظلة الشمالية ، ومما لا شك فيه أنها انتقلت إلى مؤخرة المسجد النبوى بعد الزيادة الأخيرة في عهد الرسول عليه السلام

(من عمل الباحث)

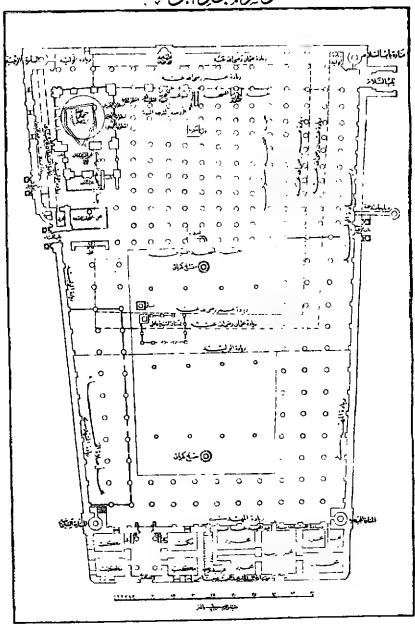


شكل (۲۸) مخطط المسجد النبوى في حياة الرسول وبه تظهر اسطوانات الروضة المشهورة التالية :

 اسطوانة الوفود 	١ ــ اسطوانة عائشة
٦ ـ اسطوانة مصلى النبي	۲ ــ اسطوانة التوبة
٧ ــ اسطوانة مقام جبريل	٣ ــ اسطوانة السرير
3 ,	٤ ــ اسطوانة المحرس

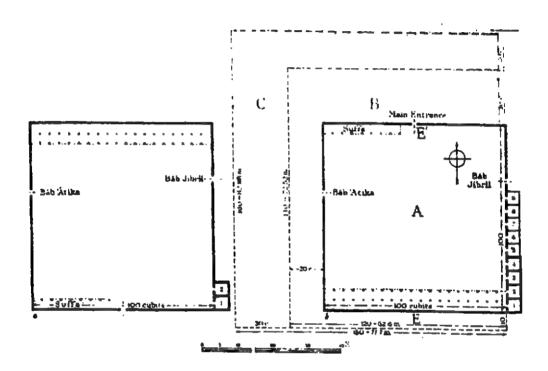
(من عمل الباحث)

نَايُمُولِ لِينْكُولِ النَّبِيِّ لِينْ

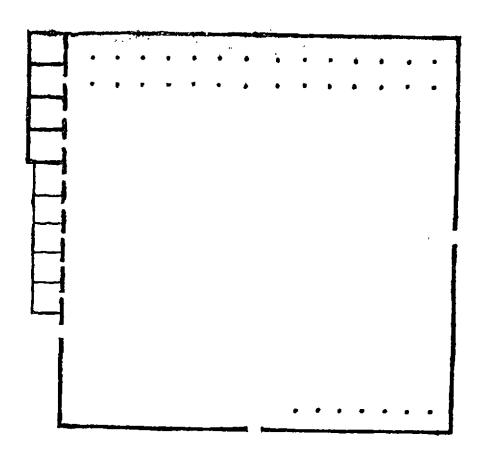


شکل (۲۹)

مخطط المسجد النبوى بعد زيادة السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٧٧هـ عن مرآة الحرمين وبه يظهر موقع أهل الصفة في الجانب الشمالي الشرقي من مؤخرة المسجد النبوى في عهد الرسول ، وفي هذا مخالفة لموقعها في المخطط الذي أعده كريزويل ومن أخذ عنه .

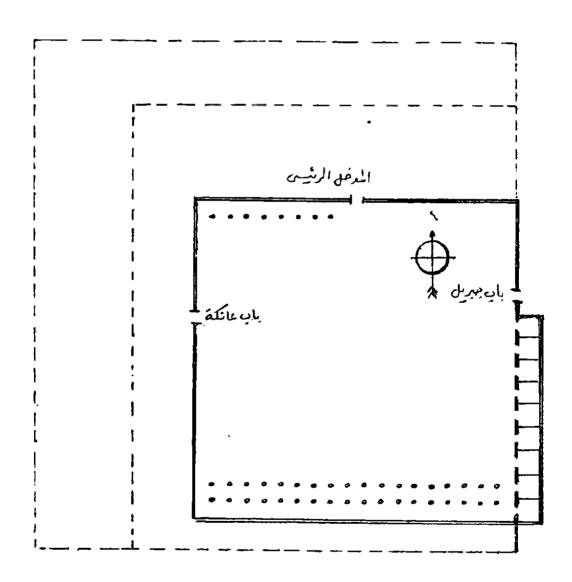


شكل (٣٠) مخطط المسجد النبوى الشريف قبل السنة السابعة وبعدها (من عمل كريزويل)

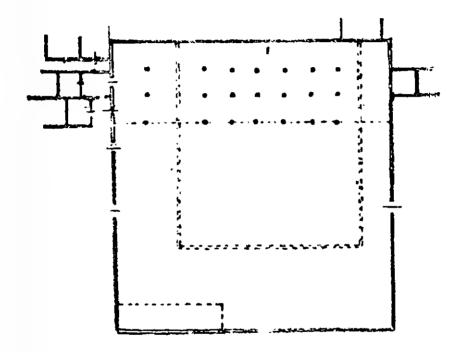


شكل (٣١) مخطط المسجد النبوى بعد تحويل القبلة ، وبه يظهر التشابه بينه وبين مخطط كريزول في قصر موقع الصفة على الجزء الشمالي الغربي من مؤخرة المسجد النبوي

(عن فرید شافعی)

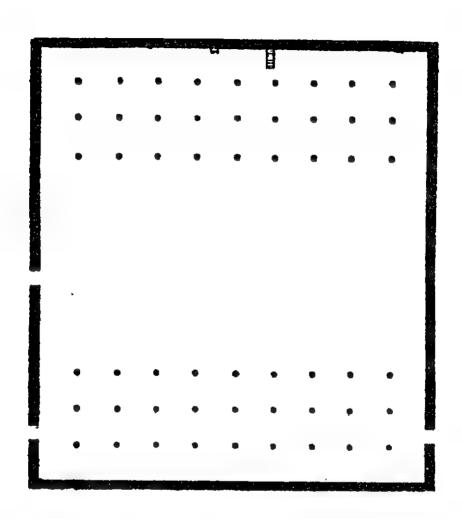


شكل (٣٢) مخطط المسجد النبوى الذى نشرته سعاد ماهر فى كتابها مساجد مصر . وقد أخذته كما يبدو عن كريزول وبه يظهر موقع أهل الصفة مقتصرا على الجزء الشمالي الشرقي من مؤخرة المسجد النبوى .

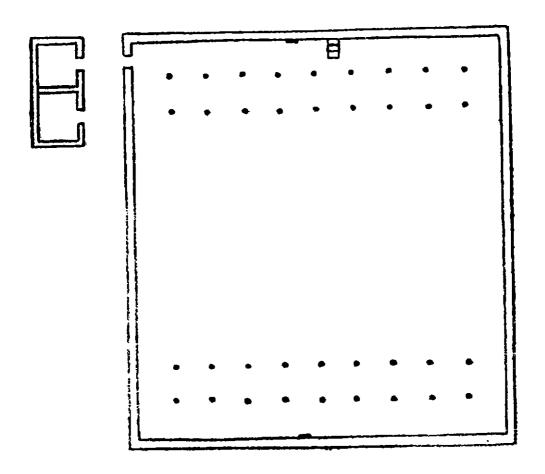


شکل (۳۳)

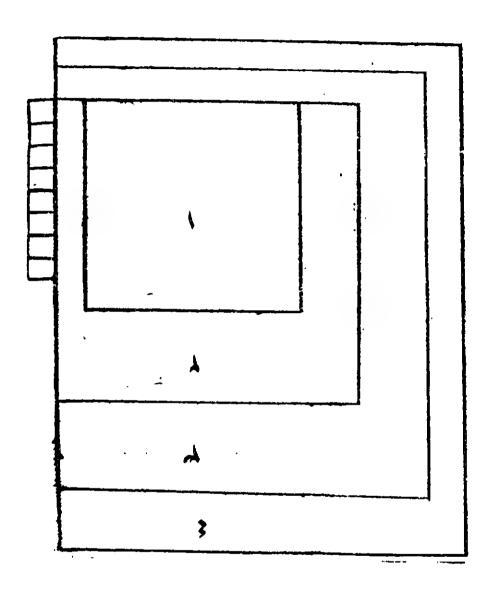
مخطط المسجد النبوى فى آخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نقله أحمد فكرى عن محمود عكوش ، وبه تظهر الصفة فى الجانب الشمالى الشرقى من المسجد النبوى ، وفى هذا مخالفة لما فى مخطط كريزول وفريد شافعى وسعاد ماهر.



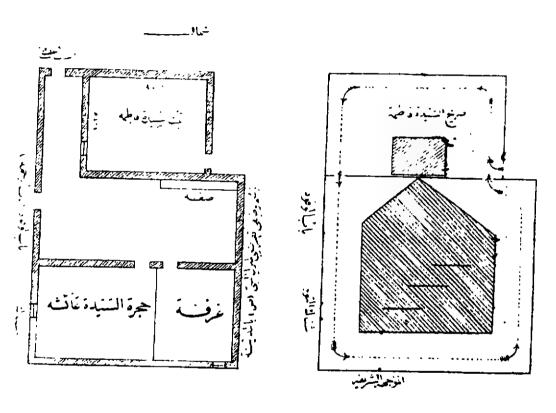
شكل (٣٤) مخطط المسجد النبوى بعد السنة السابعة من الهجرة (عن أحمد فكرى)



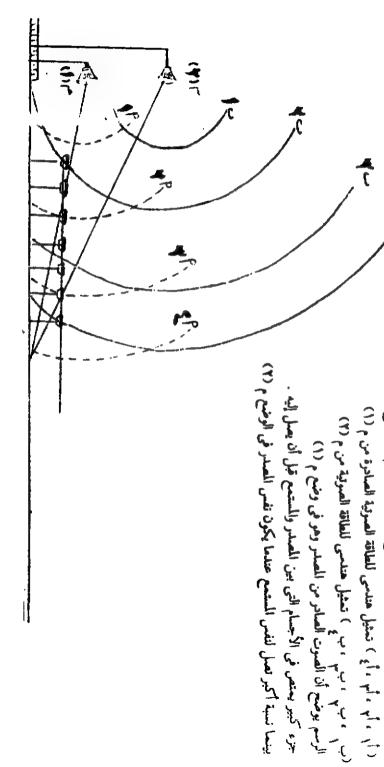
شكل (٣٥) مخطط المسجد النبوى بعد السنة السابعة من الهجرة الشريفة (عن حسن الباشا) وبه يظهر أنه قصر البلاطات في ظلتي المسجد على بلاطتين ، وهذا مخالف لما ثبت من أنها كانت ثلاث بلاطات في كل منهما



شكل (٣٦) مخطط المسجد النبوى في عهد الرسول والخلفاء الراشدين (عن حسن الباشا) وليس به أدنى إشارة إلى مقدار الأذرع المضافة في كل زيادة من الزيادات المرقمة .



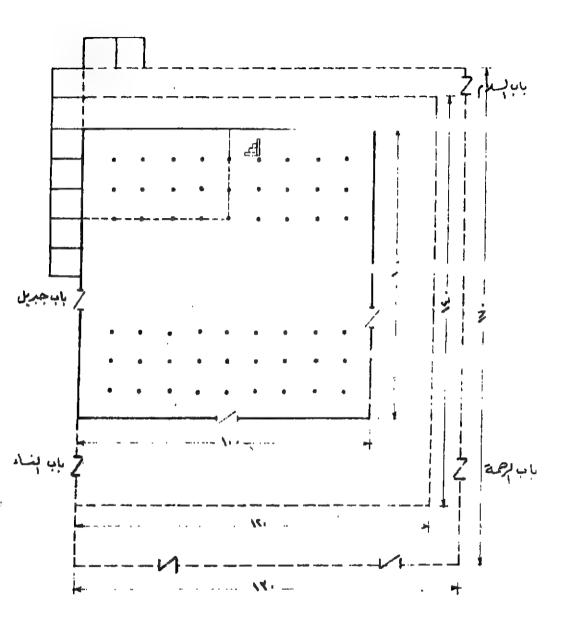
شكل (٣٧) رسم تخطيطي للحجرة الشريفة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (عن محمد لبيب البتنوني)



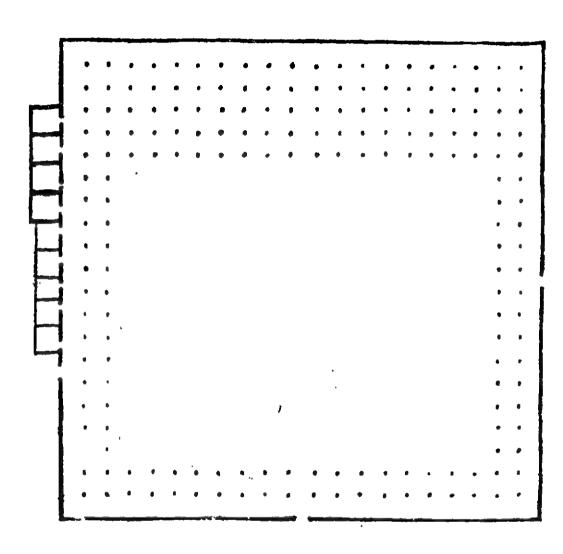
م(٢) نفس مصدر الصوت وهو على ارتفاع حوالي ٣٠٠سم من مطح الأرض.

م(١) مصدر الصوت وهو على ارتفاع حوالي ٦٠ اسم من سطح الأرض.

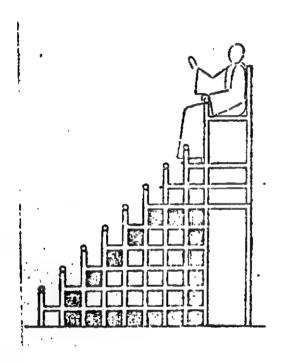
شكل (۳۸) رسم توضيحي لمدي انتشار الصوت من مكان مرتفع



شكل (٣٩) رسم تخطيطى للمسجد النبوى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة عمر وعثمان رضى الله عنهما . (من عمل الباحث)

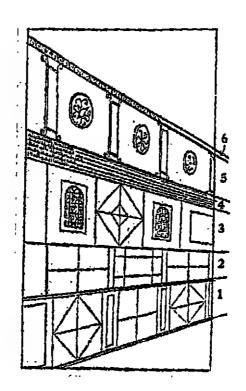


شكل (٤٠) رسم تخطيطى للمسجد النبوى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه . (عن فريد شافعى) وقد تصور وجود الظلات الجانبية في ذلك التاريخ المبكر دون أن يكون لديه سند مقنع .

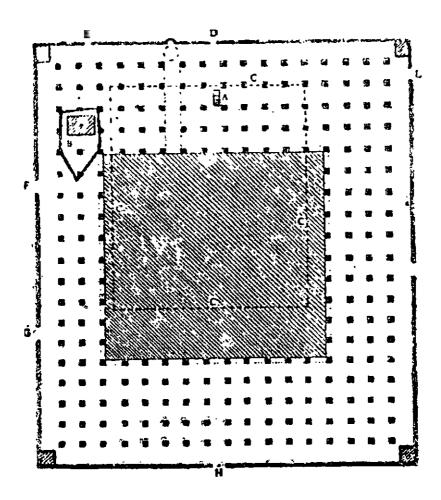


شكل (٤١) رسم تخطيطى للمنبر النبوى بعد زيادة معاوية ابن أبى سفيان عدد درجاته

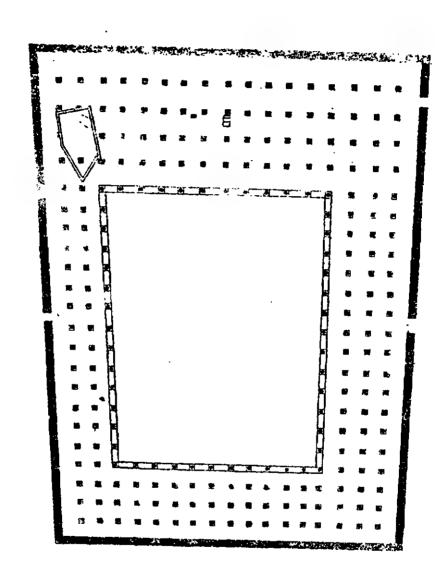
(عن سوفاجيه)



شکل (٤٢)

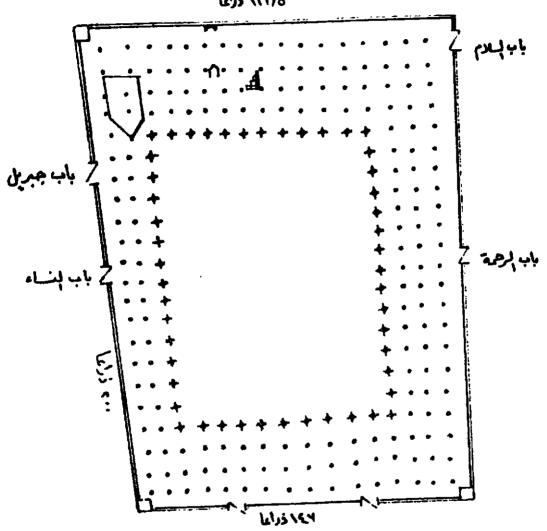


شكل (٤٣)
رسم تخطيطى للمسجد النبوى بعد زيادة الوليد بن عبد الملك
(من إعداد سوفاجيه)
وبه يظهر المجاز المؤدى إلى المحراب العثمانى ، ويلاحظ عليه ضيق المجاز بسبب
حرصهم على المحافظة على مواقع الأسطوانات التي كانت على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

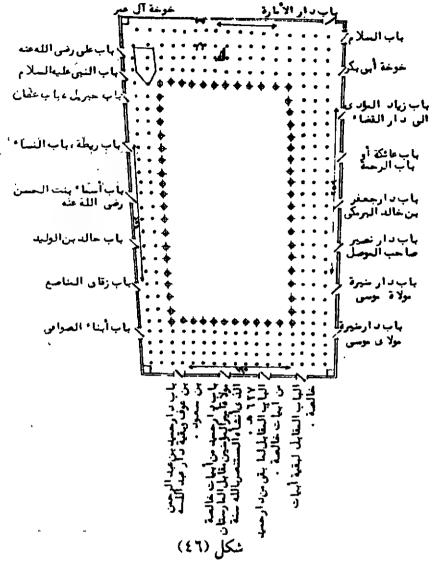


شكل (٤٤) المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك (عن أحمد فكرى)

م١٧١٠ ذراعا



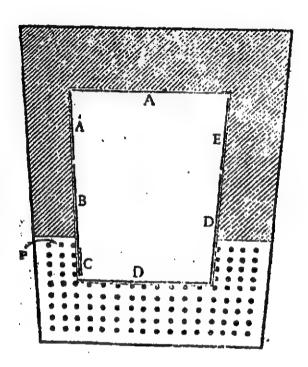
شكل (٤٥) مخطط المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك وبه تظهر أبواب المسجد الستة ومناراته الثلاث وذلك بعد تدارك الأخطاء التى وقع فيها سوفاجيه وأحمد فكرى (من عمل الباحث)



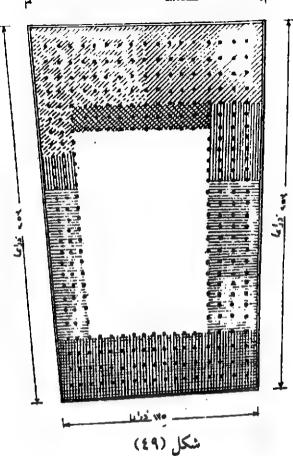
مخطط المسجد النبوى بعد عمارة المهدى العباسى وبه يظهر موقع منارات المسجد الثلاث وأبواب المسجد وعدد اسطواناته التى بلغت ٢٩٦ أسطوانة. ويلاحظ أنهم لم يتقيدوا في زيادته بالبعد الحقيقي للأسطوانات في العمائر السابقة والتي كانت عشرة أذرع عند بعض المؤرخين وتسعة أذرع عند البعض الآخر وإلا لبلغ طول المسجد من الشمال إلى الجنوب حوالي ثلاثمائة ذراع (من عمل الباحث)

N	1 .	1		
ئزهة بنا لمرني تى سجد سيد بأدلين مالأخرن ، حنا	700	120	₹ €	ا لپرزنجی
التحنة الطينة ناتارخ المدينة ، ط صلايم	5/2/2 303	3 . 4	4-48	المسخاون
ومّاء الومّاء هـ عن ١٩٥٩ ١٩٦٢	62	120	13 65	أسماودن
کر تاج بلغرق ف تحلیهٔ علماء بلترق ، ط ص۱۹۸.		نى	ું છે	
	3	~	五芒	البلرى
مبعبة النفوس والاسرار فاتأدع وارهجة الختار اماله	. G. S. S.	2 kg	¥ 6.	المترطبي
الدة الثمنة ، حثالا	19.2 10.2 30.5	ç	3 E.	ان لمار
رهلة ابئ جبير ، حاله	. 3	٠٠٠	3 %	ابئ جبير
رسالة فادحف مكة دلاينة دبيت بلندس الجلة بلعيد السنة الثانية ع ⁹⁶⁶ به ١٩٧٧ - ١٩٧٧ عن ٧٠٠.	2	ن	202	محيول»، لِتَرْدُ الأمع لِ جرِد
الأعلات النفيسة ، من ١٠	Ą	4	3 6	انارنه
٠ ١٨٢٠٥ : حا انام الذا	7.	4		ابن ا- عامً الحرفي
وناه الدنا للسهودي ، عا صا٦٨٠	2.	٠.٥		ابن زركة
1 - 1 - 1 - 1 - 1 - 1 - 1 - 1 - 1 - 1 -	ن الحنون إلى المثمال نم إثرة ما لغرب	من الات الم	ن انتی (ف الغین حاسلی الغین حاسلی	مين وين

شكل (٤٧) جدول يبين اختلاف ذراع المسجد النبوى في عمارة المهدى العباسي عند المؤرخين



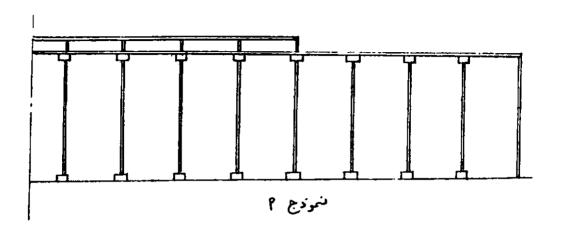
شكل (٤٨) مخطط لموقع النصوص من صحن المسجد النبوى بعد عمارة المهدى (عن سوفاجيه)

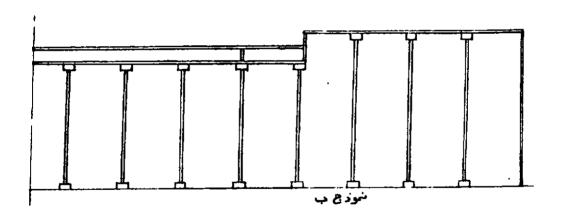


رسم يبين مراحل مجديد سقف المسجد النبوى بعد الحريق الأول حتى أواخر دولة المماليك البحرية (من عمل الباحث)

عمارة الظاهر بيبرس بسقف واحد عمارة الظاهر بيبرس بسقفين العمارة المصرية اليمنية العمارة المصرية اليمنية البلاطتان اللتان اضافهما الملك الناصر محمد بن قلاوون عمارة السلطان سيف الدين قطز عمارة الخليفة العباسي

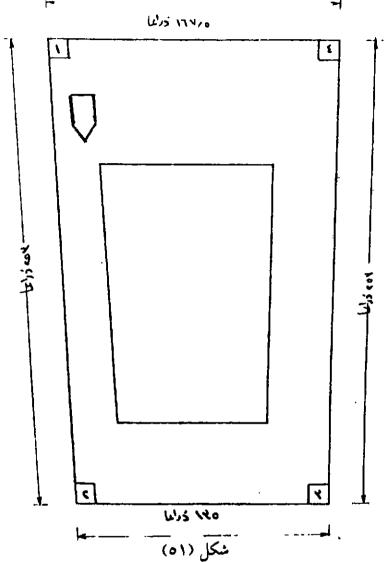






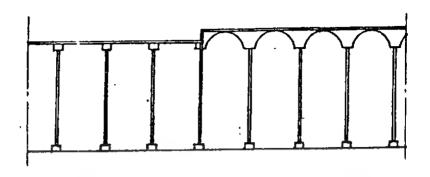
شکل (۵۰)

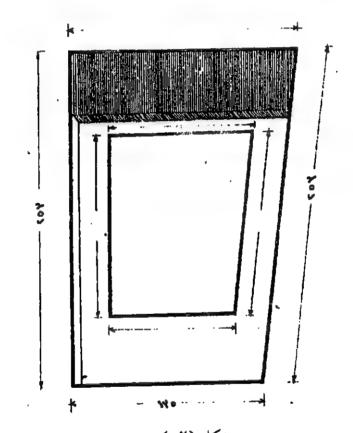
مقطع يبين حالة سقف مؤخرة المسجد التي عمرها الظاهر بيبرس بسقف واحد خلافا لما كانت عليه مجنبات المسجد الأخرى ، فإذا كان سقف مؤخرة المسجد في مستوى السقف السفلى للمجنبتين فإن السقف العلموى للمجنبتين سيرتفع كما في النموذج (أ) والعكس كما في النموذج (ب)



مسقط يبين مواقع منارات المسجد النبوى في عهد المماليك البحرية وأطوالها (من عمل الباحث)

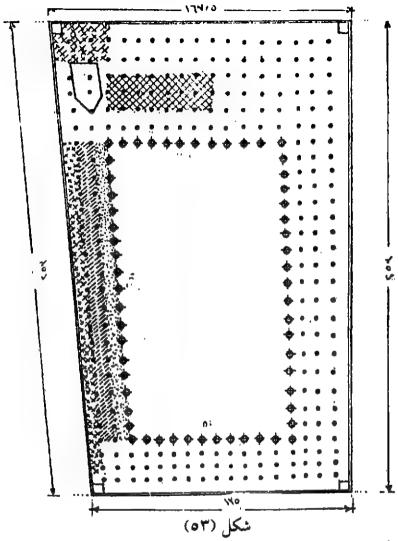
- ١ ـ المنارة الرئيسية ٧٧ ذراعا .
- ٢ ـ المنارة السنجارية ٧٩ ذراعا .
 - ٣ ـ المنارة الخشبية ٧٢ ذراعاً .
- ٤ ــ منارة باب السلام التي أقيمت سنة ٧٠٦هــ وطولها ٩٥ ذراعا .





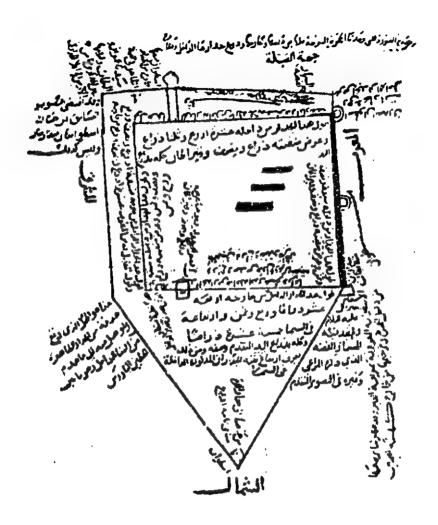
شكل (٥٢) رسم يوضح الجزء المرتفع من سقف مقدم المسجد النبوى بعد إضافة الناصر محمد بلاطتى مقدم المسجد

(من عمل الباحث)

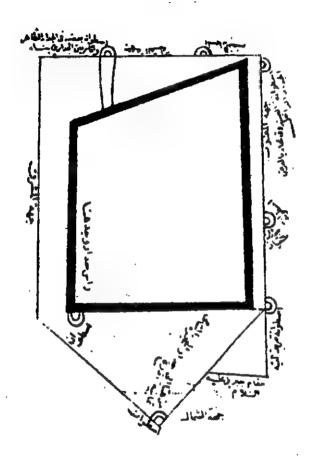


المراحل التي سارت عليها عمارة قايتباي الأولى ٨٧٩ _ ٨٨١هـ الباحث)

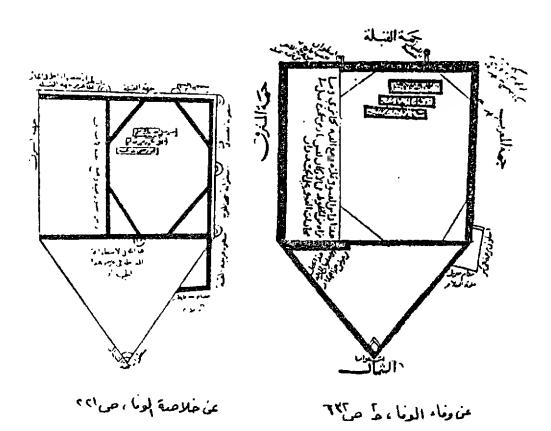
المرحلة الأولى المرحلة الثانية المرحلة الثانية المرحلة الثالثة المرحلة الرابعة المرحلة الرابعة المرحلة الخامسة



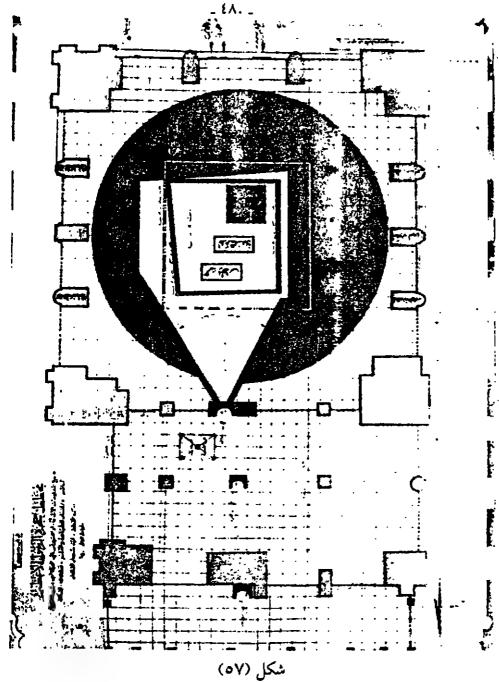
شكل (٥٤) الحجرة الشريفة كما رسمها السمهودى في وفاء الوفا جـ٢ ، ص ٥٦٦ بعد مشاهدته لها وذرعه أبعادها في عمارة قايتباى الأولى سنة ٨٨١هـ .



شكل (٥٥) الحجرة الشريفة كما شاهدها السمهودى عند انكشافها في عمارة قايتباى الأولى سنة ٨٨١هـ . خلاصة الوفاء ، ص ٢٠٢ .

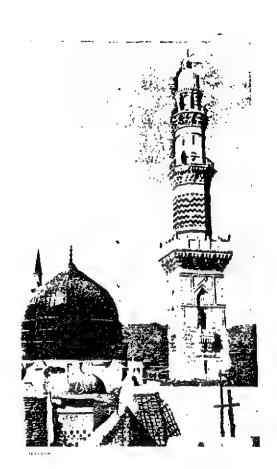


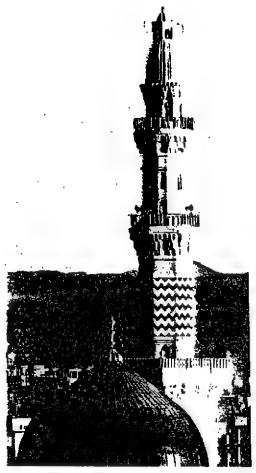
شكل (٥٦) هاتان الصورتان تمثلان الوضع الذى استقر عليه بناء الحجرة الشريفة إلى الوقت الحاضر (عن السمهودى)



صورة مخطط الحجرة الشريفة بوضعها الحالى وهي الحالة التي كانت عليها بعد عمارة الأشرف قايتباي لها سنة ١٨٨٧هـ .

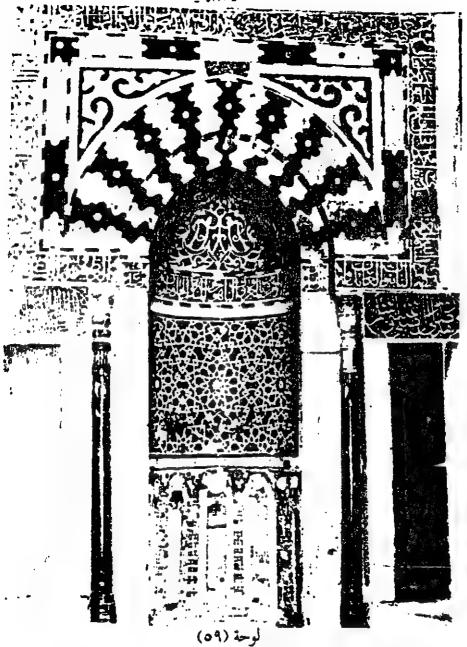
(عن إبراهيم العياشي)



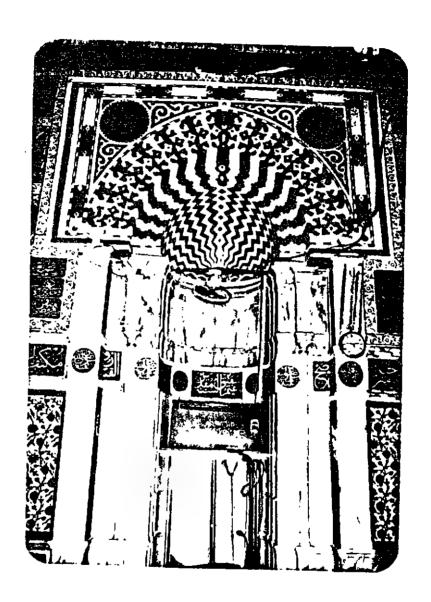


لوحة (٥٨)

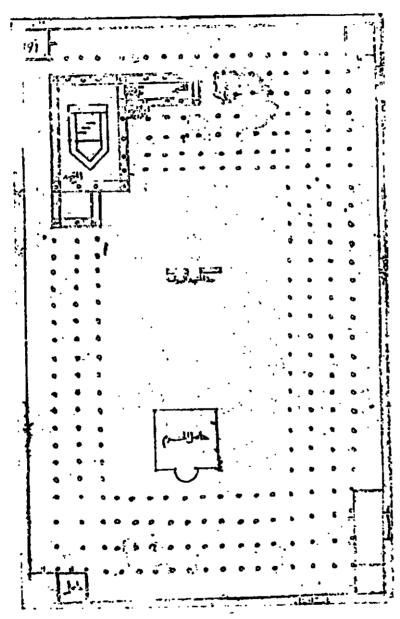
تمثل هاتان الصورتان المنارة الرئيسية في زمنين مختلفين والصورة اليسرى نقلتها من مرآة الحرمين جــ ا ص ٤٥١ . ويعقد مقارنة بين شرافات الشرفة الأولى في الصورتين يتبين أنه حدث بهما تخسينات في العهد السعودي وهو ما يظهر واضحا في الصورة الملونة .



صورة المحراب النبوى وفيها يبدو جمال التقسيمات الرحامية والكتابات البديعة التي تحلى المحراب منذ جدده الأشرف قايتباي في العمارة الثانية التي تمت سنة ٨٨٨هـ.

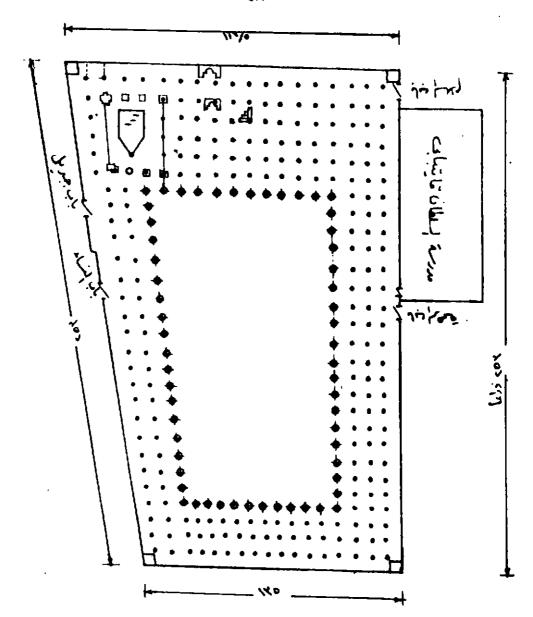


لوحة (٦٠) صورة المحراب العثماني وبه تبدو الزخرفة المملوكية التي لا يزال يحتفظ بها من عهد عمارة الأشرف قايتباي له سنة ٨٨٨هـ .



شکل (۲۱)

صورة مخطط للمسجد النبوى فى القرن التاسع نقلها سوفاجيه عن مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس لمؤلف مجهول برقم ٢٥٦٥ / عربى وهى توضع وضع المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى الثانية وما به من حواصل .



شكل (٦٢) مسقط يبين حالة المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى الثانية. (من عمل الباحث)

لوحة (٦٣) صورة متبر مسجد قياء الذي أرسله الأشرف فايتياى سنة ٨٨٨ هـ إلى المسجد الشيسوى ثم تقل إلى مسجد قباء بعند (رسال السلطان مراد للمثبر الموجسود حالياً في المسجد النبوي سنة ٩٩٨ هـ



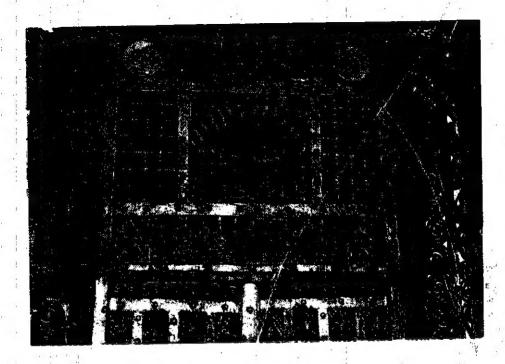
لوحة (٦٤) شمعدان الأمير جانى بك الموقوف على الحرم النبوى الشريف فيما بين سنة ٨٠١ - ٨٠٨هـ



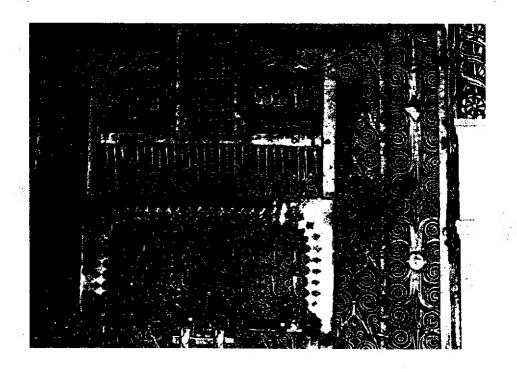
لوحة (٦٥) شمعدان الأشرف قايتباى الموقوف على الحجرة الشريفة بتاريخ شهر رمضان سنة ٨٨٨ هـ



لوحة (٢٦) صورةً النَّمْشُ الموجود خلف المحراب الشيوى هَلُ لِلرِح رِخْلِمِي بِطُولِ ٣٦ × ٨٨ سم



لوحة (٧٧)) صورة التقتى الموجود بأصل مشبك الحجرة الشريفة المطل على الروضة الشريفة



لوحة (٦٨) صورة النقش الموجود بأصل مشبك الحجرة الشريفة الشمالي المطل على دكة الأغوات



لوحة (٦٩) صورة النقش الموجود خلف المحراب السليماني في لوح رخامي يطول ٧٧ × ٦٦ سم والمؤرخ خطأ في سنة ٩٠٨ هـ